

المملكـة العربيــة السعوديــة

وزارة التعليــــــــم العــــالي

الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

(032)

كلية الدعوة وأصول الدين

قسم العقيدة

التقسيمات العقدية عند شيخ الإسلام ابن تيمية

(جمعًا ودراسة)

مشروع رسالة علمية مقدم لنيل درجة العالمية (الماجستير)

إعداد الطالب:

بدر بن إبراهيم الغيث.

إشراف:

أ.د سعود بن عبد العزيز الخلف

العام الجامعي

(1430-1431 هـ)

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه وبعد:

فإن الله ﷻ بعث محمداً ﷺ بالهدى ودين الحقّ ليظهره على الدين كله ولو كره الكافرون، فأخرج الله ﷻ به العباد من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الآخرة، فما فارق الدنيا حتى تركنا على المحجّة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك.

وكان من أصول الدين التي بيّنها وأوضحها توحيد الله ﷻ وما يجب له سبحانه من إفراد بالعبادة وإخلاص الدين له قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾ [١].

ثم سار أصحابه –رضي الله عنهم– على منهجه وطريقته فما حادوا عنه قيد أنملة، فمن سار على طريقتهم وسلك دربهم فهو موعود بنصر الله الذي وعدهم، قال ﷺ ((**لا يزال من أمتي أمة قائمة بأمر الله لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك**))[٢].

ثم إن العلماء عليهم رحمة الله قد بذلوا جهداً عظيماً في بيان أصول الدين وتقريبها وتسهيلها فسلكوا لذلك طرقاً عديدة وسبلاً شتى.

---

١) سورة الأعراف الآية رقم (162-163).

٢) رواه البخاري حديث رقم (3641) كتاب المناقب.

وكان من بين هؤلاء العلماء الراسخين في العلم الإمام ابن تيمية –رحمه الله–، الذي بذل جهده ووقته علماً وعملاً وتعليماً، فكان له بعد الله ﷻ الفضل العظيم في الرد على طوائف كثيرة ضلوا عن سواء الصراط، فجادلهم بالتي هي أحسن، حتى أبان لهم الحق وأظهر الحجة عليهم.

وقد كان له رحمه الله أسلوبه وطريقته التي اعتمد فيها على أصول وقواعد وتقسيمات ليفهم مراده ومقصده، فيسهل هذا العلم من جانب وليبين الحق لخصمه من جانب آخر.

ولقد خدمت كتب هذا الإمام خدمة عظيمة، وتبين لي من خلال بحث واطلاع واسع أن أخدم كتبه من جانب لم يتطرق إليه من قبل فعقدت العزم على جمع هذه التقسيمات المنثورة في مؤلفاته وفتاويه ثم أدرسها دراسة علمية وافية فأفيد وأستفيد، وقد جعلت عنوانها

(التقسيمات العقدية عند شيخ الإسلام ابن تيمية – جمعاً ودراسة)

أسباب اختيار الموضوع:

لقد اخترت هذا الموضوع لأسباب منها:

١) إبراز ما تميزت به عقيدة أهل السنة والجماعة من شمول لجميع أبواب الاعتقاد، وإبراز جهود السلف في إيضاح العقيدة الصحيحة.

٢) بيان اهتمام شيخ الإسلام ابن تيمية بتقريب هذا العلم من خلال تقسيمات يسهل بها معرفة مراده ويفهم فهماً صحيحاً شاملاً.

٣) إبراز هذا الجانب المهم من خلال مصنفات شيخ الإسلام ابن تيمية وإبراز هذه التقسيمات التي تكاد تكون غير مشهورة وذلك لكثرتها وتفرعها.

٤) دراسة هذه التقسيمات دراسة وافية شاملة وإفرادها في رسالة علمية فتعم بها الفائدة.

٥) لما لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله- من جهود في تقرير عقيدة أهل السنة والجماعة، والدعوة إليها والدفاع عنها، مع ما وهبه الله من سعة إطلاع على مذهب السلف وأقوالهم وأقوال الفرق وأصولهم ومعتقداتهم وتقسيماتهم.

الدراسات السابقة:

لا توجد دراسة -حسب علمي- تناولت هذا الموضوع من الجهة التي تناولتها.

لكن هناك رسالة علمية بعنوان (التقسيمات المتعلقة بأنواع التوحيد الثلاثة —جمعاً ودراسة) لأحد طلاب هذه الجامعة المباركة وهو الأخ/ **محمد عارف** . وقد اتضح لي من خلال إطلاعي على هذه الرسالة عدة أمور منها:

أولاً: أن رسالة التقسيمات المتعلقة بأنواع التوحيد الثلاثة هو موضوع عام حيث إنه يحصل في كثير من الرسائل العلمية تشابه من هذا الوجه، فمثلاً تجد رسالة في الإيمان ثم تجد رسالة أخرى في الإيمان عند أحد من الأئمة، وقد يتكرر طرح مثل هذا الموضوع من عدة جهات، و لم يعترض عليه أن بين هذين الموضوعين تكرار؛ لأنه يكون بينهما عموم وخصوص فهذا أعم من جهة وهذا أشمل من جهة أخرى.

ثانياً: أن رسالة التقسيمات المتعلقة بأنواع التوحيد الثلاثة لم تتطرق إلا للتقسيمات في أنواع التوحيد الثلاثة أما رسالتي فهي شاملة لجميع أبواب الاعتقاد حيث أنني شملت في رسالتي جميع تقسيمات شيخ الإسلام ابن تيمية في جميع الأبواب.

ثالثاً: أني قد ذكرت تقسيمات في أنواع التوحيد الثلاثة لم يتطرق لها الباحث، وذلك مثل أقسام الاستغاثة وأنواع الاستغاثة المنفية وأنواع الشفاعة وأقسام الناس في الشفاعة، وغير ذلك.

ثم إني لم أجد –سوى هذه الرسالة – شيئاً يتعلق بالتقسيمات إلا النزر اليسير الذي لا يكاد يذكر، من ذكر شيء من تقسيمات شيخ الإسلام ابن تيمية على سبيل الإجمال كمن كتب عن جهوده في العقيدة وغير ذلك.

رابعاً: أن هذه الرسالة هي موضوع خاص بشيخ الإسلام ابن تيمية فهي تبين جانباً مهماً سلكه شيخ الإسلام ابن تيمية واعتمد عليه كثيراً.

خطة البحث:

ينتظم هذا البحث في مقدمة وتمهيد وثلاثة أبواب وخاتمة.

المقدمة وتشتمل على:

أ) أهمية الموضوع وأسباب اختياره.

ب)خطة البحث.

ج) الدراسات السابقة.

د) منهج البحث.

التمهيد:

في ترجمة شيخ الإسلام ابن تيمية، وتعريف التقسيم ومنهج شيخ الإسلام فيه.

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: ترجمة مختصرة لشيخ الإسلام ابن تيمية، وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: اسمه، ونسبه.

المطلب الثاني: مولده، نشأته، وفاته.

المطلب الثالث: شيوخه وتلاميذه.

المطلب الرابع: مؤلفاته.

المطلب الخامس: ثناء العلماء عليه.

المبحث الثاني: تعريف التقسيم، ومنهج شيخ الإسلام ابن تيمية فيه.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تعريف التقسيم والألفاظ المرادفة له.

المطلب الثاني: منهج شيخ الإسلام ابن تيمية في التقسيم.

الباب الأول: التقسيمات المتعلقة بتوحيد الله ﷻ لدى شيخ الإسلام ابن تيمية.

وفيه تمهيد وأربعة فصول:

التمهيد: وفيه تعريف التوحيد.

الفصل الأول: تقسيمات التوحيد وما يناقضه لدى شيخ الإسلام ابن تيمية، وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: أنواع التوحيد.

المبحث الثاني: أنواع الشرك.

المبحث الثالث: أنواع الكفر.

المبحث الرابع: أنواع النفاق.

الفصل الثاني: تقسيمات توحيد الربوبية لدى شيخ الإسلام ابن تيمية ،وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: أقسام الوجود.

المبحث الثاني: أقسام الإقرار بالله.

المبحث الثالث: أنواع الأدلة في القران المفضية إلى وجود الصانع.

الفصل الثالث: تقسيمات توحيد الألوهية لدى شيخ الإسلام ابن تيمية.

وفيه ثلاثة عشر مبحثا:

المبحث الأول: أقسام الناس في العبادة والاستعانة.

المبحث الثاني: أنواع الدعاء.

المبحث الثالث: أنواع الذكر.

المبحث الرابع: أقسام الدعاء عند القبور.

المبحث الخامس: أقسام الاستغاثة.

المبحث السادس: أنواع الاستغاثة المنفية.

المبحث السابع: أنواع الشفاعة.

المبحث الثامن: أقسام الناس في الشفاعة.

المبحث التاسع: أنواع التوسل.

المبحث العاشر: أقسام التوسل بدعاء النبي ﷺ

المبحث الحادي عشر: أنواع القسم بالمخلوق.

المبحث الثاني عشر: أنواع الرقى.

المبحث الثالث عشر : أنواع التنجيم.

الفصل الرابع: تقسيمات توحيد الأسماء والصفات لدى شيخ الإسلام ابن تيمية.

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: في الصفات وما يتعلق بها.

وفيه ثلاثة عشر مطلبا:

المطلب الأول: أقسام الصفات.

المطلب الثاني : أنواع أفعال الله.

المطلب الثالث: أقسام المضاف إلى الله.

المطلب الرابع: أقسام الاستواء.

المطلب الخامس: أقسام المحبة.

المطلب السادس: أقسام الكلام.

المطلب السابع: أقسام العلو.

المطلب الثامن: أقسام السمع المضاف إلى الله.

المطلب التاسع: أقسام الأنوار.

المطلب العاشر: أنواع النزول في كتاب الله.

المطلب الحادي عشر: أنواع القرب.

المطلب الثاني عشر : أنواع المعية.

المطلب الثالث عشر: أنواع كيد الله.

المبحث الثاني: أقسام الناس في أدلة الصفات.

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول : أنواع الأدلة.

المطلب الثاني: أقسام من يجري النصوص على ظاهرها.

المطلب الثالث: أقسام نفاة ظواهر النصوص.

المطلب الرابع : أقسام الواقفة.

الباب الثاني: التقسيمات المتعلقة بباقي أركان الإيمان لدى شيخ الإسلام ابن تيمية.

وفيه ثلاثة فصول:

الفصل الأول: التقسيمات المتعلقة بالإيمان بالرسل لدى شيخ الإسلام ابن تيمية

وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول: أقسام الوحي والتكليم.

المبحث الثاني: أقسام الأنبياء.

المبحث الثالث: أقسام الناس في الرسل.

المبحث الرابع: أقسام الناس في خوارق العادات.

المبحث الخامس: أقسام الاعتراض على قول النبي ﷺ أو فعله.

الفصل الثاني: التقسيمات المتعلقة بالإيمان باليوم الآخر لدى شيخ الإسلام ابن تيمية.

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: أنواع النفخات التي أخبر الله ﷻ عنها في القران.

المبحث الثاني: أنواع شفاعات النبي ﷺ يوم القيامة.

المبحث الثالث: أنواع أهل الجنة.

المبحث الرابع: أقسام الناس في الصفات واليوم الآخر.

الفصل الثالث: التقسيمات المتعلقة بالإيمان بالقضاء والقدر لدى شيخ الإسلام ابن تيمية.

وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول: مراتب الإيمان بالقضاء والقدر.

المبحث الثاني: أقسام الإرادة والإذن والحكم والأمر.

المبحث الثالث: أنواع الرضا بالقضاء.

المبحث الرابع: أقسام قدرة العباد على الأعمال.

المبحث الخامس: أنواع الناس في الشرع والقدر.

الباب الثالث: التقسيمات المتعلقة في بقية مسائل الاعتقاد لدى شيخ الإسلام ابن تيمية

وفيه ثلاثة فصول:

الفصل الأول: التقسيمات المتعلقة في مسائل الإيمان والإسلام وما يضادهما لدى شيخ الإسلام ابن تيمية.

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: مسائل الإيمان والإسلام.

وفيه ستة مطالب:

المطلب الأول: درجات الدين.

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: أقسام الذنوب.

المطلب الثاني: أنواع الظلم.

المطلب الثالث: أقسام الخطأ في الاعتقاد.

المطلب الرابع : أنواع المغفرة.

المبحث الثاني: البدع وفيه احد عشر مطلباً.

المطلب الأول: أنواع البدع.

المطلب الثاني: أنواع أهل البدع الذين ذمهم الله ورسوله.

المطلب الثالث: أنواع الزيارة.

المطلب الرابع: مراتب الأدعية البدعية.

المطلب الخامس: أقسام الأعياد الزمانية والمكانية.

المطلب السادس: أقسام الفناء.

المطلب السابع: أقسام الإشارات.

المطلب الثامن: أقسام الزهد.

المطلب التاسع: أقسام الأحوال.

الفصل الثالث: التقسيمات المتعلقة في الفرق والمقالات لدى شيخ الإسلام ابن تيمية.

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: الفرق.

وفيه ستة مطالب:

المبحث الثاني: المقالات.

وفيه ثمانية مطالب:

منهج البحث

اتخذت في هذا البحث الخطوات التالية :

١ - جمعت المسائل التي قسمها شيخ الإسلام ابن تيمية في جميع أبواب الاعتقاد سواء بلفظ التقسيم أو غيره من الألفاظ المرادفة والمقاربة.

٢ - صنفت التقسيمات على حسب أبواب وفصول ومباحث ومطالب الخطة.

3- درست المسائل التي قسمها شيخ الإسلام واستدللت لها إذا كان لها أدلة وتكلمت عليها بما يناسب مع نقل كلام أهل العلم إن تيسر مع التركيز على كلام شيخ الإسلام ابن تيمية.

٤ - عزوت الآيات القرانية إلى مواضعها من القرآن الكريم مع كتابتها بالرسم العثماني.

٥ - عزوت الأحاديث ، فإن كانت في الصحيحين أو أحدهما اكتفيت بالعزو اليهما أو إلى أحدهما ، وإن كانت في غيرهما بينت ذلك ثم أنقل كلام أهل العلم في الحكم على الحديث.

٦ - وثقت المسائل والنقول من مصادرها الأصلية.

٧ - ترجمت للأعلام غير المشهورين ترجمة موجزة.

٨ - عرفت بالملل والفرق والمذاهب والأديان.

٩ - شرحت الكلمات الغريبة والمصطلحات العلمية.

١٠ - التزمت بعلامات الترقيم وضبطت ما يحتاج إلى ضبط.

١١ - ذيلت البحث بفهارس علمية كما هو مبين في الخطة.

التمهيد

وفيه ترجمة شيخ الإسلام ابن تيمية، وبيان المسائل المتعلقة بالتقسيم.

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: ترجمة مختصرة لشيخ الإسلام ابن تيمية.

وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: اسمه ونسبه.

المطلب الثاني: مولده ونشأته ووفاته.

المطلب الثالث: شيوخه وتلاميذه.

المطلب الرابع: مؤلفاته.

المطلب الخامس: ثناء العلماء عليه.

المطلب الأول: اسمه ونسبه.

هو أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم محمد بن تيمية، تقي الدين، أبو العباس، المنعوت بـــ (شيخ الإسلام) ابن الإمام شهاب الدين أبي المحاسن، ابن العلامة مجد الدين أبي البركات، الحراني الأصل الدمشقي المنشأ والدار والوفاة(١).

وينتسب إلى قبيلة عربية، نميرية، من بني النمير الذين يرجع نسبهم إلى قيس بن عيلان بن مضر، ونمير بطن من عامر بن صعصعة (٢).

وعن سبب تسميته بـــإبن **"تيمية"** المعوّل في شهرته عليها، أن أمّ جده محمد بن الخضر، كانت واعظة تسمى تيمية، فنُسب إليها، وقيل: حجّ جده المذكور فمرّ على درب تيماء المشهور، فخرج عليه من خباء جارية طفلة سنيّة، فلما رجع وجد إمرأته قد وضعت بنتاً، فلما رفعوها إليه قال: **"يا تيميَّة يا تيميَّة"!** يعني أنها تشبه التي رآها بتيماء، فسمّي بها (٣).

١) انظر المقصد الأرشد في ذكر أصحاب الإمام أحمد للإمام برهان الدين بن مفلح (132/1) ، وانظركتاب المقفى الكبير للمقريزي (454/1) ، وانظر الذيل على طبقات الحنابلة للحافظ ابن رجب (491/4).

٢) جمهرة أنساب العرب (ص279) الأعلام للزركلي (144/1).

٣) جلاء العينين في محاكمة الأحمدين للألوسي (ص5).

المطلب الثاني:مولده ونشأته ووفاته:

ولد يوم الاثنين العاشر من ربيع الأول سنة إحدى وستين وستمائة بحران، وقدم به والده وبإخوته إلى دمشق عند استيلاء التتر على البلاد سنة سبع وستين وستمائة، فنشأ بها أتم النشء، وأزكاه وأنبته الله أحسن النبات وأوفاه، وكانت مخايل النجابة عليه في صغره لائحة، ودلائل العناية فيه واضحة، ويروى أنه كان إذا أراد المضيّ إلى المكتبة يعرضه يهودي –كان بمنزل طريقه- بمسآئل يسأله عنها لما كان يلوح عليه من الذكاء والفطنة، وكان يجيبه عليها سريعاً، حتى تعجب منه!، ثم إنه صار كلما اجتاز به يخبره بأشياء مما يدلّ على بطلان ما هو عليه، فلم يلبث أن أسلم وحسُن إسلامه، وكان ذلك ببركة دعوة الشيخ على صغر سنه.

وأقبل على العلوم في صغره، وطلب بنفسه قراءةً وسماعاً من خلقٍ كثير، وقرأ بنفسه الكتب، وكتب الطباق والأثبات، واشتغل بالعلوم، وكان من أذكى الناس، سريع الحفظ، قوي الإدراك والفهم، وكان بطيء النسيان حتى ذكر جماعة أنه لم يكن يحفظ شيئا فينساه، إلى أن صار إماما في التفسير وعلوم القران، عارفاً بالفقه واختلاف العلماء، بارعاً بالأصلين، والنحو وما يتعلق به، واللغة، والمنطق، وعلم الهيئة والجبر والمقابلة، وعلم الحساب، وعلم أهل الكتابين وأهل البدع، وغير ذلك من العلوم النقلية والعقلية، حتى برز في ذلك على أهله، وتأهل للفتوى والتدريس وله دون العشرين سنة، وأمده الله تعالى بكثرة الكتب، وصار حُفَظَةً للحديث، مميزاً بين صحيحه وسقيمه، عارفاً برجاله وعلله، متضلعاً من ذلك، مع التبحر في علم التاريخ.

وقد وافته المنية –رحمه الله- في سجنه بقلعة دمشق المحروسة، في سحر ليلة الاثنين عشرين من ذي القعدة، سنة ثمان وعشرين وسبعمائة، صابراً محتسباً، وأثر عنه قوله فيها: **"ما يفعل بي أعدائي؟! أنا جنتي في صدري، إن قتلي شهادة، وطردي سياحة، وسجني خلوة"**.

وقد مكث الشيخ في القلعة، من شعبان سنة ست وعشرين، إلى ذي القعدة سنة ثمان وعشرين، ثمّ مرض بضعة وعشرين يوماً، وكان إذ ذاك الملك شمس الدين الوزير بدمشق المحروسة، فلما علم بمرضه استأذن في الدخول عليه لعيادته، فأذن الشيخ له في ذلك، فلما جلس عنده، أخذ يعتذر له عن نفسه، ويتلمس أن يحلله، مما عساه أن يكون قد وقع منه في حقه من تقصير، أو غيره، فأجابه الشيخ ﷺ بـــ **"أني قد أحللتك وجميع من عاداني وهو لا يعلم أني على الحق"** . وما يعلم أكثر الناس بمرضه، ولم يفجأهم إلا موته، وكانت وفاته في سحر ليلة الإثنين عشرين من ذي القعدة، سنة ثمان وعشرين وسبعمـــائة [١].

---

١) المقفى الكبير للمقريزي (1/ 455) ، وانظر الذيل على طبقات الحنابلة للحافظ ابن رجب (493/4)، وانظر المقصد الأرشد في ذكر أصحاب الإمام أحمد (133/1) ، وانظر الأعلام العلية في مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية (ص19).

المطلب الثالث: شيوخه وتلاميذه:

سمع من:

1) الشيخ زين الدين أحمد بن عبد الدائم المقدسي.
2) أبن أبي اليسر.
3) الكمال بن عبد.
4) الشيخ شمس الدين الحنبلي.
5) القاضي شمس الدين بن عطاء الحنفي.
6) الشيخ جمال الدين بن الصيرفي.
7) مجد الدين بن عساكر.
8) النجيب بن المقداد.
9) ابن أبي الخير.
10) ابن علان.
11) أبي بكر الهروي.
12) الكمال عبد الرحيم.
13) فخر الدين بن البخاري.
14) ابن شيبان.
15) الشرف بن القواس.
16) زينب بنت مكي.

وغيرهم كثير، ينوفون على مائتي شيخ، منهم ابن عبد القوي.

أما تلاميذه فمنهم:

- محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية.
- محمد بن شاكر الكتبي.
- محمد بن أحمد الذهبي.
- محمد بن أحمد بن عبد الهادي.
- إسماعيل بن عمر ابن كثير.
- عمر بن علي البزار.
- أحمد بن الحسين بن عبد الله بن قدامة.
- سليمان الصرصري الطوفي البغدادي.
- عمر بن مظفر الوردي المصري الحلبي.
- عمر بن سعد الله الحراني.
- محمد بن مفلح المقدسي.
- محمد بن المنجا التنوخي الدمشقي. وغيرهم[1].

---

١) انظر المقصد الأرشد في ذكر أصحاب الإمام أحمد (133/1)، وانظر الذيل على طبقات الحنابلة لابن رجب (493/4).

المطلب الرابع: مؤلفاته:

كتب بخطه من التصانيف، والتعاليق المفيدة ، والفتاوى المشبعة في الأصول، والفروع، والحديث، ورد البدع بالكتاب والسنة، شيئا كثيرا يبلغ عدة أحمال. فمما كمُل منها:

-كتاب الصارم المسلول على منتقص الرسول.

-كتاب درء تعارض العقل والنقل.

-كتاب منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية.

-كتاب الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح.

-كتاب تبطيل التحليل.

-كتاب اقتضاء الصراط المستقيم.

-كتاب دفع الملام عن الأئمة الأعلام.

-كتاب التصوف.

-كتاب مناسك الحج.

-كتاب الكلم الطيب.

-كتاب الإيمان.

-كتاب الاستقامة.

-كتاب جواب الاعتراضات المصرية على الفتاوى الحموية.

-كتاب تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية.

-كتاب المحنة المصرية.

-كتاب المسائل الإسكندرانية.

-كتاب الفتاوى المصرية.

-كتاب في الرد على ((تأسيس التقديس)) للرازي.

-كتاب في الرد على طوائف الشيعة.

-كتاب الردّ على المنطقيين.

-كتاب الردّ على البكري في مسألة الاستغاثة.

-كتاب الردّ على أهل كسروان الروافض.

-كتاب الرد على الأخنائي في مسألة الزيارة.

-كتاب ((الصفدية)) جواب من قال: إن معجزات الأنبياء قوى نفسانية.

-كتاب الهلاكونيّة.

-كتاب التحرير في مسألة حقير.

-شرح أول ((المحصل)) للرازي.

-شرح بضعة عشر مسألة من ((الأربعين)) للرازي.

-شرح ((عقيدة الأصبهاني.)).

-شرح ((العمدة)) للشيخ موفق الدين.

-((تعليقه على المحرر)) لجده.

-الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان.

-الفرقان بين الطلاق والأيمان.

-السياسية الشرعية في إصلاح الراعي والرعية.

-رفع الملام عن الأئمة الأعلام.

ومسائل كثيرة جدا نفع الله بها وكانت حجة على من ضل الطريق ، وسلك سبيل الغي والضلال والعناد [1].

---

١) انظر المقفى الكبير للمقريزي (1/ 468)، وانظر الذيل على طبقات الحنابلة لابن رجب (4/ 520 – 523).

المطلب الخامس: ثناء العلماء عليه:

لما وليّ مشيخة دار الحديث بعد والده،قال الشيخ إبراهيم الرقي [١]: "الشيخ تقي الدين يؤخذ عنه ويقلد في العلوم،فإن طال عمره ملأ الأرض علماً وهو على الحقّ،ولا بد أن يعاديه الناس فإنه وارث علم النبوة" [٢]،وقال كمال الدين ابن الزملكاني [٣]: "لقد أعطي ابن تيمية اليد الطولى في حسن التصنيف وجودة العبارة والترتيب والتقسيم والتبيين، وقد ألان الله له العلوم كما ألان لداود الحديد"! ثم كتب على بعض تصانيفه هذه الأبيات من نظمه:

ماذا يقول الواصفون له — وصفاته جلت عن الحصر

هـــو حجة لله، قاهـــرة — هو بيننا أعجوبة الدهـــر

هو آية في الخلق ظاهرة — أنوارها أربت على الفجر[٤].

وقال قاضي القضاة تقي الدين أبو الفتح محمد ابن دقيق العيد [٥] لمّا اجتمع به عند حضوره إلى القاهرة في سنة سبعمائة: "رأيت رجلا كل العلوم بين عينيه، يأخذ ما يريد ويدع ما يريد" [٦].

---

١) إبراهيم بن احمد بن محمد الرقي الحنبلي الإمام القدوة نزيل دمشق ولد بالرقة سنة نيف وأربعين وست مائة وتوفي سنة ثلاث وسبع مائة. الوافي بالوفيات (206/5).

٢) المقفى الكبير للمقريزي (469/1).

٣) محمد بن علي بن عبد الواحد الأنصاري ولد سنة 667 له رسالتان في الرد على ابن تيمية أحدهما في الطلاق والأخرى في مسألة الزيارة وتوفي سنة 727 أنظر الدرر الكامنة (74/4)، وشذرات الذهب (140/8).

٤) المقفى الكبير للمقريزي (1/ 469).

٥) محمد بن علي بن وهب قاضي القضاة تقي الدين بن دقيق العيد ولد سنة خمس وعشرين وست مائة كان من أذكياء زمانه واسع العلم كثير الكتب مديم السهر . أنظر تذكرة الحفاظ (1481/4) ، وأنظر الوافي بالوفيات (137/4).

٦) المقفى الكبير للمقريزي (469/1).

وحضر عنده العلامة أثير الدين أبو حيان [١]، شيخ النحاة، فقال عنه: "ما رأت عيناي مثله، ومدحه في المجلس بقوله:

لمّـا أتينا تقيّ الديـن لاح لنـا	**داعٍ إلى الله فـردٌ، ماله وزرُ**
على محياه من سيما الألى صحبـوا	**خيـر البريـة نورٌ دونـه القمرُ**
حَبْـرٌ تسربـل منه دهره حِبرَاً	**بَحرٌ تقاذف من أمواجه الـدُّررُ**
قـام ابن تيميّة في نصـر شِرعَتنـا	**مقام سيّد تيم إذْ عصت مُضَـرُ**
فأظهـر الحق إذ آثاره اندرسـت	**وأخمد الشرّ إذ طارت له الشّررُ**
كُنّـا نُحدّث عن حَبْرٍ يجيء فهـا	**أنت الإمام الذي قد كان يُنتَظرُ**

وكان قاضي القضاة نجم الدين أبو العباس ابن صصريّ لا يسمح لمناظريه في بلوغ مرادهم من ضرره ويقول: مالي وله؟ [٢].

وحكى أبو حفص محمد بن عليّ بن موسى الزار البغدادي قال: حدثني الشيخ المقرئ تقي الدين عبد الله بن أحمد بن سعيد قال: "مرضـت بدمشق مرضـةً شديدة، فجاءني ابن تيميـة، فجلس عند رأسي، وأنا مثقلٌ بالحمى والمرض، فدعا لي وقال: قم، جاءت العافية! فما كان إلا أن قام وفارقني، وإذا بالعافية قد جاءت وشفيت لوقتي" [٣].

وقال الذهبي في ترجمته لشيخ الإسلام ما ملخصه: له باعٌ طويلٌ في معرفة مذاهب الصحابة والتابعين، وقلّ أن يتكلم في مسألة إلا ويذكر فيها مذاهب الأربعة ، وقد خالف الأربعة في مسائل معروفة، وصنف فيها واحتج لها بالكتاب والسنة ، ولما كان معتقلاً بالإسكندرية ،

---

١) هو أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف الإمام الحافظ العلامة فريد العصر وإمام الزمان شيخ النحاة الغرناطي ولد في أواخر شوال سنة 654هـ، في إحدى جهات غرناطة، ورحل إلى مالقة ، وتنقل إلى أن أقام بالقاهرة ، وتوفي فيها، بعد أن كف بصره ، واشتهرت تصانيفه في حياته وقرئت عليه ، مات بمنزله خارج باب البحر في 28 صفر سنة 745هـ، أنظر الوافي بالوفيات (175/5)، الدرر الكامنة (302/4)، الأعلام للزركلي (152/7).

٢) المقفى الكبير للمقريزي (470/1).

٣) المقفى الكبير للمقريزي (469 -470).

التمس منه صاحب سبتة أن يجيز له مروياته ، وينصَّ على أسماء جملةٍ منها ، فكتب في عشر ورقات جملة من ذلك بأسانيدها من حفظه، بحيث يعجز أن يعمل بعضه أكبر محدّثْ يكون، وله خبرة تامة بالرجال ، وجرحهم، وتعديلهم، وطبقاتهم، ومعرفة بفنون الحديث ، وبالعالي والنازل، وبالصحيح والسقيم ، مع حفظه لمتونه فلا يبلغ أحدٌ في العصر رتبته ، ولا يقاربه ، وهو عجبٌ في استحضار واستخراج الحجج ، منه وإليه المنتهى في عزوه إلى الكتب الستة والمسند، بحيث يصدق عليه أن يقال كل حديثٍ لا يعرفه ابن تيمية فليس بحديث ، ولكن الإحاطة لله، غير أنه يغترف من بحر وغيره من الأئمة يغترفون من السواقي ، وله الآن عدة سنين لا يفتي بمذهب معين بل بما قام الدليل عليه عنده ، ولقد نصر السنة المحضة والطريقة السلفية، واحتجّ لها ببراهين ومقدمات وأمورٍ لم يُسبق إليها ، وأطلق عبارات أحجم عنها الأولون والآخرون وهابوا، وجسر عليها، حتى قام عليه خلق من علماء مصر والشام ، قياما لا مزيد عليه ، وبدّعوه، وناظروه، وكاتبوه، وهو ثابتٌ لا يداهن ولا يحابي ، بل يقول الحق المرّ الذي أدّاه إليه اجتهاده، وحدّة ذِهنه، وسعة دائرته في السنن والأقوال ، مع ما اشتهر منه من الورع، وكمال الفكر ، وسعة الإدراك ، والخوف من الله العظيم ، والتعظيم لحرمات الله ، فجرى بينه وبينهم حملاتٌ حربية ، وَوَقعاتٌ شامية ومصرية ، وكم من نوبة قد رموه عن قوسٍ واحدٍ فينجيه الله تعالى ، فإنه كان دائم الابتهال، كثير الاستغاثة، قويّ التوكل، ثابت الجأش، له أوراد وأذكارٌ ، يُدمنها بكيفيّة وجمعيّة ، وله من الطرف الآخر محبون من العلماء ، والصلحاء، ومن الجند ، والأمراء، ومن التجار ، والكبراء، وسائر العامة تحبه ، لأنه منتصب لنفعهم ليلاً ونهاراً بلسانه وقلمه.

وأما شجاعته فيها تضرب الأمثال، وببعضها يتشبه أكابر الأبطال، فلقد أقامه الله في نوبة غازان، و ألقى أعباء الأمر بنفسه ، وقام وقعد وطلع وخرج واجتمع بالملك مرتين ، وبخطلوشاه وببولاي، وكان قبجق يتعجب من إقدامه وجرأته على المغول.

وهو أكبر من أن ينبّه مثلي على نعوته ، فلو حلفت بين الركن والمقام ، لحلفت أني ما رأيت بعيني مثله، ولا رأى هو مثل نفسه في العلم[١].

وقال العلامة الشيخ عماد الدين الواسطي[٢] في حقه بعد ثناء طويل جميل ما لفظه: "فو الله، ثم والله لم ير تحت أديم السماء مثل شيخكم ابن تيمية علماً وعملاً وحالاً وخلقاً وإتباعا وكرماً وحلماً وقياماً في حق الله تعالى عند انتهاك حرماته ، أصدق الناس عقداً، وأصحهم علماً وعزماً، وأنفذهم وأعلاهم في انتصار الحق وقيامه همة، وأسخاهم كفاً وأكملهم اتباعاً لنبيه محمد ﷺ، ما رأينا في عصرنا هذا من تستجلى النبوة المحمدية وسننها من أقواله وأفعاله إلا هذا الرجل، يشهد القلب الصحيح أن هذا هو الإتباع حقيقة" [٣].

وسئل ابن دقيق العيد عن ابن تيمية —رحمه الله– بعد اجتماعه به كيف رأيته؟ فقال "رأيت رجلا سائر العلوم بين عينية يأخذ ما شاء منها ويترك ما شاء" فقيل له: هلا تكلمت معه؟ فقال: "هو رجل يحب الكلام وأنا أحب السكوت" [٤].

وكتب الحافظ ابن سيد الناس: "ألفيته ممن أدرك العلوم حظاً ، وكاد يستوعب السنن والآثار حفظاً، إن تكلم في التفسير فهو حامل رايته، وإن أفتى في الفقه فهو مدرك غايته، أو بالحديث فهو صاحب علمه وذو روايته، أو حاضر بالملل والنحل لم ير أوسع من نحلته ولا أرفع من درايته، برّز في كل علم على أبناء جنسه، ولا رأت عيني مثل نفسه" [٥].

---

١) انظر جلاء العينين للبغدادي (ص7) وانظر الدرر الكامنة (151/1).

٢) أحمد بن ابراهيم بن عبد الرحمن عماد الدين بن العارف الواسطي الشافعي الصوفي له تزهد وتعبد وله مصنفات في السلوك والمحبة نزيل دمشق توفي سنة 711ه. الوافي بالوفيات (140/6).

٣) جلاء العينين للبغدادي (ص11).

٤) جلاء العينين للبغدادي (ص11).

٥) جلاء العينين للبغدادي (ص10).

المبحث الثاني:

تعريف التقسيم ومنهج شيخ الإسلام ابن تيمية فيه

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تعريف التقسيم والألفاظ المرادفة له.

المطلب الثاني: منهج شيخ الإسلام ابن تيمية في التقسيم.

المطلب الأول: تعريف التقسيم والألفاظ المرادفة له:

في اللغة الشيء المنقسم يسمى مقسماً، والأجزاء المنقسم إليها تسمى أقساما، وكل قسم بالنسبة إلى الآخر يسمى قسيماً له.

والأقسام جمع قسم، والقسم: الحظّ والنصيب، وقسيمك: الذي يقاسمك أرضا ومالاً بينك وبينه، والقسم مصدر، قسمت الشيء فانقسم، والتقسيم: التفريق، وتقسَّمهمُ الدهر فتقسموا، أي: فرَّقهم فتفرقوا [١].

وحقيقته أنه جزء من جملة أجزاء تقبل التقسيم[٢].

وفي الاصطلاح فالتقسيم هو **ذكر متعدد ثم إضافة الكل إليه على التعيين**.

وللتقسيم اطلاقان آخران:

١) ذكر أحوال الشيء مضافا إلى كل حال ما يليق بها.

٢) استيفاء أقسام الشيء[٣].

فتبين لنا من خلال معنى التقسيم اللغوي والاصطلاحي أن مدار التقسيم أنه أجزاء الشيء، وجعل الشيء أقساماً.

والأنواع والمراتب و الدرجات والأصناف داخلةٌ في معنى التقسيم، لكون بعضها مرادف له وبعضها بمعنى التقسيم.

---

١) معجم تهذيب اللغة (2963/3) الصحاح في اللغة (390/5).

٢) التوقيف على مهمات التعاريف للمناوي (ص582).

٣) علوم البلاغة للمراغي (ص343–344).

المطلب الثاني: منهج شيخ الإسلام ابن تيمية في التقسيم:

من المناسب قبل أن نتكلم على منهج شيخ الإسلام ابن تيمية في التقسيم أن نذكر تمهيدا لكي يفهم المراد من التقسيم، والتقسيم في اصطلاح أهل المنطق يراد به نوعين:

الأول: تقسيم الكل إلى أجزائه.

الثاني: تقسيم الكلي إلى جزيئاته.

أما تقسيم الكل إلى أجزائه، فهو: تحصيل الحقيقة المركبة، بذكر جميع أجزائها التي تتركب منها، كقولك: الكرسي خشب ومسامير، والشجرة جذع وأغصان.

وأما تقسيم الكلي إلى جزيئاته، فضابطه: ذكر أفراد الكلي الذي هو قدرٌ مشترك بينها بأداة تقسيم كـــ ((إما)) و((أو))، بشرط كون الأفراد متباينة، أو متخالفة.

وتقسيم الكلي إلى جزيئاته يشمل تقسيمات متعددة، باعتبارات مختلفة، فيقسم باعتبار تباين الأقسام وتخالفها، إلى حقيقي واعتباري.

أما التقسيم الحقيقي: فهو ما كانت الأقسام فيه متباينة في المفهوم والماصدق[1]، أي: تباينها في العقل والخارج معاً.

وأما التقسيم الاعتباري: فهو ما كانت الأقسام فيه متخالفة — أي متباينة- في المفهوم دون الماصدق، أي: تباينها في العقل وحده دون الخارج.

وينقسم التقسيم بالنظر إلى طريق حصر المقسم إلى قسمين: **عقلي واستقرائي**.

فإن كان طريق الحصر العقل فهو تقسيم عقلي، وإن كان طريقه الاستقراء فهو تقسيم استقرائي، وضابط التقسيم العقلي هو تقسيم المقسّم إلى الشيء ونقيضه، أو إلى الشيء ومساوي نقيضه.

وأما التقسيم الاستقرائي الذي هو ما كان حصر المقسم في أقسامه فيه بطريق الاستقراء، فهو ما لا يحكم العقل فيه بحصر، ولكن صاحب التقسيم إستقرأ الأقسام، أي: تتبعها، حتى علم بالتتبع والاستقراء أنه لم يبق قسم في الخارج غير ما ذكر.

---

١) الماصدق: عند المناطقة هو الإفراد التي يتحقّق فيها معنى الكلّي. المعجم الوسيط (ص511).

والحصر في التقسيم قد يكون قطعيّاً، وقد يكون ظنيّاً، فالعقلي قطعي مطلقاً، والاستقرائي قد يكون قطعيّاً، والأصل في التقسيم العقلي: أن يؤتى به عن طريق الترديد بين النفي والإثبات.

والتقسيم الاستقرائي الأصل فيه: ألا يكون بالترديد بين النفي والإثبات، وقد يعرض لصاحب التقسيم عارض يستوجب إيراد الاستقرائي على طريق إيراد العقلي، وذلك كقصد ضبط الأقسام ومنع انتشارها [1].

وقد اتخذ شيخ الإسلام –رحمه الله– منهجاً في التقسيم عليه يسير، فيبسط العبارة ويبين اللفظ المراد عند كلامه على أمر من الأمور.

ويمكن تلخيص منهج شيخ الإسلام في التقسيم فيما يلي:

أولاً: أن يذكر تقسيماً قسمه الله ﷻ في كتابه، وذلك في مثل أنواع أهل الجنة ونحو ذلك.

ثانياً: أن يذكر تقسيماً قسمه رسول الله ﷺ، وذلك في مثل درجات الدين ونحو ذلك.

ثالثاً: أن يستقرئ كتاب الله ﷻ فيحصر الألفاظ التي يريد الكلام عنها، ثم يقسمها، وذلك في مثل أنواع النفخات التي أخبر عنها القران ونحو ذلك.

رابعاً: أن يستقرئ السنة الواردة عن الرسول ﷺ فيما يريد أن يتكلم عنه، فيحصرها ثم يقسمها، وذلك مثل تقسيمه لأنواع شفاعات النبي ﷺ ونحو ذلك.

خامساً: أن يستقرئ ما جاء عن سلف هذه الأمة فيحصرها ثم يقسمها، وذلك مثل أقسام الإيمان.

سادساً: أن يذكر تقسيما لأحد العلماء سبقه فيبني عليه أو يزيد إن رأى أن ذلك غير شامل لأفراد التقسيم الذي يريده وذلك مثل أقسام المضاف إلى الله.

سابعاً: أن يستقرئ المذاهب والأقوال والاعتقادات، ثم يلخص الفروق بينها والتقاسيم العامة لهم وذلك مثل أقسام الجهمية وأقسام المرجئة.

---

١) أنظر آداب البحث والمناظرة للشنقيطي (ص 146– 153)، وانظر ضوابط المعرفة للميداني (ص 397).

ثامناً: أن يستقرئ استقراء عاماً للأقسام المقصودة ثم يقسمها بحسب ما يراه، وذلك مثل أنواع التنجيم.

تاسعاً: أن يكون استقرأ استقراء عقلياً ثم بنا التقسيم على ما توصل إليه بحيث لا يوجد قسم آخر غير ما ذكر ، وذلك مثل أنواع البدع.

الباب الأول:

التقسيمات المتعلقة بتوحيد الله ﷻ لدى شيخ الإسلام ابن تيمية.

وفيه تمهيد وأربعة فصول

التمهيد: وفيه تعريف التوحيد

الفصل الأول: تقسيمات التوحيد وما يناقضه.

الفصل الثاني: تقسيمات توحيد الربوبية.

الفصل الثالث: تقسيمات توحيد الألوهية.

الفصل الرابع: تقسيمات توحيد الأسماء والصفات.

تمهيد

تعريف التوحيد:

أصل الكلمة وحَّدَ، والوحدة هي الإنفراد.

قال ابن فارس[١]: "الواو والحاء والدال أصل واحد يدل على الإنفراد من ذلك الوحدة، وهو واحد قبيلته إذا لم يكن فيهم مثله" [٢].

وقال الأزهري[٣]: "الوحدة الإنفراد، وقد وَحُدَ يَوْحدُ وحادَةً ووحْدَةً وَوَحَداً"[٤] والتوحيد كما قال أهل اللغة "الإيمان بالله وحده لا شريك له والله الواحد الأحد ذو الوحدانية والتوحد"[٥]، ومعنى الواحد أنّه لا ثاني له [٦].

وقال الجرجاني: "التوحيد في اللغة: الحكم بأن الشيء واحد، والعلم بأنه واحد" [٧].

فلا انفكاك بين معناه في اللغة ومعناه في الاصطلاح، فهو انفراده ﷻ في كل ما يختص به من الربوبية والألوهية والأسماء والصفات.

---

١) الإمام العلامة اللغوي المحدث، أبو الحسين، أحمد بن فارس بن زكريا بن محمد بن حبيب القزويني، المعروف بالرازي، المالكي، اللغوي، نزيل همذان وتوفي سنة 395هـ. سير أعلام النبلاء (538/12)، شذرات الذهب (131/3).

٢) معجم مقاييس اللغة (90/6).

٣) العلامة أبو منصور محمد بن أحمد الهروي اللغوي الشافعي ولد سنة 282هـ وتوفي سنة 370هـ. سير أعلام النبلاء (328/12)، طبقات الشافعية للسبكي (63/3)، شذرات الذهب (72/3).

٤) معجم تهذيب اللغة (3844/4).

٥) معجم تهذيب اللغة (3844/4) لسان العرب (233/15).

٦) الفروق في اللغة (ص 233).

٧) التعريفات للجرجاني (ص 73).

وللعلماء أقوال كثيرة في معنى التوحيد نذكر شيئا منها:

قال الطحاوي(١) -رحمه الله- في تعريف التوحيد: "أن الله واحد لا شريك له، ولاشيء مثله، ولاشيء يعجزه، ولا إله غيره" (٢).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية-رحمه الله-: "هو عبادة الله وحده لا شريك له، مع ما يتضمنه من أنه لا ربّ لشيء من الممكنات سواه" (٣).

وقال في موضع آخر: "حقيقة التوحيد أن لا يشركه شيء من الأشياء فيما هو من خصائصه" (٤).

وقال ابن القيم -رحمه الله-: "وهو أن يشهد انفراد الله تبارك وتعالى بالخلق والحكم"، إلى أن قال: "وفي هذا المشهد يتحقق للعبد مقام ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ (٥) علماً وحالاً، فيثبت قدم العبد في توحيد الربوبية، ثم يرقى منه صاعداً إلى توحيد الإلهية" (٦).

وقال في موضع آخر: "التوحيد حقيقته إثبات صفات الكمال، وتنزيهه عن اضداداها، وعبادته وحده لا شريك له" (٧).

وقال الشيخ السعدي: "حدّ التوحيد الجامع لكل أنواعه: هو علم العبد واعتقاده واعترافه وإيمانه بتفرد الرب بكل صفة كمال، وتوحده في ذلك، واعتقاد أنه لا شريك له

---

١) الإمام العلامة الحافظ الكبير، محدث الديار المصرية وفقيهها، أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن سلمة الطحاوي الحنفي ولد سنة 239هـ ومات سنة 321هـ. سير أعلام النبلاء (361/11)، تذكرة الحفاظ (808/3)، شذرات الذهب (1/ 288).

٢) العقيدة الطحاوية (ص 16).

٣) درء التعارض (246/8).

٤) أنظر مجموع الفتاوى (74/3).

٥) سورة الفاتحة آية رقم (5).

٦) مدارج السالكين لابن القيم (708/1).

٧) الصواعق المرسلة (929/3).

ولا مثيل له في كماله، وأنه ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين، ثم إفراده بأنواع العبادة" [١].

ومن العلماء من قال: "اعتقاد أن الله ﷻ واحدٌ في ربوبيته لا شريك له، واحدٌ في إلهيّته لا ندَّ له، واحدٌ في أسمائه وصفاته لا مثل له" [٢].

ومنهم من قال: "إفراد الله بالخلق والتدبير، وإخلاص العبادة له، وترك عبادة ما سواه، وإثبات ماله من الأسماء الحسنى، والصفات العليا، وتنزيهه عن النقص والعيب" [٣].

---

١) سؤال وجواب في أهم المهمات (مجموعة مؤلفات السعدي) (61/3).

٢) التمهيد في شرح كتاب التوحيد (ص11).

٣) مجموعة رسائل التوحيد للفوزان (ص149)

الفصل الأول:

تقسيمات التوحيد وما يناقضه لدى شيخ الإسلام ابن تيمية.

وفيه أربعة مباحث

المبحث الأول: أنواع التوحيد.

المبحث الثاني: أنواع الشرك.

المبحث الثالث: أنواع الكفر.

المبحث الرابع: أنواع النفاق.

المبحث الأول: أنواع التوحيد:

سبق الكلام على تعريف التوحيد لغة واصطلاحاً وما عرف به شيخ الإسلام التوحيد.

هنا نذكر تقسيم شيخ الإسلام للتوحيد.

أقسام التوحيد عند شيخ الإسلام:

قسم شيخ الإسلام التوحيد إلى نوعين، فقال: "التوحيد نوعان، علمي قولي، وعملي قصدي"[١]، وسمى التوحيد العملي القصدي في موضع آخر بــ "العملي الإرادي"[٢].

ولشيخ الإسلام لفظ آخر يعبر به عن أنواع التوحيد، فيذكر توحيد الربوبية الألوهية [٣]، ثم يذكر في مواضع أخرى توحيد الأسماء والصفات[٤].

النوع الأول: التوحيد العلمي القولي.

قال شيخ الإسلام مبيّناً التوحيد العلمي القولي: "فلا بدّ للعبد أن يثبت لله ما يجب إثباته له من صفات الكمال، وينفي عنه ما يجب نفيه عنه مما يضادّ هذه الحال"، ثم قال: "وهذا يتضمن التوحيد في العلم والقول كما دلت على ذلك سورة قل هو الله أحد"، [٥] "كما أنه مبني على النفي والإثبات والتصديق والتكذيب" [٦].

---

١) مجموع الفتاوى (107/17).

٢) بيان تلبيس الجهمية (431/1).

٣) مجموع الفتاوى (331/10).

٤) أنظر التدمرية (ص 6-8)، ومجموع الفتاوى (71/5). ولم أجد له جمعاً بين توحيد الأسماء والصفات في لفظ واحد، بل وجدته ذكر توحيد الصفات، ثم قرّر عقيدة السلف في الأسماء والصفات ونحو ذلك،كما لم أقف على ذكره لأنواع التوحيد الثلاثة مجتمعة في مكان واحد وإنما أخذها من كلامه في مواضع متفرقة من كتبه.

٥) التدمرية (ص6-7).

٦) التدمرية (ص3).

وقال في موضع آخر: "وسورة ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [١]، فيها التوحيد القولي العلمي، الذي تدل عليه الأسماء والصفات" [٢].

وقال ابن القيم في بيان التوحيد العلمي القولي وأنه متعلقٌ بذات الله ﷻ وأسمائه وصفاته فيقول: "هو حقيقة ذات الربّ تعالى وأسمائه وصفاته وأفعاله، وعلوّه فوق سماواته على عرشه، وتكلمه بكتبه، وتكليمه لمن شاء من عباده، وإثبات عموم قضائه وقدره وحكمه" [٣].

والتوحيد العلمي القولي يدخل فيه أقوال القلوب وأقوال اللسان، كما قال العلامة السعدي: "التوحيد القولي العلمي مشتمل على أقوال القلوب وهو اعترافها، واعتقادها، وعلى أقوال اللسان، والثناء على الله وتوحيده" [٤].

وهذا التوحيد يشمل توحيد الله بربوبيته، وتوحيده بإثبات أسمائه وصفاته [٥].

وأطلق عليه التوحيد العلمي القولي؛ لأنه يقصد منه العلم بالله وأسمائه وصفاته واعتقاد مدلولها من وحدانية الله في ربوبيته والثناء عليه بها ودعائه والقول بها عنه، كما قال تعالى ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [٦].

---

١) سورة الإخلاص الآية رقم (1).

٢) اقتضاء الصراط المستقيم (394/2).

٣) مدارج السالكين (442/4).

٤) الحق الواضح المبين (ضمن سلسلة العلامة السعدي) (212/3).

٥) اجتماع الجيوش الإسلامية (ص49).

٦) سورة الأعراف الآية رقم (180).

النوع الثاني: التوحيد العملي الإرادي أو القصدي

قال شيخ الإسلام مبيناً التوحيد العملي الإرادي: "التوحيد العملي الإرادي أن لا يعبد إلا إياه فلا يدعو إلا إياه، ولا يتوكل إلا عليه، ولا يخاف إلا إياه، ولا يرجوا إلا إياه، ويكون الدين كله لله، قال تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ① لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ② وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ③ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ④ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ⑤ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ⑥﴾ "[1] [2].

وقال في موضع آخر: "توحيد الإرادة والقصد هو توحيد العبادة وهو تحقيق شهادة أن لا إله إلا الله، أن يقصد الله بالعبادة ويريده بذلك دون ما سواه"[3].

فالتوحيد العملي القصدي أو الإرادي هو توحيد الله بأفعال العباد، أي: أن يقصد بالأعمال كلها وجه الله تعالى لا شريك له، فهو الإخلاص لله وتمحيص القصد له في العمل، وأن لا يريد بعمله إلا وجه الله، ولا يبتغي إلا ثوابه، فيكون الله هو مطلوبه ومقصوده في عبادته، وأن لا يشرك معه في عبادته أحدا، كما قال ابن القيم: "توحيد القصد والإرادة هو أن لا يعبد إلا إياه فلا يشرك به في عبادته سواه، بل يكون وحده هو المعبود"[4].

وقال الشيخ السعدي: "هو توحيد إرادة العبد بإرادته، وقوة إنابته لربه وكمال عبوديته"[5].

---

١) سورة الكافرون من الآية رقم (1-6).

٢) الصفدية (ص288).

٣) الفتاوى الكبرى (566/6).

٤) بدائع الفوائد (244/1).

٥) الحق الواضح المبين (ضمن سلسلة السعدي) (269/3).

فهو عبادة الله وحده لا شريك له، وتجريد محبته، والإخلاص له، وخوفه ورجاؤه، والتوكل عليه بالرضا به رباً وإلهاً وولياً[١].

وأصل التوحيد العملي حب الله ﷻ، قال شيخ الإسلام: "حبُّ الله ﷻ أصل التوحيد العملي، وهو أصل التأليه الذي هو عبادة الله وحده لا شريك له"[٢].

وبعد ذكرنا لتقسيم شيخ الإسلام للتوحيد إلى علمي قولي، وإلى عملي قصدي، نبدأ بتقسيمه للتوحيد إلى ثلاثة أقسام الربوبية، والألوهية، والأسماء والصفات:

القسم الأول: توحيد الربوبية

الربوبية مشتقة من الربّ وهو المربي، خلق الخلق وأنشأهم ورزقهم وهداهم [٣]، وقام بإصلاح خلقه، وتوفير حاجاتهم، وترتيب شؤون معاشهم، كما قال شيخ الإسلام: "الربّ هو الذي يرب عبده فيدبره"[٤].

ويبين شيخ الإسلام توحيد الربوبية فيقول: "فتوحيد الربوبية أنه لا خالق إلا الله، فلا يستقل شيءٌ سواه بإحداث أمرٍ من الأمور "[٥].

وقال في موضع آخر: "هو التصديق بأن الله وحده خالق الأشياء"[٦].

فيقر العبد بأن الله ﷻ هو وحده خالق كل شيء، كما قال ابن القيم: "هو أن يشهد انفراد الربّ تبارك وتعالى بالخلق والحكم، وأنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن"[٧].

---

١) معارج القبول (121/1).

٢) قاعدة في المحبة (ص133).

٣) انظر مجموع الفتاوى (284/10)، وأنظر المجموع (13/14).

٤) مجموع الفتاوى (284/10).

٥) مجموع الفتاوى (331/10).

٦) درء التعارض (377/9).

٧) مدارج السالكين (707/1).

ثم يعترف بذلك قال الشيخ السعدي "الاعتراف بإنفراد الربّ بالخلق والرزق والتدبير والتربية"[١].

القسم الثاني: توحيد الأسماء والصفات.

قال شيخ الإسلام مبيناً أنّ "التوحيد الذي جاءت به الرسل ونزلت به الكتب هو توحيد الإلهية"، ثم بين أنه متضمن لشيئين أحدهما القول العملي: "وهو إثبات صفات الكمال له، وتنزيهه عن النقائص، وتنزيهه عن أن يماثله أحدٌ في شيء من صفاته، فلا يوصف بنقص بحال، ولا يماثله أحدٌ في شيء من الكمال، كما قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾[٢]، فالصمدية تثبت له الكمال، والأحدية تنفي مماثلة شيء له في ذلك"[٣].

فالله ﷻ يوصف بما وصف به نفسه، وبما وصفه به نبيه ﷺ نفياً وإثباتاً، قال شيخ الإسلام: "يوصف الله تعالى بما وصف نفسه، وبما وصفته به رسله نفياً وإثباتاً، فيثبت لله ما أثبته لنفسه، وينفى عنه ما نفاه عن نفسه"[٤].

وقال في موضع آخر: "ومن الإيمان بالله الإيمان بما وصف به نفسه في كتابه، وبما وصفه به رسوله محمد ﷺ من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل، بل يؤمنون بأن الله سبحانه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير، فلا ينفون عنه ما وصف به نفسه ولا يحرفون الكلم عن مواضعه ولا يلحدون في أسماء الله وآياته"[٥].

---

١) سؤال وجواب في أهم المهمات (ضمن مجموعة مؤلفات السعدي) (61/3).
٢) سورة الإخلاص الآية رقم (1-4).
٣) الصفدية (ص287).
٤) التدمريه (ص 7).
٥) مجموع الفتاوى (129/3).

قال الشيخ ابن عثيمين مبيناً توحيد الأسماء والصفات أنه "إفراد الله ﷻ بما ثبت له من صفات الكمال على وجه الحقيقة، بلا تمثيل ولا تكييف ولا تعطيل؛ لأنك إذا عطلت لم تثبت، وإن مثلت لم توحد، والتوحيد مركب من إثبات ونفي؛ أي: إثبات الحكم للموحد ونفيه عما عداه، فمثلا إذا قلت: زيد قائم؛ لم توحده بالقيام؛ وإذا قلت: زيد غير قائم؛ لم تثبت له القيام، وإذا قلت: لا قائم إلا زيد؛ وحدته بالقيام وإذا قلت: لا إله إلا الله؛ وحدته بالألوهية، وإذا أثبت لله الأسماء والصفات دون أن يماثله أحد؛ فهذا هو توحيد الأسماء والصفات، وإن نفيتها عنه؛ فهذا تعطيل، وإن مثلت؛ فهذا إشراك" [١].

وتوحيد الربوبية والأسماء والصفات يدخل فيما يعبر عنه شيخ الإسلام بالتوحيد العلمي القولي.

القسم الثالث: توحيد الألوهية [٢].

والألوهية مشتقة من الإله، وهو المألوه المعبود [٣]، فتألهه القلوب لكمال المحبة والتعظيم، والإجلال والإكرام، والرجاء والخوف [٤].

وقد بين شيخ الإسلام توحيد الألوهية فقال: "توحيد الإلهية هو أن يعبد الله وحده لا شريك له" [٥].

وقال في موضع آخر في توحيد الألوهية: "عبادته وحده، والبرآءة من كل معبودٍ سواه وعبادته" [٦].

---

١) القول المفيد لابن عثيمين (313/2).
٢) مجموع الفتاوى (264/10).
٣) مجموع الفتاوى (101/8).
٤) مجموع الفتاوى (1/ 136).
٥) الصفدية (ص287).
٦) مجموع الفتاوى (559/16).

وقال الإمام المجدّد محمد بن عبد الوهاب –رحمه الله– في توحيد الألوهية: هو"إفراد الله بالعبادة" [1].

وقال الصنعاني[2] –رحمه الله–: "هو إفراد الله بالإلهية والعبادة، والنفي لما يعبد من دونه، والبراءة منه" [3].

فيوحّد الله ﷻ لما يستحقه سبحانه، كما قال ابن أبي العز: "توحيد الألوهية هو استحقاقه سبحانه وتعالى أن يعبد وحده لا شريك له" [4].

فتوحيد الإلهية إخلاص العمل لله وحده وأنه لا شريك له فلا يعبد إلا هو وحده دون ما سواه؛ لأن هذا هو معنى الإله، كما قال شيخ الإسلام: "الإله هو الذي يؤله فيُعبد محبةً وإنابةً وإجلالاً وإكراماً" [5].

وقد بيّن الشيخ سليمان بن عبد الوهاب سبب تسميته بتوحيد الألوهية فقال: "فسمي هذا النوع توحيد الإلهية؛ لأنه مبني على إخلاص التأله، وهو أشد المحبة لله وحده، وذلك يستلزم إخلاص العبادة" [6].

وتوحيد الألوهية هو ما يطلق عليه شيخ الإسلام التوحيد العملي القصدي أو الإرادي.

وتقسيم التوحيد إلى قسمين هذا هو الأغلب في كلام أهل العلم المتقدمين؛ لأنهم يجمعون توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات، وذلك بالنظر إلى أنهما يشكلان

---

١) كشف الشبهات مع الشرح (ص 15).

٢) محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد الحسني، الكحلاني ثم الصنعاني، أبو إبراهيم، عز الدين، المعروف كأسلافه بالأمير، مجتهد، من بيت الإمامة في اليمن ولد سنة 1099 هـ وتوفي سنة 1182هـ أنظر الأعلام للزركلي (38/6).

٣) تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد (ص190).

٤) شرح الطحاويه (125/1).

٥) مجموع الفتاوى (22/1).

٦) تيسير العزيز الحميد (ص30).

بمجموعهما جانب العلم بالله ومعرفته ﷻ فجمعوا بينهما لذلك، بينما توحيد الإلهية يشكل جانب العمل لله وحده سبحانه[١].

العلاقة بين أنواع التوحيد:

توحيد الألوهية يتضمن توحيد الربوبية كما أن توحيد الربوبية يستلزم توحيد الألوهية فتوحيد الربوبية دليل على توحيد الألوهية[٢].

وقد بين شيخ الإسلام أن الإقرار بالألوهية يتضمن الإقرار بالربوبية فقال: "إقراره –أي: العبد– بألوهية الله تعالى دون ما سواه يتضمنٌ إقراره بربوبيته، وهو أنه ربّ كل شيء ومليكه وخالقه ومدبره"[٣].

أدلة تقسيم التوحيد:

تقسيم التوحيد مأخوذ عن طريق الاستقراء التام لنصوص الكتاب والسنة، فهو يقينيّ.

قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي: "وقد دلّ استقراء القران العظيم على أن التوحيد ينقسم إلى ثلاثة أقسام"[٤].

---

١) معتقد أهل السنة في الأسماء والصفات للتميمي (ص43-44).

٢) أنظر شرح الطحاوية لابن أبي العز (140/1).

٣) الفتاوى الكبرى (210/5).

٤) أضواء البيان (488/3).

ومن أدلة تقسيم التوحيد

أولا: من القران الكريم:

قال الله ﷻ ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾﴾ [1].

وقال الله ﷻ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾﴾ [2].

وقال الله ﷻ ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ ۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾﴾ [3].

وغير ذلك من الآيات الدالة والمشتملة على نوعي التوحيد كما قال ابن القيم –رحمه الله –: **"وغالب سور القران، بل كل سورة في القران فهي متضمنة لنوعي التوحيد"** [4]. فلو لم يكن بين نوعي التوحيد فرق وأنهما نوع واحد، لم يفصل الله ﷻ بينها ويبين ما يقر به المشركون من خلقه ورزقه الذي كانوا مؤمنين به حيث كان يقررهم على ذلك ثم يدعوهم إلى توحيد العملي القصدي وهذا ظاهر لا لبس فيه لمن إستقرأ كتاب الله ﷻ.

ثانيا: من السنة:

قال ﷺ: ((**أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله**)) [5].

فالنبي ﷺ بين أنه أمر أن يقاتل الناس على دين الله حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، ويتضمن ذلك إفراده بالعبادة، فلو كان العلم بأنه لا إله إلا الله كافياً، للزم أن لا يقاتل المشركين لأنهم يعلمون أنه لا إله إلا الله، لكنهم يشركون معه شركاء يظنونهم شفعاء، فالنبي

---

١) سورة الفاتحة من الآية رقم (1-4).

٢) سورة البقرة الآية رقم (21).

٣) سورة مريم الآية رقم (65).

٤) مدارج السالكين (442/4).

٥) رواه البخاري حدبث رقم (25) كتاب الإيمان (باب: قول الله تعالى ﴿فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾)، ورواه مسلم حديث رقم (21) كتاب الإيمان (باب: الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله).

ﷺ قال ((**حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله**)) فيقتضي شهادتهم بها ترك جميع ما يعبد من دون الله وإفراد الله وحده بالعبادة.

ثالثا: أقوال السلف، من الصحابة والتابعين:

١) **روي عن ابن عباس**رضي الله عنهما في قول الله تعالى﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾﴾[١] قال: من إيمانهم إذا قيل لهم: من خلق السماء من خلق الأرض ومن خلق الجبال؟ قالوا: الله. وهم مشركون [٢]. فهنا فرّق ابن عباس بين توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية، حيث أن المشركين كانوا مقرين بالربوبية، لكنهم منكرون للألوهية ففي قول ابن عباس تقسيم للتوحيد إلى ربوبية وألوهية، وهذا ظاهر من كلامه.

٢) **وروي عن عكرمة**في قوله تعالى﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ ﴾ قال: تسألهم من خلق السموات والأرض، فيقولون: الله، فذلك إيمانهم بالله، وهم يعبدون غيره [٣]. ففي هذا الأثر فرّق عكرمة بين توحيد المشركين و بين ما أمروا به من توحيد العبادة.

٣) وقال الإمام أبو حنيفة قوله: "والله يدعى من أعلى لا من أسفل؛ لأن الأسفل ليس من وصف الربوبية والألوهية في شيء"[٤].

فقوله: "يدعى من أعلى لا من أسفل" فيه إثبات العلو لله، وهو من توحيد الأسماء والصفات، كما أنه بين أن السفل ليس من وصف الربوبية والألوهية في شيء، فنصّ على وصف الربوبية والألوهية فدلّ على أن التقسيم وارد عنده ومعلوم.

فقوله: "من وصف الربوبية" فيه إثبات توحيد الربوبية.

وقوله: "الألوهية" فيه إثبات توحيد الألوهية.

---

١) سورة يوسف الآية رقم (106).
٢) تفسير الطبري (4653/6).
٣) تفسير الطبري (4653/6).
٤) الفقه الأبسط مع الشرح (ص 135).

٤) **قال الإمام الطبري** في تأويل قوله تعالى ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ ﴾: "وما يقرأ أكثر هؤلاء الذين وصف ﷻ صفتهم بقوله ﴿وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴿١٠٥﴾ ﴾[1] بالله، أنه خالقه ورازقه وخالق كل شيء، إلا وهم به مشركون في عبادتهم الأوثان والأصنام، واتخاذهم من دونه أرباباً، وزعمهم أن له ولداً، تعالى الله عما يقولون"[2]، ففرق بين ما يقرر به وبين ما يفعلون من عبادة غير الله واتخاذهم أرباباً.

٥) **وقال الإمام أبو جعفر الطحاوي**: "نقول في توحيد الله معتقدين بتوفيق الله، أن الله واحد لا شريك له ولا شيء مثله ولا إله غيره..."[3].

فقوله: "إن الله واحد لا شريك له" شامل لأقسام التوحيد الثلاثة.

وقوله: " ولاشيء مثله" هذا من توحيد الأسماء والصفات.

وقوله: " ولاشيء يعجزه" هذا من توحيد الربوبية.

وقوله: "ولا إله غيره" هذا من توحيد الألوهية.

٦) وقال الإمام أبي عبد الله عبيد الله بن محمد بن بطّة العكبري [4]: "وذلك أن أصل الإيمان بالله الذي يجب على الخلق اعتقاده في إثبات الإيمان به ثلاثة أشياء:

---

١) سورة يوسف الآية رقم (105).

٢) تفسير الطبري (4652/6).

٣) العقيدة الطحاوية صفحة رقم (14–16).

٤) عبيدالله بن محمد بن محمد بن حمدان، أبو عبد الله العكبري، المعروف بابن بطة ولد سنة (304ه): عالم بالحديث، فقيه من كبار الحنابلة ، من أهل عكبرا مولدا ووفاة ، رحل إلى مكة والثغور والبصرة وغيرها في طلب الحديث، ثم لزم بيته أربعين سنة، فصنف كتبه وهي تزيد على مئة، منها " الشرح والابانة على أصول السنة والديانة " توفي سنة(387هـ). أنظر سير أعلام البلاء (464/12)،وانظر لسان الميزان (342/5).

أحدها: أن يعتقد العبد ربانيته ليكون بذلك مبايناً لمذهب أهل التعطيل الذين لا يثبتون صانعاً.

والثاني: أن يعتقد وحدانيته ليكون مبايناً بذلك مذاهب أهل الشرك الذين أقروا بالصانع وأشركوا معه في العبادة غيره.

والثالث: أن يعتقده موصوفاً بالصفات التي لا يجوز إلا أن يكون موصوفاً بها من العلم والقدرة والحكمة وسائر ما وصف به نفسه في كتابه"[١].

فذكر ابن بطة أنواع التوحيد الثلاثة ففي قوله: "أن يعتقد العبد ربانيته" فيه إثبات للربوبية، وفي قوله: "أن يعتقد وحدانيته" فيه إثبات للألوهية، وفي قوله: "أن يعتقد موصوفا بالصفات" فيه إثبات للأسماء والصفات.

فكل ما سبق يدلّ على أن السلف كانوا يفرقون بين نوعي التوحيد، وينصّون على ذلك.

شبهات منكري التقسيم والرد عليها

الشبهة الأولى: أن فيه تشبيه بتثليث النصارى[٢].

ويرد عليهم بأن التثليث عقيدة نصرانية خبيثة تقوم على أساس جعل الآلهة ثلاثة وهم: الأب والابن وروح القدس [٣]، وقد كفرهم الله بها في محكم تتريله حيث قال سبحانه وتعالى: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍۘ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُواْ عَمَّا

١) الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية – الكتاب الثالث في الرد على الجهمية (172/2).

٢) التنديد بمن عدد التوحيد (ص 5).

٣) دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية (ص270).

يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٧٣) أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٧٤)﴾[١].

أما تقسيم التوحيد إلى ثلاثة أقسام: توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء والصفات، أو إلى قسمين: توحيد علمي قولي، وهو توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات، وتوحيد عملي قصدي وهو توحيد الألوهية، فهذه عقيدة المسلمين قاطبة، المؤمنين بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ سوى المبتدعة الضلال[٢]، والنصارى يجعلون الإله ثلاثة أما أنواع التوحيد فهي تدل على شيء واحد وهو توحيد الله ﷻ.

كما أن هذا اصطلاح اصطلح عليه كما اصطلح على أركان الصلاة مثلا ونحوها فلا مشاحة في الاصطلاح.

الشبهة الثانية: أنه لم يُعرف قبل ابن تيمية[٣].

ويرد عليهم من وجهين:

الأول: إن أردتم أن النبي ﷺ لم يقل به لفظاً ولا معنى، فباطل، فإنه ﷺ قال: ((**أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله**))، وهذا هو توحيد الألوهية، وهو ما نريده.

وأكثر المشركين كانوا مقرين بالربوبية، عارفين بمعاني الألفاظ، لا يحتاجون إلى تفرقة، فإذا قيل لهم: لا إله إلا الله، ولا خالق ولا رازق إلا الله عرفوا ما تدلّ عليه الجملة الأولى والثانية، ويظهر هذا جليّا حين المقارنة بين إخبار﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ (٨٧)﴾[٤]، وقوله: ﴿أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَاحِدًا إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ (٥)﴾[٥].

---

١) سورة المائدة الآية رقم (73 – 74).

٢) القول السديد في الردّ على من أنكر تقسيم التوحيد للدكتور عبد الرزاق البدر (ص 16).

٣) التنديد بمن عدد التوحيد (ص5، 12).

٤) سورة الزخرف الآية رقم (87).

٥) سورة ص الآية رقم (5).

مع أنه لا إشكال في أن النبي ﷺ وصحبه- رضوان الله عليهم- لم يصطلحوا هذا الاصطلاح، فغاية قولنا أن معنى الربّ في اللغة غير معنى الإله، فالأول يدلّ على الإحاطة والخلق ونحوه، والثاني على المعبود الحقّ أو باطل.

وأيضاً إذا كان ﷺ لم يقسّم التوحيد إلى أقسام فكذلك لم يحصره في قسم واحد كما تزعم، وألفاظ القران والسنة ظاهرة في ذلك[1].

كما يرد عليهم من وجه آخر وهو أننا قد سُقنا أقوال السلف من الصحابة والتابعين، والذين يشيرون فيه؛ إشارة واضحة إلى الفرق بين الربوبية و الألوهية، وكذلك تصريح الأئمة في أنواع التوحيد؛ حيث صرّح به الإمام أبو حنيفة، وأبو جعفر الطحاوي، وابن بطه، وغيرهم، فكلّ هؤلاء تكلموا بأنواع التوحيد قبل ابن تيمية بقرون، وهذا ظاهرٌ لا لبس فيه.

---

١) مجموعة أحمد حجر (105/1).

المبحث الثاني: أنواع الشرك:

تمهيد

الشرك في اللغة اسمٌ للشيء الذي يكون بين أكثر من واحد، بحيث لا ينفرد به أحدهم وهو النصيب، وجمعه شركاء و أشراك، قال الليث: "والشركة مخالطة الشريكين"، والشرك أيضاً الكفر، وهو من أشرك بالله فهو مشرك[١].

واصطلاحاً: قال شيخ الإسلام ابن تيمية مبيناً الشرك: "أن تعدل بالله تعالى مخلوقاته في بعض ما يستحقه وحده"[٢].

وقال ابن القيم: "حقيقة الشرك هو التشبّه بالخالق، وتشبيه المخلوق به"[٣].

وقال السعدي: "حقيقة الشرك بالله أن يعبد المخلوق كما يعبد الله، أو يعظّم كما يعظّم الله، أو يصرف له نوعا من خصائص الربوبية و الإلهية"[٤].

أقسام الشرك عند شيخ الإسلام ابن تيمية:

قسم شيخ الإسلام الشرك إلى نوعين فيقول: "الشرك نوعان شرك في الربوبية......، وشرك في الألوهية"[٥].

---

١) معجم تهذيب اللغة (1865/2) مختار الصحاح (ص191).

٢) الاستقامة لابن تيمية (ص 251).

٣) الجواب الكافي (ص102).

٤) تيسير الكريم الرحمن (353/1).

٥) اقتضاء الصراط المستقيم (226/2).

القسم الأول: الشرك في الربوبية

وقد بين شيخ الإسلام الشرك في الربوبية فقال: "فإن الربّ سبحانه، هو المالك المدبر المعطى المانع الضار النافع الخافض الرافع المعز المذل، فمن شهد أن المعطى أو المانع أو الضار أو النافع أو المعز أو المذل غيره فقد أشرك بربوبيته" [١].

وقال ابن القيم في متعلق شرك الربوبية: "شرك يتعلق بذات المعبود وأسمائه وصفاته وأفعاله"[٢]، فمتعلق الشرك هو ذات الله ﷻ وأسمائه وصفاته وأفعاله.

أقسام الشرك في الربوبية عند شيخ الإسلام:

وقد بين شيخ الإسلام أن الشرك في الربوبية ينقسم إلى أصغر وأكبر[٣].

القسم الأول: الشرك الأكبر

فالشرك الأكبر هو المخرج من الملة، كأن يتخذ شريكاً أو نداً مع الله تعالى في ذاته أو في أسمائه وصفاته، قال شيخ الإسلام في هذا النوع :" أن تعدل بالله تعالى شيئا من المخلوقات في جميع الأمور" [٤].

فالشرك الأكبر يكون في الربوبية والأسماء والصفات، ويكون في الألوهية أيضا، وقد نهى الله ﷻ عن كل ذلك فقـــــال: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [٥].

---

١) مجموع الفتاوى (92/1).
٢) الجواب الكافي (ص 192).
٣) مجموع الفتاوى (524/7)
٤) الاستقامة (ص251).
٥) سورة البقرة الآية رقم (22).

القسم الثاني: الشرك الأصغر

وهو ما دون الشرك الأكبر، ويدخل في ذلك بعض الذنوب، قال شيخ الإسلام مبيناً أن بعض الذنوب داخلة في الشرك الأصغر فيقول: " وأما المؤمن فلا بد بعد قضاء حاجته من عبادة الله، وإخلاصه له كما أمره، إما قياما بالواجب فقط، فيكون من الأبرار، أو بالواجب والمستحب فيكون من المقربين ، ومن ترك بعض ما أمر به بعد قضاء حاجته فهو من أهل الذنوب، وقد يكون ذلك من الشرك الأصغر الذي يبتلى به غالب الخلق ، إما شركاً في الربوبية وإما شركاً في الألوهية"[١].

ويستدل شيخ الإسلام للشرك الأصغر في الربوبية بقول النبي ﷺ ((**الطيرة شرك**))[٢].

وقد ذكر بعض العلماء ضابطاً للشرك الأصغر في الربوبية فقد جاء عن اللجنة الدائمة في بيان الشرك الأصغر أنه: "كل ما نهى عنه الشرع مما هو ذريعة إلى الشرك الأكبر، ووسيلة للوقوع فيه، وجاءت النصوص تسميته شركاً"[٣].

ويبين شيخ الإسلام حكم الشرك الأصغر فيقول: "قد يقال الشرك لا يغفر منه شيء لا أصغر و لا أكبر على مقتضى عموم القران، وإن كان صاحب الشرك الأصغر يموت مسلماً، لكن شركه لا يغفر له، بل يعاقب عليه وإن دخل بعد ذلك الجنة"[٤].ولشيخ الإسلام قول آخر في حكم صاحب الشرك الأصغر وهو أنه تحت المشيئة[٥].

---

١) مجموع الفتاوى (387/22).

٢) رواه أبو داود حديث رقم (3910) كتاب الطب (باب: في الطيرة)، وصححه ابن حبان في صحيحه (491/13)، والألباني في السلسلة حديث رقم (429) (791/2).

٣) فتاوى اللجنة الدائمة (748/1).

٤) تلخيص كتاب الاستغاثة (ص148).

٥) تفسير آيات أشكلت على كثير من العلماء(364/1).

أنواع شرك الربوبية عند شيخ الإسلام:

وقد بيّن شيخ الإسلام رحمه الله أن الشرك في الربوبية عدة أنواع، وذكر منها:

النوع الأول: من جعل لغير الله معه تدبيرا، قال شيخ الإسلام: "الشرك في ربوبيته: بأن يجعل لغيره معه تدبيراً ما، كما قال سبحانه: ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾﴾[١]، فبيّن سبحانه أنهم لا يملكون ذرّة استقلالاً، ولا يشركونه في شيء من ذلك، ولا يعينونه على ملكه، ومن لم يكن مالكاً ولا شريكاً ولا عوناً، فقد انقطعت علاقته"[٢].

ومن هذا نوع من الشرك ذكره ابن القيم وهو "شرك المجوس[٣] القائلين بإسناد حوادث الخير إلى النور، وحوادث الشر إلى الظلمة"[٤].

"ويلتحق به من وجه شرك غلاة القبور، الذين يزعمون أن أرواح الأولياء تتصرف بعد الموت، فيقضون الحاجات، ويُفرّجون الكربات، وينصرون من دعاهم، ويحفظون من التجأ إليهم، ولاذ بحماهم، فإن هذه من خصائص الربوبية"[٥].

النوع الثاني: إثبات فاعل مستقل غير الله، قال شيخ الإسلام مبيّناً هذا النوع: "كمن يجعل الحيوان مستقلاً بإحداث فعله، ويجعل الكواكب أو الأجسام الطبيعية، أو العقول[٦]،

---

١) سورة سبأ الآية رقم (22).

٢) اقتضاء الصراط المستقيم (226/2).

٣) كلمة فارسية تطلق على أتباع الديانة المجوسية، والديانة المجوسية ديانة وثنية ثنوية، تقول بإلهين إثنين أحدهما إله للخير والآخر إله للشر. انظر الفرق بين الفرق للبغدادي (ص 253)، وانظر الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة (1139/2).

٤) الجواب الكافي (ص193).

٥) تيسير العزيز الحميد (ص34).

٦) جمع عقل وهو جوهر مجرد عن المادة في ذاته مقارن للنفس في فعله. التعريفات للجرجاني (ص156).

أو النفوس [١]، أو الملائكة، أو غير ذلك مستقلاً بشيءٍ من الأحداث، فهؤلاء حقيقة قولهم تعطيل الحوادث عن الفاعل" [٢].

النوع الثالث: شرك الأسماء والصفات، وقد ذكر شيخ الإسلام أن المعطلة داخلين في هذا النوع من الشرك فقـــال –رحمه الله-: "ولهذا كانت الجهمية النفاة داخلين في نوع من الشرك، إذ كل معطلٍ مشرك، وليس كل مشرك معطل، والجهمية قولهم مستلزم للتعطيل ففيهم شرك" [٣].

وقال في موضع آخر عن أهل التعطيل الجهمية وأهل التمثيل المشبهة إن " أصل قولهم فيه شركٌ وتسوية بين الله وبين خلقه أو بينه وبين المعدومات" [٤].

وهذا النوع من الشرك هو أخف مما قبله كما قال الشيخ سليمان بن عبد الوهاب [٥]: "الشرك في توحيد الأسماء والصفات، هو أسهل مما قبله" ثم بين أنه نوعان فقال: " **أحدهما:**

---

١) جمع نفس، وهي الجوهر البخاري اللطيف الحامل لقوة الحياة والحس والحركة الإرادية، أنظر التعريفات للجرجاني (ص262).

٢) درء التعارض (390/7).

٣) درء التعارض (289/10).

٤) مجموع الفتاوى (55/10).

٥) هو سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب، من آل الشيخ: فقيه من أهل نجد، من حفدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب. مولده بالدرعية سنة 1200هـــ. كان بارعا في التفسير والحديث والفقه. وشى به بعض المنافقين إلى إبراهيم (باشا) ابن محمد علي، بعد دخوله الدرعية واستيلائه عليها، فأحضره إبراهيم، وأظهر بين يديه آلات اللهو والمنكر إغاظة له، ثم أخرجه إلى المقبرة وأمر العساكر أن يطلقوا عليه الرصاص جميعا، فمزقوا جسمه سنة 1233هـــ. له (تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد – ط) والأصل من تأليف جده، ، و (التوضيح عن توحيد الخلاق، في جواب أهل العراق – أوثق عرى الإيمان). انظر الأعلام للزركلي (129/3).

تشبيه الخالق بالمخلوق، كمن يقول: يد كيدي، وسمع كسمعي، وبصرٌ كبصري، واستواء كاستوائي، وهو شرك المشبهة.

الثاني: اشتقاق أسماء للآلهة الباطلة من أسماء الإله الحق، قال تعالى ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَا فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ سَيُجۡزَوۡنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾[١].

قال ابن عباس ﷺ: "يلحدون في أسماءه: يُشركون. وعنه: سموا اللات من الإله، والعُزّى من العزيز"[٢][٣].

القسم الثاني من أقسام الشرك: الشرك في الألوهية:

قال شيخ الإسلام مبيناً هذا النوع: "الشرك في الإلهية أن يجعل لله نداً، أي: مثلاً في عبادته أو محبته أو خوفه أو رجائه "[٤].

وقال في موضع آخر: " أن يدعى غيره دعاء عبادة أو دعاء مسألة "[٥].

وقال أيضا: "الشرك أن تجعل لغيره شركاً أي نصيباً في عبادتك وتوكلك واستعانتك"[٦]، وقد استدل شيخ الإسلام للشرك في الإلهية بقول الله ﷻ ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادٗا يُحِبُّونَهُمۡ كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾[٧]، ثم قال: "وهذا المعنى يدل على أن من أحب شيئاً من دون الله كما يحب الله فقد أشرك"[٨].

---

١) سورة الأعراف الآية رقم (180).
٢) تفسير الطبري (3717/5).
٣) تيسير العزيز الحميد (ص34).
٤) مجموع الفتاوى (91/1).
٥) اقتضاء الصراط المستقيم (226/2).
٦) مجموع الفتاوى (74/1).
٧) سورة البقرة الآية رقم (165).
٨) مجموع الفتاوى (92/1).

أقسام الشرك في الألوهية عند شيخ الإسلام:

ويقسم شيخ الإسلام الشرك في الألوهية إلى قسمين أصغر وأكبر[١].

القسم الأول: الشرك الأكبر

قال شيخ الإسلام مبينا الشرك الأكبر في العبادة" من عبد مع الله إلها آخر فهو مشرك الشرك الأكبر الذي لا يغفره الله"[٢].

وقال ابن القيم –رحمه الله– في الشرك الأكبر: "طلب الحوائج من الموتى، والاستغاثة بهم، والتوجه إليهم، وهذا أصل شرك العالم"[٣].

وقال الشيخ سليمان بن عبد الوهاب في الشرك الأكبر: "أن يجعل لله نداً يدعوه كما يدعوا الله، ويسأله الشفاعة كما يسأل الله، ويرجوه كما يرجوا الله، ويحبّه كما يحبّ الله، ويخشاه كما يخشى الله، وبالجملة فهو أن يجعل لله نداً يعبده كما يعبد الله، وهذا هو الشرك الأكبر، وهو الذي قال الله فيه﴿ ۞ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾[٤]، وقال: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ ۚ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾﴾"[٥] [٦].

وقال الشيخ السعدي: "فإن حدّ الشرك الأكبر وتفسيره الذي يجمع أنواعه وأفراده؛ أن يصرف العبد نوعا أو فردا من أفراد العبادة لغير الله.

فكل اعتقاد أو قول أو عمل ثبت أنه مأمور به من الشارع ،فصرفه لله وحده توحيد وإيمان وإخلاص ، وصرفه لغيره شرك وكفر .

---

١) مجموع الفتاوى (524/7).

٢) الرد على المنطقيين (ص239).

٣) مدارج السالكين (605/1).

٤) سورة النساء الآية رقم (36).

٥) سورة النحل الآية رقم (36).

٦) تيسير العزيز الحميد (ص35).

فعليك بهذا الضابط للشرك الأكبر الذي لا يشذ عنه شيء" [١].

القسم الثاني: الشرك الأصغر

وقد بيّن شيخ الإسلام –رحمه الله– الشرك الأصغر، فقال: "الشرك في العمل لا ينقل عن الملة وهو الرياء، ثم استدل بقوله ﷻ ﴿فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا﴾" [٢]، ثم قال: "يريد بذلك المراءاة بالأعمال الصالحة" [٣].

وقال ابن القيم في بيان الشرك الأصغر في الإلهية: "الشرك في العبادة يصدر ممن يعتقد أنه لا إله إلا الله، وأنه لا يضر ولا ينفع ولا يعطى ولا يمنع إلا الله، وأنه لا إله غيره، ولا رب سواه، ولكن لا يخلص لله في معاملته وعبوديته، بل يعمل لحظ نفسه تارة، وطلب الدنيا تارة، ولطلب الرفعة والمنزلة والجاه عند الخلق تارة، وهذا الشرك في العبادة يبطل ثواب العمل، وقد يعاقب عليه إذا كان العمل واجبا" [٤].

وقد اختلف العلماء في ضابط الشرك الأصغر على عدة أقوال منها:

القول الأول: أن الشرك الأصغر كل شيء أطلق عليه الشارع أنه شرك، ودلّت النصوص على أن أنه ليس من الأكبر، مثل: **((من حلف بغير الله، فقد أشرك))** [٥]، فالشـــرك هنا أصغر؛ لأنه دلّت النصوص على أن مجرّد الحلف بغير الله لا يخرج من الملّة [٦].

---

١) القول السديد (ص50).

٢) سورة الكهف الآية رقم (110).

٣) مجموع الفتاوى (329/7).

٤) الجواب الكافي (ص194).

٥) رواه أحمد حديث رقم (5375)، وأبو داود حديث رقم (3251)، وحسنه الترمذي في الجامع الصحيح حديث رقم (1315)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (70/5).

٦) القول المفيد شرح كتاب التوحيد (206/1).

القول الثاني: أن الشرك الأصغر: ما كان وسيلة للأكبر، وإن لم يطلق الشرع عليه اسم الشرك، كما قال السعدي: "حد الشرك الأصغر: هو كل وسيلة وذريعة يتطرق منها إلى الشرك الأكبر، من الإرادات والأقوال والأفعال التي لم تبلغ رتبة العبادة" [١].

وذلك مثل: أن يعتمد الإنسان على شيء كاعتماده على الله، لكنه لم يتخذه إلهاً؛ فهذا شركٌ أصغر لأن هذا الاعتماد الذي يكون كاعتماده على الله يؤدي به في النهاية إلى الشرك الأكبر، وهذا التعريف أوسع من الأول؛ لأن الأول يمنعُ أن تطلق على شيء أنه شرك إلا إذا كان لديك دليل، والثاني يجعل كل ما كان وسيلة للشرك فهو شركٌ، وربما نقول على هذا التعريف: أن المعاصي كلها شرك أصغر؛ لأن الحامل عليها الهوى، وقد قال تعالى﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ [٢] ولهذا أطلق النبيﷺ الشرك على تارك الصلاة، مع أنه لم يشرك؛ فقال: ((**بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة**)) [٣] [٤].

أنواع الشرك في الألوهية عند شيخ الإسلام:

وقد بين شيخ الإسلام أن الشرك في الألوهية له عدة أنواع وذكر منها:

النوع الأول: شرك في العبادة والتأله.

قال شيخ الإسلام مبيناً هذا النوع: "فإن الإشراك في هذه الأمة أخفى من دبيب النمل، دع جليله؛ وهو شركٌ في العبادة والتأله"، ثم قال: "فالغالية من النصارى والرافضة وضلال الصوفية يشركون بدعاء غير الله تارة وبنوع من عبادته أخرى" [٥]، فذكر شيخ الإسلام ما

---

١) القول السديد (ص 50) وهذا أيضا رأي اللجنة الدائمة وهو أنه ما كان وسيلة إلى الأكبر انظر فتاوى اللجنة الدائمة (748/1).

٢) سورة الجاثية الآية رقم (23).

٣) رواه مسلم حديث رقم (82) كتاب الإيمان (باب: بيان إطلاق اسم الكفر على من ترك الصلاة).

٤) القول المفيد شرح كتاب التوحيد لابن عثيمين (206/1).

٥) مجموع الفتاوى (97/1).

وقعوا فيه من دعاء غير الله ﷻ والدعاء من العبادات التي لا يجوز صرف شيء منها لغير الله ﷻ، فمن دعا غير الله فقد أشرك في العبادة والتأله.

النوع الثاني: شرك في الطاعة والانقياد.

قال شيخ الإسلام في شرك الطاعة والانقياد: "فالغالية من النصارى والرافضة وضلال الصوفية والفقراء والعامة، يشركون بدعاء غير الله تارة، وبنوع من عبادته أخرى، وبهما جميعا تارة، ومن أشرك هذا الشرك أشرك في الطاعة.

وكثيرٌ من المتفقهة وأجناد الملوك، وأتباع القضاة، والعامة المتبعة لهؤلاء، يشركون شرك الطاعة، وقد قال النبيﷺ لعدى بن حاتم لما قرأ ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ﴾[1] فقال: يا رسول الله، ما عبدوهم؟ فقال: **أما عبدوهم ولكن أحلوا لهم الحرام فأطاعوهم، وحرموا عليهم الحلال فأطاعوهم))**[2].

فتجد أحد المنحرفين يجعل الواجب ما أوجبه متبوعه، والحرام ما حرمه، والحلال ما حلله، والدّين ما شرعه، إما ديناً وإما دنيا، وإما دنيا وديناً، ثم يخوف من امتنع من هذا الشرك، وهو لا يخاف أنه أشرك به شيئاً في طاعته بغير سلطان من الله، وبهذا يخرج من أوجب الله طاعته من رسول، وأمير، وعالم، ووالد، وشيخ وغير ذلك"[3]، فالطاعة الكاملة هي لله ﷻ من أطاع غيره وانقاد له فأحل ما أحله، وحرم ما حرمه فقد أشرك مع الله غيره، شرك طاعة وانقياد، أما طاعة من أمر الله بطاعته فهي من طاعة الله ﷻ، وليست داخلة في هذا الباب.

أقسام شرك الطاعة عند شيخ الإسلام:

قسم شيخ الإسلام شرك الطاعة إلى أربعة أقسام:

---

١) سورة التوبة الآية رقم (31).

٢) سنن الترمذي حديث رقم (3095) وقال الترمذي: هذا حديث غريب، وحسنه الألباني في السلسلة حديث رقم (3293).

٣) مجموع الفتاوى (98/1).

القسم الأول: أن يعلموا أنهم بدلوا دين الله فيتبعوه على التبديل، ويعتقدون ذلك، قال شيخ الإسلام مبيناً هذا القسم: "فيعتقدون تحليل ما حرم الله، وتحريم ما أحلّ الله اتباعاً لرؤسائهم، مع علمهم أنهم خالفوا دين الرسل، فهذا كفر، وقد جعله الله ورسوله شركاً، وإن لم يكونوا يصلون لهم ويسجدون لهم، فكان من اتبع غيره في خلاف الدين مع علمه أنه خلاف الدين، واعتقد ما قاله ذلك، دون ما قاله الله ورسوله، مشركاً مثل هؤلاء"(١).

القسم الثاني: أن يطلب المطاع أن يطاع من دون الله قال شيخ الإسلام:" فمن طلب أن يطاع دون الله فهذا حال فرعون، ومن طلب أن يطاع مع الله فهذا يريد من الناس أن يتخذوا من دون الله أندادا"٢.

القسم الثالث: أن يعتقدوا التحريم، لكنهم يطيعونهم في المعصية،وهذا شرك المتابعة قال شيخ الإسلام في هؤلاء: "أن يكون اعتقادهم وإيمانهم بتحريم الحلال وتحليل الحرام ثابتاً، لكنهم أطاعوهم في معصية الله، كما يفعل المسلم ما يفعله من المعاصي التي يعتقد أنها معاص؛ فهؤلاء حكم أمثالهم من أهل الذنوب"(٣).

القسم الرابع : شرك في الإيمان والقبول.

قال شيخ الإسلام في هذا النوع: "فكثيرٌ من أتباع المتكلمة والمتفلسفة؛ بل وبعض المتفقهة والمتصوفة، بل وبعض أتباع الملوك والقضاة، يقبل قول متبوعه فيما يخبر به من الاعتقادات الخبرية، ومن تصحيح بعض المقالات وإفساد بعضها، ومدح بعضها، وبعض القائلين وذمّ بعض، بلا سلطان من الله، ويخاف ما أشركه في الإيمان والقبول، ولا يخاف إشراكه بالله شخصاً في الإيمان به، وقبول قوله بغير سلطان من الله"(٤).

---

١) مجموع الفتاوى (70/7).

٢) مجموع الفتاوى (328/14).

٣) مجموع الفتاوى (70/7).

٤) مجموع الفتاوى (1/97-98).

فيقبل قول متبوعه ويؤمن به، سواء كان في الاعتقاد أو غيره، وهذا إذا تكلم متبوعه بكلام ليس معه دليل ولا برهان ولا حجة، فمن فعل ذلك فقد أشرك في قبول قوله وإيمانه به.

أقسام شرك الألوهية عند شيخ الإسلام باعتبار ظهوره وخفائه:

يقسم شيخ الإسلام الشرك في الألوهية إلى باعتبار ظهوره وخفائه إلى شركٍ جليّ و شركٍ خفي [١].

القسم الأول الشرك الجلي:

قال شيخ الإسلام مبيناً الشرك الجلي فيمن يشركون بالله فيقول: "تجدهم يشركون بالله في استغاثتهم بغيره، وخوفهم ورجائهم لغيره، ومحبّتهم لغيره فتجد فيهم من أنواع الشرك الجلي والخفي، التي نهى الله عنها ورسوله، ما الله به عليم" [٢].

وقال ابن باز في بيان الجلي من الشرك: "الجلي دعاء الأموات، والإستغاثة بالأموات، والنذر لهم ونحو ذلك" [٣].

القسم الثاني الشرك الخفي:

ويبين شيخ الإسلام الشرك الخفي، وهو شرك في الأعمال، فيقول: "وأما الشرك الخفي فهو الذي لا يكاد أحدٌ أن يسلم منه مثل أن يحب مع الله غيره.

فإن كانت محبته لله مثل حب النبيين والصالحين والأعمال الصالحة فليست من هذا الباب لأن هذه تدل على حقيقة المحبة لأن حقيقة المحبة أن يحب المحبوب ما أحبه، ويكره ما يكره، ومن صحت محبته امتنعت مخالفته؛ لأن المخالفة إنما تقع لنقص المتابعة، ويدل على نقص المحبة قول الله تعالى ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾ [٤]، فليس الكلام في هذا.

إنما الكلام في محبة تتعلق بالنفوس لغير الله تعالى فهذا لا شك أنه نقص في توحيد المحبة لله وهو دليل على نقص محبة الله تعالى إذ لو كملت محبته لم يحب سواه.

---

١) الاستقامة لابن تيمية (ص296).

٢) الاستقامة لابن تيمية (ص344).

٣) مجموع فتاوى ومقالات متنوعة لابن باز (47/1).

٤) سورة آل عمران الآية رقم (31).

ولا يرد علينا الباب الأول؛ لأن ذلك داخل في محبته، وهذا ميزان لم يجر عليك، كلما قويت محبة العبد لمولاه صغرت عنده المحبوبات، وقلت: وكلما ضعفت كثرت محبوباته وانتشرت.

وكذا الخوف والرجاء وما أشبه ذلك فإن كمل خوف العبد من ربه لم يخف شيئا سواه قال الله تعالى﴿ ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخۡشَوۡنَهُۥ وَلَا يَخۡشَوۡنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ﴾[1]، وإذا نقص خوفه خاف من المخلوق، وعلى قدر نقص الخوف وزيادته يكون الخوف، كما ذكرنا في المحبة وكذا الرجاء وغيره، فهذا هو الشرك الخفي الذي لا يكاد أحد أن يسلم منه إلا من عصمة الله تعالى وقد روى أن الشرك في هذه الأمة أخفى من دبيب النمل"[2] [3].

فما ذكره شيخ الإسلام هو خفاء الشرك من حيث الشخص وذلك بأن يقع في الشرك وهو لا يشعر.

وذكر ابن باز -رحمه الله- نوعا آخر من الشرك الخفي وهو ما يكون عند المنافقين فيقول: "الخفي ما يكون في قلوب المنافقين يصلون مع الناس، ويصومون مع الناس، وهم في الباطن كفار يعتقدون جواز عبادة الأوثان والأصنام، وهم على دين المشركين، فهذا هو الشرك الخفي لأنه في القلوب" [4]، وهذا الخفاء من الشرك من حيث أنه لا يظهر للناس، وأما صاحبه فيعلم أنه أشرك، بخلاف ما ذكره شيخ الإسلام فإن صاحبه لا يعلم أنه أشرك.

---

١) سورة الأحزاب الآية رقم (39).

٢) يشير شيخ الإسلام إلى حديث ((**الشرك في أمتي أخفى من دبيب النمل**)) وقد رواه الإمام أحمد في مسنده حديث رقم (19622)، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير (694/1).

٣) مجموع الفتاوى (93/1).

٤) مجموع فتاوى ومقالات متنوعة (47/1).

أدلة التقسيم:

من الأدلة على تقسيم الشرك إلى نوعين:

١) أن الله ﷻ ذكر في كتابه تحريم الجنة على المشرك ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُ﴾[١]، فالمشرك هنا محرمٌ عليه دخول الجنة، وهو من أهل النار المخلدين فيها، وورد عن النبي ﷺ ذكر ذنوبٍ يقع فيها بعض المؤمنين كالحلف بغير الله كما في قوله ((**من حلف بغير الله فقد أشرك**)) [٢]، فلم يخرجه من الإسلام بسبب حلفه بغير الله، بل هو داخلٌ في عموم المؤمنين، فدلّ على أن الشرك ليس على نوعٍ واحد، بل هو على نوعين.

٢) قول النبي ﷺ ((**أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر**)) [٣]، فهو يخاطب أمته بأن أخوف ما يخاف عليهم الشرك الأصغر، فهو بين أن الشرك الأصغر قد يقع فيه بعض أفراد أمته، ولا يخرجون بسببه من الإسلام، كما يدل مفهوم المخالفة على أن هناك شركاً أكبر؛ لأنه قال ((**أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر**)) ، فهو ذكرٌ للذي لا ينقل عن الملة.

ومن أدلة التقسيم قول المروزي: "الشرك شركان، شركٌ في التوحيد ينقل عن الملّة، وشركٌ في العمل لا ينقل عن الملّة، وهو الرياء" [٤].

---

١) سورة المائدة الآية رقم (72).

٢) رواه أبو داود حديث رقم (3251)، والترمذي حديث رقم (1535) في كتاب النذور والأيمان (باب: ما جاء في أن من حلف بغير الله أشرك)، وحسّنه وصححه ابن حبان (199/10) والحاكم ووافقه الذهبي (437/4)، والألباني في السلسلة (155/3).

٣) رواه أحمد حديث رقم (24030)، وصححه الألباني في السلسلة (634/2)، وأخرجه الحاكم في المستدرك من حديث شداد بن أوس عن أبيه بلفظ: ((**كنّا نعد على عهد رسول ﷺ أن الرياء الشرك الأصغر**)) **وصححه ووافقه الذهبي** حديث رقم (8018) (475/4).

٤) تعظيم قدر الصلاة (527/2).

فذكر الإمام المروزي -عليه رحمة الله- أن الشرك ليس نوعاً واحداً بل هو على نوعين، إما ناقل عن الملة، وإما غير ناقل عنها، وأن الشرك في التوحيد ناقل عن الملة، أما الشرك في العمل المراد به الرياء لا مطلق العمل فهو شركٌ لا ينقل عن الملة.

المبحث الثالث: أنواع الكفر

تمهيد

الكفر في اللغة: الستر والتغطية، يقال: كفر الشيء كفراً، ستره وغطّاه، ويقال كفر الزَّارع البذور بالتراب، غطّاها وسترها، فهو كافر، وتكفّر بالشيء: تغطى به وتستّر، وكفر بنعمة الله كفوراً وكفراناً، جحدها وسترها [١]، والكفر أصله الجحود والعناد المستلزم للإستكبار والعصيان [٢].

وفي الاصطلاح قال شيخ الإسلام –رحمه الله– في بيان الكفر: "والكفر: عدم الإيمان؛ باتفاق المسلمين سواء اعتقد نقيضه وتكلّم به أو لم يعتقد شيئاً ولم يتكلم"[٣].

أقسام الكفر عند شيخ الإسلام ابن تيمية:

ويقسم شيخ الإسلام –رحمه الله– الكفر إلى نوعين فيقول: "كفرٌ ينقل عن الملّة، وكفرٌ لا ينقل" [٤].

القسم الأول: الكفر الناقل عن الملة.

قال شيخ الإسلام في ضابط الكفر الناقل عن الملة: "للإيمان أصل وفرع، وضدّ الإيمان الكفر في كل معنى، فأصل الإيمان الإقرار والتصديق، وفرعه إكمال العمل بالقلب والبدن، وضدّ الإقرار والتصديق الذي هو أصل الإيمان الكفر بالله، وبما قال وترك التصديق به وله" [٥].

---

١) معجم مقاييس اللغة (191/5)، مختار الصحاح (ص 311)، الصحاح للجوهري (534/2)، التعريفات (ص 194).
٢) أعلام السنة المنشورة (ص94).
٣) مجموع الفتاوى (86/20).
٤) مجموع الفتاوى (524/7).
٥) مجموع الفتاوى (325/7).

وقال أيضاً في بيان الكفر الناقل عن الملة: "والإيمان متضمنٌ للإقرار بما أخبر به النبي ﷺ، والكفر تارة يكون بالنظر إلى عدم تصديق الرسول والإيمان به، وهو من هذا الباب يشترك فيه كل ما أخبر به، وتارة بالنظر إلى عدم الإقرار بما أخبر به"(١).

ويسمي شيخ الإسلام هذا النوع من الكفر أيضا الكفر المطلق فيقول: "الكفر المطلق لا يجوز أن يراد به إلا الكفر الذي هو خلاف الإيمان، لأن هذا هو المعنى الشرعي"(٢).

أنواع الكفر الناقل عن الملة عند شيخ الإسلام:

يبين شيخ الإسلام أن الكفر الناقل عن الملة له عدة أنواع فيقول: "كل من لم يقر بما جاء به الرسول ﷺ فهو كافر، سواء اعتقد كذبه أو استكبر عن الإيمان به أو أعرض عنه، إتباعاً لما يهواه، أو ارتاب فيما جاء به، فكل مكذب بما جاء به فهو كافر، وقد يكون كافراً من لا يكذبه إذا لم يؤمن به"(٣).

ويقول في موضع آخر: "الكفر يكون بتكذيب الرسول ﷺ فيما أخبر به، أو الامتناع عن متابعته مع العلم بصدقه، مثل كفر فرعون واليهود"(٤).

وقال أيضاً: "الكفر يكون تكذيباً ويكون مخالفة ومعاداة، وامتناعاً بلا تكذيب"(٥).

وقال في موضع آخر: "ولا ريب أن الكفر متعلق بالرسالة، فتكذيب الرسول كفر، وبغضه وسبّه وعداوته مع العلم بصدقه في الباطن كفر"(٦).

---

١) مجموع الفتاوى (534/7).
٢) شرح العمدة لابن تيمية (ص80).
٣) مجموع الفتاوى (315/3).
٤) درء التعارض (242/1).
٥) مجموع الفتاوى (292/7).
٦) منهاج السنة (355/3).

ومن خلال ما سبق يتبين لنا أن شيخ الإسلام جعل للكفر الناقل عن الملة أنواعا عدة نفصلها فيما يلي:

١) **كفر التكذيب**: قال شيخ الإسلام: "الكفر يكون بتكذيب الرسول ﷺ فيما أخبر به"[١].

وقال في موضع آخر: "والتكذيب أخصّ من الكفر فكل مكذّب لما جاءت به الرسل فهو كافر، وليس كل كافرٍ مكذّب"[٢].

وقال ابن القيم: "كفر التكذيب هو اعتقاد كذب الرسل، وهذا القسم قليلٌ في الكفار؛ فإن الله تعالى أيّد رسله، وأعطاهم من البراهين، والآيات على صدقهم ما أقام به الحجة، وأزال به المعذرة، قال تعالى عن فرعون وقومه: ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾[٣]، وقال لرسوله ﷺ: ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾[٤]، وإن سمي هذا كفرَ تكذيب أيضاً فصحيح، إذ هو تكذيب باللسان"[٥].

٢) **كفر الإباء والاستكبار**، قال شيخ الإسلام: "كل من لم يقر بما جاء به الرسول ﷺ فهو كافر، سواء اعتقد كذبه أو استكبر عن الإيمان به أو أعرض عنه"[٦].

وقال ابن القيم: "وأما كفر الإباء والاستكبار فنحو كفر إبليس؛ فإنه لم يجحد أمر الله ولا قابله بالإنكار؛ وإنما تلقاه بالإباء والاستكبار.

---

١) درء التعارض (242/1).
٢) مجموع الفتاوى (79/2).
٣) سورة النمل الآية رقم (14).
٤) سورة الأنعام الآية رقم (33).
٥) مدارج السالكين (591/1).
٦) مجموع الفتاوى (315/3).

ومن هذا كفر من عرف صدق الرسول، وأنه جاء بالحق من عند الله، و لم ينقد له إباءً واستكباراً، وهو الغالب على كفر أعداء الرسل، كما حكى الله تعالى عن فرعون وقومه ﴿فَقَالُوٓاْ أَنُؤۡمِنُ لِبَشَرَيۡنِ مِثۡلِنَا وَقَوۡمُهُمَا لَنَا عَٰبِدُونَ ٤٧﴾[١]، وقـــول الأمم لرسلهم ﴿إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا﴾[٢].

وقوله: ﴿كَذَّبَتۡ ثَمُودُ بِطَغۡوَىٰهَآ﴾[٣] وهو كفر اليهود، كما قال تعالى ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦ﴾[٤]، وقال: ﴿يَعۡرِفُونَهُۥ كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمۡ﴾[٥]، وهو كفر أبي طالب أيضاً؛ فإنه صدّقه و لم يشكّ في صدقه، ولكن أخذته الحمية، وتعظيم آبائه أن يرغب عن ملتهم، ويشهد عليهم بالكفر"[٦].

٣) **كفر الإعراض،** قال شيخ الإسلام: "الإعراض عما جاء به الرسول سواء كان حسداً أو كبراً أو إتباعاً للأهواء الصارفة عن إتباع الرسالة"[٧].

وقال ابن القيم: "وذلك بأن يعرض بسمعه وقلبه عن الرسول، لا يصدقه ولا يكذبه، ولا يواليه ولا يعاديه، ولا يصغي إلى ما جاء به البتة، كما قال أحد بني عبد ياليل للنبي ﷺ "والله أقول لك كلمة: إن كنت صادقاً، فأنت أجلّ في عيني من أن أردّ عليك، وإن كنت كاذباً، فأنت أحقرُ من أن أكلمك"[٨][٩].

---

١) سورة المؤمنون الآية رقم (47).
٢) سورة إبراهيم الآية رقم (10).
٣) سورة الشمس الآية رقم (11).
٤) سورة البقرة الآية رقم (89).
٥) سورة البقرة الآية رقم (146).
٦) مدارج السالكين (592/1).
٧) مجموع الفتاوى (353/12).
٨) البداية والنهاية (112/3)، السيرة النبوية لابن هشام (67/2)، تاريخ الطبري (554/1).
٩) مدارج السالكين (592/1).

٤) **كفر الشك والارتياب فيما جاء به،** قال شيخ الإسلام مبيناً ذلك: "وليس كل كافر مكذّب، بل قد يكون مرتاباً إن كان ناظراً فيه، أو معرضاً عنه بعد أن لم يكن ناظراً فيه"[١].

وقال في موضع آخر: "كل من لم يقر بما جاء به الرسول فهو كافر، سواء اعتقد كذبه، أو استكبر عن الإيمان به، أو أعرض عنه إتباعاً لما يهواه، أو ارتاب في ما جاء به"[٢].

وقال ابن القيم: "وأما كفر الشك فإنه لا يجزم بصدقه ولا بكذبه، بل يشك في أمره. وهذا لا يستمرّ شكّه إلا إذا ألزم نفسه الإعراض عن النظر في آيات صدق الرسول ﷺ جملة، فلا يسمعها ولا يلتفت إليها، وأما مع إلتفاته إليها ونظره فيها، فإنه لا يبقى معه شك؛ لأنها مستلزمة للصدق ولا سيما بمجموعها، فإن دلالتها على الصدق كدلالة الشمس على النهار"[٣].

٥) **كفر البغض** وذلك بأن يبغض الرسول ﷺ أو يبغض شيئا مما جاء به، وبغض شيء مما جاء عن الله أو جاء عن الرسول ﷺ يقتضي بغض الله جل وعلا أو بغض الرسول ﷺ وهذا كفر بالله ﷻ[٤].

٦) **كفر سبه وعداوته** فيسب الرسول ﷺ أو يعاديه.

قال شيخ الإسلام مبينا هذين النوعين: "ولا ريب أن الكفر متعلقٌ بالرسالة، فتكذيب الرسول كفر، وبغضه وسبّه وعداوته مع العلم بصدقه في الباطن كفر عند الصحابة والتابعين لهم بإحسان وأئمة العلم"[٥].

---

١) مجموع الفتاوى (79/2).
٢) مجموع الفتاوى (315/3).
٣) مدارج السالكين (592/1).
٤) انظر مجموع الفتاوى (107/14)، وانظر شرح نواقض الإسلام للفوزان (ص111).
٥) منهاج السنة (355/3).

فهنا شمل الكفر الناقل عن الملة ما كان في القلب من بغض للرسول ﷺ، وما كان بالجوارح من سبه وعداوته في القول والفعل.

٧) **عدم الإقرار بما جاء به الرسول،** قال شيخ الإسلام فيمن لم يقرّ بما جاء به الرسول: "كل من لم يقر بما جاء به الرسول فهو كافر، سواء اعتقد كذبه، أو استكبر عن الإيمان به، أو أعرض عنه اتباعاً لما يهواه"[١].

فعدم الإقرار وحده كافياً في كفر صاحبه، سواء دخل معه التكذيب والاستكبار والإعراض أو لم يدخل.

ويذكر بعض العلماء نوعا آخر من أنواع الكفر الناقل عن الملة وهو كفر النفاق قال ابن القيم عند ذكره لأنواع الكفر الناقل عن الملة وذكر أن منها كفر النفاق ثم قال" وأما كفر النفاق: فهو أن يظهر بلسانه الإيمان، وينطوي بقلبه على التكذيب؛ فهذا هو النفاق الأكبر"[٢] والذي يظهر أن كفر النفاق لا يخرج عما سبق ذكره من أنواع الكفر فهو داخل فيها فهو إما أن يكون تكذيبا،أو يكون إباء واستكبارا ،أو يكون إعراضا ،أو يكون شكا وارتيابا ، أو يكون بغضا ، أو عدم إقرار بما جاء به الرسول.

فالواحد من هذه الأنواع مخرجٌ من الملّة بالكليّة، وإن اجتمعت في شخص، فظلمات بعضها فوق بعض والعياذ بالله من ذلك، لأنها إما أن تنتفي هذه الأمور كلها –قول القلب وعمله وقول اللسان وعمل الجوارح– أو ينتفي بعضها، فإن انتفت كلها اجتمع أنواع الكفر غير النفاق، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ۝٦ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡۖ وَعَلَىٰٓ أَبۡصَٰرِهِمۡ غِشَٰوَةٞۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ۝٧﴾[٣].

---

١) مجموع الفتاوى (315/3).

٢) انظر مجموع الفتاوى (292/7) و(534/7)، مدارج السالكين (591/1)، معارج القبول (741/2).

٣) سورة البقرة الآية رقم (6–7).

وإن انتفى تصديق القلب مع عدم العلم بالحق فكفرُ الجهل والتكذيب، قال تعالى ﴿بَلْ كَذَّبُواْ بِمَا لَمْ يُحِيطُواْ بِعِلْمِهِۦ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ ﴾[1]، وقال تعالى﴿قَالَ أَكَذَّبْتُم بِـَٔايَٰتِى وَلَمْ تُحِيطُواْ بِهَا عِلْمًا أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾ ﴾[2]، وإن كتم الحق مع العلم بصدقه فكفر الجحود والكتمان، قال تعالى ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾﴾ [3].

وقال تعالى ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾[4]، وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤٦﴾ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿١٤٧﴾﴾ [5].

وإن انتفى عمل القلب وعمل الجوارح، مع المعرفة بالقلب، والاعتراف باللسان، فكفر عناد واستكبار، ككفر إبليس وكفر غالب اليهود الذين شهدوا أن الرسول حقّ و لم يتبعوه [6].

القسم الثاني: الكفر الذي لا ينقل عن الملة.

وقد سبق عند الكلام عن الكفر الناقل عن الملة بيان لشيخ الإسلام أن للإيمان أصل وفرع، وأن أصل الإيمان الإقرار والتصديق، وفرعه إكمال العمل بالقلب والبدن، وذكر ما هو ضدّ الإقرار والتصديق، ثم بيّن ما هو ضدّ الإيمان فقال: "وضد الإيمان الذي هو العمل وليس هو إقرار، كفر ليس بكفر بالله ينقل عن الملة، ولكن كفر تضييع العمل كما كان العمل إيماناً، وليس هو الإيمان الذي هو إقرار بالله" [7].

---

١) سورة يونس الآية رقم (39).

٢) سورة النمل الآية رقم (84).

٣) سورة النمل الآية رقم (14).

٤) سورة البقرة الآية رقم (89).

٥) سورة البقرة الآية رقم (146-147).

٦) معارج القبول (741/2).

٧) مجموع الفتاوى (325/7).

فقول شيخ الإسلام: "وضد الإيمان الذي هو العمل"، يعني به شرائع الإسلام التي هي إيمان، وأكد ذلك بقوله "وليس ذلك العمل هو الإقرار الذي هو التصديق"، فتضييع العمل الذي هو إيمان يسمى في الشرع كفراً، وليس هو كفر ينقل عن الملة.

فتبيّن أن الكفر الذي لا ينقل عن الملة كفر تفريط في العمل وهذا يكون بتضييع الفعل أو شيءٍ منه، وليس ترك جنس العمل بالكلية، ويراد به أيضا الفعل المنهي عنه، وذلك مثل ما ورد في النصوص تسميته كفراً ولا يصل إلى حد الكفر الناقل عن الملة، كما يذكر ذلك شيخ الإسلام ، وكما يبينه بعض العلماء بأنها "الذنوب التي وردت تسميتها في الكتاب والسنة كفرا، وهي لاتصل إلى حد الكفر الناقل عن الملة" [١].

ومن أمثلة الكفر الذي لا ينقل عن الملة مما ذكره شيخ الإسلام ما يلي:

١) كفر النعمة، قال شيخ الإسلام: "الكفر الذي هو ضد الشكر إنما هو كفر النعمة، لا الكفر بالله، فإذا زال الشكر خلفه كفر النعمة لا الكفر بالله " [٢].

كما قال ﷻ ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَاقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾﴾ [٣]، وقال تعالى ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٣﴾﴾ [٤].

٢) الطعن في الأنساب والنياحة على الميّت، قال ﷺ ((**اثنتان بالناس هما بهم كفر**)) [٥]، قال شيخ الإسلام : "فقوله ((**هما بهم كفر**)) أي: هاتان الخصلتان هما كفر قائم بالناس، فنفس الخصلتين كفر، حيث كانتا من أعمال الكفر وهما قائمتان بالناس، لكن

---

١) عقيدة التوحيد للفوزان (ص101-102).

٢) مجموع الفتاوى (137/11-138).

٣) سورة النحل الآية رقم (112).

٤) سورة النحل الآية رقم (83).

٥) رواه مسلم حديث رقم (67)، كتاب الإيمان (باب: إطلاق اسم الكفر على الطعن في النسب والنياحة).

ليس كلّ من قام به شعبة من شعب الكفر يصير بها كافراً الكفر المطلق حتى تقوم به حقيقة الكفر "[١].

وبعد ذكرنا لشيء من أنواع الكفر الذي ينقل عن الملة والذي لا ينقل عن الملة مما ذكره شيخ الإسلام، لابدّ أن نشير إلى الفروق بين الكفر الناقل عن الملة، وبين الكفر الذي لا ينقل كما بينه بعض العلماء:

١) أن الكفر الناقل عن الملة يخرج من الملّة، ويحبط الأعمال، والكفر الذي لا ينقل لا يخرج من الملّة، ولا يحبط الأعمال، لكن ينقصها بحسبه، ويعرّض صاحبها للوعيد.

٢) أن الكفر الناقل عن الملة يخلد صاحبه في النار، والكفر الذي لا ينقل إذا دخل صاحبه النّار فإنه لا يخلّد فيها، وقد يتوب الله على صاحبه فلا يدخله النار أصلاً.

٣) أن الكفر الناقل عن الملة يبيح الدم والمال، والكفر الذي لا ينقل لا يبيح الدم والمال.

٤) أن الكفر الناقل عن الملة يوجب العداوة الخالصة بين صاحبه وبين المؤمنين، فلا يجوز للمؤمنين محبّته وموالاته، ولو أقرب قريب.

وأما الكفر الذي لا ينقل عن الملة فإنه لا يمنع الموالاة مطلقاً، بل صاحبه يحبّ ويوالى بقدر ما فيه من الإيمان، ويبغض ويعادى بقدر ما فيه من العصيان[٢].

٥) أن الكفر الناقل عن الملة كفر اعتقادي والذي لا ينقل كفر عمليّ.

---

١) اقتضاء الصراط المستقيم (237/1).

٢) مجموعة رسائل في التوحيد للفوزان (ص 230).

أدلة التقسيم:

الأدلة التي تدل على تقسيم الكفر إلى قسمين كما قسمه شيخ الإسلام عديدة، منها:

أن النبي ﷺ وصف قتال المسلم بأنه كفر فقال ((**سباب المسلم فسوق وقتاله كفر**)) [(١)]، ووصف المتقاتلين بأنهم كفار فقال ((**لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض**)) [(٢)]، ومع ذلك فقد وصف الله ﷻ المتقاتلين بالإيمان فقال عز من قائل: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ۝٩﴾ [(٣)]، فدل على أن الكفر المذكور في الحديث ليس هو الكفر الناقل عن الملة، وإلا لما صحّ وصفهم بالإيمان، وإنما هو كفر لا ينقل عن الملة، أو كفر أصغر أو كفر عملي كما يعبر بذلك بعض أهل العلم.

ومن الأدلة على ذلك أن هذا التقسيم قد نصّ عليه أهل العلم من الصحابة وغيرهم، ومن ذلك:

١) قال ابن عباس في قوله تعالى ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [(٤)]، هي به كفر، وليس كفراً بالله وملائكته وكتبه ورسله" [(٥)].

---

١) رواه البخاري حديث رقم (48) كتاب الإيمان (باب: خوف المؤمن من أن يحبط عمله وهو لا يشعر)، ورواه مسلم حديث رقم (64) كتاب الإيمان (باب: قول النبي ﷺ ((**سباب المسلم فسوق**)).

٢) رواه البخاري حديث رقم (121) كتاب العلم (باب: الإنصات للعلماء)، ورواه مسلم حديث رقم (65) كتاب الإيمان (باب: قول النبي ﷺ ((**لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض**)).

٣) سورة الحجرات الآية رقم (9).

٤) سورة المائدة الآية رقم (44).

٥) تفسير الطبري (2899/4).

١) وقال طاووس[1] عن هذه الآية: "ليس بكفر ينقل عن الملة" [2].

٢) قال المروزي[3]: "الكفر كفران، كفرٌ هو جحود بالله وبما قال، فذلك ضده الإقرار بالله، والتصديق به، وبما قال، وكفر هو عمل ضدّ الإيمان الذي هو عمل" [4].

٣) وقال في موضـــع آخر: "الكفر كفران، أحدهما ينقل عن الملّة، والآخر لا ينقل عنها" [5].

فقول ابن عباس ﷺ "هو كفر وليس كفرا بالله"، يدل على تفريقه بين الكفر الذي ينقل عن الملة، والكفر الذي لا ينقل عن الملة، وعلى ذلك يحمل قول طاووس، وهذا ظاهر في كلام المروزي .

---

١) طاووس بن كيسان الخولاني الهمداني، بالولاء، أبو عبد الرحمن: من أكابر التابعين، تفق ـــهـــا في الدين ورواية للحديث، وتقشفاً في العيش، ، أصله من الفرس، و كان مولده سنة 33هـــ ونشئ وتربى في اليمن، توفي حاجا بمزدلفة أو بمنى، سنة 106هـــ وكان هشام بن عبد الملك حاجا تلك السنة، فصلى عليه. أنظر الطبقات لابن سعد (97/8)، سير أعلام النبلاء (395/5).

٢) تفسير الطبري (2899/4).

٣) محمد بن نصر ابن الحجاج المروزي الإمام، شيخ الإسلام، أبو عبد الله الحافظ. مولده ببغداد في سنة اثنتين ومئتين، ومنشؤه بنيسابور، ومسكنه سمرقند، وتوفي سنة أربع وتسعين ومئتين. ذكره الحاكم فقال: إمام عصره بلا مدافعة في الحديث. انظر تاريخ بغداد (315/3)، سير أعلام النبلاء (23/11)، شذرات الذهب (216/2)، الإعلام للزركلي (125/7).

٤) تعظيم قدر الصلاة (518/2).

٥) تعظيم قدر الصلاة (527/2).

المبحث الرابع: أنواع النفاق:

تمهيد

النفاق لغةً: يدلّ على إخفاء الشيء وإغماضه، والنفق سربٌ في الأرض له مَخلصٌ إلى مكان آخر، والنافقاء، إحدى جحرة اليربوع يكتمها ويظهر غيرها، وسمي المنافق منافقاً، للنفق وهو السرب، لأنه نافق كاليربوع، وهو دخوله نافقاءه، فهو يدخل منها ويخرج من مكان آخر [١].

واصطلاحاً: بين شيخ الإسلام ابن تيمية النفاق بقوله: "النفاق إظهار الدين وإبطان خلافه" [٢].

وقال البربهاري[٣]: "النفاق أن تظهر الإسلام وتخفي الكفر" [٤].

وقال ابن كثير [٥]: "النفاق هو إظهار الخير وإبطان الشرّ" [٦].

---

١) معجم تهذيب اللغة (3635/4) الصحاح (329/4) معجم مقاييس اللغة (454/5) مختار الصحاح (ص 360).

٢) مجموع الفتاوى (143/11).

٣) الحسن بن علي بن خلف البربهاري، أبو محمد: ولد سنة (233هـ) وهو شيخ الحنابلة في وقته. من أهل بغداد. كان شديد الانكار على أهل البدع، بيده ولسانه. وكثر مخالفوه فأوغروا عليه قلب القاهر العباسي (سنة 321 ه) فطلبه، فاستتر. وقبض على جماعة من كبار أصحابه ونفوا إلى البصرة. وعاد إلى مكانته في عهد الراضي، ونودي ببغداد: لا يجتمع من أصحاب البربهاري نفسان! واستتر البربهاري فمات في مخبأه. سنة (329هـ) أنظر طبقات الحنابلة (36/3)، شذرات الذهب (319/2) الإعلام للزركلي (201/2).

٤) شرح السنة (ص 61).

٥) الشيخ الإمام العالم الحافظ المفيد البارع عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضوء بن كثير بن ذرع البصروي الأصل الدمشقي الشافعي ولد بمجدل القرية من أعمال مدينة بصرى في سنة إحدى وسبعمائة إذ كان أبوه خطيبا بها ثم انتقل إلى دمشق في سنة ست وسبعمائة أنظر ذيل تذكرة الحفاظ (ص57)، طبقات المفسرين للأدنروي (ص260).

٦) تفسير ابن كثير (281/1).

وقال الجرجاني: "هو إظهار الإيمان باللسان وكتمان الكفر بالقلب" (١).

أقسام النفاق عند شيخ الإسلام ابن تيمية:

قسّم شيخ الإسلام النفاق إلى نوعين فقال: "نفاق أكبر ونفاق أصغر" (٢).

وقد بين شيخ الإسلام أن"أساس النفاق الذي يبنى عليه هو الكذب"(٣).

النوع الأول: النفاق الأكبر

قال شيخ الإسلام مبيناً النفاق الأكبر: "فإذا أظهر أنه مؤمنٌ وأبطن التكذيب، فهذا هو النفاق الأكبر الذي أوعد صاحبه بأنه في الدرك الأسفل من النار" (٤).

وقال في موضع آخر: "فأما النفاق المحض الذي لا ريب في كفر صاحبه، فأن لا يرى وجوب تصديق الرسول فيما أخبر به، ولا وجوب طاعته فيما أمر به، وإن اعتقد مع ذلك أن الرسول عظيم القدر علماً وعملاً وأنه يجوز تصديقه وطاعته" (٥).

فالنفاق الأكبر هو النفاق في الدين (٦)، وهو النفاق الاعتقادي، قال اللالكائي (٧) في هذا هذا النوع من النفاق: "النفاق هو الكفر أن يكفر بالله ويعبد غيره ويظهر الإسلام في العلانية، مثل المنافقين الذين كانوا على عهد رسول الله ﷺ" (٨).

---

١) التعريفات للجرجاني (ص295).

٢) مجموع الفتاوى (524/7).

٣) مجموع الفتاوى (12/10).

٤) مجموع الفتاوى (143/11).

٥) مجموع الفتاوى (639/7).

٦) الفتاوى الكبرى (105/6).

٧) هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري الرازي، أبو القاسم اللالكائي، حافظ للحديث، مفيد بغداد في وقته من فقهاء الشافعية، من أهل طبرستان، استوطن بغداد، وخرج في آخر أيامه إلى الدينور فمات بها كهلاً سنة 418هـ، انظر سير أعلام النبلاء (136/13) طبقات الشافعية (363/1) الإعلام للزركلي (71/8).

٨) شرح أصول أهل السنة (127/1).

وهذا النوع من النفاق يدخل أصحابه ضمن الموصوفين بالكفر كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "فالكفر إذا ذكر مفرداً في وعيد الآخرة، دخل فيه المنافقون، كقوله تعالى ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ۝٥﴾" [1] [2].

أنواع النفاق الأكبر عند شيخ الإسلام:

وقد ذكر شيخ الإسلام أن النفاق الأكبر الاعتقادي له عدة أنواع وهي:

١) إظهار تكذيب الرسول ﷺ [3]، ويستدل لهذا بقوله تعالى ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ﴾ [4].

٢) بغض الرسول ﷺ [5]، ويستدل له بقوله تعالى ﴿قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ﴾ [6].

٣) المسرّة بانخفاض دين الرسول ﷺ، أو المساءة بظهور دينه [7] كما قال تعالى ﴿لَقَدِ ٱبْتَغَوُا۟ ٱلْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ وَقَلَّبُوا۟ لَكَ ٱلْأُمُورَ حَتَّىٰ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَهُمْ كَٰرِهُونَ﴾ [8].

٤) جحود بعض ما جاء به الرسول ﷺ [9].

٥) عدم اعتقاد وجوب إتباعه ﷺ [10].

وفي قبول توبتهم خلاف، قال شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله–: "وقد اختلف العلماء في قبول توبتهم في الظاهر، لكون ذلك لا يعلم، إذ هم دائماً يظهرون الإسلام،

---

١) سورة المائدة الآية رقم (5).
٢) الإيمان الكبير لابن تيمية (ص 58).
٣) مجموع الفتاوى (434/28).
٤) سورة المنافقون الآية رقم (1).
٥) مجموع الفتاوى (434/28).
٦) سورة آل عمران الآية رقم (118).
٧) مجموع الفتاوى (434/28).
٨) سورة التوبة الآية رقم (48).
٩) مجموع الفتاوى (434/28).
١٠) مجموع الفتاوى (434/28).

وهؤلاء يكثرون في المتفلسفة، من المنجمين ونحوهم. ثم في الأطباء، ثم في الكتاب أقل من ذلك، ويوجدون في المتصوفة والمتفقّهة، وفي المقاتلة والأمراء، وفي العامة أيضاً. لكن يوجدون كثيراً في نحل أهل البدع؛ لا سيّما الرافضة، ففيهم من الزنادقة والمنافقين ما ليس في أحد من أهل النحل" [١].

النوع الثاني:النفاق الأصغر

النفاق الأصغر هو النفاق في الأعمال ونحوها، قال شيخ الإسلام في بيان النفاق الأصغر: "هو اختلاف السر والعلانية في الواجبات" [٢].

وقال في موضع آخر: "إظهار الطاعة وإبطان المعصية" [٣].

وقال ابن رجب: "النفاق الأصغر هو نفاق العمل، وهو أن يظهر الإنسان علانية صالحة، ويبطن ما يخالف ذلك" [٤]، مثل أن يكذب إذا حدث، ويخلف إذا وعد، ويخون إذا ائتمن [٥].

ومن النفاق الأصغر ما ذكره البغوي بقوله: "ترك المحافظة على حدود أمور الدين سراً، ومراعاتها علناً" [٦].

وهذا لا يُخرج من الملّة، بل هو وسيلة إلى ذلك، قال شيخ الإسلام ابن تيميّة –رحمه الله– مبيناً أن هذا النوع من النفاق لا يخرج صاحبه من الإسلام كما لا يكون منافقاً محضاً فيقول: " الرجل قد يكون مسلماً، لا مؤمناً ولا منافقاً مطلقاً، بل يكون معه أصل الإيمان دون حقيقته الواجبة" [٧].

---

١) مجموع الفتاوى (434/28).

٢) مجموع الفتاوى (140/11).

٣) مجموع الفتاوى (141/11).

٤) جامع العلوم والحكم (ص416).

٥) مجموع الفتاوى (435/28).

٦) شرح السنة للبغوي (101/1).

٧) مجموع الفتاوى (2/ 525).

وصاحب هذا النوع من النفاق يظهر الصدق والأمانة وهو بخلاف ذلك، قال شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله-: "وإن أظهر أنه صادقٌ أو موف أو أمين، وأبطن الكذب والغدر والخيانة، ونحو ذلك فهذا هو النفاق الأصغر الذي يكون صاحبه فاسقاً"[١].

فالنفاق شُعَبٌ كما أن الإيمان شُعب، فكلّ من اتصف بشيءٍ مما وصف به المنافقون، ففيه شعبة من النفاق حتى يدعها، وهذا في مثل قول النبي ﷺ ((**آية المنافق ثلاث، إذا حدّث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا أؤتمن خان**))[٢].

وكما جاء في حديث عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: ((**أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً، ومن كانت فيه شعبة منها، كان فيه شعبة من النفاق حتى يدعها**))[٣][٤].

ثم إن شيخ الإسلام ذكر أنواعا من النفاق يقع فيها أهل الإسلام المنتسبين إليه.

أنواع النفاق بالنسبة إلى أهله عند شيخ الإسلام:

ذكر شيخ الإسلام نوعين من النفاق بالنسبة إلى أهله من أهل البدع فقال: "ثم هنا نفاقان: نفاقٌ لأهل العلم والكلام، ونفاق لأهل العمل والعبادة"،ثم ذكر النفاق الأكبر "كأن لا يرى وجوب تصديق الرسول فيما أخبر به، ولا وجوب طاعته فيما أمر به"،ثم قال: "أما النفاق الذي هو دون هذا فأن يطلبوا العلم بالله من غير خبره، أو العمل لله من غير أمره، كما يبتلى بالأول كثير من المتكلمة، وبالثاني كثير من المتصوفة،فهم يعتقدون أنه يجب تصديقه، أو تجب طاعته، لكنهم في سلوكهم العلمي والعملي غير سالكين لهذا المسلك، بل يسلكون مسلكا آخر إما من جهة القياس والنظر ، وإما من جهة الذوق والوجد ، وإما من جهة

---

١) مجموع الفتاوى (143/11).

٢) رواه البخاري حديث رقم (33) كتاب الإيمان: (باب: علامة المنافق)، ورواه مسلم حديث رقم (59) كتاب الإيمان: (باب: بيان خصال المنافق).

٣) رواه البخاري حديث رقم (34) كتاب الإيمان: (باب: علامة المنافق) ولفظه (خصلة). ورواه مسلم حديث رقم (59) كتاب الإيمان (باب: بيان خصال المنافق)ولفظة (خلة).

٤) مجموع الفتاوى (213/7).

التقليد، وما جاء عن الرسول إما أن يعرضوا عنه، وإما أن يردوه إلى ما سلكوه، فلنظر نفاق هذين الصنفين مع إعترافهم باطنا وظاهرا بأن محمدا أكمل الخلق وأفضل الخلق، وأنه رسول، وأنه أعلم الناس ، لكن إذا لم يوجبوا متابعته ، وسوغوا ترك متابعته كفروا، وهذا كثيرٌ جـــدا" [1].

الفروق بين النفاق الأكبر والنفاق الأصغر:

١) أن النفاق الأكبر يخرج من الملّة، والنفاق الأصغر لا يخرج من الملّة.

٢) أن النفاق الأكبر اختلاف السرّ والعلانية في الاعتقاد، والنفاق الأصغر اختلاف السرّ والعلانية في الأعمال دون الاعتقاد.

٣) أن النفاق الأكبر لا يصدر من مؤمن، وأما النفاق الأصغر فقد يصدُر من المؤمن [2].

أدلة التقسيم:

والأدلة على تقسيم النفاق إلى أكبر وأصغر كثيرة، من ذلك أن الله ﷻ ذكر في كتابه أن المنافقين في الدرك الأسفل من النار: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ۝١٤٥﴾، [3] فوصف الله عز وجل المنافقين بأنهم في الدرك الأسفل من النار كما أن الله ﷻ نهى نبيه ﷺ عن الإستغفار لمنافقين فقال: ﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾، [4] وقال ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ۖ إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾، [5] فوصفهم الله عز وجل بالكفر ونهى نبيه ﷺ عن الإستغفار لهم، والوقوف على قبورهم؛ لأنهم وقعوا في النفاق الذي جعلهم من الكفار.

---

١) مجموع الفتاوى (640/7).

٢) مجموعة رسائل في التوحيد للفوزان (ص 235).

٣) سورة النساء الآية رقم (145).

٤) سورة التوبة الآية رقم (80).

٥) سورة التوبة الآية رقم (84).

ثم إن النبي ﷺ ذكر صفات من صفات المنافقين كالكذب في الحديث، والإخلاف في الوعد، وغير ذلك من الأعمال التي بين فيها النبي ﷺ نفاق فاعليها، ومع ذلك فهو داخل في عموم المؤمنين، و لم يوصفوا بالكفر، و لم تبح دماؤهم، و لم تقطع العلاقة بينهم وبين المؤمنين، و لم يحكم عليهم بأحكام أهل الكفر، و لم يخرجوا من دائرة الإيمان، فكل هذا يدلّ على أن النفاق نوعان احدها مخرج من الملة والآخر لا يخرج من الملة.

ومن الأدلة على تقسيم النفاق ما روي عن بعض العلماء ومن ذلك:

١) قول الحسن(١): "النفاق نفاقان، نفاق بالتكذيب، ونفاق بالعمل"(٢).

٢) وقال ابن منده (٣): "النفاق على ضروب، نفاق كفر، ونفاق قلبٍ ولسان وأفعال وهي دون ذلك" (٤).

فذكر الحسن –رحمه الله- نوعي النفاق نفاق التكذيب وهو النفاق الأكبر، ونفاق العمل وهو النفاق الأصغر.

كما أن ابن مندة أشار إلى هذين النوعين بذكره نفاق الكفر وهو النفاق الأكبر، ونفاق القلب واللسان والأفعال الذي هو نفاق أصغر.

---

١) الحسن بن يسار البصري، أبو سعيد: تابعي، كان إمام أهل البصرة، وحبر الأمة في زمنه. وهو أحد العلماء الفقهاء الفصحاء الشجعان النساك. ولد سنة 21هـ وتوفي سنة 110هـ انظر سير أعلام النبلاء (337/5) ، وانظر الأعلام للزركلي (226/2).

٢) الإبانة لابن بطة (143/2).

٣) هو أبو عبد الله بن مندة، الحافظ العلم، محمد بن إسحاق بن محمد بن يحيى العبدي الأصبهاني الجوّال، ولد سنة310هـ وهو صاحب التصانيف، طوّف الدنيا، وجمع وكتب مالا ينحصر، وسمع من ألف وسبعمائة شيخ، وأول سماعه ببلده، في سنة ثمان عشرة وثلاثمائة، ومات في سلخ ذي القعدة سنة 395هـ . انظر العبر في خبر من غبر (187/2)،وانظر تسهيل السابلة لمريد معرفة الحنابلة (446/1).

٤) كتاب الإيمان (ص 196).

الفصل الثاني:

تقسيمات توحيد الربوبية لدى شيخ الإسلام ابن تيمية

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: أقسام الوجود.

المبحث الثاني: أقسام الإقرار بالله.

المبحث الثالث: أنواع الأدلة في القران المفضية إلى وجود الصانع.

المبحث الأول: أقسام الوجود:

تمهيد

بين شيخ الإسلام أن لفظ الوجود في أصل اللغة: "مصدر وجدت الشيء أجده وجوداً، ومنه قوله تعالى﴿فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءً﴾[١]، وقوله:﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا﴾[٢]، وقوله:﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ ۝٦ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ۝٧﴾[٣] وأمثال ذلك.

فالموجود هو الذي يجده الواجد، فنسبة الموجود إلى الواجد كنسبة المعلوم إلى العلم والمذكور إلى الذكر، والمحسّ أو المحسوس إلى الحسّ، والمشهود إلى الشهود والمرئي إلى الرؤية".

ثم قال "ولفظ (**الوجود**) يريدون به تارة المصدر الذي هو الأصل فيها، ويريدون بها تارة المفعول: أي: الموجود، كما في لفظ الخلق ونحوه، وكذلك لفظ الفعل؛ فإنهم يقولون: وجد هذا. وهذا صيغة فعل مبني للمفعول، فقد يريدون بذلك أنه وجده واجد، وقد يريدون بذلك أنه كان وحصل حتى صار بحيث يجده الواجد"[٤].

فإذا وجد الشيء من عدم، فهو موجود ممكن حادث الوجود، ومحدثه قديم واجب الوجود .

أقسام الوجود عند شيخ الإسلام

ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله– أقسام الوجود فقال: "الموجود ينقسم إلى واجب وممكن وقديم وحادث"[٥].

---

١) سورة النساء الآية رقم (43).

٢) سورة النور الآية رقم (39).

٣) سورة الضحى الآية رقم (6 – 7).

٤) بيان تلبيس الجهمية لشيخ الإسلام (351/2 – 352).

٥) الرد على المنطقيين (ص 155).

فإذا نظرنا إلى الموجودات، وجدنا أنه لا يخرج عن هذين القسمين، فإما أن يكون **واجب قديم الوجود**- وهوالقائم بنفسه-، فلا يقبل الحدوث ولا العدم.

وإما **ممكن حادث الوجود**- وهوالقائم بغيره-، فيقبل الوجود والعدم.

وإما أن يكون **ممتنع الوجود** وهو ما لا يقبل الوجود فهو غير موجود فلا يدخل في القسمين.

القسم الأول: واجب وقديم الوجود

فواجب الوجود لا بدّ أن يكون أزليّاً، أي: لا أول لوجوده؛ لأنه إذا كان لوجوده أول أصبح من جملة الموجودات الممكنات التي تحتمل الوجود والعدم، وهذه الموجودات لا بد لها من موجد، قال شيخ الإسلام: "وقد علم بالاضطرار أن الوجود لا بدّ له من موجدٍ بذاته، غنيٍ عما سواه إذ نشاهد حدوث المحدثات، وقد علم بالاضطرار أن المحدث لا بد له من محدث والممكن لا بد له من موجد "[1].

وقال في موضع آخر مبيناً أن واجب الوجود يمتنع عليه العدم فيقول: "فإذا علم أنه موجود واجب الوجود بنفسه، وأنه قديم واجب القدم، علم امتناع العدم والحدوث عليه، وعلم أنه غنى عما سواه"[2].

فالواجب لذاته هو الموجود الذي يمتنع عدمه امتناعاً ليس الوجود له من غيره، بل من نفس ذاته؛ فإن كان وجوب الوجود لذاته يسمى واجباً لذاته، وإن كان لغيره يسمى واجباً لغيره[3].

---

١) التدمرية بتصرف (ص17).

٢) التدمرية (ص132).

٣) التعريفات (ص 269).

وأما كونه قديم فالقديم ضدّ الحديث، كما قال﴿ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ۝٣٩ ﴾ [(١)]، وأصل القديم: التقدم على غيره، وقَدُمَ الشيءُ بالضمّ قِدَماً فهو قَدِيمٌ، وتَقادَمَ مثله.[(٢)]

وهذا يشمل التقدم المطلق، والتقدم النسبي، فالتقدم النسبي للمخلوقات، فبعضها متقدم على بعض، وأما التقدم المطلق فهو لله ﷻ، فهو سابق في وجوده لكل شيء، ولا بداية لوجوده، فالله ﷻ لم يسبق وجوده عدم [(٣)]، قال الجرجاني: "القديم يطلق على الموجود الذي لا يكون وجوده من غيره وهو القديم بالذات، ويطلق القديم على الموجود الذي ليس وجوده مسبوقاً بالعدم[(٤)]. قال تعالى﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ۝٣ ﴾[(٥)]، وقال ﷺ: ((**اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخـــــــر فليس بعدك شيء**))[(٦)].

والمحدث الخالق الذي تنتهي إليه المحدثات يمتنع أن يكون محدثا مخلوقا، بل يجب أن يكون واجباً قطعاً للتسلسل، فإن التسلسل في الفاعلين والمفعولين ممتنع، بمعنى أنه ما من فاعل إلا وله فاعل إلى مالا نهاية؛ لأن ذلك يستلزم ألا يوجد شيء[(٧)].

---

١) سورة يس الآية رقم (39).

٢) الصحاح للجوهري (382/5).

٣) شرح السفارينية لابن مانع (ص51).

٤) التعريفات للجرجاني (179).

٥) سورة الحديد آية رقم (3).

٦) رواه مسلم حديث رقم (2713)، كتاب الذكر والدعاء (باب: ما يقول عند النوم).

٧) شرح التدمرية للبراك (ص97).

القسم الثاني: ممكن وحادث الوجود

ممكن الوجود: هي المحدثات فليست واجبة الوجود؛ لأنها مسبوقة بالعدم، فلا بدّ لها من موجد، قال الله تعالى﴿ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾[١] قال شيخ الإسلام :"فإذا لم يكونوا خلقوا من غير خالق ولا هم خالقون لأنفسهم تعين أن لهم خالقا خلقهم"[٢]

قال الشيخ السعدي –رحمه الله-: "وقد تقرّر في العقل مع الشرع أن ذلك لا يخلو من أحد ثلاثة أمور: إما إنهم خلقوا من غير شيء، أي: لا خالق خلقهم بل وجدوا من غير إيجاد ولا موجد وهذا عين المحال، أم هم الخالقون لأنفسهم وهذا أيضاً محال؛ فإنه لا يتصور أن يوجد أحد نفسه فإذا بطل هذان الأمران وبان استحالتهما تعين القسم الثالث وهو أن الله هو الذي خلقهم" [٣].

ولذلك لما سمع الصحابي الجليل جبير ابن مطعم ﷺ رسول الله ﷺ يقرأ بهذه الآية في صلاة المغرب قال: "كاد قلبي أن يطير" [٤].

وأما كون المخلوق حادث فهو من الحديث وهو الجديد من الأشياء [٥]، قال الجرجاني: "الحدوث عبارة عن وجود الشيء بعد عدمه" [٦]، فالحادث حدث بعد أن لم يكن.

وأول من قسم الوجود إلى واجبٌ وممكن و أطلق على الله ﷻ واجب الوجود، هو ابن سينا[٧].

---

١) سورة الطور الآية رقم (35).

٢) مجموع الفتاوى (9/3).

٣) تيسير الكريم الرحمن (1136/2).

٤) رواه البخاري حديث رقم (4854) كتاب التفسير (باب: سورة والطور).

٥) معجم تهذيب اللغة (756/1).

٦) التعريفات للجرجاني (ص86).

٧) الصفدية (ص 263).

وقد أشار شيخ الإسلام إلى خلاف بين المتفلسفة [١] في أنه هل يتصور المكان بلا حدوث؟ هذا محل نزاع، فجمهور العقلاء من الأولين والآخرين من أهل الملل قاطبة، وأئمة الفلاسفة كأرسطو [٢] وأتباعه يقولون: إن الإمكان والحدث متلازمان، وخالف في ذلك ابن سينا [٣]وموافقوه، فزعموا أن الممكن قد يكون قديماً أزلياً واجباً بغيره[٤].

وقد أطال أئمة المتكلمين في الكلام عن الموجودات والفرق بينها في كلام حق، وكثير منه باطل سواء في مقدماته أو في نتائجه.

قال أبو المعالي الجويني [٥]: "إن الموجود إما أن يكون له أول وإما أن يكون بلا أول، والذي له أول هو الحادث"، وهذه قسمة بديهية مستندة إلى إثبات ونفي الحوادث إلى المحلّ،

---

١) الفيلسوف هو محب الحكمة، والفلاسفة مذهبهم: أن العالم قديم وعلته مؤثرة بالإيجاب ،وليس فاعلة بالاختيار، وأكثرهم ينكرون علم الله تعالى، وينكرون حشر الأجساد، أنظر الملل والنحل للشهرستاني (369/2).

٢) أرسطو طاليس، فيليسوف يوناني، تلميذ أفلاطون، وأستاذ الاسكندر المقدوني، جرت فلسفته باتجاه مغاير لمثالية أفلاطون، وكان مشركاً يعبد الأوثان، وقد أنسحب أثره على جميع المفكرين الذين جاؤوا بعده حتى بداية العصر الحديث، من أشهر آثاره "الأورغانون" في المنطق، وكتاب السياسة، وكتاب ما وراء الطبيعة. انظر الملل والنحل للشهرستاني(444/2)،وأنظر إغاثة اللهفان (314/2).

٣) الحسين بن عبد الله بن الحسن بن علي بن سينا، البلخي ثم البخاري، العلامة الشهير الفيلسوف ، صاحب التصانيف في الطب والفلسفة والمنطق ، كان أبوه كاتبا من دعاة الإسماعيلية، ذكر مبادئ اشتغاله، وقوة فهمه، وأنه أحكم المنطق وكتاب إقليدس فقال: رغبت في الطب، وبرزت فيه، وقرؤوا علي، وأنا مع ذلك أختلف إلى الفقه، وأناظر ولي ست عشرة سنة ، مات بهمذان وله ثلاث وخمسون سنة. أنظر سير أعلام النبلاء (199/13)، شذرات الذهب (132/5).

٤) الصفدية (ص269).

٥) عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد الجويني، أبو المعالي، ركن الدين، الملقب بإمام الحرمين: أعلم المتأخرين، من أصحاب الشافعي ، ولد في جوين (من نواحي نيسابور) ورحل إلى بغداد، فمكة حيث جاورها أربع سنين.وذهب إلى المدينة فأفتى ودرس، جامعاً طرق المذاهب. ثم عاد إلى نيسابور، =

وهذه القسمة أيضاً تستند إلى نفي وإثبات، قال: "ولو قيل هذه القسمة، قسمة الموجودات، لم يكن بعيداً، غير أن الوجود الأول لا بدء له ولا نهاية لوجوده، وكذلك أيضاً لا نهاية لذاته ولا نهاية لصفاته، وجوداً وحكماً، فكذلك لا يتطرق إلى ذات القديم، لا إلى صفاته الأوهام، ولا تجول فيه الأفكار"[1]، فالموجود إما أن يكون له أول، وإما أن لا يكون له أول.

ويريد الجويني من وصفه بالنهاية وعدمها، كما يقول ابن تيمية –رحمه الله–: "أنه لا يريد سلبها، إذ ذاته لا تتناهى، إنما يريد بحيث لا يقال فيها هي متناهية أو غير متناهية، فهي عنده لا تقبل أحداً من الوصفين، كما لا تقبل الوصف بالمحايثة [2] والمباينة [3]، والدخول والخروج ونحو ذلك" [4].

ومن أغلاط المتكلمين[5] إطلاق اسم القديم على الله سبحانه وتعالى، فإن لفظ القديم لم يرد في كتاب الله ولا في السنة، وليس لأحد أن يسم الله بما لم يسم به نفسه لكن يكون هذا في باب الأخبار دون غيره.

= صاحب التصانيف. (419-478هـ) أنظر سير أعلام النبلاء (17/14) طبقات الشافعية (446/1) الأعلام للزركلي (160/4).

١) انظر الإرشاد (ص74)، وانظر بيان تلبيس الجهمية (371/2).

٢) عكس المباينة، والشيء إذا لم يكن مبايناً لغيره متميزا عنه مجامعا له مداخلا له، بحيث هو يحايثه ويجامعه ويداخله، كما تحايث الصفة محلها الذي قامت به، فالتفاحة مثلاً طعمها ولونها ليس هو مباين لها، بل هو محايث لها ومجامع لها. أنظر مجموع الفتاوى (296/5).

٣) المباينة عند المحاسبين كون العددين الصحيحين بحيث لايعدهما غير الواحد كالسبعة والتسعة وعند المنطقيين كون المفهومين بحيث لايصدق أحدهما على كل ماصدق عليه الآخر كالإنسان والحجر. كشاف اصطلاحات الفنون (157/1).

٤) بيان تلبيس الجهمية (2/ 372).

٥) هم أصحاب علم الكلام الذي ظهر في بلاد المسلمين حين انتشرت بينهم كتب الفلسفة والمنطق اليوناني، ويقوم منهجهم على أساس تقديم العقل على النقل، والاعتماد التام على العقل في إثبات العقيدة، أنظر الملل والنحل (41/1-43).

قال ابن تيمية-رحمه الله-: "متنازعون هل يُسمى الله بما صحّ معناه في اللغة والعقل والشرع، وإن لم يرد بإطلاقه نصّ ولا إجماع، أم لا يطلق إلا ما أطلق نص أو إجماع، على قولين مشهورين.

وعامّة النظار يطلقون ما لا نصّ في إطلاقه ولا إجماع كلفظ القديم والذات ونحو ذلك، ومن الناس من يفصل بين الأسماء التي يدعي بها، وبين ما يخبر به عنه للحاجة، فهو سبحانه إنما يدعى بالأسماء الحسنى كما قال: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَا﴾ [1].

وأما إذا احتيج إلى الإخبار عنه مثل أن يقال: ليس هو بقديم ولا موجود ولا ذات قائمة بنفسها، ونحو ذلك، فقيل في تحقيق الإثبات بل هو سبحانه قديم موجود وهو ذات قائمة بنفسها، وقيل ليس بشيء، فقيل بل هو شيء فهذا سائغ، وإن كان لا يدعي بمثل هذه الأسماء التي ليس فيها ما يدلّ على المدح كقول القائل: يا شيء إذ كان هذا لفظاً يعمّ كل موجود، وكذلك لفظ ((ذات موجود)) ونحو ذلك؛ إلا إذا سمى بالموجود الذي يجده من طلبه كقوله ﴿وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ﴾ [2]، فهذا أخص من الموجود الذي يعم الخالق والمخلوق" [3].

وقال ابن القيم -رحمه الله-: "إن ما يطلق عليه سبحانه في باب الأسماء والصفات توقيفيّ، وما يطلق عليه من الأخبار لا يجب أن يكون توقيفياً كالقديم، والشيء الموجود، والقائم بنفسه" [4].

والأولى أن يستبدل لفظ القديم بلفظ الأول، لأنه هو الذي ورد في الكتاب والسنة؛ ولأنه يدلّ على أن الله قبل كلّ شيء، وأنه أزلي؛ ولأنه قد يكون للأول معنى آخر غير السبق

---

١) سورة الأعراف الآية رقم (180).

٢) سورة النور الآية رقم (39).

٣) مجموع الفتاوى (9/300–301).

٤) بدائع الفوائد لابن القيم (1/285).

في الزمن وهو المآل، فالأول يعني الذي تؤول إليه الأشياء فيكون مأخوذاً من الأول بمعنى الرجوع، لأن مرجع كلّ شيء إلى الله فيكون أوسع دلالة من القديم[1].

وفي نهاية هذين المبحثين عن الوجود والموجودات، يجدر بنا أن نشير إلى كلام ثمين لشيخ الإسلام ابن تيمية يبين فيه قاعدة جليلة في هذا الباب في ما يستحقه الله ﷻ منها، وما ينزه عنه سبحانه لأنه سبحانه مستحق للكمال من كل وجه منزه عن النقص والعيب من كل وجه ، قال-رحمه الله-: "وعلى هذا فجميع الأمور الوجودية المحضة يكون الربّ أحق بها، لأن وجوده أكمل، ولأنه هو الواهب لها فهو أحقّ باتصافه بها، وجميع الأمور العدمية المحضة، يكون الربّ أحق بالتنزيه منها؛ لأنه عن العدم أبعد من سائر الموجودات؛ ولأن العدم ممتنع لذاته على ذاته، وذاته بذاته تنافي العدم، وما كان فيه وجود وعدم كان أحقّ بما فيه من الوجود وأبعد عما فيه من العدم" [2].

وهذا امتداد لما يقرّره في باب الصفات لله ﷻ أن كل كمال للمخلوق ليس فيه نقص في وجه من الوجوه فالخالق أولى به.

ثم إن اشتراك واجب الوجود وممكن الوجود في الوجود لا يعني تماثلهما كما يعتقده من ضلّ في هذا الباب قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: "ومعلوم أن مسمى الوجود المشترك من الموجودات إنما هو في الذهن"[3].

وقال في موضع آخر مبينا تفاوت الوجود بين الخالق ﷻ وبين المخلوق : "ثم يكون وجود هذا الواجب أكمل من وجود الممكن، لا يمنع إذ يكون مسمى الوجود معنى مشتركاً بينهما" [4].

---

١) شرح الطحاوية لابن أبي العز (1 / 172)، شرح السفارينية لابن عثيمين (ص 35).
٢) بيان تلبيس الجهمية (350/2).
٣) الرد على الشاذلي (ص193).
٤) الرد على المنطقيين (ص155).

المبحث الثاني: أقسام الإقرار بالله:

تمهيد

الإقرار: هو الاعتراف ، إذا قيل أقرّ بالشيء، أي: أعترف به، والإقرار إظهار للشيء الذي أقرّ به، وإعلان له على رؤوس الأشهاد [١]، وهو ضدّ الجحود.

قال شيخ الإسلام: "الإقرار بالله: هو الاعتراف به والعبادة له" [٢].

وأهل السنة متفقون على أن الإقرار بالله هو أصل الإيمان، فلا يتم الإيمان إلا به، ولا يستقيم إلا بتحقيقه [٣].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله-: "إن أصل الإيمان الإقرار بالله، وأصل الكفر الإنكار لله" [٤].

والإقرار بالله هو ما دعت إليه الرسل، وقامت به الأنبياء والمرسلون، قال الله ﷻ ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ﴾ [٥] قيل: هو الإقرار بالله [٦].

١) أنظر معجم مقاييس اللغة (8/5)، ومعجم تهذيب اللغة (2925/3).

٢) مجموع الفتاوى (639/7).

٣) أنظر اعتقاد أهل السنة والجماعة (ص 35)، وأنظر الإيمان لابن منده (ص 51،60،103)، وأنظر مقالات الإسلاميين (ص226).

٤) مجموع الفتاوى (354/3).

٥) سورة الأحزاب الآية رقم (7).

٦) أنظر تفسير القرطبي (115/7) و فتح القدير للشوكاني (347/4).

أقسام الإقرار بالله عند شيخ الإسلام

قسم شيخ الإسلام الإقرار بالله إلى قسمين فقال"الإقرار بالله قسمان: فطـــريّ وإيمـــاني "[١].

القسم الأول: الفطري.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في الإقرار الفطري : " الفطري – وهو الاعتراف بوجود الصانع- ثابت في الفطرة كما قرره الله في كتابه في مواضع"، ثم قال:" فلا يحتاج هذا إلى دليل بل هو أرسخ المعارف وأثبت العلوم وأصل الأصول"[٢].

فهو مما فطر الله ﷻ الناس عليه، قال شيخ الإسلام: " الإيمان بالله والإقرار به جاء في الفطرة التي فطر الله الناس عليها، فإن الفطرة تتضمن الإقرار بالله، والإنابة إليه، وهو معنى لا إله إلا الله، فإن الإله هو الذي يعرف ويعبد" [٣].

وقد قال ﷺ ((**كل مولودٍ يولد على الفطرة، فأبواه يهوّدانه، أو ينصرانه أو يمجسانه**)) [٤].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله-: "فالقلوب مفطورة على الإقرار بالله تصديقاً به وديناً له" [٥].

وهذا النوع من الإقرار قد يدرك بالعقل، قال شيخ الإسلام: "الإقرار الفطري كالإقرار الذي أخبر الله به عن الكفار قد يحصل بالعقل"[٦].

---

١) مجموع الفتاوى (72/2).

٢) مجموع الفتاوى (2 /72).

٣) مجموع الفتاوى (6/2).

٤) رواه البخاري حديث رقم (1385) كتاب الجنائز (باب: ما قيل في أولاد المشركين)، ورواه مسلم بلفظ: ((**ما من مولود يولد على الفطرة**)) حديث رقم (2658) كتاب القدر (باب: معنى كل مولود يولد على الفطرة).

٥) مجموع الفتاوى (528/7).

٦) درء التعارض (458/7).

القسم الثاني: الإقرار الإيماني.

قال شيخ الإسلام في الإقرار الإيماني وأنه متعلق بما تأتي به الرسل: " وأما الإقرار بالرسول فبأدنى نظر فيما جاء به، أو في حاله، أو في آياته، أو نحو ذلك من شؤونه، يحصل العلم بالنبوة أقوى بكثير مما يحصل المطالب القياسية والوجدية، في الأمور الإلهية" (١).

فالإقرار بالرسول لا يكون فطريا بل يكون بالنظر في حاله وما يأتي به من آيات أو معجزات ثم يحصل بعد ذلك الإيمان به وتصديقه.

ومع أن العبد مفطور على الإقرار بالله، فلا بد مع هذا الإقرار من عبادة الله وحده، قال شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله-: "فالإقرار بالصانع دون عبادته، بالمحبة له، والذلّ له، وإخلاص الدين له، لا يكون نافعاً، بل الإقرار مع البعض أعظم استحقاقاً للعذاب" (٢).

فالإقرار الفطري لا يكون نافعاً ولا كافياً لدخول الأفراد في الإسلام، ولا يصحّ به الإيمان، إلا أن يكون مصحوباً معه الإقرار الإيماني الشرعيّ، الذي يتضمن الإيمان بالله، وبما جاء عن الله، والإيمان برسوله وبما جاء عن رسوله ﷺ، قال الشوكاني(٣): "كلّ فـرد من أفراد الناس مفطور، أي مخلوق على ملّة الإسلام، لكن لا اعتبار بالإيمان والإسلام الفطريين، وإنما يعتبر الإيمان والإسلام الشرعيّان" (٤).

فالإيمان الذي فطر الله الناس عليه الذي قال الله فيه ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ ﴾(٥)، حيث أن الله عز وجل قررهم جميعاً دون استثناء

١) مجموع الفتاوى (72/2).

٢) درء التعارض (450/8).

٣) محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني: فقيه مجتهد من كبار علماء اليمن، من أهل صنعاء. ولد بهجرة شوكان (من بلاد خولان، باليمن) ونشأ بصنعاء، وولي قضاءها سنة 1229 ومات حاكما بها. وكان يرى تحريم التقليد. (1173–1250هـ) أنظر البدر الطالع (4/1)، معجم المؤلفين (53/11)، الأعلام للزركلي (298/6).

٤) فتح القدير للشوكاني (295/4).

٥) سورة الأعراف الآية رقم (172).

ألست بربكم؟ فكان الإقرار منهم: بلى شهدنا، فليس لأحد حجة على الله، بل لله الحجة على عباده أجمعين.

قال السدي(١): "هو خبر من الله عن نفسه وملائكته أنه-جل ثناؤه- قال هو وملائكته إذ أقر بنو آدم بربوبيته حين قال لهم: ألست بربكم؟ فقالوا: بلى" (٢).

وقال الطبري: "وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذرياتهم، وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم؟ قالوا: بلى. فقال الله وملائكته: شهدنا عليكم بإقراركم بأن الله ربكم كيلا تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين" (٣).

فالإقرار وإن كان يحصل بالفطرة وبالميثاق الذي أخذه الله ﷻ إلا أنه وحده لا يكفي، بل لا بدّ من الإيمان بالرسول ﷺ، حتى تحصل النجاة.

---

١) إسماعيل بن عبد الرحمن بن أبي كريمة الإمام المفسر أبو محمد الحجازي ثم الكوفي الأعور السدي، أحد موالي قريش، وورد عنه أنه رأى أبا هريرة، والحسن بن علي، قال خليفة بن خياط: مات إسماعيل السدي في سنة سبع وعشرين ومائة. أنظر سير أعلام النبلاء (23/6)، تهذيب الكمال للمزي (132/3).

٢) تفسير الطبري (3700/5).

٣) تفسير الطبري (3700/5).

المبحث الثالث: أنواع الأدلة المفضية إلى وجود الصانع

تمهيد

إن من أعظم الأدلة التي تدلّ على وجود الله ﷻ، هي آياته الكونية والأرضية، التي تدل على قدرته وحكمته، فهي من أجل البراهين الدالة دلالة باهرة، على معرفة الخالق وتفرده بالربوبية والألوهية، ولذلك أمر الله ﷻ بالنظر إليها والتدبر والإمعان في دلالتها، قال تعالى ﴿قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [1]، بل إن الله ﷻ أنكر على من أعرض عن هذه الأدلة، فقال سبحانه ﴿وَكَأَيِّن مِّنۡ ءَايَةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ يَمُرُّونَ عَلَيۡهَا وَهُمۡ عَنۡهَا مُعۡرِضُونَ ١٠٥﴾ [2].

قال الإمام الطبري: "يقول ﷻ وكم من آية في السموات والأرض لله، وعبرة وحجة، وذلك كالشمس والقمر والنجوم ونحو ذلك من آيات السموات وكالجبال والبحار والنبات والأشجار، وغير ذلك من آيات الأرض ﴿يَمُرُّونَ عَلَيۡهَا﴾ يقول: يعاينوها فيمرون بها معرضين عنها لا يعتبرون بها ولا يفكرون فيها وفيما دلّت عليه من توحيد ربها، وأن الألوهية لا تنبغي إلا للواحد القهار الذي خلقها وخلق كلّ شيء فدبرها" [3].

أنواع الأدلة المفضية إلى وجود الصانع عند شيخ الإسلام:

وقد قسم شيخ الإسلام ابن تيمية الأدلة الدالة على وجود الصانع إلى نوعين فيقول: "الآيات الدالة على الربّ آياته القولية ....، وآياته الفعلية" [4].

النوع الأول: آياته القولية. وقد بين شيخ الإسلام مراده بالآيات القولية أنها التي تكلم بها القران [5]، وسيأتي ذكرها.

النوع الثاني: آياته الفعلية، والقولية تدل عليها ويبين شيخ الإسلام مراده بالآيات الفعلية فقال: "آياته الفعلية التي خلقها في الأنفس والآفاق تدلّ عليه، وتحسن بها التبصّر والذكرى،

---

١) سورة يونس الآية رقم (101).

٢) سورة يوسف الآية رقم (105).

٣) تفسير الطبري (4652/6).

٤) درء التعارض (533/8-534).

٥) درء التعارض (533/8).

وإن كان الرب تعالى قد عرفته الفطرة قبل هذا، ثم حصل لها نوعٌ من الجهل أو الشك أو النسيان وغير ذلك"[1].

أنواع الأدلة القولية التي جاءت في القران دالة على وجود الله عند شيخ الإسلام ابن تيمية:

قسم شيخ الإسلام الأدلة الدالة على وجود الله ﷻ التي جاءت في القران على نوعين:

الأول: دليل الإحداث والاختراع.

الثاني: دليل الحكمة والعناية[2].

النوع الأول: دلالة الاختراع.

وهي حدوث الحياة في المخلوقات بعد أن لم تكن حيّة، فإنا نرى أجساماً جمادية، ثم تحدث فيها الحياة، فنعلم قطعاً أن ها هنا موجداً للحياة ومنعماً بها[3].

فدلالة الاختراع منصبة على معرفة ماهية المخلوقات وفائدتها ودقتها وطريقة إيجادها، وهذه الدلالة مبنيّة على أصلين فطريين هما:

١) أن هذه الموجودات مخترعة، وهذا معروف بنفسه في الحيوان والنبات، كما قال تعالى ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخۡلُقُواْ ذُبَابٗا وَلَوِ ٱجۡتَمَعُواْ لَهُۥ﴾[4].

٢) أن كل مختَرَع فله مخترِع.

٣) فيتبين لنا نتيجة حتميّة، وهي أن للموجود فاعلاً مخترعاً له[5].

والناس متفاوتون في إدراك هذا النوع من الدلالة فكلما كان العبد أعلم كان بإدراكها أكمل.

---

١) درء التعارض (534/8).

٢) بيان تلبيس الجهمية (500/1).

٣) درء التعارض (323/9) نقلا عن ابن رشد.

٤) سورة الحج الآية رقم (73).

٥) بيان تلبيس الجهمية (494/1) هذا الكلام نقل من شيخ الإسلام عن ابن رشد ثم عقب شيخ الإسلام على هذا الكلام بأنه كلام صحيح حسن في الجملة. انظر بيان تلبيس الجهمية (500/1).

وقد دلّ القرآن على هذا النوع من الدلالة بأدلة كثيرة منها.

١) قال تعالى: ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَـٰنُ مِمَّ خُلِقَ ۝٥ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ۝٦﴾[1].

٢) قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ۝١٧ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ۝١٨ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ۝١٩ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ۝٢٠﴾[2].

٣) قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ﴾[3].

٤) قول الله ﷻ حكاية عن إبراهيم ﴿إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝٧٩﴾[4].

النوع الثاني: دلالة العناية

وهو ظهور آثار الكمال في الخلق، وذلك في إتقانه وتربيته، ونظام مخلوقاته، الذي لا خلل فيه بوجه من الوجوه، ولا تفاوت مستلزم للنقص في تربيتها[5]، كما قال ﷻ ﴿قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ۝٥٠﴾[6].

وقال ﴿مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَـٰنِ مِن تَفَـٰوُتٍ ۖ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ۝٣ ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ۝٤﴾[7].

قال ابن منده: "من الآيات الواضحة التي جعلها الله دليلاً لعباده من خلقه على معرفة وحدانيته من انتظام صنعه وبدائع حكمته في خلق السموات والأرض وما أحكم فيها"[8].

---

١) سورة الطارق الآية رقم (5ـ6).

٢) سورة الغاشية الآية رقم (17ـ19).

٣) سورة الحج الآية رقم (73).

٤) سورة الأنعام الآية رقم (79).

٥) انظر درء التعارض (323/9)، وانظر شفاء العليل (146/2).

٦) سورة طه الآية رقم (50).

٧) سورة الملك الآية رقم (3–4).

٨) كتاب التوحيد (ص14).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله-: "وأما السموات فنعلم من قبل حركتها التي لا تفتر، أنها مأمورة بالعناية بما ها هنا، ومسخرة لنا"(١).

وقال ابن كثير: "فإن من تأمل هذه الموجودات السفلية والعلوية، واختلاف أشكالها، وألوانها، وطباعها، ومنافعها، ووضعها في مواضع النفع بها محكمة، علم قدرة خالقها وحكمته، وعلمه وإتقانه، وعظيم سلطانه، كما قال بعض الأعراب، وقد سئل ما الدليل على وجود الربّ تعالى؟ فقال: يا سبحان الله! إن البعر ليدلّ على البعير، وإن أثر الأقدام لتدل على المسير، فسماءٌ ذات أبراج، وأرض ذات فجاج، وبحار ذات أمواج؟ ألا يدل ذلك على اللطيف الخبير"(٢).

وقال ابن القيم: "فصلاح السموات والأرض واستقامتها، وانتظام أمر المخلوقات على أتم نظام محكم، لا يختلف ولا يفسد من أدلّ دليل على أن مدبره واحد لا إله غيره"(٣).

فقد أتقن سبحانه خلقه، فلا مجال فيه لنظر ناقد ولا مقوّم، بل فيه من الإتقان ما يعجز الألباب، ويحيّر العقول.

وأدلة هذا النوع من العناية كثيرة منها:

١) قال تعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا ﴿٦﴾ وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴿٧﴾ وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ﴿٩﴾ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا ﴿١٠﴾ وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا ﴿١١﴾ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ﴿١٢﴾ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ﴿١٣﴾ وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا ﴿١٤﴾ لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا ﴿١٥﴾ وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا ﴿١٦﴾﴾(٤).

٢) قوله عز وجل: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا ﴿٦١﴾ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴿٦٢﴾﴾(٥).

---

١) بيان تلبيس الجهمية (494/1).

٢) تفسير ابن كثير (311/1).

٣) الداء والدواء (ص471).

٤) سورة النبأ الآية رقم (6–16).

٥) سورة الفرقان الآية رقم (61–62).

٣) قوله ﷻ ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾﴾[١].

وقد جمع الله في كتابه بين هذين النوعين من الدلالة في مواضع كثيرة من كتابه منها:

١) قوله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾[٢].

ففي قوله ﴿ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ تنبيه على دلالة الاختراع وفي قوله ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً﴾ تنبيه على دلالة العناية.

٢) قوله تعالى ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَٰهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ﴿٣٣﴾﴾[٣].

ففي قوله ﴿ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَٰهَا﴾ دلالة إختراع، وفي قوله ﴿وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ﴾ فيه دلالة على العناية.

٣) قوله تعالى ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾﴾[٤].

وأكثر الآيات الواردة في هذا المعنى يوجد فيها النوعان من الدلالة.

---

١) سورة عبس الآية رقم (24–30).

٢) سورة البقرة الآية رقم (21–22).

٣) سورة يس الآية رقم (33).

٤) سورة آل عمران الآية رقم (191).

ثم إن هذه الطريقة في معرفة الله ﷻ هي الطريقة التي دعا الله ﷻ الناس لها، قال شيخ الإسلام: "فهذا الطريق هو الصراط المستقيم، الذي دعا الله تعالى الناس فيها إلى معرفة وجوده، ونبههم على ذلك بما جعل في فطرهم من إدراك هذا المعنى.

ولهذا يجب على من كان وكده[1] طاعة الله في الإيمان به، وامتثال ما جاء به رسله، أن يسلك هذه الطريقة حتى يكون من العلماء الذين يشهدون لله بالربوبية مع شهادته لنفسه وشهادة ملائكته له" [2].

هذا مع أن طرق معرفة الصانع بالفطرة والضرورة، وبالنظر والاستدلال بنفس الذوات وصفاتها باب واسع كما يقول ابن تيمية [3].

وقد استدل كثيرٌ من الأئمة بالأدلة الكونية على وجود الحقّ تبارك وتعالى، فدحضوا من حاجّهم بالحق، فقد روي عن أبي حنيفة أن بعض الزنادقة سألوه عن وجود الباري تعالى، فقال لهم: دعوني فإني مفكرٌ في أمر قد أخبرت عنه ذكروا لي أن سفينة في البحر موقرة فيها أنواع من المتاجر، وليس بها أحد يحرسها ولا يسوقها، وهي مع ذلك تذهب وتجيء وتسير بنفسها، وتخترق الأمواج العظام حتى تتخلص منها، وتسير حيث شاءت بنفسها من غير أن يسوقها أحد، فقالوا: هذا شيء لا يقوله عاقل، فقال: ويحكم هذه الموجودات بما فيها من العالم العلوي والسفلي، وما اشتملت عليه من الأشياء المحكمة ليس لها صانع، فبهت القوم ورجعوا إلى الحقّ وأسلموا على يديه.

وعن الشافعي أنه سئل عن وجود الصانع، فقال: هذا ورق التوت طعمه واحد تأكله الدود فيخرج منه الإبريسم، وتأكله النحل فيخرج منه العسل، وتأكله الشاة والبقر والأنعام فتلقيه بعراً وروثاً، وتأكله الظباء فيخرج منها المسك، وهو شيءٌ واحد.

---

١) وكد: كلمة تدل على شدة وإحكام، وتأتي بمعنى: قصد الشيء واعتناؤه، أنظر معجم مقاييس اللغة (138/6).

٢) بيان تلبيس الجهمية (498/1).

٣) بيان تلبيس الجهمية (501/1).

وعن الإمام أحمد بن حنبل أنه سئل عن ذلك فقال: ههنا حصن حصين أملس ليس له باب ولا منفذ، ظاهره كالفضة البيضاء، وباطنه كالذهب الإبريز، فبينا هو كذلك إذ انصدع جداره فخرج منه حيوان سميع بصير ذو شكل حسن وصوت مليح، يعني بذلك البيضة إذا خرج منها الدجاجة"[1].

١) تفسير ابن كثير (312/1).

الفصل الثالث:

تقسيمات توحيد الألوهية لدى شيخ الإسلام ابن تيمية

وفيه ثلاثة عشر مبحثاً:

المبحث الأول: أقسام الناس في العبادة والاستعانة.

المبحث الثاني: أنواع الدعاء

المبحث الثالث: أنواع الذكر

المبحث الرابع: أقسام الدعاء عند القبور

المبحث الخامس: أقسام الاستغاثة

المبحث السادس: أنواع الاستغاثة المنفية

المبحث السابع: أنواع الشفاعة

المبحث الثامن: أقسام الناس في الشفاعة

المبحث التاسع: أنواع التوسل

المبحث العاشر: أقسام التوسل بدعاء النبي ﷺ

المبحث الحادي عشر: أنواع القسم بالمخلوق

المبحث الثاني عشر: أنواع الرقى

المبحث الثالث عشر : أنواع التنجيم

المبحث الأول: أقسام الناس في العبادة والاستعانة:

تمهيد

لما كانت الغاية من خلق الخلق عبادة الله وحده لا شريك له، كما قال سبحانه: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾[1]، وقد قرن الله ﷻ عبادته بالاستعانة به، فقال ﷻ ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝ ﴾[2]، قال الطبري: "لك اللهم نخشع، ونذلّ، ونستكين، إقراراً لك يا ربنا بالربوبية لا لغيرك، وإياك ربّنا نستعين على عبادتنا إياك، وطاعتنا لك، وفي أمورنا كلها لا أحد سواك؛ إذ كان من يكفر بك يستعين في أمور معبوده الذي يعبده من الأوثان دونك، ونحن بك نستعين في جميع أمورنا، مخلصين لك في العبادة"[3].

والعبادة في اللغة: الطاعة مع الخضوع[4].

وفي الاصطلاح عرفها شيخ الإسلام فقال هي: "ا سم جامع لما يحبه الله ويرضاه من الأعمال والأقوال الظاهرة والباطنة"[5].

وقال في موضع آخر: "العبادة اسم يجمع كمال الحب لله ونهايته، وكمال الذل لله ونهايته"[6].

أما "الاستعانة" فهي الاعتماد على الله تعالى في جلب المنافع، ودفع المضارّ، مع الثقة به في تحصيل ذلك[7].

وذكر ابن القيم أن الاستعانة تجمع أصلين "الثقة بالله، والاعتماد عليه"[8].

---

١) سورة الذاريات الآية رقم (56).

٢) سورة الفاتحة الآية رقم (5).

٣) تفسير الطبري (144/1).

٤) معجم تهذيب اللغة (2302/3)، الصحاح في اللغة (100/2). مادة: عَبَدَ

٥) مجموع الفتاوى (149/10).

٦) مجموع الفتاوى (19/10).

٧) تفسير السعدي (28/1) و لم أقف على حد للاستعانة ذكره شيخ الإسلام.

٨) مدارج السالكين (161/1).

أقسام الناس في العبادة والاستعانة عند شيخ الإسلام:

قسم شيخ الإسلام ابن تيمية الناس في عبادة الله والاستعانة به إلى أربعة أقسام، فقال: "الناس في عبادة الله واستعانته على أربعة أقسام فالمؤمنون المتقون هم له وبه، يعبدونه ويستعينونه، وطائفة تعبده من غير استعانة ولا صبر، ...، وطائفة فيهم استعانة وتوكل وصبر من غير استقامة على الأمر ولا متابعة للسنة ...، وشر الأقسام من لا يعبده ولا يستعينه" [١].

القسم الأول: من يعبده ويستعينه

فيعبدون الله وحده لا شريك له ويستعينونه، قال شيخ الإسلام في من حقق ذلك: "فالمؤمنون المتقون هم له وبه، يعبدونه ويستعينونه" [٢]، فهؤلاء حققوا أربعة أصول، أصلي الشرع وأصلي القدر[٣]، فكانوا لله وبالله وفي الله، وهؤلاء هم أهل القسط الذين شهدوا مقام الربوبية والألوهية [٤]،فيستمدون منه العون على عبادته ، قال ابن القيم: "فعبادة الله غاية مرادهم، وطلبهم منه أن يعينهم عليها، ويوفقهم للقيام بها ولهذا كان من أفضل ما يسأل الربّ تبارك وتعالى الإعانة على مرضاته، وهو الذي علّمه النبيّ ﷺ لحبّه معاذ بن جبل رضي الله عنه؛ فقال: ((**يا معاذ، والله إني لأحبك. فلا تدعن أن تقول في دبر كلّ صلاة: اللهم أعني على ذكرك، وشكرك، وحسن عبادتك**))"[٥][٦].

---

١) التدمريه (ص 234-235).

٢) التدمريه (ص234).

٣) أصلي الشرع كما ذكرهما شيخ الإسلام أن لا نعبد إلا الله، وأن نعبده بما شرع. انظر مجموع الفتاوى (234/10)، وأصلي القدر أن يستعين بالله في فعل ما أمر به ويتوكل عليه ويدعوه، الأصل الثاني أن يصبر على المقدور المجموع (122/3).

٤) انظر تقريب التدمرية لا بن عثيمين (ص133).

٥) رواه أبو داود حديث رقم (1522) كتاب الوتر (باب: في الاستغفار)، والنسائي حديث رقم (1303) كتاب السهو (باب: الدعاء بعد الذكر) وصححه ابن حبان (366/5)، والحاكم في المستدرك (397/1).

٦) مدارج السالكين (167/1).

القسم الثاني: من يعبده من غير استعانة ولا صبر.

فهم قد فاتهم التحقيق في أصلي القدر. قال شيخ الإسلام فيمن وقع في ذلك: " وطائفة تعبده من غير استعانة ولا صبر، فتجد عند أحدهم تحرّياً للطاعة والورع، ولزوم السنة، لكن ليس لهم توكل واستعانة وصبر، بل فيهم عجز وجزَع"[١].

فكان عندهم من عبادة الله تعالى والاستقامة في شرعه ما عندهم، لكن ليس عندهم قوة في الاستعانة بالله والصبر على أحكامه الكونية والشرعية، فيصيبهم عند العمل من العجز والكسل ما يمنعهم من العمل أو إكماله، ويلحقهم بعد العمل من العجب والفخر ما قد يكون سبباً لحبوط عملهم وخذلانهم، وهؤلاء أضعف ممن سبقهم وأدنى مقاماً وأقل عدلاً، لأن شهودهم مقام الإلهية غالبٌ على شهود مقام الربوبية[٢].

وهؤلاء نوعان:

النوع الأول: القدرية القائلون بأنه قد فعل بالعبد جميع مقدوره من الألطاف، وأنه لم يبق في مقدوره إعانة له على الفعل؛ فإنه قد أعانه بخلق الآلات وسلامتها، وتعريف الطريق، وإرسال الرسل، وتمكينه من الفعل، فلم يبق بعد هذا إعانة مقدورة يسأله إياها، بل قد ساوى بين أوليائه وأعدائه في الإعانة، فأعان هؤلاء كما أعان هؤلاء، ولكن أولياءه اختاروا لنفوسهم الإيمان، وأعداءه اختاروا لنفوسهم الكفر، من غير أن يكون الله سبحانه وفق هؤلاء بتوفيق زائد أوجب لهم الإيمان، وخذل هؤلاء بأمر آخر أوجب لهم الكفر، فهؤلاء لهم نصيب منقوص من العبادة لا استعانة معه، فهم موكلون إلى أنفسهم، مسدود عليهم طريق الاستعانة والتوحيد، قال ابن عباس رضي الله عنهما: "الإيمان بالقدر نظام التوحيد فمن آمن بالله وكذب بقدره نقض تكذيبه توحيده"[٣].

---

١) التدمرية (ص234).

٢) تقريب التدمرية لا بن عثيمين (ص134).

٣) الإبانة لابن بطة (158/2).

النوع الثاني: من لهم عبادات وأوراد ، ولكن حظهم ناقص من التوكل والاستعانة، لم تتسع قلوبهم لإرتباط الأسباب بالقدر، وتلاشيها في ضمنه، وقيامها به، وأنها بدون القدر كالموات الذي لا تأثير له، بل كالعدم الذي لا وجود له، وأن القدر كالروح المحرك لها والمعول على المحرك الأول.

فلم تنفذ قوى بصائرهم من المتحرك إلى المحرك، ومن السبب إلى المسبب، ومن الآلة إلى الفاعل، فضعفت عزائمهم وقصرت هممهم فقل نصيبهم من ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ولم يجدوا ذوق التعبد بالتوكل والاستعانة، وإن وجدوا ذوقه بالأوراد والوظائف[1].

القسم الثالث: من فيهم استعانة وتوكل وصبر من غير استقامة ولا متابعة للسنة.

فهم قد فاتهم التحقيق في أصلي الشرع ، فكانوا ضعفاء في الاستقامة على أمر الله تعالى ومتابعة شرعه، قال شيخ الإسلام في هؤلاء: " **وطائفة** فيهم استعانة وتوكل وصبر، من غير استقامة على الأمر ولا متابعة للسنة، فقد يمكّن أحدهم، ويكون له نوع من الحال باطناً وظاهراً، ويعطى من المكاشفات والتأثيرات ما لم يعطه الصنف الأول، ولكن لا عاقبة له، فإنه ليس من المتقين، والعاقبة للتقوى، فالأولون لهم دينٌ ضعيف، ولكنه مستمرٌّ باقٍ إن لم يفسده صاحبه بالجزع والعجز، وهؤلاء لأحدهم حال وقوّة، ولكن لا يبقى له إلا ما وافق فيه الأمر، واتبع فيه السنة"[2].

فهم عندهم قوة في الاستعانة بالله والتوكل عليه، لكن من غير استقامة على شرع الله ولا متابعة لسنة نبيه ﷺ، ومع هذا قد يكون لأحدهم نصيب من الحال، ولكن يكون ذلك في أمور لا يحبها الله تعالى ولا يرضاها، فيعان ويمكن له بقدر حاله، ويحصل له من المكاشفات والتأثيرات ما لا يحصل للقسم الذي قبله، لكن ما يحصل له من هذه الأمور يكون من نصيب العاجلة الدنيا، أما عاقبته فعاقبة سيئة ؛ لأنه ليس من المتقين ، وإنما العاقبة للمتقين قال الله تعالى﴿ فَإِذَا رَكِبُواْ فِي ٱلْفُلْكِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ

١) مدارج السالكين (171/1).
٢) التدمرية (ص234).

يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾ لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ ﴾[1]، فالله تعالى يعلم أن هؤلاء سيشركون بعد أن ينجيهم، لكن لما كانوا في البحر كانوا مخلصين في دعائهم لله تعالى أن ينجيهم، صادقين في تفويض الأمر إليه، حصل مرادهم، ولما لم يكن لهم عبادة لم يستقم أمرهم، وكان عاقبة أمرهم خسراً [2].

القسم الرابع: من لا يعبده ولا يستعينه.

فهم قد فاتهم تحقيق أصلي الشرع وأصلي القدر ، قال شيخ الإسلام: " وشر الأقسام من لا يعبده ولا يستعينه، فهو لا يشهد أن عمله لله، ولا أنه بالله" [3].

وقال في موضع آخر: "وشرٌّ من هؤلاء وهؤلاء، من لا تكون عبادته لله، ولا استعانته بالله، بل يعبد غيره ويستعين غيره، وهؤلاء المشركون من الوجهين، ومن هؤلاء من يكون شركه بالشياطين، كأصحاب الأحوال الشيطانية، فيتعلق بما يحبه الشياطين من الكذب والفجور، ويدعونه بأدعية تحبّها الشياطين، ويعزمون بالعزائم التي تطيعها الشياطين، مما فيها إشراك بالله، وهؤلاء قد يحصل لهم من الخوارق ما يظن أنه من كرامات الأولياء، وإنما هو من أحوال السحرة والكهان، ولهذا يجب الفرق بين الأحوال الإيمانية القرآنية، والأحوال النفسانية الشيطانية" [4].

فليس عندهم عبادة لله تعالى، ولا استعانة به ولا لجوء إليه عند الشدة، فهم مستكبرون عن عبادة الله، مستغنون بأنفسهم عن خالقهم، وربما لجئوا في الشدائد، لإدراك مطالبهم ، وربما كان لجوئهم إلى الشياطين، فأطاعوها فيما تريد، وأعانتهم فيما يريدون، فيظن الظانّ أن هذا من باب الكرامات، وهو من باب الإستدراج؛ لأن عاقبتهم الذل والهوان.

---

١) سورة العنكبوت الآية رقم (65 – 66).
٢) تقريب التدمرية لابن عثيمين (ص134).
٣) التدمرية (ص234).
٤) الفتاوى العراقية (600/2).

المبحث الثاني: أنواع الدعاء:

تمهيد

أصل الدعاء في اللغة: مصدر دعوت الشيء، أدعوه دعاء، وهو الرغبة إلى الله ﷻ [١].

واصطلاحاً قال شيخ الإسلام: "الدعاء هو قصد المدعو تارة لذاته، وتارة لمسألته أمرا منه" [٢].

وقال في موضع آخر: "الدعاء هو ذكر للمدعو سبحانه وتعالى متضمن للطلب والثناء عليه بأوصافه وأسمائه" [٣].

وقال الخطابي: "حقيقة الدعاء، استدعاء العبد ربه العناية، واستمداده المعونة، وحقيقة إظهار الافتقار إليه والبراءة من الحول والقوة التي له، وهو سمة العبودية، واستشعار الذلة البشرية، وفيه معنى الثناء على الله تعالى، وإضافة الجود والكرم إليه" [٤].

وقد أمر الله ﷻ بالدعاء في كل الأحوال، فقال تعالى ﴿ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةً﴾ [٥]، بل إن النبي ﷺ جعل الدعاء هو العبادة، فقال ﷺ: ((**الدعاء هو العبادة**)) [٦]، كما سماه الله ﷻ دينا، قال سبحانه عن المشركين إذا أصابتهم شدة: ﴿دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [٧].

---

١) مختار الصحاح (ص121)، لسان العرب (351/4). مادة: دعا

٢) بيان تلبيس الجهمية (531/4).

٣) مجموع الفتاوى (19/15).

٤) شأن الدعاء (ص 4).

٥) سورة الأعراف الآية رقم (55).

٦) رواه الترمذي حديث رقم (3372) كتاب الدعوات (باب: ما جاء في فضل الدعاء) وقال: حديث حسن صحيح، وقال ابن حجر: سنده جيد. أنظر فتح الباري (69/1)، وصححه ابن حبان في صحيحه (172/3).

٧) سورة لقمان الآية رقم (32).

وقد توعد سبحانه من يستكبر عن دعاءه، فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [1]، قال السدي: عن دعائي [2].

أقسام الدعاء عند شيخ الإسلام ابن تيمية:

قسم شيخ الإسلام ابن تيمية الدعاء إلى نوعين، قال –رحمه الله-: "لفظ الدعاء والدعوة في القران يتناول معنيين: دعاء عبادة، ودعاء مسألة" [3].

القسم الأول: دعاء العبادة.

قال شيخ الإسلام مبيناً دعاء العبادة: "دعاء الله قد يكون عبادة لله، فيثاب العبد عليه في الآخرة، مع ما يحصل له في الدنيا"[4].

وقال ابن رجب: "يكون الإتيان بالأسباب التي تقتضي حصول المطالب، وهو الاشتغال بطاعة الله وذكره، وما يجب للعبد أن يفعله، وهذا هو حقيقة الإيمان" [5].

فيتعبد الله ﷻ بدعائه إما بالثناء عليه بأسمائه وصفاته، وإما بذكره والاشتغال بطاعته وهذا يدخل فيه كل العبادات، قال شيخ الإسلام: "فهو سبحانه مستحق التوحيد الذي هو دعاؤه وإخلاص الدين له، دعاء العبادة بالمحبة، والإنابة، والطاعة، والإجلال والإكرام، والخشية والرجاء، ونحو ذلك من معاني تألهه وعبادته"[6].

وقال الشيخ سليمان بن عبد الوهاب: "وأما دعاء العبادة فهو عبادة الله تعالى بأنواع العبادات من الصلاة والذبح والنذر والصيام والحج وغيرها، خوفاً وطمعاً يرجو رحمته ويخاف عذابه، وإن لم يكن في ذلك صيغة سؤال وطلب، فالعابد الذي يريد الجنة، ويهرب

---

١) سورة غافر الآية رقم (60).

٢) تفسير الطبري (7154/9).

٣) مجموع الفتاوى (237/10-238).

٤) اقتضاء الصراط المستقيم (317/2).

٥) فتح الباري لا بن رجب (18/1).

٦) مجموع الفتاوى (456/2).

من النار، وهو سائل راغب راهب، يرغب في حصول مراده، ويذهب من فواته، وهو سائل لما يطلبه بامتثال الأمر في فعل العبادة "[١].

القسم الثاني: دعاء المسألة.

قال شيخ الإسلام مبينا دعاء المسألة: "هو طلب ما ينفع الداعي، وطلب كشف ما يضره" [٢].

وقال في موضع آخر: "وقد يكون –أي: الدعاء– دعاء مسألة تقضي به حاجته، ثم قد يثاب عليه، إذا كان مما يحبه الله وقد لا يحصل له إلا تلك الحاجة، وقد يكون سبباً لضرر في دينه فيعاقب على ما ضيعه من حقوق الله سبحانه، وعلى ما تعداه من حدوده" [٣]، فهو سؤال له سبحانه بأسمائه الحسنى بما ينفع الداعي، إما لجلب نفع أو دفع ضرّ.

وقد فسّر قوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡ﴾[٤]، بالوجهين،قيل: أعبدوني وامتثلوا أمري أستجب لكم، وقيل: سلوني أعطكم [٥].

فإن في قوله تعالى ﴿فَٱدۡعُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾[٦] دعاءعبادة،وأما في قوله: ﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدۡعُواْ ٱلرَّحۡمَٰنَ﴾[٧] دعاء مسألة.

العلاقة بين العابد والسائل عند شيخ الإسلام:

قال شيخ الإسلام مبينا العلاقة بين العابد والسائل: "فكل عابد سائل، وكل سائل عابد، فأحد الاسمين يتناول الآخر عند تجرده عنه، ولكن إذا جمع بينهما فإنه يراد بالسائل الذي

---

١) تيسير العزيز الحميد (ص182).

٢) مجموع الفتاوى (10/15).

٣) اقتضاء الصراط المستقيم (317/2).

٤) سورة غافر الآية رقم (60).

٥) مجموع الفتاوى (239/10). جلاء الأفهام (ص 160).

٦) سورة غافر الآية رقم (14).

٧) سورة الإسراء الآية رقم (110).

يطلب جلب المنفعة ودفع المضرة، بصيغ السؤال والطلب، ويراد بالعابد من يطلب ذلك بامتثال الأمر وإن لم يكن ذلك في صيغة السؤال" (١).

الفرق بين دعاء العبادة ودعاء المسألة

الفرق بين دعاء العبادة ودعاء المسألة، أن دعاء العبادة يكون في كلّ عبادة يبتغي بها وجه الله ﷻ ورضاه، فيخافه ويرجوه فيها.

أما دعاء المسألة فهو دعاء لجلب منفعة أو دفع مضرة دنيوية كانت أو أخروية، وكلّ نوع مستلزم للآخر، قال شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله-: "إن النوعين متلازمان فكل دعاء عبادة مستلزم لدعاء المسألة، وكل دعاء مسألة متضمن لدعاء العبادة" (٢).

وقد جمع الله ﷻ النوعين في قوله ﴿قُلْ مَا يَعْبَؤُا۟ بِكُمْ رَبِّى لَوْلَا دُعَآؤُكُمْ﴾ (٣) أي: لولا عبادتكم الشاملة لنوعيها، دعاء عبادة تجمع أنواع العبادة الظاهرة والباطنة من الأقوال والأعمال والنيات، والتروك التي تملأ القلوب بعظمة الله وجلاله، وكذلك دعاء المسألة والطلب وهو دعاء العبد ربه وطلبه إياه وسؤاله ما ينفعه (٤).

فلا يصرف شيئا منها لغير الله فمن صرف شيئا من هذين النوعين كمن دعا غير الله أو صلى لغيره فقد أشرك شركاً أكبر. قال شيخ الإسلام –رحمه الله-: "من جعل بينه وبين الله وسائط يتوكل عليهم ويدعوهم ويسألهم كفر إجماعا" (٥).

أقسام الدعاء عند شيخ الإسلام باعتبار حكمه:

لشيخ الإسلام تقسيماً للدعاء باعتبار حكمه، فيقسمه إلى ثلاثة أنواع:النوع الأول دعاء أمر به أمر إيجاب أو استحباب، والنوع الثاني دعاء نهي عنه، والنوع الثالث دعاء مباح (٦).

---

١) مجموع الفتاوى (240/10).
٢) مجموع الفتاوى (11/15).
٣) سورة الفرقان الآية رقم (77).
٤) انظر تفسير الطبري (6182/8) وتصحيح الدعاء (ص17).
٥) الفتاوى الكبرى (535/5).
٦) مجموع الفتاوى (712/10-714).

النوع الأول: ما أمر الله به أمر إيجاب أو استحباب

فمما أمر الله به أمر إيجاب أو استحباب، قوله تعالى ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦ ﴾ [1]، ومثل: ذلك الدعاء أمر النبي ﷺ بقوله ((**إذا تشهد أحدكم في الصلاة فليستعذ بالله من أربع: من عذاب جهنم وعذاب القبر وفتنة المحيا والممات وفتنة المسيح الدجال**))[2] [3]، فهذا النوع من الدعاء هو عامة، ما جاءت به الشريعة من الدعاء في العبادات أو خارجها سواء كان للوجوب أو للاستحباب.

النوع الثاني: المنهي عنه

وهو ما نهى الله ﷻ عنه، أو رسوله ﷺ قال شيخ الإسلام: "ك الاعتداء –أي في الدعاء- مثل أن يسأل الرجل مالا يصلح من خصائص الأنبياء وليس هو بنبي، وربما هو من خصائص الربّ سبحانه وتعالى ، مثل أن يسأل لنفسه الوسيلة التي لا تصلح إلا لعبدٍ من عباده، أو يسأل الله تعالى أن يجعله بكل شيء عليما، أو على كل شيء قدير، وأن يرفع عنه كل حجاب يمنعه من مطالعة الغيوب ، وأمثال ذلك، أو مثل من يدعوه ظاناً أنه محتاج إلى عباده، وأنهم يبلغون ضرّه ونفعه فيطلب منه ذلك الفعل ، ويذكر أنه إذا لم يفعله حصل له من الخلق ضير، وهذا ونحوه جهل بالله واعتداء في الدعاء" [4].

وقال ابن القيم: "فكل سؤال يناقض حكمة الله أو يتضمن مناقضة شرعه وأمره، أو يتضمن خلاف ما أخبر الله به فهو اعتداء لا يحبه الله ولا يحب سائله" [5].

وقد قال سبحانه﴿ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةًۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ﴾[6]، قال شيخ الإسلام وهذا" دليل على أن من لم يدعه تضرّعاً وخفية، فهو من المعتدين الذين لا يحبهم" [7].

---

١) سورة الفاتحة الآية رقم (6).

٢) رواه مسلم حديث رقم (588) كتاب المساجد (باب: ما يستعاذ مكنه في الصلاة).

٣) انظر مجموع الفتاوى (713/10).

٤) مجموع الفتاوى (713/10-714).

٥) بدائع الفوائد (854/3).

٦) سورة الأعراف الآية رقم (55).

٧) مجموع الفتاوى (24/15).

النوع الثالث: المباح من الدعاء

فالله ﷻ أباح هذا الدعاء وذلك كطلب عموم الحوائج التي لا معصية فيها، وهذا كما ورد عن كثير من السلف أنهم يسألون الله حتى شسع النعل، وملح العجين، فهذا فيه إظهارٌ لضعف العبد ومسكنته وفقره، وهذا عام جاء القرآن بالحث عليه، كما في قوله سبحانه ﴿ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ﴾ [1]، فهذا في كل ما يحتاجه العبد في أمور دينه، أو دنياه، أو آخرته.

أنواع الاعتداء في الدعاء عند شيخ الإسلام:

قسم شيخ الإسلام الاعتداء في الدعاء باعتبار تعلقه بنوعي الدعاء إلى نوعين:

النوع الأول: اعتداء في دعاء المسألة وقد سبق بيانه في الدعاء المنهي عنه ويقع على قسمين

١) أن يسأل ما لا يجوز له سؤاله من المعونة على المحرمات.

٢) أن يسأل ما لا يفعله الله مثل أن يسأل تخليده إلى يوم القيامة ونحو ذلك[2].

النوع الثاني: اعتداء في دعاء العبادة:

وذلك بعبادته من غير إتباع لشرعه قال شيخ الإسلام: "ومن الاعتداء أن يعبده بما لم يشرع ويثني عليه بما لم يثن على نفسه ولا أذن فيه، فإن هذا اعتداء في دعائه: الثناء والعبادة وهو نظير الاعتداء في دعاء المسألة والطلب"[3].

---

١) سورة غافر الآية رقم (60).

٢) مجموع الفتاوى (22/15).

٣) مجموع الفتاوى (23/15).

المبحث الثالث: أنواع الذكر:

تمهيد

الذكر في اللغة هو الصيت والثناء والشرف [١].

وفي الاصطلاح قال شيخ الإسلام: "الذكر هو كلامه المنزل، أو هو ذكر العبد له"[٢].

وكل شيء فيه تعظيمٌ لله عَجَّلَ وذكرٌ له فهو داخلٌ فيه، والدعاء داخل فيه، فهو نوع من الذكر، "مع أن جنس الذكر أفضل من جنس الدعاء"[٣].

وقد ندب الشرع إلى الذكر في مواضع كثيرة، حتى أنه لم يطلب في تكثير عبادة من العبادات،ما طلب من التكثير من الذكر،[٤] قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ۝٤١﴾[٥]، وأفضل الذكر قراءة القران؛ لأنه مشتمل على جميع أنواع الذكر له سبحانه، مع أنه قد يكون المفضول في مواضع أولى من الفاضل[٦].

أنواع الذكر عند شيخ الإسلام:

قسّم شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله- الذكر إلى ثلاثة أنواع، قال-رحمه الله: "والذكر ثلاثة أنواع أفضله ما كان ثناء على الله ثم ما كان إنشاء من العبد أو اعتراف بما يجب لله عليه، ثم ما كان دعاء من العبد" [٧].

١) مختار الصحاح ص (130)، معجم تهذيب اللغة (1286/2).
٢) مجموع الفتاوى (335/13).
٣) مجموع الفتاوى (427/10)، الوابل الصيب (ص 222).
٤) الاعتصام للشاطبي (ص203).
٥) سورة الأحزاب الآية رقم (41).
٦) انظر مجموع الفتاوى (63/23).
٧) مجموع الفتاوى (342/22).

النوع الأول: الثناء على الله.

وهو ذكره ﷻ بأسمائه وصفاته، والثناء عليه بها، وتتريهه وتقديسه عما لا يليق به تبارك وتعالى، قال ابن القيم: "الذكر ثناء على الله ﷻ بجميل أوصافه، وآلائه، وأسمائه" [١]، وبين شيخ الإسلام هذا النوع بقوله: "وذلك مثل النصف الأول من الفاتحة، ومثل سبحانك اللهم وبحمدك، وتبارك إسمك، وتعالى جدك، ولا إله غيرك" [٢]، ومثل التسبيح في الركوع والسجود" [٣].

وهذا يقع في أمرين، كما قال ابن القيم: "**الأول:** إنشاء الثناء عليه بها من الذاكر، وهذا النوع هو المذكور في مثل قوله ﷺ: ((**سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر**))[٤]، وكما في قوله ﷺ: ((**سبحان الله وبحمده**))[٥]، وقوله: ((**لا إله إلا الله وحده لا لا شريك له الملك وله الحمد وهو على كلّ شيء قدير**))[٦]، وحديث جويرية ﵂ ((**لقد قلت بعدك أربع كلمات، ثلاث مرات، لو وزنت بما قلت منذ اليوم لوزنتهن، سبحان الله عدد خلقه، سبحان رضا نفسه، سبحان الله زنة عرشه، سبحان الله مداد كلماته**)) [٧].

الثاني: الخبر عن الله سبحانه بأحكام أسمائه وصفاته، كأنه على كلّ شيء قدير، وهو أفرح بتوبة عبده من الفاقد راحلته الواجد ونحو ذلك"[٨]، وذلك أن أسماء الله متضمنة

١) الوابل الصيب (ص222).

٢) رواه مسلم حديث رقم (399) كتاب الصلاة (باب: حجة من قال لا يجهر بالبسملة).

٣) مجموع الفتاوى (343/22).

٤) رواه البخاري كتاب الأيمان والنذور (باب: إذا قال: والله لا أتكلم اليوم)، و رواه مسلم حديث رقم (2137) كتاب الآداب (باب: كراهية التسمية بالأسماء القبيحة).

٥) رواه البخاري حديث رقم (6405) كتاب الدعوات (باب: فضل التسبيح)، ورواه مسلم حديث رقم (2694) كتاب الذكر والدعاء (باب: فضل التهليل والتسبيح والدعاء).

٦) رواه البخاري حديث رقم (3293) كتاب بدء الخلق (باب: صفة إبليس وجنوده).

٧) رواه مسلم حديث رقم (2725) كتاب الذكر والدعاء (باب: التسبيح أول النهار).

٨) الوابل الصيب ص (291).

شيئين: الثناء على الرب سبحانه ومدحه بها، ولهذا حث النبي ﷺ على إحصائها وحفظها، فقال: ((**إن لله تسعة وتسعين أسماً، مائة إلا واحد، من أحصاها دخل الجنة**))[1]، والإخبار بها ذلك أن له سبحانه الأسماء الحسنى، والصفات العلى، فله الكمال المطلق، وهو منزه عن كلّ نقص وعيب، وأفضل هذا الثناء عليه بما أثنى به على نفسه، وبما أثنى عليه رسوله ﷺ، فيستلزم هذا أن تكون العبادة كلها له سبحانه، وأن لا يصرف شيء منها لغيره.

النوع الثاني من أنواع الذكر: إنشاء من العبد

فينشئ العبد ذكراً، ويعترف بما يجب لله عليه، فيذكر الله ﷻ بما يرى من عظمته، ويتوجه إليه، ويقر بكلّ ما يجب لله ﷻ، قال شيخ الإسلام: "وذلك مثل قوله تعالى ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا﴾[2]، ومثل قوله في الركوع والسجود والسجود: ((**اللهم لك ركعت...، ولك سجدت...**))"[3][4] ونحو ذلك، مما هو ثناء عليه عليه بعبادته، وشكره، وذكره، من دون ذكر أسماءه أو صفاته، فهو شامل لتعظيمه، وإظهار الفقر والعبودية له.

النوع الثالث: دعاء من العبد

وهذا شاملٌ لما يكون داخل العبادات أو خارجاً عنها، ولهذا كان الدعاء نوعاً من الذكر له سبحانه، قال شيخ الإسلام وهذا النوع من الذكر: "مثل قوله ﷺ في دعاء الاستفتاح ((**اللهم باعد بيني وبين خطاياي كما باعدت بين المشرق والمغرب**))[5]، وكذلك الدعاء في في الركوع والسجود ونحوه"[6].

---

١) رواه البخاري حديث رقم (7392) كتاب التوحيد (باب: إن لله تسع وتسعين اسماً)، ورواه مسلم حديث رقم (2677) كتاب الذكر والدعاء (باب: في أسماء الله تعالى وفضل من أحصاها).

٢) سورة الأنعام آية رقم (79).

٣) رواه مسلم حديث رقم (771) كتاب الصلاة (باب: استحباب تطويل القراءة في صلاة الليل وقيامه).

٤) مجموع الفتاوى (343/22).

٥) رواه البخاري حديث رقم (744) كتاب الأذان (باب: ما يقول بعد التكبير).

٦) مجموع الفتاوى (343/22).

والذكر يكون بالقلب واللسان، ويكون بالقلب دون اللسان.

قال ابن القيم: "وهي تكون- أي الذكر- بالقلب واللسان تارة، وذلك أفضل الذكر.

وبالقلب وحده تارة، وهي الدرجة الثانية.

وباللسان وحده تارة، وهي الدرجة الثالثة.

فأفضل الذكر ما تواطأ عليه القلب واللسان، وإنما كان ذكر القلب وحده أفضل من ذكر اللسان وحده؛ لأن ذكر القلب يثمر المعرفة، ويهيج المحبة، ويثير الحياء، ويبعث على المخافة، ويدعو إلى المراقبة، ويردع عن التقصير في الطاعات، والتهاون في المعاصي والسيئات، وذكر اللسان وحده لا يوجب شيئاً من ذلك الإثمار، وإن أثمر شيئاً منها فثمرته ضعيفة" [١].

فالذكر الذي في القلب، الفكر في عظمة الله تعالى، وجلاله، وجبروته، وملكوته، وآياته في سمواته وأرضه[٢]، أما الذي في اللسان فهو شاملٌ لجميع أنواع الذكر، من الثناء عليه وحمده، وتمجيده، وسؤاله.

وقد جمع الله ﷻ بين هذين في وصف عباده المؤمنين، فقال فيهم ﴿ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [٣].

فهم مع ذكرهم له سبحانه فإنهم يتفكرون في مخلوقاته وهذا من أتمّ العبادة.

---

١) الوابل الصيب (ص221).

٢) شرح مسلم للنووي (18/9).

٣) سورة آل عمران آية رقم (191).

المبحث الرابع: أقسام الدعاء عند القبور:

تمهيد

الدعاء من العبادات التي لا يجوز صرف شيء منها لغير الله ﷻ، وقد جاء الشارع الحكيم بحسم كل مادة توصل للشرك، فإن الله بعث الرسل بعبادة الله وحده لا شريك له، ودعائه وحده لجلب المنافع، ودفع المضار، ولهذا كان السلف من الصحابة والتابعين حريصين على المنع من كل ما قد يجرّ إلى الشرك، ومن أعظم ذلك الدعاء عند القبور وتعظيمها، وقد حذّر رسول الله ﷺ عند موته من ذلك أشد التحذير، فقال: ((**لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**)) يحذر ما صنعوا"[1].

وقد أجمع السلف على أنه لا يشرع عند القبور شيءٌ من الصلاة والدعاء ونحوها من العبادات [2].

والذي شرعه الرسول ﷺ عند زيارة القبور كما قال شيخ الإسلام : "إنما هو تذكر الآخرة، والإحسان إلى المزور بالدعاء له، والترحم عليه، والاستغفار له، وسؤال العافية له، فيكون الزائر محسناً إلى نفسه وإلى الميّت، فقلب هؤلاء المشركون الأمر، وعكسوا الدين وجعلوا المقصود بالزيارة الشرك بالميّت، ودعاءه والدعاء به، وسؤاله حوائجهم، واستنزال البركات منه، ونصره لهم على الأعداء، ونحو ذلك.

فصاروا مسيئين إلى نفوسهم وإلى الميت، ولو لم يكن إلا بحرمانه بركة ما شرعه الله تعالى من الدعاء له والترحم عليه والاستغفار له" [3].

---

١) رواه البخاري حديث رقم (435) كتاب الصلاة (باب: الصلاة في البيعة). ومسلم حديث رقم (529) بلفظ: لعن في كتاب المساجد (باب: النهي عن إقامة القبور على المساجد).

٢) أنظر مجموع الفتاوى (448/27).

٣) إغاثة اللهفان (310/1).

أقسام الدعاء عند القبور عند شيخ الإسلام:

قسّم شيخ الإسلام الدعاء عند القبور إلى نوعين: فقال: "الدعاء عند القبور وغيرها من الأماكن ينقسم إلى نوعين، أحدها: أن يحصل الدعاء في البقعة بحكم الاتفاق ... ، الثاني: أن يتحرى الدعاء عندها"[١].

القسم الأول: أن يحصل الدعاء في البقعة بحكم الاتفاق.

فيوافق الدعاء أن يكون في تلك البقعة بغير قصد من الداعي، قال شيخ الإسلام: " أن يحصل الدعاء في البقعة بحكم الاتفاق، لا لقصد الدعاء فيها، كمن يدعو الله في طريقه، ويتفق أن يمرّ بالقبور، أو كمن يزورها فيسلم عليها، ويسأل الله العافية له وللموتى، كما جاءت به السنة، فهذا ونحوه لا بأس به" [٢].

فهذا يكون بغير قصد من الداعي ولا رغبة منه في ذلك المكان، بل وافقه ذلك المكان وهو يدعوا، فهذا لا بأس به؛ لأنه لم يقصد الدعاء عند القبور لذاته، أو كمن يزور القبور ثم يدعوا لهم كما جاء عن النبي ﷺ في الدعاء لأهل القبور في مثل قوله ﷺ ((**السلام على أهل الديار من المسلمين والمؤمنين، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون، أسأل الله لنا ولكم العافية**))[٣]، ونحو ذلك من الأدعية المأثورة، فهذا يثاب صاحبه عليه لكونه مشروعاً.

النوع الثاني: أن يتحرى الدعاء عندها.

فيكون متعمداً الدعاء عندها، ويقصد ذلك سواء عند قبور الأنبياء أو قبور الصالحين، أو الأولياء، أو غيرهم.

قال شيخ الإسلام: " أن يتحرّى الدعاء عندها، بحيث يستشعر أن الدعاء هنا وهناك، أجوب منه في غيره، فهذا النوع منهيّ عنه، إما نهي تحريم، أو تنزيه، وهـــو إلى التحريم أقرب" [٤].

---

١) اقتضاء الصراط المستقيم (195/2).

٢) اقتضاء الصراط المستقيم (195/2).

٣) رواه مسلم حديث رقم (974) كتاب الجنائز (باب: ما يقال عند دخول المقابر).

٤) اقتضاء الصراط المستقيم (195/2).

الشبه المتعلقة بالدعاء عند القبور ورد شيخ الإسلام عليها:

من شبههم أنهم يحكون أفعالاً عن بعض من عرف بالفضل عندهم في العلم والعمل، مضمونها أنه كان هؤلاء الفضلاء يتحرون الدعاء عند القبور والعكوف عليها، وفي هؤلاء من كان بارعاً في العلم الشرعي، ومنهم من كانت له كرامات معروفة عند الناس، كما أنه فيما عرف بالتجربة العلمية أن بعض الناس دعوا أصحاب القبور، أو دعوا الله عندها، فتحقق مطلوبهم، وكشف مرهوبهم.

وقد أبطل ابن تيمية هذه الشبهة من وجوه:

أولا: أن المنقول عن السلف النهي عن ذلك، ولا نعلم في ذلك نقلاً ثابتاً عن القرون الثلاثة المفضلة، والتي عدلت من المصطفى ﷺ مع قيام ما يقتضي أمرهم بذلك عندهم، فإنهم كانوا أحرص الناس على تتبع الفضائل، والمسابقة إلى ما فيه أجرٌ وثواب، فعدم أمرهم بذلك، وعدم فعلهم له مع قيام المقتضي لو كان ذا فضيلة، يوجب لنا القطع بأنه لا فضل في ذلك أصلا [١].

ثانيا: أن ما ادعيتموه لأصحاب القبور نظيره موجود عند اليهود والنصارى، فإن لهم من الحكايات والأقيسة ما يحتجون به على عبادة أصحاب القبور، بل وإن المشركين من العرب ليقولون ذلك، فإنهم يدعون أن أوثانهم إذا دعوها استجابت لهم، وإذا كان ما ذكر من إستجابة الدعاء عندها دليل على أن ما إدعيتموه لأصحاب القبور يحبه الله ويرضاه، فإنه يلزم من ذلك أن ما يفعله اليهود والنصارى والمشركون ويقولونه مما يحبه الله ويرضاه، وهذا كفرٌ متناقض [٢].

ثالثا: مبنى شبهتم على أمرين أحدهما منقول والآخر معقول:

فالأمر الأول المنقول: الحكاية عن بعض الأعيان من العلماء والعباد أنهم فعلوا ما يدل على العكوف على القبور، وتحري الدعاء عندها.

---

١) انظر اقتضاء الصراط المستقيم (205/2).

٢) انظر اقتضاء الصراط المستقيم (208/2).

وجوابه أن هذا المنقول لا يخلو من أمرين:

الأول: إما أن يكون كذباً محضاً، فلا يصلح للإحتجاج.

الثاني: وإما أن يكون غلطاً ممن فعله، فلا يكون حجة، والثابت بالشرع قطعاً النهي عنه، والإنكار على من فعله.

الأمر الثاني المعقول: ما وقع من تجارب وأقيسه تدل على أن الدعاء عندها نافع ومفيد، والجواب عليه من أوجه:

الوجه الأول: أن ما يدعى من الأقيسة والتجارب فإن عامة ما ذكر منه كذب وغير صحيح.

الوجه الثاني: أنه لو فرض صحة بعضه فإن ذلك نادر جداً، فإن الواحد منهم يدعوه المرّات الكثيرة، فلا يستجاب له إلا مرة واحدة، وقد يدعوا الجمع الكثير منهم، فلا يستجاب لأحد إلا نادراً، مع أن أهل الإخلاص يدعون الله فلا تكاد تردّ دعوتهم إلا لوجود مانع، مع أن هؤلاء المقبوريين إذا استجيب لأحدهم في النادر؛ فإنه يضعف توحيده، ويقلّ نصيبه من ربه، ولا يجد في قلبه من ذوق الإيمان وحلاوته ما كان يجده السابقون، ولعله لا يبارك له في حاجته، ثم إنه قد يكون سبب قضاء حاجته أن الداعي قد يكون مضطرا ضرورة لو دعا بها مشرك عند وثن لاستجيب له، لصدق توجهه إلى الله [(1)].

الوجه الرابع: أن المؤثرات كثيرة، لكن منها ما أباحه الشارع أو أوجبه، ومنها ما حرّمه، مثل السحر والطلاسم فلا يكفي كونه سبباً، أن يكون مباحاً، وعليه فلا يجوز للعبد أن يقارف من الأسباب إلا ما أجازه الشارع وأذن به [(2)].

الوجه الخامس: أن اعتبار ذلك كرامة لأصحاب القبور غير صحيح؛ لأنه قد ثبت عدم اختصاصه بالمؤمنين من جهة.

ومن جهة أخرى فإن الكرامة الحقيقية هي فيما نفعت في الآخرة أو نفعت في الدنيا بلا ضرر ولا مفسدة، وهذا ما لم يكن في الاستجابة لأصحاب القبور، وإلا فإن الله يسبغ على

---

١) انظر اقتضاء الصراط المستقيم (2/209-213).

٢) انظر اقتضاء الصراط المستقيم (2/214).

الكافر النعم لكنه يحاسبه عليها في الآخرة، فتكون زيادة في ذنبه لعدم شكره إياها، وأداء حقها، كما قال تعالى: ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ۝٥٥ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ بَل لَّا يَشْعُرُونَ ۝٥٦﴾[1]، وقال جل شأنه: ﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ۝٤٤﴾[2].

فكانت النعم استدراجاً لهم، فلا تكون كرامة لمن وقعت منه أو له[3].

---

١) سورة المؤمنون الآية رقم (55 – 56).

٢) سورة الأنعام الآية رقم (44).

٣) انظر اقتضاء الصراط المستقيم (221/2).

المبحث الخامس: أقسام الاستغاثة:

تمهيد

الاستغاثة في اللغة: قال ابن منظور [١]: غوّث الرجل، واستغاث: صاح واغوثاه [٢].

وفي الاصطلاح: قال شيخ الإسلام "الاستغاثة: طلب الغوث، وهو إزالة الشدة" [٣].

والفرق بين الاستغاثة والدعاء، أن الاستغاثة لا تكون إلا من مكروب، فالدعاء أعم من الاستغاثة؛ لأنه يكون من المكروب وغيره، فعطف الدعاء على الاستغاثة من عطف العامّ على الخاص[٤].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله- مبينا الاستغاثة ومعناها : "ولهذا قال المصنفون في شرح أسماء الله الحسنى أن المغيث بمعنى المجيب، لكن الإغاثة أخص بالأفعال، والإجابة أخص بالأقوال"[٥].

---

١) محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى، صاحب (لسان العرب): الإمام اللغوي الحجة، من نسل رويفع بن ثابت الأنصاري، ولد بمصر (وقيل: في طرابلس الغرب) وخدم في ديوان الإنشاء بالقاهرة، ثم ولي القضاء في طرابلس، وعاد إلى مصر فتوفى فيها، وقد ترك بخطه نحو خمسمائة مجلد، وعمي في آخر عمره، قال ابن حجر: كان مغرى باختصار كتب الأدب المطولة، وقال الصفدي: لا أعرف في كتب الأدب شيئا إلا وقد اختصره. ولد سنة630هـــ وتوفي سنة 711 هـــ أنظر الدرر الكامنة لابن حجر (262/4)، أبجد العلوم للقنوجي (10/3)، الأعلام للزركلي (108/7).

٢) لسان العرب لابن منظور (132/10).

٣) مجموع الفتاوى (103/1)، الرد على البكري (367/1).

٤) تيسير العزيز الحميد (ص 171)، وفتح المجيد (ص179).

٥) مجموع الفتاوى (105/1).

أقسام الاستغاثة عند شيخ الإسلام:

يقسم شيخ الإسلام الاستغاثة بالمخلوق من ناحية حال المستغاث به إلى قسمين فيقول: الاستغاثة" تنقسم إلى الاستغاثة بالحيّ، والاستغاثة بالميت" [١].

القسم الأول: الاستغاثة بالحيّ.

فيطلب الغوث من الحيّ، وقد ذكر شيخ الإسلام أنها نوعان: الأول: فيما يقدر عليه، والثاني: فيما لا يقدر عليه، فإن كان فيما لا يقدر عليه فهذا هو الممنوع، وإن كان فيما يقدر عليه، فليس بممنوع [٢]، فإن كان فيما يقدر عليه فهي كالسؤال بل هي نوعٌ منه، وتكون من قبيل تحصيل الأسباب التي أمرنا أن نجعل لها اعتباراً في السعي إلى حاجتنا ومطالبنا، لكن ينبغي أن لا يعوّل على هذه الأسباب وحدها؛ فإن ذلك ينافي التوكل على الله كما أنه إذا قصّر فيها فإنه متواكل ومضيّع ، قال الشيخ سليمان بن عبد الوهاب: "والاستغاثة تجوز في الأسباب الظاهرة العادية من الأحوال الحسيّة" [٣].

ومثل هذا النوع من الاستغاثة، ما رواه الطبراني[٤] أنه كان في زمن النبي ﷺ منافق يؤذي المؤمنين، فقال بعضهم: قوموا بنا نستغيث برسول الله ﷺ من هذا المنافق، فقال النبي ﷺ: ((**إنه لا يستغاث بي إنما يستغاث بالله**)) [٥].

---

١) الردّ على البكري (587/2).

٢) أنظر تلخيص الاستغاثة (ص68).

٣) تيسير العزيز الحميد (ص 187).

٤) هو الإمام الحافظ سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الطبراني، روى عن النسائي وإسحاق بن إبراهيم ومات سنة 360هـــ، أنظر سير أعلام النبلاء (201/12) لسان الميزان (125/4).

٥) رجاله رجال الصحيح غير ابن لهيعة وهو حسن الحديث، كما ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد كتاب الأدعية (246/10) والحديث وإن كان فيه ابن لهيعة وقد ضعفه كثير من أهل العلم، لكن الحديث له شواهد كثيرة من الكتاب والسنة، وقد نبه شيخ الإسلام إلى قاعدة مهمة في هذا الباب فقال: "وأهل الحديث لا يستدلون بحديث ضعيف في نقض أصل من أصول الشريعة، بل إما في تأييده، وإما في فرع من الفروع". أنظر مجموع الفتاوى (25/4).

ومرادهم بالاستغاثة به فيما يقدر عليه بكف المنافق عن أذاهم، وفي نفي النبي ﷺ الاستغاثة به مع أنه من باب الطلب والسؤال الجائز، إنما هو عن باب التأدب مع الله في الألفاظ، وحماية جناب التوحيد، والجمع بين هذا الحـــديث وبـين ﴿فَٱسۡتَغَٰثَهُ ٱلَّذِي مِن شِيعَتِهِۦ﴾ [1]، أن الآية تحمل على الجواز، والحديث في الأدب والأولى[2].

أما النوع الثاني من الاستغاثة بالحيّ: الاستغاثة بالمخلوق فيما لا يقدر عليه إلا الله فهو شرك أكبر؛ لأنه صرفٌ للعبادة لغير الله سبحانه[3].

فالاستغاثة نوع من الدعاء فإذا استغاث المخلوق فيما لا يقدر عليه إلا الله كإزالة المرض، والانتصار على العدو، وهداية القلب، فقد ارتكب أعظم أنواع الشرك؛ لأنه من خصائص الألوهية إفراد الله بالعبادة.

وهذا مثل ما قال أحد السلف: " استغاثة المخلوق بالمخلوق، كاستغاثة المسجون بالمسجون"[4].

القسم الثاني: الاستغاثة بغير الله.

وهذا من الشرك الذي توعد الله صاحبه؛ فإنه لا يجوز لأحد من خلق الله أن يجعل بينه وبين أحد من خلقه واسطة، سواء سمى ذلك استغاثة أو توسلاً أو غير ذلك؛ فإنه وإذا اختلفت المسميات فإن القصد والإرادة واحدة، فالحكم واحدٌ لا يتعدد.

وهذا النوع من الاستغاثة يقع فيه كثير من الجهال، قال شيخ الإسلام: " وهذا يكثر في المتأخرين، وكثير منهم إذا استغاث بالشيخ رأى صورته، وربما قضى حاجته، فيظن أنه الشيخ نفسه، أو أنه ملَك تصوّر على صورته، ولا يعلم أن هذا من جنس ما تفعله الشياطين بعباد الأوثان، وهذه كلها بدع محدثة في الإسلام بعد القرون الفاضلة" [5].

---

١) سورة القصص الآية رقم (15).
٢) تيسير العزيز الحميد (ص193)، وفتح المجيد (ص 192).
٣) تيسير العزيز الحميد (ص 193).
٤) الرد على البكري (524/2).
٥) الرد على البكري (334/1).

ولفظ الاستغاثة لفظ مجمل، وقد نقل ش يخ الإسلام موقف الأئمة من هذا اللفظ فقال: "لا يعرف عن أحد من الأئمة أنه جوّز مطلق الاستغاثة بغير الله، ولا أنكر على من نفى مطلق الاستغاثة" [1]، فكأن لفظ الاستغاثة فيه نوعٌ من الإجمال، فوجب التفصيل فيه.

١) مجموع الفتاوى (112/1).

المبحث السادس: أنواع الاستغاثة المنفية:

تقدم لنا الكلام عن الاستغاثة وأقسامها والمشروع منها والممنوع، وعرفنا أن الاستغاثة بالمخلوق من ناحية حال المستغاث به تنقسم إلى استغاثة بالحي، واستغاثة بالميت، وبقي لنا أن نذكر تقسيم شيخ الإسلام الذي قسم فيه الاستغاثة المنفية إلى نوعين: فقال: "الا ستغاثة المنفية نوعان: أحدها: الاستغاثة بالميت مطلقاً في كلّ شيء، الثاني: الاستغاثة بالمخلوق فيما لا يقدر عليه إلا الخالق"[١].

قال شيخ الإسلام مبيناً هذين النوعين: " فليس لأحد أن يسأل غير الله ما لا يقدر عليه إلا الله، لا نبياً ولا غيره، ولا يستغيث بمخلوق فيما لا يقدر عليه إلا الخالق، وليس لأحدٍ أن يسأل ميتاً أو يستغيث به في شيء من الأشياء، سواء كان نبياً أو غيره[٢]؛ فالاستغاثة طلب من المخلوق أن يغيثه، بخلاف التوسل ونحوه، فإنه طلبٌ به، ومن لم يفرّق بينهما فقد أخطأ ولم يعرف معناهما، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "والاستغاثة طلب منه لا طلبٌ به"[٣]، فالمستغيث طالبٌ منه وسائلٌ له، والمتوسل به لا يدعى ولا يطلب، إنما يسأل ويطلب به، ولا يعرف في لغة أمة من الأمم أن يجعلان معنى واحداً، فالاستغاثة والتوسل و إن كانا جائزين في حياة النبي ﷺ به فإنهما ممنوعتان بعد موته، وغيره من باب أولى.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "وما علمت عالماً نازع في أن الاستغاثة بالنبي ﷺ وغيره من المخلوقين بهذا المعنى –أي بعد الممات– لا تجوز"[٤].

وقال في موضع آخر: "ومنع الطلب من الأنبياء وغيرهم شيئاً بعد الموت أو الغيبة أو ما لا يقدر عليه إلا الله فهو حكم ثابت بالنص وإجماع علماء الأمة مع دلالة العقــل على ذلك"[٥]، فكل هذين النوعين من الشرك بالله، والمتأخرون من المبتدعة يرون أن الاستغاثة

---

١) الرد على البكري (359/1).
٢) الرد على البكري (359/1 – 360).
٣) الرد على البكري (366/1).
٤) الرد على البكري (376/1).
٥) الرد على البكري (916/2).

والتوسل نوع واحد، واستدلوا للاستغاثة بأدلة التوسل وسوف نبسط القول في ذلك، ونرد عليهم وعلى أدلتهم التي استدلوا بها عند الكلام على التوسل.

المبحث السابع: أنواع الشفاعة:

تمهيد

الشفاعة لغة: مصدر شفع شفاعة، وهو ضدّ الوتر، وهو مقـارنة الشيئين[١]، وسمي بذلك لكون المشفوع له صار شفعاً بالشفيع.

قال ابن منظور: "تشفعت بفلان إلى فلان فشفعني فيه، واسم الطالب شفيع وشافع والجمع شفعاء"[٢].

وقال ابن الأثير[٣]: "يقال شفع يشفع شفاعة، فهو شافع وشفيع، والمشفِّع الذي يقبل الشفاعة، والمشفَّع الذي تقبل شفاعته"[٤].

وفي الاصطلاح، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "الشفاعة تعمّ شفاعة كلّ شافع وكلّ شفاعة لمشفوع له"[٥]، وقال الجرجاني: "هو السؤال في التجاوز عن الذنوب من الذي وقعت الجناية في حقـه"[٦]، وقال السفاريني[٧]: "هو سؤال الخير للغير"[٨].

---

١) تهذيب اللغة (1898/2) ومعجم مقاييس اللغة (201/3).

٢) لسان العرب (135/7).

٣) الشيخ الإمام العلامة المحدث الأديب النسابة عز الدين أبو الحسن، علي بن محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الجزري الشيباني، ابن الشيخ الأثير أبي الكرم، قال القاضي سعد الدين الحارثي ولد سنة555هـ وتوفي عز الدين في الخامس والعشرين من شعبان سنة ثلاثين وست مائة، انظر سير أعلام النبلاء (257/16)، الوافي بالوفيات (86/22).

٤) النهاية لابن الأثير (485/1).

٥) الفتاوى العراقية (1072/2).

٦) التعريفات (ص133).

٧) محمد بن أحمد بن سالم السفاريني، شمس الدين، أبو العون: عالم بالحديث والأصول والأدب، ولد في سفارين (من قرى نابلس) عام (1114هـ) ورحل إلى دمشق فأخذ عن علمائها.وعاد إلى نابلس فدرس وأفتى، وتوفي فيهاعام(1188هـ) انظر معجم المؤلفين (65/3)، الأعلام للزركلي (14/6).

٨) لوائح الأنوار (246/2).

ولفظ الشفاعة يتناول أحد معنيين:

أحدهما في الدنيا، والآخر في الآخرة و سيأتي بيانهما.

وقد أجمع العلماء على وجوب الإيمان بالشفاعة في الآخرة بجميع أنواعها الواردة في الكتاب والسنة، وأنها ملك لله يأذن لمن يشاء من عباده فيشفعون لمن ارتضى من عباده الموحدين[١]، قال القاضي عياض[٢]: "مذهب أهل السنة جواز الشفاعة عقلاً ووجوبها سمعاً"[٣].

أقسام الشفاعة عند شيخ الإسلام ابن تيمية:

قسم شيخ الإسلام ابن تيمية الشفاعة إلى نوعين، فقال: "الشفاعة نوعان: أحدها الشفاعة التي نفاها الله ....، والثاني أن يشفع الشفيع بإذن الله"[٤].

---

١) انظر شرح السنة للبربهاري (ص45)، اعتقاد أهل السنة للإسماعيلي (ص 47)، أصول السنة للإمام أحمد (ص 9)، أصول السنة للرازي (ص 133)، الشريعة للآجري (718/1)، التوحيد لابن خزيمة (659/2)

٢) القاضي عياض الإمام العلامة الحافظ الأوحد، شيخ الإسلام، القاضي أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض بن عمرو بن موسى بن عياض اليحصبي الأندلسي، ثم السبتي المالكي، ولد في سنة ست وسبعين وأربع مائة، تحول جدهم من الأندلس إلى فاس، ثم سكن سبتة، رحل إلى الأندلس سنة بضع وخمس مئة، وروى عن القاضي أبي علي بن سكرة الصدفي، ولازمه، وعن أبي بحر بن العاص، ومحمد بن حمدين، وأبي الحسين سراج الصغير، وأبي محمد بن عتاب، وهشام بن أحمد، وعدة ، واستبحر من العلوم، وجمع وألف، وسارت بتصانيفه الركبان ، توفي في سنة أربع وأربعين وخمس مائة في رمضانها، وقيل: في جمادى الآخرة منها بمراكش، انظر سير أعلام النبلاء (49/15)، شذرات الذهب (226/6).

٣) شرح مسلم للنووي (351/2).

٤) مجموع الفتاوى (332/1).

النوع الأول: الشفاعة المنفية.

قال شيخ الإسلام مبيناً هذه الشفاعة: "الشفاعة التي نفاها تعالى كالذي أثبتها المشركون ومن ضاهاهم من جهّال هذه الأمة وضلالهم، وهي شرك"[١].

فهي التي يظنها المشركون ويطلبونها من غير الله، فهي الشفاعة المنفية التي نفاها الشرع، فتطلب من غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله، وهي التي جاء نفيها في القران.

وهذه الشفاعة هي التي نفاها الله عن آلهة المشركين ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴿٤٨﴾﴾[٢] وقال ﴿مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ﴾[٣]، وقال ﴿وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟﴾[٤]، فعاملهم الله بنقيض قصدهم من شفاعتهم فهم اتخذوا الشفعاء ليشفعوا لهم فخذلهم الله.

النوع الثاني:الشفاعة المثبتة.

قال شيخ الإسلام: "الشفاعة المثبتة هي الشفاعة المطلقة، وهى المقصود بالشفاعة وهى المقبولة، بخلاف المردودة، فإن أحداً لا يريدها، لا الشافع ولا المشفوع له، ولا المشفوع إليه، ولو علم الشافع والمشفوع له أنها ترد لم يفعلوها. والشفاعة المقبولة هي النافعة، بيّن ذلك في مثل قوله:﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ﴾[٥]، وقوله﴿إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ﴾ هو إذن للمشفوع له، فلا يأذن في شفاعة مطلقة لأحد، بل إنما يأذن في أن يشفعوا لمن أذن لهم في الشفاعة فيه"[٦].

---

١) مجموع الفتاوى (332/1).

٢) سورة المدثر الآية رقم (48).

٣) سورة السجدة الآية رقم (4).

٤) سورة الأنعام الآية رقم (94).

٥) سورة سبأ الآية رقم (23).

٦) الحسنة والسيئة (ص148-149).

وقال في موضع آخر: "الشفاعة المعروفة عند الناس عند الإطلاق وهى أن يشفع الشفيع إلى غيره ابتداء فيقبل شفاعته، فأما إذا أذن له في أن يشفع فشفع، لم يكن مستقلاً بالشفاعة بل يكون مطيعا له، أي: تابعاً له في الشفاعة، وتكون شفاعته مقبولة"[١].

فالشفاعة التي أثبتها الله كما قال شيخ الإسلام: "هي أن يشفع الشفيع بإذن الله، وهذه التي أثبتها الله لعباده الصالحين"[٢].

شروط الشفاعة

لهذا النوع من الشفاعة شرطان، كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "إذن الله للشافع، ورضاه عن الشافع والمشفوع له"[٣]، قال تعالى: ﴿ ۞ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِي شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴿٢٦﴾ ﴾[٤].

وسببها تجريد التوحيد لله ﷻ بخلاف فعل المشركين، الذين اتخذوا من دون الله شفعاء، ولذلك قال النبي ﷺ ((**أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة، من قال لا إله إلا الله**))[٥].

وهذه الشفاعة قسمان:

الأول: الشفاعة الخاصة للنبي ﷺ وسيأتي الكلام عليها مفصلا عند مبحث شفاعة النبي ﷺ.

القسم الثاني: الشفاعة العامة، وهي للرسول ﷺ ولجميع المؤمنين:

وهي نوعان:

---

١) مجموع الفتاوى (118/1).

٢) مجموع الفتاوى (332/1).

٣) مجموع الفتاوى (389/14).

٤) سورة النجم الآية رقم (26).

٥) رواه البخاري حديث رقم (6570) كتاب الرقاق (باب: صفة الجنة والنار).

النوع الأول: الشفاعة لأناس قد استحقوا النار في أن لا يدخلوها، ويستدلّ لها بحديث: ((**ما من رجل مسلم يموت فيقوم على جنازته أربعون رجلاً، لا يشركون بالله شيئاً إلا شفعهم الله فيه**)) (١).

النوع الثاني: الشفاعة لأناس قد دخلوا النار، فيشفع لهم بإخراجهم منها، قال شيخ الإسلام ابن تيمية في هذين النوعين : "فيشفع فيمن استحق النار وهذه الشفاعة له ولسائر النبيين والصديقين، وغيرهم فيشفع فيمن استحقّ النار أن لا يدخلها، ويشفع فيمن دخلها أن يخرج منها، ويخرج الله من النار أقواماً بغير شفاعة بل بفضله ورحمته"(٢).

ودليل هذا النوع حديث أبي هريرة وأبي سعيد وأنس –رضي الله عنهم– أنه ﷺ يشفع، فيقال له: ((**انطلق فأخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان، حتى يشفع النبيون والصديقون الصالحون، فيخرج العصاة من النار**)) (٣).

---

١) رواه مسلم حديث رقم (948) كتاب الجنائز (باب: من صلى عليه أربعون شفعوا فيه).

٢) الواسطية (ص 85)، وانظر عون المعبود (55/7).

٣) رواه البخاري حديث رقم (4476) كتاب التفسير (باب: سورة البقرة) حديث أنس الطويل عن الشفاعة.

المبحث الثامن: أقسام الناس في الشفاعة.

تبين لنا في ما سبق الشفاعة وأنواعها، المثبت منها والمنفي، وجميع أهل القبلة مقرون بالشفاعة غير منكرين لها؛ إلا أن بعض الطوائف أنكرت أنواعاً من الشفاعة، فلذلك قسم شيخ الإسلام الناس في الشفاعة.

مقالات الناس في الشفاعة عند شيخ الإسلام

قسم شيخ الإسلام الناس في الشفاعة إلى ثلاثة أقسام فقال:" الناس في الشفاعة على ثلاثة أقسام: فالمشركون أثبتوا الشفاعة التي هي شرك....، والخوارج والمعتزلة فإنهم أنكروا شفاعة النبي في أهل الكبائر من أمته ....، وأهل السنة والجماعة أثبتوا ما أثبته الله ونفوا ما نفاه الله" [١].

القسم الأول: من أثبت حتى الشفاعة المنفية

وهم المشركون الذين يعبدون الأصنام ، أو يدعون أصحاب القبور ،فإنهم يضنون أن معبوداتهم ستشفع لهم يوم القيامة وهذا ما نفاه الله قال شيخ الإسلام: " المشركون أثبتوا الشفاعة التي هي شرك، كشفاعة المخلوق عند المخلوق،كما يشفع عند الملوك خواصهم لحاجة الملوك إلى ذلك، فيسألونهم بغير إذنهم ، وتجيب الملوك سؤالهم لحاجتهم إليهم ، فالذين أثبتوا مثل هذه الشفاعة عند الله تعالى مشركون كفار،لأن الله لا يشفع عنده احد إلا بإذنه ولا يحتاج إلى أحد من خلقه"[٢].

وقال في موضع آخر: "المشركون كانوا يجعلون ما يشركون به شفعاء يشفعون لهم إلى الله، والله يقبل شفاعتهم ، وهو سؤالهم ودعاؤهم بقدرته ومشيئته ، كما ذكر الله ذلك في مواضع من كتابه فقال تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾[٣]، ثم بين شيخ الإسلام أن هذه هي التي نفاها القران فقال: " فهذه الشفاعة التي نفاها القرآن ، تتضمن نفى

---

١) انظر مجموع الفتاوى (24/340-341).

٢) مجموع الفتاوى (24/341).

٣) سورة يونس الآية رقم (18).

ما كان يقوله مشركوا العرب وأمثالهم من المشركين ، وهي من جنس شرك النصارى ونحوهم من الضلال المنتسبين إلى الإسلام ، حيث يعتقدون في الملائكة أو الأنبياء أو الشيوخ انهم شفعاء لهم عند الله، كما يشفع الشفعاء إلى ملوك الدنيا، ويضربون لله مثلا فيقولون من أراد أن يتقرب إلى ملك عظيم فلا ينبغي له أن يأتي إليه أولا، بل يتقرب إلى خاصته وهم يرفعون حوائجه ويقربونه إليه"[١].

وقد رد عليهم شيخ الإسلام بأن "الشفاعة سببها توحيد الله، وإخلاص الدين والعبادة له بجميع أنواعها، فكل من كان أعظم إخلاصاً، كان أحق بالشفاعة، كما أنه أحقّ بسائر أنواع الرحمة؛ فإن الشفاعة من الله مبدؤها وعلى الله تمامها، فلا يشفع أحد إلا بإذنه وهو الذي يأذن للشافع وهو الذي يقبل شفاعته، وإنما الشفاعة سبب من الأسباب" [٢].

القسم الثاني: من أنكروا شفاعة نبينا ﷺ في أهل الكبائر من أمته

وهؤلاء هم المعتزلة والخوارج[٣]، قال شيخ الإسلام: "لكن كثيراً من أهل البدع والخوارج والمعتزلة أنكروا شفاعته ﷺ لأهل الكبائر ، فقالوا : لا يشفع لأهل الكبائر ، بناء على أن أهل الكبائر عندهم لا يغفر الله لهم ولا يخرجهم من النار بعد أن يدخلوها لا بشفاعة ولا غيرها ، ومذهب الصحابة والتابعين وأئمة المسلمين وسائر أهل السنة والجماعة أنه يشفع في أهل الكبائر، وأنه لا يخلد في النار من أهل الإيمان أحد" [٤].

---

١) الرد على المنطقيين (ص450).

٢) مجموع الفتاوى (414/14) وانظر الفتاوى العراقية (1086/2).

٣) الإبانة للأشعري (30/1)، مقالات الإسلاميين (354)، ومجموع الفتاوى (341/24).

٤) مجموع الفتاوى (318/1).

وقد رد القاضي عبد الجبار[1]، أحاديث الشفاعة لأهل الكبائر، قائلا: "أن هذا الخبر لم تثبت صحته، أولاً ولو صحت فإنه منقول بطريق الآحاد"[2].

ويرد عليه في قوله " لم تثبت صحته" بأنه مردود عليه، فقد رواه البخاري ومسلم وغيرهم من أئمة الحديث، وهو من حيث صحته لا مدخل لأحد في الطعن فيه من هذا الجانب، وأما قوله: "إنه خبر آحاد" فهذا بناء على أصلهم الفاسد في رد خبر الآحاد، وليس هنا موضع بسط الرد عليهم في هذا، لكن أحاديث الشفاعة في أهل الكبائر من المتواتر الذي لا يمكن إنكاره، وقد أبطل العلماء قولهم بأنه من خبر الآحاد بنقل الأدلة متواترة، حتى أن السلف –عليهم رحمة الله- يسوقون الأدلة على شفاعته لأهل الكبائر، حتى إنه قد يظن الظآن أنهم لم يتطرقوا للشفاعات الأخرى، مثل الشفاعة العظمى، وهي أعظم منها، وهم إنما فعلوا ذلك لأجل أن الشفاعة العظمى، قد أقر بها المخالفون وأنكروا الثانية، وهي شفاعته لأهل الكبائر، فحرصوا أشد الحرص على نقل الحديث، والاهتمام به، ونقله نقلا متواترا.

بل قد صرح القاضي عبد الجبار أن أصحاب الكبائر يفعل بهم ما يستحقونه؛ وأنه لا يغفر لهم إلا بالتوبة والإنابة، وهؤلاء يرون وجوب إنفاذ الوعيد، كما هو مذهبهم الباطل [3].

وهذا يرد عليه بكلام ليس هذا موضعه، ولكن عدم إنفاذ الوعيد كرم منه سبحانه وفضل، كما أنه توعد من عصاه بالعذاب؛ فإنه كذلك تفضل عليه بالمغفرة له وجعل الشفاعة سبباً من أسباب خروجه من النار.

ونفي الشفاعة مبنيّ أيضاً على قولهم بالتخليد في النار لأهل الكبائر، وهذا مخالف للكتاب والسنة وإجماع الأمة.

---

١) القاضي عبد الجبار ابن أحمد بن عبد الجبار بن أحمد بن خليل، العلامة المتكلم، شيخ المعتزلة، أبو الحسن الهمذاني، صاحب التصانيف، من كبار فقهاء الشافعية ، ولي قضاء القضاة بالري، وتصانيفه كثيرة، تخرج به خلق في الرأي الممقوت .مات في ذي القعدة سنة خمس عشرة وأربع مئة ، من أبناء التسعين. أنظر سير أعلام النبلاء (42/13)، شذرات الذهب (78/5).

٢) الأصول الخمسة (ص94).

٣) انظر لوائح الأنوار (249/2).

وقد أوّل المعتزلة أحاديث الشفاعة بكونها في زيادة الدرجات[1]، وهذا باطل[2]، لأن الأدلة وردت في هذا وفي هذا، فهذا تخصيصٌ بغير دليل، بل هو تحكمٌ وقول على الله بغير علم.

ثم ليعلم أنه مع ضلال هؤلاء فإن ضلال الأولين من المشركين ومن تبعهم أعظم، إذ أن ذلك الضلال شرك بالله، وهذا من البدع المحدثة في الإسلام[3].

القسم الثالث:

وهم الوسط بين هؤلاء وهؤلاء، قال شيخ الإسلام "وهم أهل السنة والجماعة من سلف هذه الأمة، وأئمتها ومن تبعهم بإحسان، فإنهم أثبتوا ما أثبته الله في كتابه، وسنة رسوله ﷺ، ونفوا ما نفاه الله في كتابه وسنة رسوله ﷺ"[4]، فهم نفوا شفاعة المعبودات لعابديها، وأثبتوا الشفاعة التي أثبتها الله ورسوله ، سواء الشفاعة الخاصة بالنبي ﷺ، أو الشفاعة العامة، وكذلك ما يتعلق بالشفاعة لأهل الكبائر سواء من دخل النار أن يخرج منها، أو من لم يدخلها أن لا يدخلها، على ما ورد في النصوص الشرعية، وقد سبق بيان شيء منها.

---

١) أنظر الأصول الخمسة (ص 83).

٢) شرح مسلم للنووي (35/2).

٣) جامع المسائل لابن تيمية (81/3).

٤) مجموع الفتاوى (342/24).

المبحث التاسع: أنواع التوسل:

تمهيد

التوسل في اللغة: مصدر لتوسل كما يقال: توسلت إلى فلان، أي: تقربت، والواسل: الراغب إلى الله، ووسّل فلانٌ إلى ربه وسيلة، إذا عمل عملاً تقرّب به إليه [١].

وتطلق في اللغة على عدة اطلاقات منها: 1) المترلة 2) الدرجة 3) القربة [٢].

أما التوسل في الاصطلاح: قال شيخ الإسلام: "هي التقرب إلى الله بطاعته، وهذا يدخل فيه كل ما أمرنا الله به ورسوله" [٣]، وقال في موضع آخر: "فجماع الوسيلة التي أمر الله الخلق بابتغائها هو التوسل إليه بإتباع ما جاء به الرسول لا وسيلة لأحد إلى الله إلا ذلك " [٤].

وقال الأصبهاني: "الوسيلة: التوصل إلى الشيء برغبة، وهي أخص من الوصيلة، لتضمنها معنى الرغبة، قال تعالى: ﴿وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ﴾ [٥]"[٦]. وهذه الوسيلة كل ما يتقرب به إليه من الواجبات والمستحبات.

ولفظ التوسل لفظ مجمل فيه حق وباطل قال شيخ الإسلام: "ولفظ الوسيلة والتوسل فيه إجمال واشتباه يجب أن نعرف معانيه ويعطى كل ذي حق حقه فيعرف ما ورد به الكتاب والسنة من ذلك وما معناه، وما كان يتكلم به الصحابة ويفعلونه ومعنى ذلك، ويعرف ما أحدثه المحدثون في هذا اللفظ ومعناه، فإن كثيرا من اضطراب الناس في هذا الباب هو بسبب ما وقع من الإجمال والاشتراك في الألفاظ والمعاني" [٧].

---

١) انظر معجم تهذيب اللغة (3892/4) ومعجم مقاييس اللغة (110/6).

٢) لسان العرب (291/15).

٣) مجموع الفتاوى (247/1).

٤) مجموع الفتاوى (200/1).

٥) سورة المائدة الآية رقم (35).

٦) المفردات (ص 523) .

٧) التوسل والوسيلة (ص 83).

والوسائل عموما تنقسم إلى وسيلة كونية، وهي كل سبب طبيعي يوصل إلى المقصود بخلقته التي خلقه الله بها، والى وسيلة شرعية وهي كل سبب يوصل إلى المقصود عن طريق ما شرعه الله تعالى [(١)].

أنواع الوسيلة في الاصطلاح الشرعي عند شيخ الإسلام:

قسم شيخ الإسلام الوسيلة في الاصطلاح الشرعي إلى قسمين

القسم الأول: بمعنى القربة والتقرب إلى الله بما شرع وهي كل ما أمر الله المؤمنين بإبتغاءها تتناول كل واجب ومستحب [٢] وسيأتي مزيد من البيان لها في أقسام توسل المشروع.

القسم الثاني:الدرجة العالية في الجنة وهي خاصة بالنبيﷺ كما في الحديث((سلوا الله لي الوسيلة فإنها لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله وأرجوا أن أكون أنا ذلك العبد)) [٣]، فأمرنا النبيﷺ أن نسأل الله له هذه الوسيلة وأخبر أنها لا تكون إلا لعبد من عباد الله فهو يرجوا أن يكون هو [٤].

أنواع التوسل بالنبيﷺعند شيخ الإسلام:

ذكر شيخ الإسلام أن الرسل هم الوسطاء بيننا وبين الله ﷻ في أمره ونهيه ووعده ووعيده وخبره، ثم بين أنهم لا يستحقون ما يستحقه الله تبارك وتعالى من خصائص، فلا يقسم بهم على الله، ولا يتوسل بذواتهم، ثم ذكر أن التوسل لا يخلو من وجهين، فقال : "التوسل على وجهين: **أحدها** أن يتوسل بذلك إلى إجابة الدعاء وإعطاء السؤال.....

الثاني: التوسل بذلك إلى حصول ثواب الله وجنته ورضوانه"[(٥)].

النوع الأول: التوسل لإجابة الدعاء وإعطاء السؤال

---

١) التوسل أنواعه وأحكامه للألباني (ص17).

٢) مجوع الفتاوى (199/1).

٣) رواه مسلم حديث رقم (384) (**باب استحباب القول مثل قول المؤذن**).

٤) مجوع الفتاوى (200/1).

٥) التوسل والوسيلة (ص 188).

فيتوسل المتوسل لما يريد حصوله في الدنيا من إجابة لدعائه، بحيث يكون مضطرا، أو يريد منفعة دنيوية، وأن يعطي سؤله فيكون توسله بالأنواع التي سيأتي ذكرها.

النوع الثاني: أن يتوسل لما يرجوه في الآخرة من ثواب الله وجنته، فيكون ذلك هو مقصوده وهذا مطلبه، ولا يريد إلا هو ولا يرجوا سواه، وذلك يكون بطلب ذلك بدعاء أو عمل من أجل أن ينال ثواب الله ورضوانه.

والتوسل بهذين النوعين لها قسمان:

القسم الأول: التوسل المشروع، وهو كل ما أمر به الشارع وأقره.

أقسام التوسل المشروع عند شيخ الإسلام:

قسم شيخ الإسلام التوسل المشروع إلى ثلاثة أنواع:

الأول : التوسل بأسمائه وصفاته، فيقدم بين يدي طلبه من الأسماء والصفات ما يناسب المطلوب، قال تعالى ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾[١]، أي: ادعوا الله تعالى متوسلين إليه بأسمائه الحسنى، وكقوله ﷺ ((**أسألك بأن لك الحمد لا إله إلا أنت**))[٢].

الثاني: الدعاء، ويكون بدعاء العبد لنفسه، أو بطلبه من الغير أن يدعوا الله له في حياته، وذلك كمن طلب من الرسول ﷺ حين أصاب الناس سنة أن يدعو لهم[٣]، وكتوسل عمر رضي الله عنه بالعباس-رضي الله عنهما- واستسقائه به[٤].

الثالث: الأعمال الصالحة، وذلك كأن يقول اللهم بإيماني بك ونحوه، وهو ما كان خالصاً لوجه الله من الأعمال، قال عز وجل ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓاْ إِلَيْهِ

---

١) سورة الأعراف الآية رقم (180).

٢) رواه أبو داود (1495) كتاب الوتر (باب: الدعاء). ورواه النسائي (1300) كتاب السهو (باب: الدعاء بعد الذكر)، وصححه الحاكم في المستدرك (689/1)، وابن حبان حديث رقم (893) انظر التوسل (ص31).

٣) رواه البخاري حديث رقم (1015) كتاب الاستسقاء (باب: الاستسقاء على المنبر)، ورواه مسلم حديث رقم (897) كتاب الاستسقاء (باب: رفع اليدين بالدعاء عند الاستسقاء).

٤) رواه البخاري حديث رقم (1010) كتاب الاستسقاء (باب: سؤال الناس الإمام إذا قحطوا).

ٱلْوَسِيلَةَ﴾ (١)، قال ابن جرير: "اطلبوا القرب إليه بالعمل بما يرضيه"(٢)، وكقوله تعالى ﴿ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ (٣)، فيتوسل بهذه الأعمال ليستجيب الله دعاءه ويأتيه سؤله.وذلك كأصحاب الغار الذين آواهم المبيت، حيث دعوا الله بصالح أعمالهم، ((**ليدع كلّ رجل منكم بما يعلم أنه قد صدق فيه**)) (٤)، فالأعمال الصالحة من أعظم ما يتوسل به العبد إلى ربه(٥).

وأجل هذه الأنواع هو سؤاله بأسمائه وصفاته، قال أبو حنيفة –رحمه الله-: "ولا ينبغي لأحد أن يدعوا الله إلا به، والدعاء المأذون فيه المأمور به، مما استفيد من قول الله ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾" (٦) (٧)،قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "وأما سؤال الله بأسمائه وصفاته وصفاته التي تقتضي ما يفعله بالعباد من الهدى والرزق النصر، فهذا أعظم ما يسأل الله تعالى به" (٨).

وقال ابن القيم: "التوسل إلى الرب بأحسن الأشياء إليه وهي أسمائه وصفاته، ومن أجمعها لمعاني الأسماء والصفات: الحيّ القيوم" (٩).

القسم الثاني التوسل البدعي

قال الألباني – رحمه الله-: "وكل ماعدا هذه الأنواع من التوسلات فهو غير جائز، ولا مشروع؛ لأنه لم يرد فيه دليل تقوم به الحجة" (١).

---

١) سورة المائدة الآية رقم (35).

٢) تفسير الطبري (2864/4).

٣) سورة آل عمران الآية رقم (16).

٤) رواه البخاري حديث رقم (3465) كتاب أحاديث الأنبياء (باب: حديث الغار). ومسلم حديث رقم (2743)كتاب الذكر والدعاء (باب: قصة أصحاب الغار).

٥) انظر اقتضاء الصراط المستقيم (317/2-322).

٦) سورة الأعراف الآية رقم (180).

٧) رد المحتار على الدرر المختار (137/7).

٨) التوسل والوسيلة (ص102).

٩) الطب النبوي (ص205).

أقسام التوسل الممنوع عند شيخ الإسلام

قسم شيخ الإسلام التوسل الممنوع إلى نوعين:

النوع الأول: التوسل المحرم، وهي التي لا تخرج عن ملة الإسلام، كالتوسل بذوات الأنبياء والصالحين، ومترلتهم وجاههم، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "هذا يجوزه طائفة من الناس، لكن الأحاديث في ذلك كلها ضعيفة بل موضوعه، وهذا هو الذي قال به أبو حنيفة وأصحابه إنه لا يجوز، وليس فيه عن مالك ما يناقض ذلك"[٢]، ومثل هذا النوع التوسل إلى الله بحق فلان أو جاهه[٣]،ومثل هذا الإقسام على الله تعالى بذات المتوسل به،والسؤال بذاته، وهذا لم يكن الصحابة يفعلونه، وهو الذي قال فيه أبو حنيفة وأصحابه: إنه لا يجوز ونهوا عنه، حيث قالوا: لا يسأل بمخلوق[٤]، وكل هذه الوسائل لوكانت مشروعة، لكان التوسل بذات النبي والإقسام به على الله حياً وميتاً أولى من العباس وغيره؛ لأن ذاته ﷺ أفضل من ذواقم[٥]. **النوع الثاني:** المخرجة عن الملة، كجعل الأنبياء والصالحين وسائل في جلب المنافع، ودفع المضار، وهذا هو جنس ما حكاه الله عن المشركـين ﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾[٦] [٧]،قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: "ومن أراد بالواسطة أنه لابد من واسطة في جلب المنافع ودفع المضار، مثل أن يكون واسطة في رزق العباد ونصرهم وهداهم، يسألونه ذلك ويرجون إليه فيه، فهذا من أعظم الشرك الذي كفر الله به المشركين، حيث اتخذوا من دون الله أولياء وشفعاء يجتلبون هم المنافع ويجتنبون المضار"[٨]، وسنبسط القول في أدلة المخالفين التي تمسكوا بها في هذا الباب، ونرد عليها في المبحث القادم.

---

١) التوسل والوسيلة (ص42).

٢) قاعدة جليلة في التوسل (ص120).

٣) انظر مجموع الفتاوى (1/202-326) وانظر فتاوى ابن باز (54/7).

٤) قاعدة جليلة (ص 86).

٥) الرد على الشاذلي (ص 54).

٦) سورة الزمر الآية رقم (3).

٧) التوسل والوسيلة (ص38)، مجموع الفتاوى (309/1).

٨) مجموع الفتاوى (123/1).

المبحث العاشر: أقسام التوسل بدعاء النبي ﷺ:

في المبحث السابق تكلمنا عن معنى التوسل في اللغة والاصطلاح، وبينا قول شيخ الإسلام في التوسل وأنواعه، بقى لنا الكلام على أقسام التوسل بدعاء النبي ﷺ.

أقسام التوسل بدعاء النبي ﷺ عند شيخ الإسلام

قسم شيخ الإسلام ابن تيمية التوسل بدعاء النبي ﷺ إلى قسمين، فقال: "التوسل بدعاء النبيﷺ وشفاعته يكون على وجهين:

أحدها: أن يطلب منه الدعاء والشفاعة فيدعوا ويشفع كما كان يطلب منه في حياته، وكما يطلب منه يوم القيامة....

الثاني: أن يكون التوسل مع ذلك بأن يسأل الله تعالى بشفاعته ودعائه"[١].

القسم الأول:طلب الدعاء والشفاعة كما يطلب منه حال حياته

طلب الدعاء منه، حال حياته ﷺ، هذا هو ما كان الصحابة –رضوان الله عليهم- يفعلونه، وهو التوسل الذي كانوا يتوسلون به، فإنهم كانوا يطلبونه أن يدعوا لهم، وأن يستغفر لهم، وذلك كما وقع في حديث الأعرابي الذي توسل به للسقيا وغيره، وأما بعد وفاته فإنه لم يرد عن أحد من الصحابة أنه توسل به أو طلب منه أن يدعوا .

أما شفاعته يوم القيامة فإنه يشفع لفصل القضاء، وليخرج أهل الكبائر من النار، فالمؤمنون يؤمنون بهذا كما ورد بالأحاديث المتواترة الصحيحة، وسبق بيان شيء منها.

القسم الثاني: أن يسأل الله بشفاعته ودعائه

أن يكون التوسل مع ذلك بأن يسأل الله بشفاعته ودعائه، كما في حديث الأعمى الذي سنورده، فإنه سأل الله ﷻ وهذا كله في حال حياته، وهو من أنواع التوسل بدعائه.

وهذا بخلاف من يتوسل بدعاء الرسول ﷺ وشفاعته، والرسول ﷺ لم يدع له ولم يشفع فيه، فهذا توسلٌ بما لم يوجد، وإنما يتوسل بدعائه وشفاعته من دعا له وشفع فيه[٢].

---

١) مجموع الفتاوى (310/1).

٢) مجموع الفتاوى (310/1).

وهذان النوعان كلها مشروعة، لا ينازع فيها أحدٌ من أهل العلم والإيمان [١].

والتوسل بدعائه ﷺ مقيد بقيدين:

القيد الأول: أن يكون التوسل حال حياته، وهذا بيّنه توسل عمر بالعباس -رضي الله عنهما-، قال شيخ الإسلام -رحمه الله-: "وأما التوسل بدعائه وشفاعته -كما قال عمر ﷺ- فإنه توسل بدعائه لا بذاته، ولهذا عدلوا عن التوسل به ﷺ إلى التوسل بعمه العباس، ولو كان التوسل بذاته لكان أولى من التوسل بالعباس، فلما عدلوا عن التوسل به إلى التوسل بالعباس، علم أن ما كان يفعل في حياته قد تعذر بموته" [٢].

القيد الثاني: وهو خاص بالمتوسل به، وهو النبي ﷺ حال حياته، فلا بد أن يقوم بعمل ما، وهذا يؤكد أن التوسل ليس بذاته، وإنما هو بدعائه وتضرعه إلى الله ﷻ، ويوضحه فعل الأعرابي عندما توسل بدعائه، فرفع النبي ﷺ يديه وقال ((**اللهم أغثنا اللهم أغثنا**)) [٣] [٤].

و بهذا يتبين الفرق بين من يتوسل به ويشفعه حال حياته، ومن يتوسل به ويشفعه حال وفاته، فإن الأعمى شفع له الرسول ودعا له حال حياته، أما حال وفاته فإنه لم يتحقق هذا، فعلم أن الأول مشروع والثاني ممنوع.

أقسام التوسل بالنبي ﷺ عند شيخ الإسلام

قسم شيخ الإسلام التوسل بالنبي ﷺ إلى ثلاثة أقسام:

الأول: أصل الإيمان و الإسلام، وهو التوسل بالإيمان به وبطاعته، فالتوسل بطاعته ﷺ فرض على كل أحد، قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: "وهذا التوسل بالإيمان به وطاعته فرض على كل أحد، باطناً وظاهراً في حياة رسول الله ﷺ وبعد موته، في مشهده ومغيبه، لا يسقط التوسل بالإيمان به وبطاعته عن أحد من الخلق في حال من الأحوال بعد

---

١) مجموع الفتاوى (310/1).

٢) التوسل والوسيلة (ص85).

٣) رواه البخاري حديث رقم (1014) كتاب الاستسقاء (باب: الاستسقاء في خطبة الجمعة)، ورواه مسلم حديث رقم (897) كتاب الاستسقاء (باب: رفع اليدين بالدعاء عند الاستسقاء).

٤) المفيد في مهمات التوحيد (ص220).

قيام الحجة عليه، ولا بعذرٍ من الأعذار، ولا طريق إلى كرامة الله ورحمته والنجاة من هوانه وعذابه إلا التوسل بالإيمان به وبطاعته"(١).

الثاني: التوسل بدعائه وشفاعته في الدنيا، وهو على وجهين، تارة يتوسل بذلك إلى ثوابه وجنته، وهذا أعظم الوسائل، وتارة يتوسل بذلك في الدعاء (٢)، وسبق الكلام عن هذين الوجهين.

ومن أنكر التوسل بهذين المعنيين فهو كافرٌ مرتدٌّ، يُستتاب فإن تاب وإلا قتل مرتداً (٣).

الثالث: التوسل بمعنى الإقسام على الله بذاته، والسؤال بذاته، فهذا هو الذي لم تكن الصحابة تفعله عند الاستسقاء ونحوه، لا في حياته ولا بعد مماته، لا عند قبره ولا قبر غيره، ولا يعرف هذا في شيء من الأدعية المشهورة بينهم، وإنما ينقل شيء من ذلك في أحاديث ضعيفة مرفوعة أو موقوفة، أو عن من ليس قوله حجة (٤).

شبه القائلين بجواز التوسل بالنبي ﷺ وغيره من الأنبياء والصالحين والرد عليها:

أورد المخالفون لأهل السنة من أهل البدع الذين ضلوا في هذا الباب وأضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل، عدة شبه في التوسل بالنبي ﷺ وغيره من الأنبياء والأولياء الصالحين، وتمسكوا بشيء من الأدلة، حتى آل بهم الأمر إلى دعاء الأنبياء والأولياء الصالحين، كما قال ابن سحمان (٥) –رحمه الله–: "التوسل في عرف أهل هذا الزمان واصطلاحهم هو

---

١) مجموع الفتاوى (143/1).

٢) التوسل والوسيلة (ص 105).

٣) التوسل والوسيلة (ص 86).

٤) مجموع الفتاوى (202/1).

٥) هو سليمان بن سحمان بن مصلح بن حمدان النجدي، الدوسري بالولاء: كاتب فقيه، له نظم فيه جودة. من علماء نجد.ولد في قرية (السقا) (بتخفيف القاف) من أعمال (أبها) في عسير. وانتقل مع أبيه إلى الرياض، أيام فيصل بن تركي، فتلقى عن علمائها التوحيد والفقه واللغة.وتولى الكتابة للإمام عبد الله بن فيصل، برهة من الزمن، ثم تفرغ للعلم.وصنف كتبا ورسائل، وكف بصره في آخر حياته، توفي في الرياض، (1268 – 1349هـ) أنظر الأعلام للزركلي (126/3).

دعاء الأنبياء والأولياء والصالحين، وصرف خالص حق الله تعالى لهم بجميع أنـواع العبادات" [١].

ومدار هؤلاء على أمرين:

الأول: جواز التوسل بذوات المخلوقين أحياء وأمواتاً، وأشرفهم محمد ﷺ فيجوز التوسل به في حياته وبعد مماته.

الثاني: جواز التوسل بالأموات، كما جاز التوسل بالأحياء، ؛ لأنه لا فرق بينهما.

وسنورد أدلتهم التي استدلوا بها ونرد عليهم إجمالاً:

أولاً: حديث توسل عمر بالعباس رضي الله عنه حين استسقى [٢]، ويرد عليهم من وجوه:

١) أن عمر رضي الله عنه توسل بدعاء العباس و لم يتوسل بذاته، فلو كان يرى أن يتوسل بذاته لتوسل بذات النبي ﷺ، وفي هذا يقول شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله-: "ولو لم يكن في النصوص على عدم جواز التوسل بذوات الأنبياء والصالحين غير توسل عمر بدعاء العباس – رضي الله عنهما-، وتركه التوسل بذات النبي ﷺ لكفى في الرد على هذا الفريق" [٣].

٢) أن عمر رضي الله عنه صرّح بأنهم كانوا يتوسلون بنبينا في حياته، وأنه في هذه الحادثة توسل بعمه العباس، وهذا واضح لا لبس فيه، فلما توسلوا به في حياته و لم يتوسلوا به بعد مماته، دلّ على مشروعية هذا والنهي عن الآخر [٤].

دليلهم الثاني حديث الضرير الذي أمره النبي ﷺ أن يدعوا ويستشفع ويتوسل به في دعائه، الذي رواه الترمذي والنسائي وابن ماجة عن عثمان بن حنيف رضي الله عنه، **((أن رجلا ضرير البصر أتى النبي ﷺ فقال: ادع الله تعالى أن يعافيني، قال: "إن شئت دعوت، وإن شئت صبرت فهو خير لك، قال فادعه، فأمره أن يتوضأ فيحسن وضوءه ويدعو بهذا**

---

١) كشف غياهب الظلام (ص182).

٢) أنظر دعاوي المناوئين (ص 213).

٣) الواسطة بين الحق والخلق (ص 48).

٤) أنظر التوسل أنواعه وأحكامه للألباني (ص63).

الدعاء: **اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد ﷺ نبي الرحمة، يا محمد إني توجهت بك إلى ربي في حاجتي هذه لتقضى لي، اللهم فشفعه فيّ))** [1].

ويرد عليم من وجوه:

١) أن قوله "يا محمد إني أتوجه إليك" لم تثبت في أكثر الروايات، وبتقدير ثبوتها فإن هذا خطاب لحاضر معين يراه ويسمعه [2].

٢) أن الأعمى إنما جاء إلى النبي ﷺ ليدعو له، وذلك قوله "أدع الله أن يعافيني" فهو توسل إلى الله تعالى بدعائه ﷺ؛ لأنه يعلم أن دعاءه ﷺ أرجى للقبول عند الله بخلاف دعاء غيره، ولو كان قصد الأعمى التوسل بذات النبي ﷺ أو جاهه أو حقه لما كان ثمة حاجة به إلى أن يأتي النبي ﷺ، ويطلب منه الدعاء له، بل كان يقعد في بيته، ويدعو ربه [3].

٣) أن النبي ﷺ وعده بالدعاء مع نصحه له ببيان ما هو الأفضل له، وهو قـــوله ﷺ: "إن شئت دعوتُ، وإن شئت صبرت فهو خير لك". وهـــــذا الأمر الثاني هو ما أشار إليه ﷺ في الحديث الذي رواه عن ربه تبارك وتعالى أنه قال: ((**إذا ابتليتُ عبدي بحبيبتيه – أي عينيه – فصبر، عوضته منهما الجنة**)) [4] [5].

٤) إصرار الأعمى على الدعاء وهو قوله: "فادع" فهذا يقتضي أن الرسول ﷺ دعا له، لأنه ﷺ خير من وفى بما وعد، وقد وعده بالدعاء له إن شاء كما سبق، فقد شاء الدعاء وأصر عليه، فإذن لا بد أنه ﷺ دعا له، فثبت المراد، وقد وجه النبي ﷺ الأعمى بدافع من

---

١) رواه أحمد في مسنده حديث رقم (17372). والترمذي حديث رقم (3578) كتاب الدعوات (باب: في دعاء الضيف) وقال حديث حسن صحيح، وصححه الحاكم في المستدرك (708/1)، وصححه الألباني في صحيح جامع الترمذي (469/2).

٢) تيسير العزيز الحميد (ص196).

٣) التوسل للألباني (ص70).

٤) رواه البخاري حديث رقم (5653) كتاب المرضى (باب: فضل من ذهب بصره).

٥) التوسل للألباني (ص70).

رحمته، وبحرص منه أن يستجيب الله تعالى دعاءه فيه، وجهه إلى النوع الثاني من التوسل المشروع، وهو التوسل بالعمل الصالح، ليجمع له الخير من أطرافه [١].

٥) أن في الدعاء الذي علمه رسول الله ﷺ إياه أن يقول: "اللهم فشفعه في" وهذا يستحيل حمله على التوسل بذاته ﷺ، أو جاهه، أو حقه، إذ أن المعنى: اللهم اقبل شفاعته ﷺ في، أي: اقبل دعائه في أن ترد عليَّ بصري [٢].

٦) إن مما علم النبي ﷺ الأعمى أن يقوله: "وشفعني فيه" أي اقبل شفاعتي، أي دعائي في أن تقبل شفاعته ﷺ، أي: دعاءه في أن تردّ علي بصري. هذا الذي لا يمكن أن يفهم من هذه الجملة سواه [٣].

وأما الأدلة سوى هذه الأدلة فإنها أدلة ضعيفة كما في أحاديث ((**بحق السائلين عليك وبحقّ ممشاي هذا**))[٤]، وكل الروايات والأحاديث بهذا لا تثبت [٥]، ثم إنهم يقيسون التوسل التوسل بالذات على التوسل بالعمل الصالح، ويرد عليهم بوجهين:

الوجه الأول: أن هذا قياس، والقياس في العبادات باطل، وما مثل من يقول هذا القول إلا كمثل من يقول: إذا جاز توسل المتوسل بعمله الصالح - وهو بلا شك دون عمل الولي والنبي - جاز أن يتوسل بعمل النبي والولي، وهذا وما لزم منه باطل فهو باطل.

الوجه الثاني: أن هذه مغالطة مكشوفة، لأننا لم نقل -كما لم يقل أحد من السلف قبلنا- إنه يجوز للمسلم أن يتوسل بعمل غيره الصالح، وإنما التوسل المشار إليه إنما هو التوسل بعمل المتوسل الصالح نفسه، فإذا تبين هذا قلبنا عليهم كلامهم السابق فقلنا: إذا كان لا

---

١) التوسل للألباني (ص71).

٢) التوسل للألباني (ص72).

٣) التوسل للألباني (ص73).

٤) رواه ابن ماجة حديث رقم (778) كتاب المساجد (باب: المشي إلى الصلاة)، وهو ضعيف، ضعفه الرازي في العلل (184/2)، وضعفه البوصيري في مصباح الزجاجة (ص 98)، والألباني أنظر السلسلة الضعيفة (82/1)، حديث رقم (24).

٥) أنظر التوسل للألباني (ص 97 – 99).

يجوز التوسل بالعمل الصالح الذي صدر من غير الداعي، فأولى ثم أولى ألا يجوز التوسل بذاته، وهذا بيّن لا يخفى والحمد لله [١].

ويقيسون كذلك التوسل بذات النبي على التبرك بآثاره، ويرد عليهم أن آثار النبي ﷺ لا يتوسل بها إلى الله تعالى، وإنما يتبرك بها فحسب، أي: يرجى بحيازتها حصول بعض الخير الدنيوي، كما أن التوسل بآثار النبي ﷺ غير مشروع البتة، ومن الافتراء على الصحابة رضوان الله عليهم الادعاء بأنهم كانوا يتوسلون بتلك الآثار، ومن ادعى خلاف ذلك فعليه الدليل [٢].

١) التوسل للألباني (ص136).

٢) التوسل للألباني (ص143).

المبحث الحادي عشر: أنواع القسم بالمخلوق:

تمهيد

القسم في اللغة: اليمين [١].

وفي الاصطلاح "هو تأكيد الشيء بذكر معظم بالواو أو بإحدى أخواتها"[٢].

أنواع القسم بالمخلوق عند شيخ الإسلام:

قسم شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله– القسم بالمخلوق إلى نوعين:

الأول: قسم الخالق بالمخلوق.

الثاني: قسم المخلوق بالمخلوق [٣].

القسم الأول: قسم الخالق بالمخلوق.

وهو إقسام الله ﷻ بمخلوقاته، قال شيخ الإسلام: "إقسامه بمخلوقاته، يتضمن من ذكر آياته الدالة على قدرته، وحكمته، ووحدانيته، ما يحسن معه إقسامه"[٤]، فلله ﷻ أن يقسم بما شاء من مخلوقاته العظيمة، كما اقسم بالشمس والقمر ونحو ذلك، وقسمه ﷻ في القران يكون على أحد وجهين، إما بنفس المخلوقات، وإما بربها وخالقها[٥]، وذلك كقوله سبحانه ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِرَبِّ ٱلۡمَشَٰرِقِ وَٱلۡمَغَٰرِبِ﴾[٦]، وقوله ﴿وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ﴾[٧] ونحو ذلك.

أنواع ما يقسم به الله ﷻ عند شيخ الإسلام:

قسّم شيخ الإسلام ما يقسم به الله ﷻ إلى نوعين:

---

١) معجم تهذيب اللغة (2961/3)، لسان العرب (148/11) مادة (قَسَمَ).

٢) انظر أصول التفسير لابن تيمية مع الشرح (ص179).

٣) أنظر مجموع الفتاوى (203/1).

٤) مجموع الفتاوى (203/1).

٥) التفسير الكبير لابن تيمية (240/6).

٦) سورة المعارج الآية رقم (40).

٧) سورة النجم الآية رقم (1).

النوع الأول: بصفاته، قال شيخ الإسلام: "وهو سبحانه يقسم بأمور على أمور، يقسم بنفسه المقدسة الموصوفة بصفاته"[١]، فهذا النوع من القسم يكون إقساماً بنفسه المقدسة التي تدل عليها صفاته.

النوع الثاني: بآياته، قال شيخ الإسلام بعد ذكره أن الله يقسم بنفسه المقدسة الموصوفة بصفاته: "أو بآياته المستلزمة لذاته وصفاته" [٢]، فهنا ليس إقساماً بذاته ولا بصفاته، وإنما هو إقسام بآياته المستلزمة لذاته وصفاته، كما في قوله ﷻ ﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا ﴿١﴾ وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا ﴿٢﴾ وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا ﴿٣﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا ﴿٤﴾ وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا ﴿٥﴾ وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا ﴿٦﴾ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿٧﴾﴾[٣]، فهنا فهنا أقسم ﷻ ببعض مخلوقاته الدالة على كمال قدرته وحكمته المستلزمة لذاته وصفاته.

القسم الثاني من أقسام القسم بالمخلوق: قسم المخلوق بالمخلوق.

فيقسم المخلوق بمثله، سواء كان ذلك المخلوق عظيما كالأنبياء والملائكة وغيرهم، وذلك بمثل قول: والنبي أو ومحمد أو وفلان، فهذا القسم شرك بالخالق، قال شيخ الإسلام: "إقسامه —أي المخلوق- شرك بخالقها، كما في السنن عن النبي ﷺ أنه قال: **((من حلف بغير الله فقد أشرك))**"[٤] [٥]. وهو حرامٌ عند الجمهور وذلك ثابت بالنص والإجماع وهذا وهذا من أعظم البدع المنكرة في الإسلام [٦]، كما قال عبدالله بن مسعود: "لأن أحلف بالله كاذباً، أحبّ إليّ من أن أحلف بغيره صادقاً" [٧].

---

١) مجموع الفتاوى (314/13).

٢) مجموع الفتاوى (314/13).

٣) سورة الشمس الآيات من (1-7).

٤) رواه الترمذي حديث رقم (1535) في كتاب النذور والأيمان (باب ما جاء في أن من حلف بغير الله أشرك) وقال حديث حسن، وصححه الألباني في السلسلة (155/3).

٥) مجموع الفتاوى (203/1).

٦) مجموع الفتاوى (204/1-290).

٧) رواه الطبراني في المعجم الكبير (205/9) حديث رقم (8902) ، ومصنف ابن أبي شيبة (549/7)، حديث رقم (12414) وصححه الألباني في إرواء الغليل حديث رقم (2562).

أدلة التقسيم:

في قول الله تعالى ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ ۝١ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ۝٢﴾[1]، وفي قوله ﴿وَٱلشَّمۡسِ وَضُحَىٰهَا ۝١ وَٱلۡقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ۝٢﴾[2]، وفي قوله ﷻ ﴿وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفّٗا ۝١﴾[3]، وقوله ﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرۡقٗا ۝١﴾[4].

أقسم الله ﷻ بمخلوقاته العظيمة، وفي قوله ﷺ ((**من حلف بغير الله فقد أشرك**))[5]، وفي قوله ﷺ ((**من كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت**))[6]، وقوله ﷺ ((**لا تحلفوا بآبائكم**))[7]. وقوله ﷺ ((**من حلف باللات والعزى فليقل لا إله إلا الله**))[8].

نهي عن القسم بالمخلوق بشتى أنواعه وصوره، فدلّ على أن إقسام الله ﷻ بمخلوقاته العظيمة التي لا تكاد تحصر، ونهي النبي ﷺ عن الحلف بغير الله ﷻ من مخلوقاته بشتى أنواعه وصوره، دال دلالة واضحة على أن قسم المخلوق بالمخلوق غير جائز، بخلاف قسم الخالق بالخلوق، وأنهما ليسا نوعاً واحداً.

---

١) سورة الليل الآية رقم (1 – 2).

٢) سورة الشمس الآية رقم (1– 2).

٣) سورة الصافات الآية رقم (1).

٤) سورة النازعات الآية رقم (1).

٥) رواه الترمذي حديث رقم (1535) في كتاب النذور والأيمان (باب: ما جاء في أن من حلف بغير الله أشرك)، وصححه الألباني في السلسلة (155/3).

٦) رواه البخاري حديث رقم (6608) كتاب الأدب (باب: من لم ير إكفار من قال ذلك متأولاً أو جاهلاً).

٧) رواه البخاري حديث رقم (6648) كتاب الأيمان والنذور (باب: لا تحلفوا بآبائكم)، ورواه مسلم حديث رقم (1646) كتاب الأيمان (باب: النهي عن الحلف بغير الله تعالى).

٨) رواه البخاري حديث رقم (4860) كتاب التفسير (باب: أفرأيتم اللات والعزى).

المبحث الثاني عشر: أنواع الرقى:

تمهيد

رقأ في اللغة: إذا عوّذ ونفث في عوذته، والرقية: العوذة التي يرقى بها[١]، قال الطيبي[٢] في الرقية هي : "ما يرقى به من الدعاء لطلب الشفاء"[٣]. وهي التي تسمى العزائم [٤]. والإسترقاء كما قال شيخ الإسلام "طلب الرقية من المخلوق" [٥]، وهي نوع من أنواع الدعاء[٦].

أنواع الرقى عند شيخ الإسلام:

وقد قسم شيخ الإسلام ابن تيمية، الرقى إلى نوعين:

الرقى المحرمة، والرقى المباحة [٧].

النوع الأول: الرقى المحرمة.

وهي ما كان فيه من شرك ، قال شيخ الإسلام: "وإن كان في ذلك كلمات محرمة، مثل أن يكون فيها شرك، أو كانت مجهولة المعنى يحتمل أن يكون فيها كفر، فليس لأحد أن يرقى بها ولا يعزم"[٨]، ومجهولة المعنى مثل الذي يكون من رقى الجاهلية ونحوها.

---

١) لسان العرب (283/5) مادة: رقا

٢) الحسين بن محمد بن عبد الله، شرف الدين الطيبي: من علماء الحديث والتفسير والبيان.من أهل توريز، من عراق العجم. كانت له ثروة طائلة من الإرث والتجارة، فأنفقها في وجوه الخير، حتى افتقر في آخر عمره.وكان شديد الرد على المبتدعة، ملازما لتعليم الطلبة والإنفاق على ذوي الحاجة منهم، آية في استخراج الدقائق من الكتاب والسنة، متواضعا، ضعيف البصر. توفي عام 743 هـ، أنظر طبقات المفسرين للأدنروي (ص277)، الدرر الكامنة (68/2). الأعلام للزركلي (256/2)

٣) فيض القدير للمناوي (626/1). و لم أقف على حد للرقية عند شيخ الإسلام.

٤) كتاب التوحيد للإمام المجدد (ص42).

٥) تلخيص الاستغاثة (ص316).

٦) مجموع الفتاوى (68/27).

٧) أنظر الفتاوى الكبرى (13/3).

٨) الفتاوى الكبرى (13/3).

قال شيخ الإسلام: " فالرقى العجمية، كالعبرانية أو السريانية، أو غيرهما مما لا يفقه بالعربية فعامته فيه شركٌ بالجن"[١].

وقال في موضع آخر: "الرقى والعزائم الأعجمية تتضمن أسماء رجال من الجن، يُدعون ويستغاث بهم، ويقسم عليهم بمن يعظمونه، فتطيعهم الشياطين بسبب ذلك في بعض الأمور"[٢].

ثم بين شيخ الإسلام أن النبي ﷺ نهى عن هذه الرقى فقال: "نهى عن الرقى التي فيها شرك كالتي فيها استعاذة بالجن"، ثم قال: "ولهذا نهى العلماء عن التعازيم والأقسام التي يستعملها بعض الناس في حقّ المصروع وغيره، التي تتضمن الشرك، بل نهوا عن كل ما لا يعرف معناه من ذلك خشية أن يكون فيها شرك"[٣]، بل قد أجمعوا على تحريم هذا النوع[٤].

النوع[٤].

النوع الثاني الرقى المباحة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله-: "فإن كانت الرقى والتعاويذ، مما يعرف معناها ومما يجوز في دين الإسلام، أن يتكلم بها الرجل، داعياً الله ذكراً له، مخاطباً لخلقه، ونحو ذلك فإنه يجوز أن يرقى بها المصروع ويعوّذ"[٥]، فما ذكره شيخ الإسلام هي شروط للرقية المباحة.

قال ابن حجر: "وقد أجمع العلماء على جواز الرقى عند اجتماع ثلاثة شروط:

الشرط الأول: أن يكون بكلام الله تعالى أو بأسمائه وصفاته.

الشرط الثاني: أن تكون باللسان العربي، أو بما يعرف معناه من غيره.

الشرط الثالث: أن يعتقد أن الرقية لا تؤثر بذاتها، بل بذات الله تعالى"[٦].

---

١) مجموع الفتاوى (13/19)، اقتضاء الصراط المستقيم (519/1).

٢) مجموع الفتاوى (362/1).

٣) تلخيص الإستغاثه (ص40).

[٤]) مجموع الفتاوى (65/19).

٥) الفتاوى الكبرى (13/3).

٦) فتح الباري (2546/3) وانظر مجموع الفتاوى(278/24)وايضا(131/27).

أدلة التقسيم:

قال ﷺ ((**إن الرقى والتمائم والتولة شرك**))[١]، وقال ﷺ: ((**أعرضوا عليّ رقاكم. لا بأس بالرقى ما لم تكن شركاً**))[٢]، وقال ﷺ لما جاءه آل عمرو بن حرام، حين نهى عن الرقى فقالوا: إنه كانت عندنا رقية نرقي بها من العقرب، وإنك نهيت عن الرقى، فقال: ((**ما أرى بها بأساً. من استطاع منكم أن ينفع أخاه فلينفعه**))[٣]. ففي هذه الأحاديث، بيان أن الرقى نوعان، ففرّق بينهما، فأباح أحدهما وهو الرقى بما ليس فيها شرك، والثاني ما فيه شرك وقد منعه.

ففي قوله: ((**إن الرقى والتمائم والتولة شرك**)) عام، وخصص هذا العام بقوله: ((**اعرضوا عليّ رقاكم لا بأس بالرقى ما لم تكن شركاً**))، وكذلك أجاز لآل عمرو بن حرام حين عرضوا عليه رقاهم، لما كانت خالية من الشرك، وذلك لكون كثير من الرقى فيها شرك ، كما قال علي بن أبي طالب ﷺ "إن كثيرا من هذه التمائم والرقى شرك بالله ﷻ فاجتنبوها" [٤].

---

١) رواه أبو داود حديث رقم (3883) كتاب الطب باب في تعليق التمائم ، وابن ماجة حديث رقم (3530) كتاب الطب، باب تعليق التمائم، وصححه ابن حبان في صحيحه حديث رقم (6090) (456/13)، والحاكم في المستدرك حديث رقم (7580) ، والألباني في السلسلة الصحيحة (648/1).

٢) رواه مسلم حديث رقم (2200) كتاب السلام (باب: لا بأس بالرقى ما لم يكن فيه شرك).

٣) رواه مسلم حديث رقم (2199) كتاب السلام (باب: استحباب الرقية من العين).

٤) الإبانة لابن بطة (744/2) الكتاب الأول ((الإيمان)).

المبحث الثالث عشر: أنواع التنجيم

تمهيد

النجم في اللغة اسم لكل واحد من كواكب السماء، والمنجّم والمتنجّم الذي ينظر في النجوم [١]، واصطلاحاً قال شيخ الإسلام في علم النجوم: "كل ما يحدثه الإنسان بحركة من تغيير شيء من الأجسام، يستخرج به علم ما يستقبله" [٢].

أنواع التنجيم عند شيخ الإسلام:

ذكر شيخ الإسلام أنواع علم النجوم فقال: "النجوم نوعان حساب وأحكام" [٣].

النوع الأول: الحساب

قال شيخ الإسلام مبيناً هذا النوع: " فأما الحساب فهو معرفة أقدار الأفلاك، والكواكب، وصفاتها، ومقادير حركاتها، وما يتبع ذلك، فهذا في الأصل علم صحيح لا ريب فيه، كمعرفة الأرض وصفتها ونحو ذلك، لكن جمهور التدقيق منه كثير التعب قليل الفائدة، كالعالم مثلا بمقادير الدقائق والثواني والثوالث في حركات السبعة المتحيرة، الخنس الجوار الكنس، فان كان أصل هذا مأخوذاً عن إدريس فهذا ممكن، والله أعلم بحقيقة ذلك" [٤].

وهذا ما يسميه بعض العلماء علم التسيير، فيستدل بها على الجهات والأوقات، وهذا جائز، وقد يكون واجباً كما قال الفقهاء: إذا دخل وقت الصلاة يجب على الإنسان أن يتعلم علامات القبلة من النجوم والشمس والقمر.

---

١) لسان العرب (56/14) مادة: نجم.

٢) مجموع الفتاوى (80/4).

٣) مجموع الفتاوى (181/35).

٤) مجموع الفتاوى (181/35).

فالاستدلال بهذه النجوم على الأزمان لا بأس به، مثل أن يقال: إذا طلع النجم الفلاني دخل وقت السيل، ودخل وقت الربيع، وكذلك على الأماكن كالقبلة والشمال والجنوب ونحو ذلك[1].

النوع الثاني: الأحكام

وهذا ما يطلق عليه علم التأثير قال شيخ الإسلام في بيانه: " وأما الأحكام التي هي من جنس السحر فمن الممتنع أن يكون نبي من الأنبياء كان ساحرا، وهم يذكرون أنواعاً من السحر، ويقولون هذا يصلح لعمل النواميس ؛ أي: الشرائع والسنن ، ومنها ما هو دعاية للكواكب وعبادة لها وأنواع من الشرك ... ، وكذلك أيضاً الاستدلال على الحوادث بما يستدلون به من الحركات العلوية والاختيارات للأعمال"[2].

وهذا النوع هو ما يسميه بعض العلماء علم التأثير، وقد بيّن شيخ الإسلام علم التأثير فقال: هو "الاستدلال على الحوادث الأرضية بالأحوال الفلكية، والتمزيج بين القوى الفلكية والقوابل الأرضية"[3].

فيستدلّون بما يكون في الأرض سواء للناس في حياتهم، أو ما يكون من تغير عام بما يكون من أحوال الفلك.

قال الخطابي في هذا النوع: "هو ما يدعيه أهل التنجيم من علم الكوائن والحوادث التي لم تقع وستقع في مستقبل الزمان، كإخبارهم بأوقات هبوب الرياح، ومجيء المطر، وظهور الحر والبرد، وتغير الأسعار، وما كان في معانيها من أمور يزعمون أنهم يدركون معرفتها

---

١) أنظر فضل علم السلف على الخلف لابن رجب (ص13)، وأنظر القول المفيد (520/1).
٢) مجموع الفتاوى (181/35).
٣) مجموع الفتاوى (192/35).

بسير الكواكب في مجاريها، وباجتماعها واقترانها، ويدعون لها تأثيراً في السفليات، وأنها تتصرف في أحكامها، وتجري على قضايا موجباتها"[١].

بل حتى أنهم يزعمون بها علم الغيب، كما قال ابن خلدون: "ما يزعمه أصحاب هذه الصناعة من أنهم يعرفون بها الكائنات في عالم العناصر قبل حدوثها ، من قبل معرفة قوى الكواكب و تأثيرها في المولدات العنصرية مفردة و مجتمعة ، فتكون لذلك أوضاع الأفلاك و الكواكب دالة على ما سيحدث من نوع من أنواع الكائنات الكلية و الشخصية"[٢].

وهذا كله محرمٌ في الكتاب والسنة وإجماع الأمة، بل هي محرمة على لسان جميع المرسلين في جميع الملل، قال تعالى: ﴿وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ﴾[٣]، وقال: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ﴾[٤]، قال عمرو وغيره: الجبت السحر، وروي عن النبي ﷺ بإسناد صحيح أنه قال: ((**من اقتبس علماً من النجوم اقتبس شعبة من السحر زاد ما زاد**))[٥]، فقد صرّح رسول الله ﷺ بأن علم النجوم من السحر[٦].

ثم إذا انضاف لهذا النوع زيادة في الكفر؛ فإنه يكون كفراً قال ابن رجب: "والعمل بمقتضاه كالتقرب إلى النجوم وتقريب القرابين لها كفر"[٧].

---

١) أنظر شرح السنة للبغوي (277/6).

٢) مقدمة ابن خلدون (ص518).

٣) سورة طه الآية رقم (69).

٤) سورة النساء الآية رقم (51).

٥) رواه أبو داود حديث رقم (3905) كتاب الطب (باب: في النجوم)، وابن ماجة حديث رقم (3726) كتاب الأدب (باب: تعلم النجوم)، وصححه الألباني في السلسلة حديث رقم (793) (420/2).

٦) مجموع الفتاوى (192/35).

٧) فضل علم السلف على الخلف لابن رجب (ص13).

أنواع علم التأثير عند شيخ الإسلام:

يذكر شيخ الإسلام أنوع علم التأثير فيقول: "النجوم التي من السحر نوعان أحدهما: علمي ...، والثاني عملي"[1].

النوع الأول: العلمي

قال شيخ الإسلام: "وهو الاستدلال بحركات النجوم على الحوادث من جنس الاستقسام بالأزلام"[2]، فمن يستدل على الحوادث الأرضية بمسير الكواكب واجتماعها وافتراقها ونحو ذلك ، ويقول إن ذلك بتقدير الله ومشيئته فإن ذلك محرم [3]، فالنجوم ليس علامة على الحوادث والمتغيرات، فكل هذا غيب لا يعلـــمه إلا ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾[4].

النوع الثاني: العملي

قال شيخ الإسلام: "وهو الذي يقولون أنه القوى السماوية بالقوى المنفعلة الأرضية كطلاسم ونحوها، وهذا من أرفع أنواع السحر"[5].

وهذا النوع لا يستدل بالنجوم على الحوادث فقط، كصاحب النوع الأول، بل يعتقد أن النجوم هي بنفسها تؤثر بما يكون في الأرض وهذا كفر.

قال الشيخ سليمان بن عبد الوهاب عند ذكر هذا النوع: "وهو القول بأن الموجودات في العالم السفلي مركبة على تأثير الكواكب والروحانيات، وأن الكواكب فاعلة مختارة،

---

١) مجموع الفتاوى (171/35).
٢) مجموع الفتاوى (171/35).
٣) أنظر تيسير العزيز الحميد (ص367).
٤) سورة النمل الآية رقم (65).
٥) مجموع الفتاوى (171/35).

وهذا كفر بإجماع المسلمين، وهذا قول الصابئة المنجمين الذين بعث إليهم إبراهيم الخليل عليه السلام" [١].

---

١) تيسير العزيز الحميد (ص367).

الفصل الرابع:

تقسيمات توحيد الأسماء والصفات لدى شيخ الإسلام ابن تيمية

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: في الصفات وما يتعلق بها

المبحث الثاني : أقسام الناس في أدلة الصفات

المبحث الأول: وفيه ثلاثة عشر مطلباً

المطلب الأول: أقسام الصفات

المطلب الثاني: أنواع أفعال الله

المطلب الثالث: أقسام المضاف إلى الله

المطلب الرابع: أقسام الاستواء

المطلب الخامس: أقسام المحبة

المطلب السادس: أقسام الكلام

المطلب السابع: أقسام العلو

المطلب الثامن: أقسام السمع المضاف إلى الله

المطلب التاسع: أقسام الأنوار.

المطلب العاشر: أنواع النزول في كتاب الله

المطلب الحادي عشر: أنواع القرب

المطلب الثاني عشر: أنواع المعية

المطلب الثالث عشر: أنواع كيد الله

المطلب الأول: أقسام الصفات

تمهيد

الوصف في اللغة: وصفك الشيء بحليته ونعته[1]، والصفة كالعلم والسواد، واتصف الشيء: أمكن وصفه، وصار متواصفاً[2]، والصفة: هي الاسم الدالّ على بعض أحوال الذات [3].

وفي الإصطلاح: صفات الله هي نعوت الكمال القائمة بالذات، كالعلم والحكمة والسمع والبصر، والاسم متضمنٌ للصفة، والصفة مستلزمة للاسم [4].

أقسام الصفات عند شيخ الإسلام ابن تيمية

قسم شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله– الصفات بعدة اعتبارات، سنذكرها إجمالاً، ثم نأتي عليها بالتفصيل:

أولاً: قسم شيخ الإسلام الصفات باعتبار الإثبات والنفي، إلى صفات مثبته وصفات منفية [5].

ثانياً: قسم شيخ الإسلام الصفات باعتبار تعلقها بالذات إلى صفات ذاتية وصفات فعلية [6] أوصفات لازمة للموصوف وصفات عارضة له يمكن مفارقتها [7].

ثالثا :أقسام الأسماء والصفات عند شيخ الإسلام باعتبار ما يختص به الربّ وما يجوز أن يوصف به العبد.

---

١) معجم تهذيب اللغة (3901/4) مادة: وَصَفَ.

٢) لسان العرب (306/15) مادة: وَصَفَ

٣) التعريفات للجرجاني (ص 38).

٤) فتاوى اللجنة الدائمة (160/3).

٥) مجموع الفتاوى (35/3)، الجواب الصحيح (32/3).

٦) مجموع الفتاوى (68/6 – 173، 217) نفس المصدر (99/5).

٧) الردّ على المنطقيين (ص 406).

أولا: تقسيم الصفات شيخ الإسلام للصفات باعتبار الإثبات والنفي إلى مثبته ومنفية:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله-: "الله سبحانه موصوف بالإثبات والنفي، فالإثبات: كإخباره بأنه بكلّ شيء عليم، وعلى كل شيء قدير، وأنه سميع بصير، ونحو ذلك.

والنفي: كقوله ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [١].

وينبغي أن يعلم أن النفي ليس فيه مدح ولا كمال إلا إذا تضمن إثباتاً، وإلا فمجرد النفي ليس فيه مدح ولا كمال؛ لأن النفي المحض عدم محض؛ والعدم المحض ليس بشيء، وما ليس بشيء فهو كما قيل: ليس بشيء؛ فضلا عن أن يكون مدحاً أو كمالاً" [٢].

وقال في موضع آخر: "فإن الله يوصف بالإثبات، وهو إثبات محامده بالثناء عليه وتمجيده ويوصف بالنفي، وهو نفي العيوب والنقائص عنه سبحـــــانه وتعالى عمّا يقولون علوّاً كبيرا" [٣].

فالصفات الثبوتية: هي الصفات التي تدل على معنى ثبوتيّ [٤]، أو هي ما أثبته الله تعالى لنفسه في كتابه أو على لسان رسوله ﷺ وكلها صفات كمال لا نقص فيها بوجه من الوجوه [٥].

والصفات المنفية: هي ما نفاه الله ﷻ عن نفسه في كتابه أو على لسان رسوله ﷺ [٦]، أو هي الصفات التي تقع في سياق النفي، أي: التي تدخل عليها أداة النفي مثل (ما) و(لا) و (ليس) [٧].

---

١) سورة البقرة الآية رقم (255).

٢) مجموع الفتاوى (35/3).

٣) الفتاوى الكبرى (335/6).

٤) الصفات الإلهية (ص256).

٥) القواعد المثلى لابن عثيمين (21).

٦) القواعد المثلى لابن عثيمين (ص60).

٧) الصفات الإلهية (ص256).

أنواع التتريه عند شيخ الإسلام:

ذكر شيخ الإسلام أن التتريه يشمل نوعين فقال: "والتتريه يجمعه نوعان: نفي النقص، ونفي مماثلة غيره له في صفات الكمال،كما دلّ على ذلك سورة ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾، وغيرها من القران، مع دلالة العقل على ذلك" [١]أي أن الله ﷻ يتره عن كل نقص فلا يوصف به كما أنه من كمال تتريهه نفي أن يماثله أحد في صفة الكمال وإن كان قد يوصف المخلوق ببعض مايوصف به الخالق كالسمع والبصر ونحو ذلك لكن له سبحانه كمال الصفة وأتمها.

أدلة التقسيم:

١) قال ﷻ ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [٢].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "فنفي أخذ السنة والنوم له مستلزم لكمال حياته وقيوميته، فإن النوم ينافي القيومية" [٣].

٢) قال الله ﷻ ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ﴾ [٤].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "أي: لا يكرثه ولا يثقله، وهذا النفي تضمن كمال قدرته" [٥].

٣) قال الله ﷻ ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴿٣٨﴾﴾ [٦]،فتزّه نفسه ﷻ عن مسّ اللغوب.

٤) قال تعالى ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾﴾ [٧].

---

١) منهاج السنة النبوية (443/1).

٢) سورة البقرة آية رقم (255).

٣) مجموع الفتاوى (109/17).

٤) سورة البقرة آية رقم (255).

٥) مجموع الفتاوى (110/17).

٦) سورة ق آية رقم (38).

٧) سورة الإخلاص آية رقم (1–2).

قال شيخ الإسلام: "الكمال من مدلول اسمه الصمد، فهذا الاسمان العظيمان – الأحد و الصمد- يتضمنان تنزيهه عن كل نقصٍ وعيب، وتنزيهه في صفات الكمال أن لا يكون له مماثلٌ في شيء منها، واسمه الصمد يتضمن إثبات جميع صفات الكمال، فتضمن ذلك إثبات جميع صفات الكمال، ونفي جميع صفات النقص"(١).

فإثباته ﷻ في كتابه لصفاته التي تدل على كماله، كالعلم والحكمة ونحوها، ونفيه عن نفسه كلّ نقص وعيب كاللغوب والنوم؛ دلّ على أن الصفات تكون على أحد هذين الوجهين إما صفات كمال وإما صفات نقص.

٥) قال تعالى ﴿ يَعۡلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا يَخۡرُجُ مِنۡهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعۡرُجُ فِيهَاۚ وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلۡغَفُورُ ٢ ﴾(٢).

٦) قال ﷺ: ((**إن الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام...**))(٣). وغير ذلك من الأدلة التي لا لا تكاد تحصر أثبتت لله ﷻ صفات الكمال، ونفت عنه صفات النقص، كلها تدلّ على أن الصفات لا تخرج عن هذين النوعين فإما كمالٌ وإما نقص، والله موصوف بالكمال منزه عن النقص.

---

١) مجموع الفتاوى (109/17).

٢) سورة سبأ آية رقم (2).

٣) رواه مسلم حديث رقم (179) كتاب الإيمان (باب: إن الله لا ينام).

ثانياً: أقسام الصفات عند شيخ الإسلام باعتبار تعلقها بذات الله ﷻ إلى صفات ذاتية وصفات فعلية أو صفات لازمه للموصوف وصفات عارضه له يمكن له مفارقتها:

القسم الأول: الصفات الذاتية

فالصفات الذاتية هي التي لم يزل و لا يزال الله ﷻ موصوفاً بها كالحياة والعلم والقدرة والسمع والبصر والكلام والإرادة ونحوها [١].

فهذه الصفات تكون لازمة للموصوف قال شيخ الإسلام : " الصفات تنقسم إلى لازمة للموصوف لا تفارقه إلا بعدم ذاته" ثم قال: "واللازمة منها ما هو لازم للشخص دون نوعه وجنسه، ومنها ما هو لازمٌ لنوعه وجنسه" [٢].

وقال في موضع آخر: "الصفة يعقل كونها لازمة للموصوف، إما عيناً كالحياة، وإما نوعاً كالكلام والإرادة"[٣]،قال الله ﷻ ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [٤]، وقال تعالى﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [٥]، وقال أيضاً﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [٦]، ويطلق عليها ذاتية إضافة إلى الذات العلية لملازمتها للذات، لأنها لا تتجدد تجدد صفـــات الأفعال[٧]، فالذاتية لا تنفك عن الذات.

---

١) مجموع الفتاوى (99/5).

٢) درء التعارض (322/3).

٣) الصفدية (ص 244).

٤) سورة الشورى الآية رقم (11).

٥) سورة الحجرات الآية رقم (16).

٦) سورة البقرة الآية رقم (20).

٧) الصفات الإلهية (ص 256).

أقسام الصفات اللازمة للموصوف عند شيخ الإسلام

يقسم شيخ الإسلام الصفات اللازمة للموصوف إلى قسمين فيقول :"الصفات اللازمة للموصوف تنقسم إلى ما لزومه للإنسان بيّن، والى ما ليس هو بيّن" [١].

قال شيخ الإسلام مبيّناً هذين القسمين: "ولا ريب أن الصفات اللازمة للموصوف تنقسم إلى ما لزومه بيّنٌ للإنسان، وإلى ما لزومه ليس هو بيّن، بل يفتقر ملزومه إلى دليل، وكونه بيّن للإنسان، وغير بيّن؛ ليس هو صفة الشيء في نفسه، وإنما إخبار عن علم الإنسان به وتنبيه له، فهو إخبار عن الوجود الذهنيّ لا الخارجي، فما كان بيّناً للإنسان معلوماً له موجوداً في ذهنه لم يحتج فيه إلى دليل، وما لم يكن كذلك احتاج فيه إلى دليل، وكون الشيء بيّناً للإنسان، وغير بيّن، نسبة وإضافة بيّن المعلوم والإنسان العالم" [٢]، أي: أن معرفة هذا الشيء مقتصر على معرفة هذا العالم، فقد يعلم الشخص ما لا يعلمه غيره فهي أمور نسبية، ثم يقول رحمه الله: "وهذا يختلف فيه أحوال الناس، فقد يتبين لزيد ما لا يتبين لعمرو؛ فإن أسباب العلم وقوة الشعور وجودة الذهن متفاوتة، فلا يلزم إذا تبيّن لإنسان ثبوت بعض الصفات أو لزومها أو اتصاف الموصوف بها أن يتبين ذلك لكل واحد ولا يلزم إذا خفي على بعض الناس أن يكون خافياً على كل أحد" [٣].

فبهذا لا يلزم من كون الصفة غير بينة للإنسان أن تكون صفة ليست لازمة، بل قد تكون صفة لازمة غير بينة،كما أنها قد تكون بيّنة غير لازمه، فظهور بيانها وخفاءه أمرٌ متفاوت ونسبي، فلا يمكن أن يصار إليه أو يحكم به، فيقال: لا يمكن أن تكون صفة لازمة إلا إذا ظهر للإنسان أنها صفة لازمة، فهذا تحكّم بغير دليل ولا برهان، وقول على الله بغير علم، وينبه شيخ الإسلام في الظهور و الخفاء إلى أنه ليس هو صفة الشيء في نفسه، أنما هو باعتبار ظهوره وخفائه على الإنسان.

---

١) الرد على المنطقيين (ص 444).

٢) الرد على المنطقيين (ص 444).

٣) الرد على المنطقيين (ص 444).

القسم الثاني: الصفات الفعلية

فالصفات الفعلية هي الأمور التي يتصف بها الربّ ﷻ فتقوم بذاته بمشيئته وقدرته مثل كلامه وسمعه وبصره [١].

قال الله ﷻ ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ﴾[٢]، وقال تعالى ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ ﴾[٣]، فالصفات الفعلية تتعلق بمشيئته ﷻ إن شاء فعلها وإن شاء لم يفعلها [٤].

والصفة قد تكون ذاتية فعلية، كالكلام؛ فإنه باعتبار أصله صفة ذاتية، لأن الله تعالى لم يزل ولا يزال متكلماً، وباعتبار آحاد الكلام صفة فعلية؛ لأن الكلام يتعلّق بمشيئته يتكلم متى شاء بما شاء [٥].

وهذا النوع من الصفات تسمى غير لازمة للموصوف وهي التي يمكن مفارقتها للموصوف مع بقاء الذات، قال شيخ الإسلام بعد ذكره للصفات اللازمة للموصوف ذكر غير اللازمة للموصوف: "وإلى عارضة له يمكن مفارقتها مع بقاء ذاته"[٦]، أي: أنها يمكن أن تفارق الموصوف مع بقاء الذات وهي إما:

- من باب الأفعال كالاستواء والمجيء.
- أو من باب الأقوال كالتكليم والمناداة.

أو من باب الأحوال كالفرح والضحك.

أدلة التقسيم:

١) قال تعالى ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ﴾[٧].

---

١) مجموع الفتاوى (217/6).

٢) سورة النساء الآية رقم (164).

٣) سورة طه الآية رقم (46).

٤) القواعد المثلى لابن عثيمين (63).

٥) القواعد المثلى لابن عثيمين (63).

٦) درء التعارض (321/3).

٧) سورة البقرة الآية رقم (255).

٢) وقال تعالى ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ٢٨٤﴾ [1].

٣) وقال ﷻ ﴿كُلَّ يَوۡمٍ هُوَ فِي شَأۡنٖ ٢٩﴾ [2].

٤) وقال ﷻ ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ٨٢﴾ [3].

٥) وقال تعالى ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ﴾ [4].

وغير ذلك من الآيات، ففي إثباته لصفات ذاته كالقيومية والحياة والقدرة ونحوها، وكذلك صفاته الفعلية كالاستواء على العرش ونحوها، دليل على أن هناك فرقاً بين صفاته الذاتية والفعلية.

وممن سبق شيخ الإسلام إلى هذا التقسيم الإمام أبو حنيفة –رحمه الله– فقال مبيناً الصفات الذاتية والصفات الفعلية : "أما الذاتية كالحياة والقدرة والعلم والكلام والسمع والبصر والإرادة، وأما الفعلية فا كالتخليق والترزيق والإبداع والصنع وغير ذلك من صفات الفعل، لم يزل و لا يزال بصفاته وأسمائه، لم يحدث له صفة ولا اسم" [5].

ففي هذا النصّ يثبت أبو حنيفة –رحمه الله– الفرق بين الصفات الذاتية والصفات الفعلية، ويفرق بينهما مما يدل على أن هذا التقسيم قد سبق إليه الأئمة.

---

١) سورة البقرة الآية رقم (284).

٢) سورة الرحمن الآية رقم (29).

٣) سورة يس الآية رقم (82).

٤) سورة الأعراف الآية رقم (54).

٥) الفقه الأبسط مع الشرح (ص 75).

ثالثا :أقسام الأسماء والصفات عند شيخ الإسلام باعتبار ما يختص به الربّ وما يجوز أن يوصف به العبد.

بعد ذكرنا لأقسام الصفات عند شيخ الإسلام نذكر كلامه على ما يجوز تسمية العبد به ومالا يجوز.

القسم الأول: ما يختص به الرب.

قال شيخ الإسلام مبينا ما يختص به الرب ﷻ قال: "نوع يختص به الرب، مثل الإله ورب العالمين ونحو ذلك، فهذا لا يثبت للعبد بحال، ومن هنا ضلّ المشركون الذين جعلوا لله أندادا"(١).

فلا يجوز أن يسمى أحد من المخلوقات أو يوصف بالصفات التي يختص بها الله ﷻ ، إذ هي مختصة بالرب سبحانه لا يشترك معه فيها أحد من خلقه سواء في اسمه أو في صفته فالإله مثلا هو الذي يؤله فتألهه القلوب والرب هو المربي لعبده فهذه أسماء وصفات لا يمكن بحال أن يوصف العبد بشيء منها.

القسم الثاني: ما يوصف به العبد

قال شيخ الإسلام بعد ذكره لما يختص به الرب ذكر ما يمكن أن يوصف به العبد فقال: "الثاني: ما يوصف به العبد في الجملة،كالحي، والعالم، والقادر، فهذا لا يجوز أن يثبت للعبد مثل ما يثبت للرب أصلا؛ فإنه لو ثبت له مثل ما يثبت له للزم أن يجب له ما يجب له، ويمتنع عليه ما يمتنع عليه وذلك يستلزم اجتماع النقيضين"(٢)، فالعبد يوصف بالصفة في الجملة لكن لا يشترك مع الرب ﷻ في كمال الصفة فصفة الله ﷻ هي على وجه الكمال وعلى الوجه اللائق لكمال الله، فحياته وعلمه وقدرته كاملة لا نقص فيها بوجه من الوجوه وأما صفة العبد فهي على صفة النقص الذي هو من صفات المخلوقين، فهو حي وعالم وقادر لكنها

---

١) منهاج السنة النبوية (201/2).

٢) منهاج السنة النبوية (201/2).

صفات ناقصة في حقه فليس له الحياة والعلم والقدرة المطلقة، فمن هنا تتفاوت الصفتان وإن جاز وصف المخلوق بما وصف به الخالق، إلا أن المماثلة بينهما منتفية من جميع الوجوه.

المطلب الثالث: أنواع أفعال الله:

تمهيد

ينقسم الفعل من حيث التعدي واللزوم، إلى فعلٍ متعدّ وفعلٍ لازم [1].

أنواع أفعال الله عند شيخ الإسلام:

قسم شيخ الإسلام ابن تيمية أفعال الله ﷻ إلى نوعين فقال: "الأفعال نوعان متعد ولازم"[2].

القسم الأول: الفعل المتعدّي.

فالفعل المتعدي هو ما كان متعلقاً بالمخلوقات، كالخلق والإعطاء والرزق والمنع، وأنواع التدبير الكونية والشرعيّة [3].

فيكون فعله ﷻ متعدياً إلى خلقه، متعلقا بهم، مقتضيا أثارها من مخلوق ومعطى ومرزوق وممنوع ونحوه، قال سبحانه ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ﴾ [4].

قال شيخ الإسلام: "المتعدي مثل الخلق والإعطاء ونحو ذلك" [5].

القسم الثاني: الفعل اللازم.

وهو متعلّق بذاته المقدسة، كالاستواء والنزول والمجيء والإتيان ونحوها [6]، قال شيخ الإسلام: "اللازم مثل الاستواء والنزول والمجيء والإتيان قال تعالى﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ

---

١) الأصول في النحو للبغدادي (79/1)، والإنصاف في مسائل الخلاف للأنباري (ص 624).

٢) مجموع الفتاوى (233/6).

٣) أنظر توضيح الكافية الشافية للسعدي (ص 147).

٤) سورة الروم الآية رقم (40).

٥) مجموع الفتاوى (233/6).

٦) أنظر توضيح الكافية الشافية للسعدي (ص 147).

وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾[1]، فذكر الفعلين المتعدي واللازم وكلاهما حاصل بمشيئته وقدرته، وهو متصف به"[2].

فهي لا تتعلق بأحد من المخلوقين بل تقتضي القيام به سبحانه، فهي متعلقة بذاته يفعله متى شاء كيف شاء، فهو سبحانه لم يزل فاعلاً لها كما سبق أن فصّلنا هذا القول في ما سبق من مباحث.

أدلة التقسيم:

قال الله ﷻ ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾[3].

فذكر الله ﷻ في هذه الآية خلقه للسموات والأرض وما بينهما في ستة أيام، وخلقه ﷻ من أفعاله، وهي متعدية إلى المخلوقين، كالسموات والأرض ونحوها، ثم إنه ﷻ ذكر استواءه على العرش بعد أن خلق هذه المخلوقات، واستواءه على العرش من أفعاله سبحانه وتعالى، وهي متعلقة بذاته، وكلاهما حاصل بمشيئته وقدرته، وهو متصف به، فهنا ذكر الله ﷻ النوعين من أفعاله، وهذا يدل على أن أفعال الله ﷻ تقع على نوعين، ونظير هذه الآية في القران كثير، كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "أن القران يدلّ على هذا الأصل في أكثر من مائة موضع"[4].

---

١) سورة السجدة الآية رقم (4).
٢) مجموع الفتاوى (233/6).
٣) سورة الأعراف الآية رقم (54).
٤) مجموع الفتاوى (233/6).

المطلب الرابع : أقسام المضاف إلى الله

تمهيد

الإضافة في اللغة: ضمّ الشيء للشيء [1]، وهي النسبة العارضة للشيء [2].

أقسام المضاف إلى الله عز وجل عند شيخ الإسلام

قسم شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله– المضاف إلى الله إلى ثلاثة أقسام فقال" المضافات إلى الله سبحانه في الكتاب والسنة، سواء كانت إضافة اسم إلى اسم، أو نسبة فعل إلى اسم، أو خبر باسم عن اسم، لا يخلوا من ثلاثة أقسام:

أحدها: إضافة الصفة إلى الموصوف.....

الثاني: إضافة المخلوقات.......

الثالث: ما فيه معنى الصفة والفعل" [3].

القسم الأول إضافة الصفة إلى الموصوف:

وهذا يكون في الإضافة الاسمية، كما في حديث ((**اللهم إني أستخيرك بعلمك، وأستقدرك بقدرتك**)) [4]، أو بصيغة الفعل، كقوله تعالى ﴿عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ﴾ [5]، أو بالخبر الذي هو جملة اسمية، كقوله تعالى ﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٨٢﴾﴾ [6].

---

١) التوقيف على مهمات التعريف للمناوي (ص 70).

٢)التعريفات للجرجاني (ص 29) و لم أقف على حد لشيخ الإسلام يبين فيها معنى الإضافة بمعناها العام إلا ما سيأتي بيانه من شرحه للإضافات.

٣) مجموع الفتاوى (144/6 – 145).

٤) رواه البخاري حديث رقم (1162)، أبواب التهجد (باب: ما جاء في التطوع مثنى مثنى).

٥) سورة البقرة الآية رقم (187).

٦) سورة البقرة الآية رقم (282).

وذلك لأن الكلام الذي توصف به الذوات إما جملة أو مفرد، فالجملة إما اسمية كقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٨٢﴾﴾ [١]، أو فعلية، كقوله: ﴿عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ﴾ [٢].

أما المفرد فلا بد من إضافة الصفة إليه لفضاً أو معنى، كقوله ﴿بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ﴾ [٣]، أو إضافة الموصوف، كقوله ﴿ذُو ٱلْقُوَّةِ﴾ [٤][٥].

فإضافة الصفة إلى الموصوف كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله-: "إن كان صفة قائمة بغيرها ليس لها محلٌّ تقوم به فهو ملك لله" [٦]، أي: أنها إن كانت صفة تقوم بغيرها، وليس لها محل تقوم به، فليست صفة لله.

وقال في موضع آخر: "وأما إن كان المضاف إليه لا يقوم بنفسه، بل لا يكون إلا صفة، كالعلم والقدرة والكلام والرضا والغضب، فهذا لا يكون إلا إضافة صفة إليه، فتكون قائمة به سبحانه، فإذا قيل: أستخيرك بعلمك، وأستقدرك بقدرتك، فعلمه صفة قائمة به، وقدرته صفة قائمة به، وكذلك إذا قيـــل: ((**أعوذ برضاك من سخطك، وبمعافاتك من عقوبتك**)) [٧]، فرضاه وسخطه قائم به، وكذلك عفوه وعقوبته" [٨]؛ فبين شيخ الإسلام أن أن المضاف إن كان لا يقوم بنفسه، فلا يأتي إلا صفة، فإضافته إلى الله من إضافة الصفة إلى الموصوف.

القسم الثاني إضافة المخلوقات:

إضافة المخلوقات يراد بها ما يضاف إلى الله ﷻ لكن إضافته إليه ليست إضافة صفة إلى موصوف إنما هي إضافة مخلوق إلى خالقه وقد بين ضابط هذا النوع شيخ الإسلام ابن تيمية

---

١) سورة البقرة الآية رقم (282).

٢) سورة المزمل الآية رقم (20).

٣) سورة البقرة الآية رقم (255).

٤) سورة الذاريات الآية رقم (58).

٥) انظر مجموع الفتاوى (145/6).

٦) مجموع الفتاوى (290/9).

٧) رواه مسلم حديث رقم (486) كتاب الصلاة (باب: فضل السجود والحثّ عليه).

٨) مجموع الفتاوى (152/17)، وأنظر الروح لابن القيم (ص 161).

فقال: "كلّ ما يضاف إلى الله إن كان عيناً قائمة بنفسها، أو صفة فيها، فهو ملك له ومخلوق"[1]، أي أنه قائم بنفسه، أو صفة في القائم بنفسه.

وقال في موضع آخر: "إن المضاف إن كان شيئاً قائماً بنفسه، أو حالاً بذلك القائم بنفسه، فهذا لا يكون صفة لله، لأن الصفة قائمة بالموصوف، فالأعيان التي خلقها الله قائمة بأنفسها، وصفاتها القائمة بها تمتنع أن تكون صفات لله فإضافتها إليه تتضمن كونها مخلوقة مملوكة، لكن أضيفت لنوع من الاختصاص المقتضي للإضافة لا لكونها صفة، والروح الذي هو جبريل من هذا الباب، كما أن الكعبة والناقة من هذا الباب"[2].

فهنا أكد على أن المضاف إن كان قائما بنفسه أو حالا بذالك القائم ، فلا يكون صفة لله بحال، ثم علل هذا بأن الأعيان المخلوقة القائمة بنفسها وصفاتها القائمة بها يمتنع أن تكون صفات لله ، لكن أضيفت له لأنها تتضمن كونها مخلوقة مملوكة له ، وإضافتها إليه لنوع من الإختصاص فيها، إما للتشريف أو غيره .

وقال ابن القيم في هذا القسم: "إضافة أعيان منفصلة عنه كالبيت ونحوه، فهذه إضافة مخلوق إلى خالقه، ومصنوع إلى صانعه، لكنها إضافة تقتضي تخصيصاً وتشريفاً يتميز به المضاف عن غيره، بخلاف الإضافة العامة إلى ربوبيته، حيث تقتضي خلقه وإيجاده، فالإضافة العامة تقتضي الإيجاد، والخاصة تقتضي الاختيار"[3].

وقد إستدل شيخ الإسلام لهذا القسم بقول الله ﷻ ﴿نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقۡيَٰهَا﴾[4]، وقوله: ﴿وَطَهِّرۡ بَيۡتِيَ﴾[5]، وقوله: ﴿رَّسُولُ ٱللَّهِ﴾[6] ونحو ذلك.

---

١) مجموع الفتاوى (290/9)، وأنظر أيضاً دقائق التفسير لابن تيمية (329/1).
٢) مجموع الفتاوى (151/17).
٣) الروح (ص161) بتصرف.
٤) سورة الشمس الآية رقم (13).
٥) سورة الحج الآية رقم (26).
٦) سورة الفتح الآية رقم (29).

القسم الثالث: ما فيه معنى الصفة والفعل:

وهذا القسم هو صفاته الفعلية المتعلقة بمشيئته، فهو سبحانه متصف بالفعل، والفعل لازمٌ له، وهو لم يزل فاعلاً يفعل ما يشاء،واستدل شيخ الإسلام لهذا القسم بقول الله ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ١٦٤﴾[1]، وقوله ﷻ ﴿فَعَّالٞ لِّمَا يُرِيدُ ١٠٧﴾[2]، فالله لم يكن معطلا عن الفعل، فهو موصوف بالفعل في الأزل؛ إلا أنه يفعل ما شاء متى شاء سبحانه، وهذا القسم داخل في القسم الأول وهو من باب إضافة الصفة إلى الموصوف، فالفعل يقوم به سبحانه فليست من الصفات المنفصلة عنه، كما سبق وأن بيّنا ضابط إضافة الصفة، وضابط إضافة الخلق.

وهذا القسم هو الذي خالف فيه المتكلمون من الكلابية[3] وغيرهم[4].

أدلة التقسيم:

١) قال تعالى ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ﴾[5].

٢) وقال تعالى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلۡقُوَّةِ ٱلۡمَتِينُ ٥٨﴾[6].

٣) وقال تعالى ﴿نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقۡيَٰهَا ١٣﴾[7].

٤) وقال تعالى ﴿وَطَهِّرۡ بَيۡتِيَ لِلطَّآئِفِينَ﴾[1].

---

١) سورة النساء الآية رقم (164).

٢) سورة هود الآية رقم (107).

٣) هم أتباع عبد الله بن سعيد بن كلاب المتوفى سنة (240هـــ)، ومن عقائدهم: قولهم أن صفات الله ﷻ لا هي هو ولا غيره، وأنها قائمة بالله ولايجوز أن تقوم بالصفات صفات ، وعنده أن معنى أن الله عالم أن له علم ومعنى أنه قادر أن له قدرة ، وهم لم يفرقوا بين صفات الذات وصفات الأفعال، وكان ابن كلاب مثبت للفوقية والعلو منكرا على الجهمية قولهم وهو أول من عرف عنه إنكار قيام الأفعال الاختيارية بذات الله والقران عنده معنى قائم بالذات. أنظر مقالات الاسلاميين (ص 138) ، وانظر اجتماع الجيوش (ص282).

٤) مجموع الفتاوى (147/6).

٥) سورة البقرة الآية رقم (255).

٦) سورة الذاريات الآية رقم (58).

٧) سورة الشمس الآية رقم (13).

٥) وقال تعالى ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُواْ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [2].

٦) وقال ﷻ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ مَا يُرِيدُ ١﴾ [3].

فالله ﷻ أضاف إليه أنواع من الإضافات فيمتنع أن تحمل الإضافة إليه على نوع واحد، بل لا بدّ من اختلاف بينها، فحين يضيف العلم أو الكلام إلى نفسه، ويضيف البيت والناقة إليه فلا يمكن أن تكون إضافة هذا مثل إضافة هذا، فدلّ على أنها تندرج على ما ذكرنا من أقسام.

وممن سبق شيخ الإسلام إلى هذا التقسيم ابن خزيمة [4]، فقال: "فما أضافه الله ﷻ إلى نفسه على معنيين:

أحدهما: إضافة الذات.

والآخر: إضافة الخلق" [5].

فهنا فرّق ابن خزيمة بين إضافة الذات وإضافة الخلق ليعلم فيه مراد الله ﷻ فيما يضيفه إليه، وفي هذا دلالة ظاهرة على الفرق الظاهر بين هذين النوعين عند ابن خزيمة –رحمه الله .

---

١) سورة الحج الآية رقم (26).

٢) سورة الفتح الآية رقم (15).

٣) سورة المائدة الآية رقم (1).

٤) محمد بن إسحاق بن خزيمة بن المغيرة بن صالح بن بكر، الحافظ الحجة الفقيه، شيخ الإسلام، إمام الأئمة، أبو بكر السلمي النيسابوري الشافعي، صاحب التصانيف، ولد سنة ثلاث وعشرين ومئتين، وعني في حداثته بالحديث والفقه، حتى صار يضرب به المثل في سعة العلم والإتقان توفي سنة 311هـ. طبقات الشافعية (213/1) وسير أعلام النبلاء (225/11).

٥) كتاب التوحيد لابن خزيمة (92/1).

المطلب الخامس: أقسام الاستواء:

تمهيد

الاستواء في اللغة: هو الارتفاع والعلو على الشيء، ويطلق على أربعة معاني، ثلاثة منها هي الواردة في القران.

الأول: أن يكون مطلق، كقوله تعالى ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ﴾ [1]، أي: كمل، والمستوي هو الذي تمّ شبابه فيكون مجتمعاً ومستوياً.

ثانياً: أن يكون مقيد بإلى، كقوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾[2]، أي: قصد بإرادة تامة.

ثالثاً: أن يكون مقيداً بعلى، كقوله تعالى: ﴿ لِتَسْتَوُۥا۟ عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ﴾[3]، ومعناه: العلو والاستقرار.

رابعاً: أن يكون مقروناً بالواو، مثل قولهم: استوى الماء والخشبة، وهذا لم يأتي نظيره في القرآن [4].

أقسام الاستواء عند شيخ الإسلام:

قسم شيخ الإسلام –رحمه الله– الاستواء إلى قسمين فقال" الاستواء: ينقسم إلى استواء الخالق، واستواء المخلوق"[5].

القسم الأول: استواء الخالق سبحانه

واستواء الله على عرشه من الصفات الفعلية[6]، الثابتة لله ﷻ بالكتاب والسنة والإجماع. والإجماع.

---

١) سورة القصص الآية رقم (14).

٢) سورة فصلت الآية رقم (11).

٣) سورة الزخرف الآية رقم (13).

٤) أنظر معجم تهذيب اللغة (1794/2) مادة: (سَوَا)، وانظر الدرر العثيمينية بشرح رب البرية (ص205).

٥) مجموع الفتاوى (201/5).

٦) الدرر العثيمينية شرح رب البرية (ص 208).

وهو سبحانه مستوٍ بذاته [١]، قال سبحانه ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [٢].

واستواء الله على عرشه، يكون بعلوه واستقراره عليه علوا واستقراراً يليق بجلاله وعظمته[٣]، فالله ﷻ استوى على العرش، أي: علا عليه واستقرّ، كما جاء ذلك عن السلف [٤].

كما أنه مع استواءِه على العرش، فهو بائنٌ من خلقه، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "فالسلف والأئمة يقولون أن الله فوق سمواته على عرشه، بائنٌ من خلقه، كما دلّ على ذلك الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة" [٥].

واستواؤه –جل في علاه– حقيقة، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "فمن ظنّ أنّ هذا الاستواء إذا كان حقيقة، يتناول شيئاً من صفات المخلوقين، مع كون أن النصّ قد خصه بالله، كان جاهلاً جداً بدلالات اللغات ومعرفة الحقيقة والمجاز" [٦].

ولا يلزم من استواء الله حاجته إلى العرش، بل هو تعالى مستو على العرش مع غناه عن العرش [٧].

ولا يلزم من استواء الله على عرشه شيء من اللوازم الباطلة، قال شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله–: "استواء يليق بجلال الله تعالى ويختصّ به، فلا يلـــــزمه شيء من اللوازم الباطلة" [٨].

---

١) مجموع الفتاوى (215/5).
٢) سورة طه الآية رقم (5).
٣) الدرر العثيمينية شرح رب البرية (ص 207).
٤) الدرر العثيمينية شرح فتح رب البريّة (ص 207) وأنظر التدمرية (ص 82).
٥) مجموع الفتاوى (297/2).
٦) مجموع الفتاوى (208/5).
٧) شرح الطحاوية (ص 191).
٨) مجموع الفتاوى (27/5).

وقد سئل ربيعة بن أبي عبد الرحمن عن قوله ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [١]، كيف استوى؟ قال: "الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، ومن الله الرسالة، وعلى الرسول البلاغ، وعلينا التصديق" [٢].

كما روي ذلك عن تلميذه الإمام مالك –رحمه الله-: "الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة"، فالكيف المجهول هو من التأويل الذي لا يعلمه إلا الله، وأما ما يعلم من الاستواء وغيره، فهو من التفسير الذي بيّنه الله ورسوله [٣].

القسم الثاني: استواء المخلوق

استواء المخلوق، هو أن يكون على ظهر الفلك أو غيره، فهو مفتقر إلى ما استوى عليه محتاج له معتمد عليه [٤]. قال سبحانه في استواء المخلوق﴿ لِتَسۡتَوُۥاْ عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ﴾ [٥].

والذين نفوا حقيقة الاستواء وأوّلوه، زعموا وتوهموا أنه إذا استوى كان كاستواء المخلوقين.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله-: "والجاهل يضلّ بقول المتكلمين أن العرب وضعوا لفظ (الاستواء)، لاستواء الإنسان على المترل أو الفلك أو استواء السفينة على الجوديّ ونحو ذلك من استواء بعض المخلوقات، فإن العرب إنما وضعت للإنسان ما أضافته إليه، فإذا قيل: سمع العبد ونحوه، فيما يختص به يتناول ذلك خصائص العبد، وإذا قيل سمع الله ونحوه، كان هذا متناولاً لما يختص به الربّ لا يدخل في ذلك شيءٌ من خصائص المخلوقين، فمن ظنّ أن هذا الاستواء إذا كان حقيقة يتناول شيئاً من صفات المخلوقين مع كون النصّ قد خصّه بالله، كان جاهلاً جداً بدلالات اللغات ومعرفة الحقيقة والمجاز [٦].

---

١) سورة طه الآية رقم (5).

٢) مجموع الفتاوى (40/5).

٣) درء التعارض (278/1).

٤) شرح الطحاوية (ص191)، وأنظر الدرر العثيمينية شرح فتح رب البرية (ص 208).

٥) سورة الزخرف الآية رقم (13).

٦) مجموع الفتاوى (208/5) بتصرف.

أدلة التقسيم:

قال الله ﷻ ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [1].

وقال تعالى ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ﴾ [2].

وقال تعالى ﴿لِتَسۡتَوُۥاْ عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ﴾ [3].

فالله تبارك وتعالى ذكر استواءه على العرش كما أنه ذكر استواء المخلوقين على دوابهم التي سخرها الله ﷻ لهم، فتبيّن أن استواء الله ﷻ يليق به، كما أن استواء المخلوقين خاص بهم، فهناك فرقٌ بين هذين القسمين.

---

١) سورة طه الآية رقم (5).

٢) سورة الحديد الآية رقم (4).

٣) سورة الزخرف الآية رقم (13).

المطلب السادس: أقسام المحبة:

تمهيد

في اللغة يقال: أحبه فهو محبٌّ، وحبَّه يُحِبُّهُ بالكسر فهو محبوب(1).

وفي الاصطلاح المحبة وجود تعظيم في القلب يمنع الانقياد لغير محبوبه (2).

وقيل: المحبّة إيثار المحبوب على غيره (3).

وقال ابن القيّم: "ولا توصفُ المحبّة، ولا تحدّ بحدّ أوضح من المحبّة، ولا أقرب إلى الفهم من لفظها، والمحبّة ألطف وأرقّ من كلّ ما يُعبّر به عنها" (4).

أقسام المحبة عند شيخ الإسلام:

قسم شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- إلى قسمين فقال: "المحبة تنقسم إلى محبة الله، ومحبة العبد" (5).

القسم الأول: محبة الله

محبة الله ﷻ هي صفة فعلية ثابتة في الكتاب والسنة والإجماع.

وهي صفة ثبوتية وجودية معلومة بالضرورة (6).

قال تعالى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ١٩٥﴾ (7).

وقال ﷺ **((إن الله يحب العبد التقيّ الغنيّ الخفيّ))**(8).

---

١) الصحاح للجوهري (161/1) مادة: حبب، أنظر أيضاً مختار الصحاح (ص 77) مادة: ح ب ب.

٢) طريق الهجرتين (640/2) و لم أقف على حد للمحبة عند شيخ الإسلام.

٣) طريق الهجرتين (645/2).

٤) طريق الهجرتين (674/2).

٥) انظر مجموع الفتاوى (201/5).

٦) مجموع الفتاوى (150/11).

٧) سورة البقرة الآية رقم (195).

٨) رواه مسلم حديث رقم (2965) كتاب الزهد والرقائق (باب: ما بين النفختين).

وأما الإجماع فقال شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله-: "أجمع سلف الأمة وأئمتها على إثبات محبة الله تعالى لعباده المؤمنين ومحبتهم له، وهذا أصل دين الخليل إمام الحنفاء"(١).

وأهل السنة يثبتون المحبة على حقيقتها، قال شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله-: "وهذه المحبة على حقيقتها عند سلف الأمة وأئمتها ومشائخها"(٢).

فمحبة الله تثبت لله ﷻ على ما يليق بجلاله إثباتاً بلا تشبيه، وتتريهاً بلا تعطيل، قال شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله-: "وأهل السنة والجماعة المتبعة لإبراهيم وموسى ومحمد صلوات الله وسلامه عليهم يثبتون ما أثبتوه من تكليم الله ومحبته ورحمته وسائر ماله من الأسماء الحسنى والمثل العلى ويتزهونه عن مشابهة الأجساد التي لا حياة فيها" (٣).

القسم الثاني:محبة العبد

محبة العبد هي ما يكون من العبد إما لخالقه وإما لمخلوق مثله ، وأصل المحبة هو معرفة الله سبحانه، ولها أصلان:

الأصل الأول: محبّة الله العامة، لأجل إحسانه إلى عباده، وهذه لا ينكرها أحد.

الأصل الثاني: محبته لما هو له أهل(٤)، ويدخل في هذا محبة ما أمر الله به وبغض ما نهى اللهﷻ عنه ورسولهﷺ وقد ذكر شيخ الإسلام أقسام الناس في هذا.

أنواع الناس في محبة ما أمر الله به وبغض ما نهى عنه عند شيخ الإسلام:

ذكر شيخ الإسلام أن الناس في هذا الباب على أربعة أنواع:

النوع الأول: أكملهم وهم الذين يحبون ما أحب الله ورسوله ويبغضون ما يبغض الله ورسوله ، ويأمرون بما أمر الله به ورسوله وينهون عما ينهى الله عنه ورسوله .

النوع الثاني: عكس هؤلاء فيتبعون هواهم لا أمر الله فلا يفعلون ولا يأمرون إلا بما يحبونه بهواهم ولا يتركون ولا ينهون إلا عما يكرهونه بهواهم وهؤلاء شر الخلق.

---

١) مجموع الفتاوى (354/2).

٢) مجموع الفتاوى (476/6).

٣) مجموع الفتاوى (209/16).

٤) مجموع الفتاوى (85/10).

النوع الثالث: الذي يريد تارة إرادة يحبها الله وتارة إرادة يبغضها الله وهم أكثر المسلمين.

النوع الرابع: أن يخلو عن الإرادتين فلا يريد لله ولا لهواه وهذا يقع لكثير من الناس في بعض الأشياء ويقع لكثير من الزهاد والنساك في كثير من الأمور[1].

والمحبّة من محركات القلوب إلى الله ﷻ، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "اعلم أن محركات القلوب إلى الله ثلاثة: المحبة، والخوف، والرجاء، وأقواها المحبة"[2].

أقسام محبة المخلوق عند شيخ الإسلام:

يذكر شيخ الإسلام أن محبة العبد تنقسم إلى محبوب لله وغير محبوب.

القسم الأول المحبة المحمودة

وهي المحبة النافعة التي تجلب لصاحبها ما ينفعه وهو السعادة [3].

فمحبة العبد لا تخرج عن هذا فهي إما أن تكون محبة فيما يحبه الله ويرضاه وهذه هي المحبة النافعة التي تجلب لصاحبها السعادة في الدنيا والآخرة، أو غير ذلك.

قال ابن القيم في المحبة المحمودة: "فالمحبة النافعة ثلاثة أنواع: محبة الله، ومحبة في الله، ومحبة على طاعة الله تعالى، واجتناب معاصيه، ومحبة الله أصل المحابّ المحمودة، وأصل الإيمان والتوحيد"[4]،كما أن محبة محبوب المحبوب، من تمام محبة المحبوب [5].

القسم الثاني المحبة الضارّة

وهي التي تجلب لصاحبها ما يضره وهو الشقاء في الدنيا والآخرة [6].

---

[1]) انظر مجموع الفتاوى(10/467-481).

٢) مجموع الفتاوى (1/95).

٣) قاعدة في المحبة (ص 78).

٤) إغاثة اللهفان (2/176).

٥) مجموع الفتاوى (10/191).

٦) قاعدة في المحبة (ص 78).

قال ابن القيم في هذه المحبة : "والمحبة الضارة ثلاثة أنواع: المحبة مع الله، ومحبة ما يبغضه الله، ومحبة ما تقطع محبته عن محبة الله تعالى أو تنقصها، والمحبة مع الله أصل الشرك والمحابّ المذمومة" [١].

أدلة التقسيم:

قال الله ﷻ ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [٢].

وقال تعالى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ١٩٥﴾ [٣]، فأثبت الله ﷻ له سبحانه محبة، كما أثبت للمخلوقين محبة، فدل على أن هناك فرق بينهما فمحبته محبة تليق بجلاله وعظمته، كما أن محبة المخلوقين تليق بهم فلا يمكن أن يقال أن محبة الله كمحبة مخلوقه.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "وصفات الخلق من المحبّة والخلّة جائز عليها الكيف، فأما صفاته فمعلومة في العلم، وموجودة في التعريف، قد انتفى عنهما التشبيه فالإيمان به واجب، واسم الكيفية عن ذلك ساقط" [٤]، وقد تقدم الكلام عن الألفاظ المشتركة، وموقف شيخ الإسلام منها.

---

١) إغاثة اللهفان (176/2).

٢) سورة المائدة الآية رقم (54).

٣) سورة البقرة الآية رقم (195).

٤) الحموية (ص 458).

المطلب السابع: أقسام الكلام:

تمهيد

الكلام لغة: اسم جنس يقع على القليل والكثير، وهو الـــذي يكون أصواتاً تامة مفيدة [1]، وهو ما تضمن كلمتين بالإسناد، وعند النحويين هو المركّب الذي فيه الإسناد التام [2].

قال شيخ الإسلام: "الكلام اسم مصدر كلم تكليما، وتكلم تكلما، ويراد به الكلام نفسه"،[3] "والكلام ما تكلم به المتكلم" [4].

والكلام صفة ذاتية لله تعالى باعتبار أصلها، فعلية باعتبار أفرادها [5].

أقسام الكلام عند شيخ الإسلام

قسم شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله- الكلام إلى قسمين فقال " الكلام ينقسم إلى خلقي كونيّ، وأمريّ دينيّ"[6].

القسم الأول: الكلام الخلقي الكوني

وهو الذي يصدر عنه كلّ شيء في هذا الكون ولا حدّ له ولا حصر، وهذا مثل قوله ﷺ **((أعوذ بكلمات الله التامات من شرّ ما خلق))** [7].

فكلمات الله هي الكلمات الكونية؛ لأنه لا خروج لأحد عن قدر الله، وكلّ ما يقع في الكون من خير أو شرّ فهو بكلمات الله الكونية، التي لا يخرج عنها أحد، قال شيخ الإسلام:

---

١) لسان العرب (143/12) مادة: (كلم).

٢) التعريفات للجرجاني (ص 194).

٣) مجموع الفتاوى (8/13).

٤) الفتاوى الكبرى (454/6).

٥) مجموع الفتاوى (38/12).

٦) انظر الجواب الصحيح لابن تيمية (97/1).

٧) رواه مسلم حديث رقم (2708) كتاب الذكر والدعاء (باب: في التعوذ من سوء القضاء ودرك الشقاء وغيره).

"كلماته الكونية التي لا يتجاوزها بر ولا فاجر يدخل تحتها جميع الخلق حتى إبليس وجنوده وجميع الكفار وسائر من يدخل النار"(١).

وسمي خلقي لأنه الذي يحصل منه الخلق، فالخلق صادر عنه لا أنه مخلوق، والكلام الخلقي الكونيّ مثل القضاء والحكم، والإرادة الكونية، فهي توصف بالخلقية؛ لا لأنها مخلوقة، ولكن لأنها تصدر عنها المخلوقات.

القسم الثاني: الكلام الأمري الديني، وهذا كلام الله ﷻ الذي كلّم به رسله، وأنزل به كتبه، فكلام الله ﷻ قديم النوع، حادث الآحاد، قال شيخ الإسلام: "لم يزل متكلماً إذا شاء بكلام يقوم به، وهو متكلم بصوت يسمع، وأن نوع الكلام قديم"(٢).

وهذا الكلام هو مما يتعبد الله سبحانه وتعالى به قال شيخ الإسلام: "أما كلماته الدينية وهي كتبه المترلة وما فيها من أمره ونهيه فأطاعها الأبرار، وعصاها الفجار.

وأولياء الله المتقون هم المطيعون لكلماته الدينية"(٣).

أدلة التقسيم:

قال تعالى ﴿وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ ﴿١٢﴾﴾(٤).

وقال النبي ﷺ ((**أعوذ بكلمات الله التامة التي لا يجاوزهنّ برّ ولا فاجر**))(٥).

وقال تعالى ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾(٦).

وقال النبي ﷺ ((**اتقوا الله في النساء فإنكم أخذتموهن بأمانة الله، واستحللتم فروجهن بكلمة الله**))(٧).

---

١) الفرقان لابن تيمية (ص126).

٢) مجموع الفتاوى (38/12).

٣) الفرقان (ص 126)

٤) سورة التحريم الآية رقم (12).

٥) رواه الإمام أحمد في مسنده حديث رقم (15539)،وصححه أبو زرعه انظر علل الحديث لابن أبي حاتم(252/3) ، وصححه الألباني في السلسلة حديث رقم (840).

٦) سورة آل عمران الآية رقم (64).

٧) رواه مسلم حديث رقم (1218) كتاب الحج (باب: في المتعة بالحج والعمرة).

فذكر الله ﷻ كلماته الكونية عند ذكر مريم عليها السلام، قال ابن سعدي: "وهذا يشمل كلماته الدينية والقدرية"[(١)].

وذكر النبي ﷺ كلمات الله الكونية بقوله ((**أعوذ بكلمات الله التامة**)) فاستعاذ بها.

وذكر الله ﷻ كلامه الشرعي، بدعوة أهل الكتاب إلى عبادته وحده لا شريك له ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾[(٢)].

وكذا ذكر النبي ﷺ أمره الأمري الديني باستحلال فروج النساء، فإن استحلالهن كان بكلام الله ﷻ الأمري الشرعي.

فهذان هما نوعا كلام الله ﷻ وجب التفريق بينهما كما هو ظاهرٌ وجليّ في الدلالة على هذين القسمين.

---

١) تيسير الكريم الرحمن (1218/2).

٢) سورة آل عمران الآية رقم (64).

المطلب الثامن: أقسام العلو:

تمهيد

العين واللام والحرف المعتلّ ياءً كان أو واواً أو ألفاً، أصل واحد يدلّ على السمو والارتفاع، لا يشذ عنه شيء، ومن ذلك العلاء والعلو، فإن كان في الرفعة والشرف قيل: عَلِيَ يَعْلَى، ومن قهر أمراً فقد اعتلاه واستعلى عليه وبه [١].

أقسام العلو عند شيخ الإسلام:

قسّم شيخ الإسلام ابن تيمية العلو إلى ثلاثة أقسام:

علوّ ذات، وعلوّ قدْرٍ، وعلو قهْر [٢].

القسم الأول: علوّ الذات

علو الذات من كمال ذات الربّ ﷻ، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "فالله ما زال عالياً بذاته" [٣] له العلوّ المطلق من جميع الوجوه، وهو بذاته فوق جميع خلقه [٤].

قال سبحانه ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾[٥]، وفي الحديث((**لما سأل الرسول ﷺ الجارية أين الله؟ قالت: في السماء، فقال رسول الله ﷺ: أعتقها فإنها مؤمنه**))[٦].

فله ﷻ العلو المطلق، ومن علوه سبحانه علوه بذاته على جميع خلقه.

---

١) معجم مقاييس اللغة (113/4) مادة: (علو)، وانظر معجم تهذيب اللغة (2541/3) مادة: (علا) ولم أقف على تعريف للعلو عند شيخ الإسلام.

٢) مجموع الفتاوى (358/16)، وأنظر أيضاً مجموع الفتاوى (106/16).

٣) مجموع الفتاوى (106/16).

٤) أنظر شرح فتح ربّ البرية (ص 198)، وأنظر شرح الواسطية للهراس (ص 120).

٥) سورة فاطر الآية رقم (10).

٦) رواه مسلم حديث رقم (537) كتاب المساجد (باب: تحريم الكلام في الصلاة).

القسم الثاني: علوّ القدر

فالله ﷻ أعلى من غيره قدراً، فهو أحقّ بصفات الكمال[1]، فإذا كان له ﷻ صفة كمال، فله من تلك الصفة أعلاها وغايتها[2]، فهو سبحانه عليّ بكل شيء، ومن علوّ قدره كمال عدله، وأنه يضع الأشياء في مواضعها، ولا يساوي بين المتقين والفجار [3].

القسم الثالث: علوّ القهر

فهو سبحانه عالٍ على خلقه بالقهر، قال شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله-: هو" عالٍ عليهم بالقهر والغلبة، فيعود إلى أنه قادر عليهم وهم مقدورون، وهذا يتضمن كونه خالقاً لهم، وربّاً لهم"[4]، فهو سبحانه القاهر فوق عباده، وهو الحكيم الخبير.

فعلوه على عباده بالقدر والقهر قال شيخ الإسلام: "واسمه العلي يفسر بأنه أعلى من غيره قدرا، فهو أحق بصفات الكمال ، ويفسر بأنه العالي عليهم بالقهر والغلبه"[5].

ومضمون علوّ القهر أنه قادر على العالم [6].

والجهميّة المعطّلة معترفون بوصفه تعالى بعلوّ القهر وعلوّ القدر، وأن ذلك كمال لا نقص فيه [7]، لكنهم خالفوا في علوّ الذات.

ثم إن شيخ الإسلام رد على من قال إن الله ﷻ في جهة أو نفى عنه الجهة وبين أن الجهة من الألفاظ التي لم ترد في الكتاب ولا في السنة، وهي من الألفاظ المجملة، وقد بيّن شيخ الإسلام تفصيل هذا اللفظ وموقفه منه فقال: "فإذا قال القائل: إن الله في جهة، قيل له: ما تريد بذلك؟ أتريد بذلك أنه في جهة موجودة تحصره وتحيط به، مثل أن يكون في جوف السماء؟ أم تريد الجهة أمراً عدميّاً؟ وهو ما فوق العالم؛ فإنه ليس فوق العالم شيء من

---

١) انظر مجموع الفتاوى (358/16).

٢) شرح الواسطية للهراس (ص 120).

٣) تفسير السعدي (1016/2).

٤) مجموع الفتاوى (358/16).

٥) مجموع الفتاوى (358/16).

٦) درء التعارض (6/7).

٧) الصواعق المرسلة (1324/4).

المخلوقات. فإن أردت الجهة الوجودية، وجعلت الله محصوراً في المخلوقات فهذا باطل، وإن أردت الجهة العدمية وأردت أن الله وحده فوق المخلوقات بائن منها فهذا حقٌّ، وليس في ذلك شيء من المخلوقات حصره ولا أحاط به ولا علا عليه، بل هو العالي عليهـــا المحيط بها" (1).

وقال في موضع آخر: "والألفاظ التي لم تنطق الرسل فيها بنفي ولا إثبات، كلفظ الجهة والحيز ونحو ذلك، لا يطلق نفيا ولا إثباتا إلا بعد بيان المراد، فمن أراد بما أثبت معنى صحيحا فقد أصاب في المعنى، وإن كان في اللفظ خطأ، ومن أراد بما نفاه معنى صحيحا فقد أصاب في المعنى وإن كان في لفظه خطأ، وأما من أثبت بلفظه حقاً وباطلاً، أو نفى بلفظه حقا وباطلا، فكلاهما مصيب فيما عناه من الحق، مخطىء فيما عناه من الباطل، قد لبس الحق بالباطل، وجمع في كلامه حقا وباطلا، والأنبياء كلهم مجمعون على أنه في العلو" (2).

أدلة التقسيم:

قال تعالى ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾﴾ (3).

وقال تعالى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا ﴿٣٤﴾﴾ (4).

قال السعدي: "أي: له العلوّ المطلق، بجميع الوجوه والاعتبارات، علو الذات وعلو القدر وعلو القهر" (5)، ولذلك كان له عز وجل كل أنواع الكمال من أنواع العلو المستحق لها وأنواع العلو تكون بأحد هذه الأنواع الثلاثة فلزم وصفة عَجَلَّ بها جميعا.

---

١) جامع المسائل (202/3).

٢) الجواب الصحيح (490/2).

٣) سورة البقرة الآية رقم (255).

٤) سورة النساء الآية رقم (34).

٥) تفسير السعدي (205/1).

المطلب التاسع: أقسام السمع المضاف إلى الله:

تمهيد

السمع لغة: إيناس الشيء بالأذن من الناس وكلّ ذي أذن، تقول: سمعت الشيء سمعاً [١]، قال شيخ الإسلام: "هو في الأصل سمع يسمع سمعاً" [٢].

قال السجزي[٣]: "المعقول أن السمع هو إدراك المسموعات على ما هي به" [٤].

أقسام السمع عند شيخ الإسلام

قسم شيخ الإسلام ابن تيمية السمع إلى ثلاثة أقسام، فقال :" السمع يراد به إدراك الصوت، ويراد به معرفة المعنى مع ذلك، ويراد به القبول والاستجابة مع الفهم" [٥].

القسم الأول: إدراك الصوت.

وهذا يتعلق بالمسموعات، قال السعدي: "سمعه لجميع الأصوات الظاهرة والباطنة، الخفية والجلية، وإحاطته التامة بها" [٦].

وهذا النوع من السمع من الصفات الذاتية لله ﷻ، وإن كان المسموع حادثاً [٧].

فهو سبحانه يسمع جميع الأصوات باختلاف اللغات المشتملة على جميع الحاجات.

ويراد به عدة أمور:

---

١) معجم مقاييس اللغة (102/3)، وأنظر أيضاً معجم تهذيب اللغة (1755/5)، مادة: سمع.

٢) بغية المرتاد لابن تيمية (ص 58).

٣) أبو نصر السجزي الإمام العالم الحافظ المجود شيخ السنة، أبو نصر، عبيد الله بن سعيد بن حاتم بن أحمد، الوائلي البكري السجستاني، سكن مكة وتوفي بها عام 444 هـ أنظر سير أعلام النبلاء (270/13) شذرات الذهب (271/3) الأعلام للزركلي (194/4).

٤) رسالة الإمام السجزي إلى أهل زبيد (ص 229).

٥) مجموع الفتاوى (208/1 – 209).

٦) الحق الواضح المبين (ضمن سلسلة العلامة السعدي) (229/3).

٧) شرح الواسطية للعثيمين (207/1).

الأول: سمع يراد به بيان عموم إدراك سمع الله، وأنه ما من صوت إلا وسمعه ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾ [1]، ففيه بيان إحاطة سمع الله لكل مسموع.

الثاني: سمعٌ يراد به النصر والتأييد، وهو من الصفات الفعلية؛ لأنه مقرونٌ بسبب ﴿ قَالَ لَا تَخَافَآ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴾ [2] أي: يسمع ما يقولان وما يقال لهما.

الثالث سمع يراد به الوعيد والتهديد ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم ۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾ [3]، فإن هذا يراد به تهديدهم ووعيدهم، حيث كانوا يسرّون ما لا يرضى من القول [4].

القسم الثاني: معرفة المعنى مع إدراك الصوت.

فمع إدراكه ﷻ لجميع الأصوات، فهو يعلم ما يريدون مما يقولون، فلا يخفى عليه شيء سبحانه، بل هو بكلّ شيء عليم، يعلم مرادهم ويعلم حاجتهم ويعلم سرهم ونجواهم.

القسم الثالث: القبول والاستجابة مع الفهم.

وهذا أيضاً من الصفات الفعلية، [5] وهذا بمعنى الاستجابة، قال العلامة السعدي: "سمع الإجابة منه للسائلين والداعين والعابدين فيجيبهم ويثيبهم" [6].

وهذا مثل أمر النبي ﷺ المصلّي أن يقول: ((**سمع الله لمن حمده**)) [7]، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "أي: استجاب الله دعاء من حمده، فالسماع هنا بمعنى الإجابة والقبول" [8].

---

١) سورة المجادلة الآية رقم (1).

٢) سورة طه الآية رقم (46).

٣) سورة الزخرف الآية رقم (80).

٤) أنظر شرح الواسطية للعثيمين (207/1).

٥) شرح الواسطية للعثيمين (207/1).

٦) الحق الواضح المبين (ضمن سلسلة العلامة السعدي) (229/3).

٧) رواه البخاري حديث رقم (734) كتاب الآذان (باب: إيجاب التكبير وافتتاح الصلاة)، ورواه مسلم حديث رقم (404) كتاب الصلاة (باب: التشهد في الصلاة).

٨) مجموع الفتاوى (208/1).

لأن الدعاء صوتٌ ينطلق من الداعي، وسمع الله دعاءه، يعني استجاب دعاءه، وليس المراد مجرّد السماع [1].

أدلة التقسيم:

١) قال الله ﷻ ﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ﴾ [2].

٢) قال تعالى ﴿ قَالَ لَا تَخَافَآ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾﴾ [3].

٣) وقال تعالى ﴿إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٩﴾﴾ [4].

فالله ﷻ ذكر إدراكه للمسموعات وعلمه بها بسمعه للذين قالوا إن الله فقير، وكذلك أرسل موسى وهارون وأيدهما وأمن خوفهما أنه معهما يسمع قولهما، وقول من أرسلا إليه، وهذا فيه بيان لإدراكه لجميع المسموعات.

أما في دعاء نبي الله إبراهيم –عليه السلام– ﴿إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٩﴾﴾.

قال العلامة السعدي: " السميع في مقام الدعاء دعاء العبادة ودعاء المسألة معنى المستجيب" [5].

وقال ابن عثيمين: "السميع له معنيان، أحدهما: بمعنى المجيب، والثاني: بمعنى السامع للصوت" [6].

فوصف الله ﷻ إجابته لدعاء عبده بسماعه له، أي: استجاب الله دعائ.

وكل هذا يدلّ على أن السمع إذا أطلق في الكتاب والسنة فإنه لا يخرج عن هذه الأقسام، فيعلم أن هذا التقسيم مذكور في الكتاب والسنة.

---

١) شرح الواسطية للعثيمين (323/1).

٢) سورة آل عمران الآية رقم (181).

٣) سورة طه الآية رقم (46).

٤) سورة إبراهيم الآية رقم (39).

٥) القواعد الحسان للسعدي (ص 65).

٦) شرح الواسطية للعثيمين (206/1).

المطلب العاشر: أقسام الأنوار.

تمهيد

النور لغة: الضياء[1].

واصطلاحاً: قال الجرجاني: " كيفية تدركها الباصرة أولاً، وبواسطتها تبصر سائر المبصرات"[2].

أقسام الأنوار عند شيخ الإسلام:

ذكر شيخ الإسلام أن الأنوار وردت في النصوص على ثلاثة أمور: سمى الله نور السموات والأرض، وأخبر أن الله نور، وأخبر أنه يحتجب بالنور[3].

النوع الأول: ما سمي الله به نفسه

فسمى الله ﷻ نفسه أنه نور السموات والأرض، كما في قوله ﷻ ﴿ ۞ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشۡكَوٰةٖ فِيهَا مِصۡبَاحٌۖ ﴾[4]، وجاء في الحديث **((اللهم لك الحمد أنت نور السموات والأرض ومن فيهن))** [5]، قال شيخ الإسلام: "فالذي في القران والحديث الصحيح إضافة النور" [6]،وقال في موضع آخر :"النص في كتاب الله وسنة رسوله قد سمى الله نور السموات والأرض"[7].

---

١) الصحاح في اللغة (577/2)، لسان العرب (308/14).

٢) التعريفات (ص327).

٣) مجموع الفتاوى (386/6).

٤) سورة النور الآية رقم (35).

٥) رواه البخاري حديث رقم (7442) كتاب التوحيد (باب: وجوه يومئذ ناضرة).

٦) مجموع الفتاوى (383/6).

٧) الأسماء والصفات (248/1).

النوع الثاني: ما أخبر به أنه نور

فأخبر الله أنه نور كما في قوله تعالى:﴿ وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا ﴾[١]، قال شيخ الإسلام: "وقد أخبر الله في كتابه أن الأرض تشرق بنور ربها، فإذا كانت تشرق من نوره كيف لا يكون هو نورا ، ولا يجوز أن يكون هذا النور المضاف إليه إضافة خلق وملك واصطفاء كقوله: ناقة الله"[٢].

وفي الحديث الصحيح ((**إن الله خلق خلقه في ظلمة، ثم ألقى عليهم من نوره فمن أصاب من ذلك النور اهتدى ومن أخطأه ضل**))[٣].

النوع الثالث: احتجابه بالنور

فهو ﷻ يحتجب بالنور، كما في قوله ﷺ ((**إن الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام، يخفض القسط ويرفعه، يرفع إليه عمل الليل قبل النهار ، وعمل النهار قبل الليل ، حجابه النور لو كشفها لأحرقت سبحات**[٤] **وجهه كل شيء أدركه بصره من خلقه**))[٥].

قال شيخ الإسلام: "فهذا الحديث فيه ذكر حجابه"[٦].

وقال في موضع آخر: " فأخبر أنه حجب عن المخلوقات بحجابه النور أن تدركها سبحات وجهه، وأنه لو كشف ذلك الحجاب لأحرقت سبحات وجهه ما أدركه بصره من خلقه"[٧].

---

١) سورة الزمر الآية رقم (69).

٢) مجموع الفتاوى (392/6).

٣) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (6/9) حديث رقم (17710)، وصححه ابن حبان في صحيحه (43/14) حديث رقم (6196).

٤) سبحات: بضم السين والباء ورفع التاء في آخره، وهي جمع سبحة، وهو وجهه ونوره وجلاله وبهاؤه. المنهاج للنووي (16/3).

٥) رواه مسلم حديث رقم (179) كتاب الإيمان (باب: إن الله لا ينام).

٦) مجموع الفتاوى (387/6).

٧) مجموع الفتاوى (396/6).

المطلب الحادي عشر: أنواع الترول في كتاب الله

تمهيد

في اللغة: النون والزاء واللام كلمة صحيحة تدلّ على هبوط شيء ووقوعه [١]، من أعلى إلى أسفل [٢].

وفي الاصطلاح قال ابن خزيمة: "ومفهوم الخطاب أن الترول من أعلى إلى أسفل" [٣].

وقال ابن القيم: "الترول الذي تعقله العقول وتعرفه الفطر هو وصول الشيء من أعلى إلى أسفل" [٤].

أنواع الترول في كتاب الله ﷻ عند شيخ الإسلام:

ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية أن الترول في كتاب الله على ثلاثة أنواع فقال: "الترول في كتاب الله ﷻ ثلاثة أنواع نزول مقيّد بأنه مره، ونزول مقيّد بأنه من السماء، ونزول غير مقيد بهذا ولا هذا" [٥]، وهو الترول المطلق.

النوع الأول: الترول المقيد بأنه منه.

فالترول المقيد بأنه من الله كما قال شيخ الإسلام: " لم يرد إلا في القران، وهذا كترول القران، قال ﷻ ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾" [٦] [٧].

والتتريل هو بمعنى مترل، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "والتتريل بمعنى المترل تسمية للمفعول باسم المصدر" [٨]، فالقران مترلٌ من عند الله ﷻ لا ريب في ذلك، فقيد نزول

---

١) معجم مقاييس اللغة (417/5) مادة: نَزَلَ.

٢) لسان العرب (104/14).

٣) التوحيد لا بن خزيمة (290/1) و لم أقف على حدّ للترول عند شيخ الإسلام.

٤) التبيان في أقسام القران (ص190).

٥) مجموع الفتاوى (247/12).

٦) سورة الزمر الآية رقم (1).

٧) مجموع الفتاوى (247/12).

٨) مجموع الفتاوى (248/12).

القران بأنه منه فهو الذي أنزله وهذا من عظمة القران وجلالة من تكلم به ونزل منه حيث نزل به روح القدس إلى أفضل البشر ﷺ.

النوع الثاني: الترول المقيد بأنه من السماء.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "وأما الترول المقيد بالسماء، فقوله ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ [1]، والسماء اسم جنس لكل ما علا، فإذا قيّد بشيء معيّن تقيّد به، فقوله في غير موضع ﴿مِنَ السَّمَاءِ﴾ مطلق، أي: في العلو، ثم قد بيّنه في موضع آخر بقوله: ﴿ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ﴾[2]، وقوله: ﴿فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ﴾ [3]، أي: أنه منزل من السحاب، ومما يشبه نزول القران قوله ﴿يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ [4]، فترول الملائكة هو نزولهم بالوحي من أمره الذي هو كلامه، وكذلك قوله ﴿تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا﴾ [5]، يناسب قوله ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ۝٤ أَمْرًا مِّنْ عِندِنَا ۚ إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ۝٥﴾ [6]، وهذا شبيهٌ بقوله ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ﴾ [7] [8]، فهذا النوع من الترول لم يذكره الله ﷻ إلا مقيداً.

النوع الثالث: غير المقيّد بهذا ولا هذا.

وهو الترول المطلق، وهذا لا يختص به نوع من الإنزال، قال شيخ الإسلام: " بل ربما يتناول الإنزال من رؤوس الجبال، كقوله ﴿وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾[9]، والإنزال من ظهر الحيوان كإنزال الفحل الماء وغير ذلك" [10].

---

١) سورة المؤمنون الآية رقم (18).

٢) سورة الواقعة الآية رقم (69).

٣) سورة النور الآية رقم (43).

٤) سورة النحل الآية رقم (2).

٥) سورة القدر الآية رقم (4).

٦) سورة الدخان الآية رقم (4-5).

٧) سورة النحل الآية رقم (102).

٨) مجموع الفتاوى (248/12).

٩) سورة الحديد الآية رقم (25).

١٠) مجموع الفتاوى (118/12).

ومن هذا النوع من الإنزال إنزال السكينة بقوله: ﴿فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [1]، ومن ذلك إنزال الميزان، وكذلك الملائكة قد تترل على قلوب المؤمنين كقوله ﴿إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [2] فذكر الثبات تنزل في القلوب بواسطة الملائكة وهي السكينة [3].

أدلة التقسيم:

قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ﴾ [4].

وقال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾ [5].

وقال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [6].

فذكر الله ﷻ ثلاثة أنواع من الترول فقيد الكتاب بأنه مترل منه، وقيّد الماء بتروله من السماء، وأطلق نزول السكينة فلم يقيده لا بهذا ولا بهذا، وكلها ذكر فيها الإنزال.

فدلّ على أن الترول في القران لا يكون إلا بأحد هذه الثلاثة أمور وذلك ثابت بالاستقراء.

---

١) سورة الفتح الآية رقم (26).

٢) سورة الأنفال الآية رقم (12).

٣) مجموع الفتاوى (249/12).

٤) سورة الأنعام الآية رقم (114).

٥) سورة المؤمنون الآية رقم (18).

٦) سورة الفتح الآية رقم (4).

المطلب الثاني عشر: أنواع القرب:

تمهيد

القرب هو نقيض البعد، وقرب الشيء يقرّبُ قرباً وقرباناً، أي: دنا فهو قريب، والتقرّب التدني إلى شيء[١].

وقرب الله ﷻ هو من الصفات الفعلية الاختيارية، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "وأما دنوّه وتقرّبه من بعض عباده، فهذا يثبته من يثبت قيام الأفعال الاختيارية بنفسه، وهذا مذهب السلف"[٢]، كما أن ما ذكر في القران والسنة من قربه ومعيّته لا ينافي علوّه وفوقيته، فهو عليّ في دنوه، قريب في علوّه [٣].

أقسام القرب عند شيخ الإسلام:

قسّم شيخ الإسلام القرب إلى قرب لازم من عباده بعلمه وقدرته، والقرب بنفسه قرباً لازماً [٤].

النوع الأول: القرب من عبادة بعلمه وقدرته

قربُ الله ﷻ لجميع خلقه هو من لوازم ذاته، قال شيخ الإسلام: "قربه الذي هو من لوازم ذاته مثل العلم والقدرة، فلا ريب أنه قريب بعلمه وقدرته وتدبيره من جميع خلقه، لم يزل بهم عالماً، ولم يزل عليهم قادراً، وهذا مذهب جميع أهل السنة وعامة الطوائف"[٥]،كما أنه محيط بعلمه بجميع الأشياء[٦]، وهذا النوع من القرب لم يرد في الكتاب ولا في السنة أنه

---

١) أنظر معجم تهذيب اللغة (2915/3)، ولسان العرب (72/11) مادة: قرب، ولم أقف على حد للقرب عند شيخ الإسلام إلا ما سيأتي من تبيينه لمعنى القرب .

٢) مجموع الفتاوى (466/5).

٣) مجموع الفتاوى (143/3).

٤) انظر مجموع الفتاوى (464/5 – 493)، وانظر الأسماء والصفات لابن تيمية (30/1)، وأنظر مجموع الفتاوى (13/6–19).

٥) مجموع الفتاوى (13/5).

٦) تفسير الكريم المنان (322/1).

قريب من كلّ موجود،[1] بل ما نطق به الكتاب والسنة من قرب الربّ من عابديه وداعيه هو مقيّد مخصوص، لا مطلق عام لجميع الخلق [2].

النوع الثاني: قربه ﷻ بنفسه قرباً لازماً في وقت دون وقت فهذا ثابت، لكن لا يلزم أن يكون كل موضع يراد به هذا القرب قال شيخ الإسلام "لا يلزم من جواز القرب عليه أن يكون كلّ موضع ذكر فيه قربه يراد به قربه بنفسه، بل يبقى هذا من الأمور الجائزة، وينظر في النصّ الوارد فإن دلّ على قربه بنفسه حمل عليه، وإن لم يدلّ على قربه بنفسه حمل عليه"[3]، كما في قوله تعالى ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾[4]، قال شيخ الإسلام –رحمه الله–: "إنما هو قربه إلى من دعاه أو عبده"[5].

وقال في موضع آخر: "فهو سبحانه قريب ممن دعاه، وكذلك ما في الصحيحين عن أبي موسى الأشعري ﷺ أنهم كانوا مع النبي ﷺ في سفر، فكانوا يرفعون أصواتهم بالتكبير، فقال ﷺ: ((**يا أيها الناس أربعوا على أنفسكم، فإنكم لا تدعون أصم ولا غائبا، إنما تدعون سميعاً قريباً، إن الذي تدعونه اقرب إلى أحدكم من عنق راحلته**))[6]، فقال: "إن الذي تدعونه أقرب إلى أحدكم"، لم يقل: أنه قريب إلى كل موجود، وكذلك قول صالح –عليه السلام–: ﴿فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ ﴿٦١﴾﴾[7]، هو كقول شعيب: ﴿وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴿٩٠﴾﴾[8]، ومعلوم أن قوله "قريب مجيب" مقرونٌ بالتوبة والاستغفار، أراد به قريب مجيب لاستغفار المستغفرين التائبين إليه، كما أنه رحيم ودود بهم،

---

١) مجموع الفتاوى (494/5).

٢) الأسماء والصفات لابن تيمية (30/1)، مجموع الفتاوى (247/5).

٣) مجموع الفتاوى (14/6).

٤) سورة البقرة الآية رقم (186).

٥) تلبيس الجهمية (35/6).

٦) رواه البخاري حديث رقم (2992) كتاب الجهاد والسير (باب: ما يكره من رفع الصوت في التكبير)، ورواه مسلم حديث رقم (2704).

٧) سورة هود الآية رقم (61).

٨) سورة هود الآية رقم (90).

وقد قرن القريب بالمجيب، ومعلوم أنه لا يقال أنه مجيب لكل موجود، وإنما الإجابة لمن سأله ودعاه، فكذلك قربه سبحانه وتعالى"[1].

وفي قوله ﷺ: ((**يقول الله: من تقرب إليّ شبراً تقربت إليه ذراعاً، ومن تقرب إليّ ذراعاً تقربت إليه باعاً، ومن أتاني يمشي أتيته هرولا**))[2]، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "وقربه من العباد بتقربهم إليه مما يقر به جميع من يقول أنه فوق العرش، سواء قالوا مع ذلك أنه تقوم به الأفعال الاختيارية أو لم يقولوا"[3]، كما أن قربه ممن يقرب منه خاص لمن يقرب منه، كالداعي والعابد وكقربه عشية عرفه[4].

فالله ﷻ قريب من عباده المؤمنين قرباً يقتضي المحبة والنصر والتأييد وإجابة الدعاء.

قال ابن القيم: "وأما القرب فلا يقع في القران إلا خاصاً، وهو نوعان: قربه من داعيه بالإجابة، وقربه من عابديه بالإثابة، فالأول كقوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾[5].

والثاني كقوله ﷺ ((**أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد**))[6]، ((**وأقرب ما يكون الربّ من عبده في جوف الليل**))[7]، فهذا قرب من أهل طاعته"[8].

---

١) مجموع الفتاوى (492/5)

٢) رواه البخاري حديث رقم (7405) كتاب التوحيد (باب: قول الله تعالى ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾)، ورواه مسلم حديث رقم (2675) كتاب الذكر والدعاء (باب: الحثّ على ذكر الله تعالى).

٣) مجموع الفتاوى (465/5).

٤) مجموع الفتاوى (478/5)

٥) سورة البقرة الآية رقم (186).

٦) رواه مسلم حديث رقم (482) كتاب الصلاة (باب: ما يقال في الركوع والسجود).

٧) رواه الترمذي حديث رقم (3579) كتاب الدعوات وقال حديث حسن صحيح، ورواه النسائي حديث رقم (572) كتاب المواقيت (باب: النهي عن الصلاة بعد العصر) وصححه الألباني في الجامع لصحيح الترمذي (470/2).

٨) مدارج السالكين (612/2).

فالله ﷻ يكون قريباً من عباده بنوعي عبادتهم، فإن دعوه سبحانه دعاء مسألة، أعطاهم مسألتهم، وأجاب دعوتهم، وإن دعوه دعاء عبادة وعبدوه وتقربوا إليه أثابهم على ذلك، فهو يثيبهم كما أنه يعطيهم، فهو قريب منهم ﷻ في نوعي عبادتهم له.

وهو مع قربه لا يستلزم خلو ذاته من فوق العرش، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "وأصل هذا أن قربه سبحانه ودنوّه من بعض مخلوقاته لا يستلزم أن تخلو ذاته من فوق العرش، بل هو فوق العرش ويقرب من خلقه كيف شاء" (١).

ومما يدخل في معاني القرب وليس في الطوائف من ينكره، قرب المعروف والمعبود إلى قلوب العارفين العابدين، فإن كلّ من أحب شيئاً لا بد أنه يعرفه ويقرب من قلبه، والذي يبغضه يبعد من قلبه، لكن هذا ليس المراد به أن ذاته نفسها تحلّ في قلوب العارفين العابدين، وإنما في القلوب معرفته وعبادته ومحبته والإيمان به، ولكن العلم يطابق المعلوم (٢).

وهذا النوع من القرب هو من لوازم المحبة، فكلما كان الحب أعظم كان القرب أكثر (٣).

أدلة التقسيم:

لفظ القرب لم يرد في الكتاب والسنة إلا قربه ﷻ من عباده المؤمنين، كقوله ﷻ ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ﴾ (٤)، وقوله ﷺ ((**إن الذي تدعونه أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته**)) (٥)، وهكذا، فكلها وردت خاصة بعباده المؤمنين.

أما كونه قريباً من عباده، فإن هذا مما يدركه الناس جميعاً، ويعقلونه، ويفهمونه، ويجدونه من أنفسهم، فتبين أن قربه ﷻ يكون خاصاً وعاماً.

---

١) مجموع الفتاوى (460/5).

٢) مجموع الفتاوى (465/5).

٣) طريق الهجرتين (44/1).

٤) سورة البقرة الآية رقم (186).

٥) رواه البخاري حديث رقم (2992)، ورواه مسلم حديث رقم (2704) كتاب الذكر والدعاء (باب: استحباب خفض الصوت بالذكر).

المطلب الثالث عشر :أنواع المعية

تمهيد

كلمة مع في اللغة إذا أطلقت فليس ظاهرها في اللغة إلا المقارنة المطلقة من غير وجوب مماسة [١].

قال شيخ الإسلام: "ثم هذه المعية تختلف أحكامها بحسب الموارد" [٢].

أنواع المعية عند شيخ الإسلام:

ذكر شيخ الإسلام أنواع المعية فقال: "المعية معيتان عامة وخاصة" [٣].

النوع الأول: المعية العامة

فالمعية العامة هي معية الله ﷻ لخلقه جميعاً كما أخبر بذلك عن نفسه، وقد بيّن شيخ الإسلام أن في قول الله ﷻ ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ﴾ [٤]، دلّ ظاهر الخطاب على أن حكم هذه المعية ومقتضاها أنه مطلع عليكم ؛ شهيد عليكم ومهيمن عالم بكم ، وهذا معنى قول السلف : إنه معهم بعلمه وهذا ظاهر الخطاب وحقيقته [٥].

وكذلك قول الله ﷻ ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ

---

١) مجموع الفتاوى (103/5).

٢) مجموع الفتاوى (103/5).

٣) مجموع الفتاوى (122/5).

٤) سورة الحديد الآية رقم (4).

٥) الحموية (ص521).

﴿بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ﴾[1]، قال شيخ الإسلام في هذه الآية: "فافتتح الكلام بالعلم وختمه بالعلم، ولهذا قال ابن عباس والضحاك وسفيان الثورى وأحمد بن حنبل هو معهم بعلمه"[2].

فمقتضى هذه المعية أن الله عالمٌ بعباده، مطلعٌ عليهم في كل ما يفعلونه، مهيمنٌ عليهم.

النوع الثاني: المعية الخاصة

قال شيخ الإسلام: "وأما المعية الخاصة ففي قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ﴾[3]، وقوله تعالى لموسى: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ﴾[4]، وقال تعالى: ﴿إِذۡ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾[5] يعني النبي ﷺ وأبا بكر ﷺ، فهو مع موسى وهارون وهارون دون فرعون، ومع محمد وصاحبه دون أبي جهل وغيره من أعدائه، ومع الذين اتقوا والذين هم محسنون دون الظالمين المعتدين"[6].

فمعيته الخاصة هي لعباده المؤمنين معهم بنصره وتأييده [7] مع معيته العامة لهم، فهم مع علم الله له وإطلاعه عليهم إلا أن الله ينصرهم ويؤيدهم على أعدائهم، كما أنه يواليهم ويحفظهم.

أدلة التقسيم:

ورد لفظ المعية في كتاب الله ﷻ على موارد فقال سبحانه: ﴿وَهُوَ مَعَكُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡ﴾، قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ﴾، فدلّ على أن كونه مع المتقين من عباده

---

١) سورة المجادلة الآية رقم (7).

٢) مجموع الفتاوى (249/11).

٣) سورة النحل الآية رقم (128).

٤) سورة طه الآية رقم (46).

٥) سورة التوبة الآية رقم (40).

٦) مجموع الفتاوى (250/11).

٧) مجموع الفتاوى (250/11).

أن معيته معهم تتضمن أموراً لا تتضمنها معيته العامة لجميع خلقه، قال شيخ الإسلام:

"فلفظ المعية قد استعمل في الكتاب والسنة في مواضع يقتضي في كل موضع أموراً لا يقتضيها في الموضع الآخر، فإما أن تختلف دلالتها بحسب المواضع، أو تدلّ على قدرٍ مشترك بين جميع مواردها، وإن امتاز كل موضعٍ بخاصية"[1]، فنصّه على معيته مع المتقين يدل على نصر وتأييد خاص بهم وهو معهم بعلمه وإحاطته كما هو مع جميع خلقه.

---

١) الحموية (ص523).

المطلب الرابع عشر: أنواع كيد الله

تمهيد

الكود مصدر كادَ يكودُ كوداً ومكادة، والكيدُ هو التدبير بباطلٍ أو حقّ، وهي من المكيدة[1].

وفي الاصطلاح: قال شيخ الإسلام:الكيد "هو إيصال الشيء إلى الغير بطريقٍ خفيّ"[2].

والكيد من الصفات الفعلية والله ﷻ لا يوصف بصفة الكيد إلا مقيدة مختصة، وهو صفة كمال لله ﷻ لأنه في محله[3]، فالله ﷻ يكيد لمن يكيد، قال تعالى:﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿١٦﴾﴾[4]، فأثبت الكيد في مقابلة الكيد، ولا يشبه كيده بكيد المخلوقين، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "وهكذا وصف نفسه بالمكر والكيد، وليس المكر كالمكر، ولا الكيد كالكيد"[5].

أنواع كيد الله عند شيخ الإسلام

وقد ذكر شيخ الإسلام أنواع كيد الله فقال: "كيد الله سبحانه وتعالى لا يخرج عن نوعين:

أحدهما: هو الأغلب أن يفعل سبحانه فعلاً خارجاً عن قدرة العبد الذي كاد له....

---

١) معجم تهذيب اللغة (3076/4) مادة: (كَادَ).

٢) الفتاوى الكبرى (130/6).

٣) شرح الواسطية للعثيمين (335/1).

٤) سورة الطارق الآية رقم (15 – 16).

٥) التدمرية (ص 26).

الثاني: من كيده لعبده وهو أن يلهمه سبحانه أمراً مباحاً أو مستحباً أو واجبا يوصله به إلى المقصود الحسن"[١].

النوع الأول:ما يكون فعلا خارجا عن قدرة العبد

فيفعل فعلاً خارجاً عن قدرة العبد الذي كاد له، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "وكذلك كانت قصة نبي الله يوسف –عليه السلام، فإن يوسف أكثر ما قدر أن يفعل أن ألقى الصواع في رحل أخيه، وأذن مؤذن بسرقتهم"[٢].

فبين شيخ الإسلام أن كيد الله عز وجل ليوسف عليه السلام هو فعل خارج عن قدرته وذلك بأن ألقى الصواع وأذن مؤذنه بالسرقة وما بقي فإنه خارج عن قدرة يوسف عليه السلام.

ومن هذا النوع الكيد من الكفار لينتقم منهم قال شيخ الإسلام: "وهو أن يكون الفعل قدراً محضاً، ليس هو من باب الشرع، كما كاد الذين كفروا بأن انتقم منهم بأنواع العقوبات"[٣].

فالله ﷻ يكيد للكفار فينتقم منهم ويعذبهم،بعد أن أمهلهم وأخر العذاب عنهم، مع أنهم كانوا يكيدون لرسله﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿١٦﴾﴾[٤]، قال ابن القيم: "كاد الذين كفروا بأن انتقم منهم بأنواع العقوبات"[٥].

١) الفتاوى الكبرى (131/6-132).
٢) الفتاوى الكبرى (131/6).
٣) الفتاوى الكبرى (131/6).
٤) سورة الطارق الآية رقم (15 – 16).
٥) إعلام الموقعين (158/5).

النوع الثاني: ما يلهم الله به عبده فيوصله إلى مقصوده

فيلهم الله ﷻ عبده أمراً مباحاً أو مستحبا أو واجبا يوصله به إلى المقصود الحسن.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "كيده بعبده هو أن يلهمه أمراً مباحاً أو مستحباً أو واجباً يوصله به إلى المقصود الحسن، فيكون هذا على إلهامه ليوسف-عليه السلام- أن يفعل ما فعل هو من كيده سبحانه أيضاً، ثم قال -رحمه الله-: "وعلى هذا فيكون من الكيد ما هو مشروع، لكن لا يجوز أن يراد به الكيد الذي تستحل به المحرمات، أو تسقط به الواجبات، فإن هذا كيد لله، والله هو المكيد في مثل هذا، فمحالٌ أن يشرع الله أن يكاد دينه، وأيضاً فإن هذا الكيد لا يتم إلا بفعل يقصد به غير مقصوده الشرعي، ومحال أن يشرع أنه لعبد أن يقصد بفعله ما لم يشرع الله ذلك الفعل له، وأيضاً فإن الأمر المشروع هو عام لا يخص به شخص دون شخص، فإن الشيء إذا كان مباحاً لشخص كان مباحاً لكل من كان على مثل حاله"[1].

وقال في موضع آخر: "وكذلك كانت قصة نبي الله يوسف -عليه السلام، فإن يوسف أكثر ما قدر أن يفعل أن ألقى الصواع في رحل أخيه، وأذن مؤذن بسرقتهم"[2].

ففي كيد الله ليوسف في وضع الصواع نوعين حيث ألهمه وكاد له بأن ألقى الصواع ثم فعل فعلا خارجا عن قدرته.

ثم إن شيخ الإسلام بيّن نوع كيد الله ﷻ ليوسف، وأنه ألهمه العمل بما كان مباحاً[3].

فالله ﷻ كاد ليوسف أحسن الكيد كما قال ابن القيم: " فكاد الله له أحسن كيدٍ ، وألطفه، وأعدله، بأن جمع بينه وبين أخيه، وأخرجه من أيدي إخوته بغير اختيارهم ، كما أخرجوا يوسف من يد أبيه بغير اختياره ، وكاد له عوض كيد المرأة ، بأن أخرجه من ضيق

---

١) الفتاوى الكبرى (132/6).

٢) الفتاوى الكبرى (131/6).

٣) الفتاوى الكبرى (133/6).

السجن إلى فضاء الملك، ومكنه في الأرض يتبوأ منها حيث يشاء، وكاد له في تصديق النسوة اللاتي كذبنه وراودنه حتى شهدن ببراءته وعفته ، وكاد له في تكذيب امرأة العزيز لنفسها واعترافها بأنها هي التي راودته وأنه من الصادقين، فهذه عاقبة من صبر على كيد الكائد له بغياً وعدوانا" [1].

١) إعلام الموقعين (158/5).

المبحث الثاني:
أقسام الناس في أدلة الصفات

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: أنواع الأدلة.

المطلب الثاني : أقسام من يجري النصوص على ظاهرها.

المطلب الثالث: أقسام نفاة ظواهر النصوص.

المطلب الرابع : أقسام الواقفة.

المطلب الأول: أنواع الأدلة

تمهيد

الرسل جاءوا بما يتفق مع مقتضى العقل الصحيح والفطرة السليمة من الشريعة، فالعقل السليم لا يتعارض مع النقل الصحيح، لأن الرسل لا تأتي بما تحيله العقول، لكن قد تأتي بما تحار به العقول، لا لشيء وإنما ذلك لضعف العقل وقلة إدراكه، فيكون الإيمان به بمجرد السمع، ويكون العقل فيها مؤمنا مسلما لها، والأدلة من حيث معرفتها بالعقل وإدراكه لحقيقتها، ومن حيث مجرد النقل والإيمان بها تنقسم إلى قسمين، كما سيذكره شيخ الإسلام.

أنواع الأدلة الشرعية عند شيخ الإسلام:

ذكر شيخ الإسلام أنواع الأدلة الشرعية فقال:"الأدلة الشرعية نوعان عقلي وسمعي"[١].

النوع الأول: الدليل العقلي

قال شيخ الإسلام في الدليل العقلي: "ما دلّ الشرع عليه من المعقولات"[٢]، فتكون الأدلة الشرعية وردت على المعقولات التي يعلم بالعقل صحتها إذا نبه لها، كما حث الله سبحانه على النظر فيها والتفكر لأن ذلك يفضى إلى العلم علما يقينيا قطعيا يجر إلى زيادة في الإيمان.

وقد بين شيخ الإسلام هذه الأدلة فقال: "كالأدلة التي نبه الله تعالى عليها في كتابه العزيز من الأمثال المضروبة وغيرها الدالة على توحيده، وصدق رسله، وإثبات صفاته وعلى المعاد، فتلك كلها أدلة عقلية يعلم صحتها بالعقل، وهي براهين ومقاييس عقلية وهي مع ذلك شرعية"[٣]، ومن الأدلة العقلية الشرعية أيضا دليل الخلق والإيجاد، فهي دالة على وجود الخالق سبحانه كما سبق وأن بينّا ذلك.

---

١) درء التعارض (37/8).

٢) درء التعارض (8/ 37).

٣) درء التعارض (199/1).

النوع الثاني: الدليل السمعي

قال شيخ الإسلام في الدليل السمعي: "السمعي ما دلّ بمجرد الإخبار" [1].

فهو كل دليل لا مجال للعقل فيه ولا يمكن علمه إلا بالسمع، قال شيخ الإسلام: "الدليل الشرعي لا يعلم إلا بمجرد خبر الصادق؛ فإنه إذا أخبر بما لا يعلم إلا بخبره كان ذلك شرعياً سمعيا" [2]، ثم بين شيخ الإسلام أن الأدلة السمعية هي الكتاب والسنة[3].

---

١) درء التعارض (37/8).

٢) درء التعارض (199/1).

٣) اقتضاء الصراط المستقيم (89/2).

المطلب الثاني: أقسام من يجري النصوص على ظاهرها

تمهيد

من المعلوم أن كثيرا من الخلاف بين أهل القبلة هو خلاف في صفات الله ﷻ، فمنهم من زاد في الإثبات، حتى آل الأمر به إلى التمثيل، ومنهم من زاد في النفي حتى آل الأمر به إلى التعطيل، ومن ينفي صفات الله ﷻ قصده في ذلك تنزيه الله ﷻ، فأوَّل الصفات وحرَّفها حتى كان فيه شبه بمن يحرفون الكلم عن مواضعه، وقد بين شيخ الإسلام أقسام الناس عموما في نصوص الصفات، فسنذكر تقسيمه لهم، ثم نبين أصحاب القسم الأول في هذا المطلب، ثم نبسط القول في القسمين الباقيين فيما بعد.

أقسام الناس عموما في نصوص الصفات عند شيخ الإسلام

وقد ذكر شيخ الإسلام انقسام الناس في نصوص الصفات، فقال: "الأقسام الممكنة في آيات الصفات وأحاديثها ستة أقسام، كل قسم عليه طائفة من أهل القبلة، ثم ذكر هذه الأقسام:

أولاً: قسمان يقولان تجري على ظواهرها.

ثانياً: قسمان يقولان هي على خلاف ظاهرها .

ثالثاً: قسمان يسكتان"[١].

أقسام من يجري النصوص على ظاهرها عند شيخ الإسلام

بين شيخ الإسلام أن من يجري النصوص على ظاهرها على قسمين فقال "من يجريها على ظاهرها ويجعل ظاهرها من جنس صفات المخلوقين ، ومن يجريها على ظاهرها اللائق بجلال الله"[٢].

---

١) أنظر الفتوى الحموية الكبرى (ص541).

٢) الفتوى الحموية الكبرى (ص541).

القسم الأول: من يجريها على ظاهرها ويجعلها من جنس صفات المخلوقين

فهم يجرون نصوص صفات الله ﷻ على ظاهرها، لكنهم يجعلون ظاهرها من جنس صفات المخلوقين، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "ويجعلون إتيانه من جنس إتيان المخلوق، ونزوله ﷻ من جنس نزولهم" (١)، تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيرا وأشبه مقولتهم مقولة اليهود والنصارى الذين وصفوا الله ﷻ بصفات المخلوق، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "فإن اليهود وصفوا الله تعالى بصفات المخلوق الناقصة، فقالوا: هو فقير ونحن أغنياء!!، وقالوا: يد الله مغلولة!! وقالوا: إنه تعب من الخلق فاستراح يوم السبت وغير ذلك، والنصارى وصفوا المخلوق بصفات الخالق المختصة به، فقالوا: إنه يخلق ويرزق ويغفر ويرحم ويتوب على الخلق ويثيب ويعاقب!!" (٢).

ومن يقول بهذا هم المشبهة (٣)، ولفظ التشبيه موجود في كلام بعض السلف، وأنهم أرادوا بالتشبيه تمثيل الله بخلقه دون نفي الصفات (٤).

وأما لفظ التجسيم فلا يوجد في كلام أحد من السلف لا نفياً ولا إثباتاً (٥).

وقد بين البغدادي (٦) أول من أظهر التشبيه من الفرق، فقال: "وأول ظهور التشبيه صادرٌ عن أصناف من الروافض الغلاة" (٧).

---

١) مجموع الفتاوى (398/16).

٢) مجموع الفتاوى (372/3).

٣) الفتوى الحموية الكبرى (ص 541).

٤) مجموع الفتاوى (153/4).

٥) مجموع الفتاوى (152/4).

٦) هو عبد القاهر ابن طاهر، العلامة البارع، المتفنن الأستاذ، أبو منصور البغدادي، نزيل خراسان وإمامها، وصاحب التصانيف البديعة، وأحد أعلام الشافعية، توفي باسفرايين عام 429هـ، أنظر سير أعلام النبلاء (222/13)، طبقات الشافعية (375/1).

٧) الفرق بين الفرق (ص 206).

وبين شيخ الإسلام ابن تيمية أول من تكلم به، فقال: "وأول من قال أن الله جسمٌ هشام بن الحكم الرافضي" [١].

فهؤلاء شبّهوا صفات الباري ﷻ بصفات خلقه، وجعلوا جميع الصفات من جنس صفات خلقه.

وغلاة هؤلاء المشبهة يقولون أن كلام الآدميين غير مخلوق، وهؤلاء يجعلون كلام المخلوق بمنزلة كلام الخالق، وأن الجميع كلام الله وهو غيرُ مخلوق [٢].

وقد استفاض إنكار السلف على المشبـــهة الذين يقولـــون: يدٌ كيَدي، وبصرٌ كبصري [٣].

والتمثيل كما قال شيخ الإسلام نوعان:

١) تمثيل المخلوق بالخالق، وهو إثبات شيء للمخلوق مما يختص به الخالق من الأفعال والحقوق والصفات.

٢) تمثيل الخالق بالمخلوق، ومعناه أن يثبت لله تعالى في ذاته أو صفاته من الخصائص مثل ما يثبت للمخلوق من ذلك [٤].

القسم الثاني: من يجريها على ظاهرها اللائق بجلال الله

فيجرون نصوص صفات الله ﷻ الواردة في الكتاب والسنة على ظاهرها اللائق بجلال الله، كما يُجري اسم العليم والقدير والربّ والإله والموجود والذات ونحو ذلك، على ظاهرها اللائق به سبحانه [٥]، فهم في نصوص صفات الله ﷻ وسطٌ بين أهل التعطيل

---

١) مجموع الفتاوى (186/3).

٢) مجموع الفتاوى (511/12).

٣) درء التعارض (145/4).

٤) مجموع الفتاوى (431/8).

٥) أنظر الفتوى الحموية (ص542).

الجهميّة، وأهل التمثيل المشبهة [1]، فالله ﷻ في سائر ما وصف به نفسه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير، قال شيخ الإسلام: "لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله"[2].

وقال في موضع آخر: "فإذا كان الله موصوفاً عند عامة أهل الإثبات بأن له علماً وقدرة وكلاماً ومشيئة، وإن لم يكن ذلك عرضاً يجوز عليه ما يجوز على صفات المخلوقين، جاز أن يكون وجه الله ويداه ليست أجساماً يجوز عليها ما يجوز على صفات المخلوقين، وهذا هو المذهب الذي حكاه الخطابي وغيره عن السلف، وعليه يدل كلام جمهورهم، وكلام الباقين لا يخالفه، وهو أمرٌ واضح، فإن الصفات كالذات، فكما أن ذات الله ثابتة حقيقة من غير أن تكون من جنس المخلوقات، فصفاته ثابتة حقيقة من غير أن تكون من جنس صفات المخلوقات"[3].

---

١) مجموع الفتاوى (141/2).

٢) مجموع الفتاوى (398/16).

٣) الفتوى الحموية (ص543).

المطلب الثالث : أقسام نفاة ظواهر النصوص

في المطلب السابق تكلمنا عن أقسام من يجري النصوص على ظاهرها وهنا نذكر أقسام من ينفي ظاهر النصوص.

أقسام نفاة ظواهر النصوص عند شيخ الإسلام

ذكر شيخ الإسلام أن نفاة ظواهر النصوص على قسمين: قسم يتأولونها ويعينون المراد، وقسم يقولون الله أعلم بما أراد، لكنا نعلم أنه لم يرد إثبات صفة خارجة عما علمنا [١]، فنفاة ظواهر النصوص الذين أرادهم شيخ الإسلام، هم الذين يقولون ليس لها في الباطن مدلول، هو صفة الله تعالى قط، وأن الله لا صفة له ثبوتية بل صفاته إما سلبية [٢]، أو إضافية[٣]، أو مركبة منهما، أو يثبتون بعض الصفات السبعة أو الثمانيـــــــة أو الخمس عشرة [٤].

---

١) الفتوى الحموية (ص 550).

٢) السلب: هو النفي بإدخال أداة السلب، مثل قولهم: ليس بسميع ولا بصير ونحو ذلك. أنظر التدمرية (ص37).

٣) الإضافة عبارة عن ماهيتين تعقل كل واحدة لا يتم إلا مع تعقل الأخرى، كقولهم: رحيم ويرحم والرحمة، لا تقوم به بل هي مخلوقة وهي نعمته وهكذا، أنظر المبين شرح ألفاظ الحكماء والمتكلمين (ص112).

٤) الصفات السبعة التي يتفق عليها الأشاعرة على إثباتها غالباً هي القدرة والعلم والإرادة والحياة والسمع والبصر والكلام النفسي، وبعضهم يزيد صفة ثامنة وهي صفة البقاء، أما الخمس عشرة فيزيد بعضهم صفات تصل بمجموعها إلى خمس عشر مثل صفة الوجه واليدين والعين والرضا والغضب والاستواء ونحو ذلك، أنظر أصول الدين للبغدادي (ص90).

أو يثبتون الأحوال دون الصفات [١] [٢].

وهؤلاء قسمان:

القسم الأول: من يتأولونها ويعيّنون المراد

فينفون المعنى الظاهر، ويتأولونه، ويعينون المراد بتلك الصفة مثل قولهم: استوى بمعنى استولى، أو بمعنى علوّ المكانة والقدر، أو بمعنى ظهور نوره للعرش، أو بمعنى انتهاء الخلق إليه [٣]، وهؤلاء جمهور المعطلة، فهم متأولون للنصوص محرفون لها، فلم يكتفوا بتعطيلهم للنصوص، بل زادوا على ذلك بتحريف المعاني، وقد سبق الكلام على شيءٍ من تأويلات هؤلاء في أقسام صفات الله ﷻ، ونبسط القول أيضا في الكلام عليهم عند أصناف نفاة ظواهر النصوص.

القسم الثاني: من ينفي ظاهرها ولا يتأول ولا يعين المراد

فينفون ظاهر النصوص الواردة في الكتاب والسنة ولا يتأولونها، ويقولون الله أعلم بما أراد، لكنا نعلم أنه لم يرد إثبات صفة خارجة عما علمنا [٤]، وهؤلاء هم المفوّضة، فنفوا دلالة النص على إثبات الصفة، وقالوا الله أعلم بمراده، لكنهم قالوا إنا نعلم أنه لم يرد إثبات صفة خارجة عما علمناه، أي: لا يثبت بهذه النصوص من الآيات والأحاديث صفة

---

١) وهذا مذهب أبي هشام الجبائي، والأحوال كما قال الآمدي: عبارة عن صفات إثباتية غير متصفة بالوجود ولا بالعدم وقد يعبر عنها بما به الاتفاق والافتراق بين الذوات، أنظر المبين شرح ألفاظ الحكماء والمتكلمين (ص221)، والأحوال هي النسبة بين الصفة والموصوف أو هي الصفات المعنوية فيقولون: هو سميع وليس معنى ذلك أن له سمعاً لكنه ذو سمع، يعني كونه سميعاً وحاله سميعاً لكن لا يثبت أن له سمعاً. أنظر مصطلحات في كتب العقائد (ص148).

٢) الفتوى الحموية (ص550).

٣) الفتوى الحموية (ص550).

٤) الفتوى الحموية (ص550).

خارجية، فهم ينفون دلالة النص على الصفة، ثمّ يقولون الله أعلم بمراده، وهذا تناقض ظاهر، وإنما يثبتون أن ظاهرها غير مراد، ويجعلون آيات الصفات من المتشابه.

أنواع المفوضة عند شيخ الإسلام

ذكر شيخ الإسلام نوعين من أنواع المفوضة، فقال: "وهؤلاء أهل التضليل والتجهيل الذين حقيقة قولهم أن الأنبياء وأتباع الأنبياء جاهلون ضالون، لا يعرفون ما أراد الله بما وصف به نفسه من الآيات وأقوال الأنبياء، ثم هؤلاء منهم من يقول المراد بها خلاف مدلولها الظاهر والمفهوم، ولا يعرف أحد من الأنبياء والملائكة والصحابة والعلماء ما أراد الله بها، كما لا يعلمون وقت الساعة.

ومنهم من يقول بل تجرى على ظاهرها، وتحمل على ظاهرها، ومع هذا فلا يعلم تأويلها إلا الله، فيتناقضون حيث أثبتوا لها تأويلا يخالف ظاهرها، وقالوا إنها تحمل على ظاهرها"[١].

فكلاهما يفوضون المعنى، لكن الأولون يقولون إن ظواهر النصوص تقتضي التشبيه، فينفونها ويحيلون على معنى مجهول لا يعرفه إلا الله.

أما الآخرين فيقولون إن ظواهر النصوص لا تقتضي التشبيه، ويجرونها على ظاهرها دون أن يبينوا المعنى الواجب فهمه من تلك الظواهر، بل يحيلون إلى معنى مجهول لا يعلمه إلا الله.

وكل من سبق ذكرهم يتفقون على نفي دلالة هذه النصوص على الصفات اللائقة بالله سبحانه وتعالى، سواء بتأويلها أو بتفويضها كما بيّنا ذلك، وهم عموماً لا يخرجون عن أصناف ثلاثة.

---

١) درء التعارض (1/15-16).

أصناف نفاة ظواهر النصوص عند شيخ الإسلام:

ذكر شيخ الإسلام أن المنحرفين عن مذهب السلف أصناف، فقال: "وأما المنحرفون عن طريقهم فهم ثلاث طوائف: أهل التخييل، وأهل التأويل، وأهل التجهيل"[1].

الطائفة الأولى: أهل التخييل

قال شيخ الإسلام في أهل التخييل: " فأهل التخييل هم المتفلسفة ومن سلك سبيلهم ، من متكلم ومتصوف ومتفقه ، فإنهم يقولون إن ما ذكره الرسول من أمر الإيمان بالله واليوم الآخر إنما هو تخييل للحقائق لينتفع به الجمهور ، لا أنه بُيّن به الحق، ولا هدى به الخلق، ولا أوضح به الحقائق.

ثم هم على قسمين: منهم من يقول: إن الرسول لم يعلم الحقائق على ما هي عليه. ويقولون: إن من الفلاسفة الإلهية من علمها، وكذلك من الأشخاص الذين يسمونهم الأولياء من علمها، ويزعمون أن من الفلاسفة والأولياء من هو أعلم بالله واليوم الآخر من المرسلين ، وهذه مقالة غلاة الملحدين من الفلاسفة والباطنية باطنية الشيعة وباطنية الصوفية.

ومنهم من يقول بل الرسول علمها لكن لم يبينها ، وإنما تكلم بما يناقضها ، وأراد من الخلق فهم ما يناقضها؛ لأن مصلحة الخلق في هذه الاعتقادات التي لا تطابق الحق.

ويقول هؤلاء: يجب على الرسول أن يدعو الناس إلى اعتقاد التجسيم مع أنه باطل، وإلى اعتقاد معاد الأبدان مع أنه باطل ، ويخبرهم بأن أهل الجنة يأكلون ويشربون مع أن ذلك باطل، قالوا: لأنه لا يمكن دعوة الخلق إلا بهذه الطريق، التي تتضمن الكذب لمصلحة العباد ، فهذا قول هؤلاء في نصوص الإيمان بالله واليوم الآخر.

---

١) مجموع الفتاوى (31/5).

وأما الأعمال فمنهم من يقرها ، ومنهم من يجريها هذا المجرى ، ويقول: إنما يؤمر بها بعض الناس دون بعض ، ويؤمر بها العامة دون الخاصة ، فهذه طريقة الباطنية الملاحدة والإسماعيلية[١] ونحوهم"[٢].

الطائفة الثانية: أهل التأويل

قال شيخ الإسلام في أهل التأويل هؤلاء: " وأما أهل التأويل فيقولون : إن النصوص الواردة في الصفات لم يقصد بها الرسول أن يعتقد الناس الباطل ، ولكن قصد بها معاني ولم يبين لهم تلك المعاني، ولا دلهم عليها، ولكن أراد أن ينظروا فيعرفوا الحق بعقولهم، ثم يجتهدوا في صرف تلك النصوص عن مدلولها، ومقصوده امتحانهم وتكليفهم وإتعاب أذهانهم وعقولهم في أن يصرفوا كلامه عن مدلوله ومقتضاه، ويعرف الحق من غير جهته، وهذا قول المتكلمة والجهمية[٣] والمعتزلة[٤] ومن دخل معهم في شيء

١) الاسماعيلية: فرقة شيعية باطنية، تدعى الانتساب إلى إسماعيل بن جعفر الصادق المتوفى سنة (143هـ)، مركزهم الأساسي بلاد مصر، وكانوا يبثون الدعاة إلى مذهبهم في سائر الأقطار، وقد تشعبت فرقها، وامتدت عبر الزمان حتى وقتنا الحاضر، والمعروف من مذاهبهم: الإباحة المطلقة، وإنكار الشرائع، والقول بالظاهر والباطن، وتناسخ الأرواح، يتظاهرون بالتشيع لآل البيت، وباطنهم الرفض التام لهم. انظر الإسماعيلية لإحسان إلهي ظهير(ص43)، تاريخ المذاهب الإسلامية (59/1).

٢) مجموع الفتاوى (32/5).

٣) الجهمية: هم المنتسبون إلى الجهم بن صفوان السمرقندي، الذي أظهر نفي الصفات والتعطيل، وقد أخذ مذهبه هذا عن الجعد بن درهم الذي ضحى به خالد بن عبد القسري بواسط، وأخذ الجعد عن إبان بن سمعان، وأخذه إبان عن طالوت ابن أخت لبيد بن الأعصم، أنظر: الملل والنحل (97/1)، مجموع الفتاوى (20/6).

٤) المعتزلة: سموا بذلك، لاعتزالهم مجلس الحسن البصري وقيل لاعتزالهم أقوال المسلمين في مرتكب الكبيرة حيث قالوا: إنه في منزلة بين المنزلتين، فلا هو مؤمن ولا هو كافر، وزعيمهم هو واصل بن عطاء، ويقوم مذهبهم على نفي الصفات عن الله تعالى، ونفي القدر في معاصي العباد، وإضافة خلقها إلى فاعليها، وأن القران مخلوق، انظر الملل والنحل (56/1)، ومجموع الفتاوى(183/3).

من ذلك"[1]، فيقولون إن للنصوص معاني لكن لم يبينها الشارع و لم يدلهم عليها ولكن أراد منهم النظر في تلك النصوص ثم يصرفوها عن مدلولها الذي دلت عليه امتحانا وتكليفا لهم.

الطائفة الثالثة: أهل التجهيل

قال شيخ الإسلام في هؤلاء: " وأما الصنف الثالث وهم أهل التجهيل ، فهم كثير من المنتسبين إلى السنة وإتباع السلف، يقولون أن الرسول لم يعرف معاني ما أنزل الله إليه من آيات الصفات، ولا جبريل يعرف معاني الآيات ولا السابقون الأولون عرفوا ذلك.

وكذلك قولهم في أحاديث الصفات: إن معناها لا يعلمه إلا الله، مع أن الرّسول تكلم بها ابتداء، فعلى قولهم تكلم بكلام لا يعرف معناه .

وهؤلاء يظنّون أنهم اتبعوا قوله تعالى ﴿وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾[2]، فإنه وقف أكـثر السلف على قوله ﴿وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ وهو وقفٌ صحيح، لكن لم يفرقوا بين معنى الكلام وتفسيره، وبين التأويل الذي انفرد الله تعالى بعلمه ، وظنّوا أن التأويل المذكور في كلام الله تعالى هو التأويل المذكور في كلام المتأخرين وغلطوا في ذلك" [3].

فمع جهلهم بالحق ألا أنهم يقولون بعدم معرفة الرسول معاني ما أنزل الله إليه، ولا جبريل يعرف، ولا السابقون، فلزم على قولهم أن رسول الله ﷺ تكلم بكلام لا يعرف معناه، وهذا ظاهر البطلان وغاية الخذلان.

---

١) مجموع الفتاوى (33/5).
٢) سورة آل عمران الآية رقم (70).
٣) مجموع الفتاوى (35/5).

المطلب الرابع: أقسام الواقفة

بعد ذكرنا لقسمين من أقسام الناس في نصوص الصفات نذكر القسم الثالث كما ذكرهم شيخ الإسلام وهم الواقفة.

أقسام الواقفة عند شيخ الإسلام:

بين شيخ الإسلام أقسام الواقفة فقال :"هؤلاء قسمان:

أ) قسم يقولون: يجوز أن يكون المراد ظاهرها الأليق بجلال الله، ويجوز ألا يكون المراد صفة لله ونحو ذلك، وهذه طريقة الفقهاء وغيرهم [١]، وعندهم يجوز أن يكون مرادها الأليق، ويجوز أن لا يكون المراد صفة لله.

ب) قسم يمسكون عن هذا كله، ولا يزيدون على تلاوة القران، وقراءة الحديث معرضين بقلوبهم وألسنتهم عن هذه التقديرات [٢].

فهؤلاء أعرضوا عن الخوض في مثل هذه الألفاظ والمعاني بالقلوب والألسنة، واكتفوا بقراءة القران وقراءة الحديث.

والفرق بين أصحاب قسمي الواقفة، أن توقف الطائفة الأولى قائم على الحكم بجواز الأمرين الإثبات والنفي، لكن دون الميل إلى أحدهما، وتوقف الطائفة الأخرى قائم على عدم الحكم بشيء أبداً، وكلاهما توقف.

---

١) الفتوى الحموية (ص550).

٢) الفتوى الحموية (ص550-551).

وأصل شبهة هؤلاء اعتقادهم أن النصوص ليس فيها ما يقطع بأحد الأمرين، فسوّغوا أن يرتضوا الشك والحيرة، واستدلوا بحديث: ((**زدني فيك تحيراً**)) (١)، وهذا كذبٌ باتفاق أهل الحديث (٢).

---

١) قال شيخ الإسلام عن هذا: "لم يرو هذا الحديث أحد من أهل العلم بالحديث، ولا هو في شيء من كتب الحديث، ولا في شيء من يعلم الحديث، بل ولا من يعرف الله ورسوله"، مجموع الفتاوى (12/3).

٢) أنظر مجموع الفتاوى (179/5).

الباب الثاني

التقسيمات المتعلقة بباقي أقسام أركان الإيمان لدى شيخ الإسلام ابن تيمية

وفيه ثلاثة فصول:

الفصل الأول: التقسيمات المتعلقة بالإيمان بالرسل لدى شيخ الإسلام ابن تيمية

الفصل الثاني: التقسيمات المتعلقة بالإيمان باليوم الآخر لدى شيخ الإسلام ابن تيمية

الفصل الثالث: التقسيمات المتعلقه بالإيمان بالقضاء والقدر لدى شيخ الإسلام ابن تيمية

الفصل الأول وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول: أقسام الوحي والتكليم.

المبحث الثاني: أقسام الأنبياء.

المبحث الثالث: أقسام الناس في الرسل.

المبحث الرابع: أقسام الناس في خوارق العادات.

المبحث الخامس: أقسام الاعتراض على قول النبي ﷺ أو فعله.

المبحث الأول: أقسام الوحي والتكليم

تمهيد

تقدم لنا الحديث عن الكلام والتكليم لغة واصطلاحاً فيما سبق.

أما الوحي فهو في اللغة: يطلق على الرسالة والإلهام والكلام الخفي، وكل ما ألقيته إلى غيرك يقال وحيت إليه الكلام، وأوحيت، وهو أن تكلمه بكلام تخفيه [١]، فهو إلقاء الشيء إلى النفس خفية [٢].

وفي الإصطلاح، قال شيخ الإسلام في تعريف الوحي: "هو إعلامٌ سريعٌ خفيّ" [٣].

وقال المناوي[٤]: "إعلام الله نبيه بما شاء" [٥]، وأعمّ من هذا قول القرطبي [٦]: "أنّه ما يُلقى في روع الأنبياء من عند الله تعالى" [٧].

---

١) الصحاح في اللغة (548/6).

٢) تفسير السمعاني (284/5).

٣) مجموع الفتاوى (342/13).

٤) محمد عبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين، زين الدين، الحدادي المناوي، القاهري، الشافعي، عالم مشارك في أنواع من العلوم، ولد سنة(952هـ) من تصانيفه: "التيسير" في شرح الجامع الصغير، و"فيض القدير"، و "تيسير الوقوف على غوامض أحكام الوقوف"، و "شرح التحرير" في فروع الفقه الشافعي، و "الإتحافات السنية بالأحاديث القدسية" وتوفي سنة(1031هـ). أنظر معجم المؤلفين (410/3)، الأعلام للزركلي (204/6).

٥) فيض القدير للمناوي (70/3).

٦) محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي الاندلسي، أبو عبد الله، القرطبي: من كبار المفسرين، صالح متعبد، من أهل قرطبة، رحل إلى الشرق واستقر بمنية ابن خصيب (في شمالي أسيوط) وتوفي فيها. أنظر طبقات المفسرين (ص246)، الديباج المذهب (ص406).

٧) المفهم للقرطبي (387/6).

أقسام التكليم والوحي عند شيخ الإسلام:

قسم شيخ الإسلام كلا من التكليم والوحي إلى قسمين فقال: "لفظُ التكليم والوحي كلٌّ منهما ينقسم إلى عام وخاص"[١].

أقسام الوحي عند شيخ الإسلام:

الوحي يكون عاما وخاصا، قال شيخ الإسلام: "وكذلك لفظ الوحي قد يكون عاماً فيدخل فيه التكليم الخاص، كما في قوله تعالى ﴿فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ﴾[٢]، وقد يكون قسيم التكليم الخاص كما في سورة الشورى[٣]" في قوله تعالى﴿ ۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا﴾[٤].

فالوحي الخاص هو الوحي بواسطة الملائكة أو الإلهام أو الرؤيا أو نحوها، وهذا لا يدخل فيه التكليم الخاص، إنما يدخل التكليم الخاص في الوحي العام، والوحي العام يدخل تحته جميع أنواع الوحي التي سبق ذكرها، قال ﷻ ﴿فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ﴾[٥]، فالله ﷻ أمر موسى –عليه السلام– أن يستمع لما يوحى مع أنه يكلمه بغير واسطة، وهذا من الوحي العام، قال ابن القيم –رحمه الله–: "الوحي قسيم التكليم الخاص الذي هو بلا واسطة، وقسيم من التكليم العام الذي هو إيصال المعنى بطرق متعددة"[٦].

أما الوحي العام فيدخل فيه غير الأنبياء قال شيخ الإسلام في هذا القسم من الوحي: "فهذا الوحي يكون لغير الأنبياء، ويكون يقظة ومناما، وقد يكون بصوت هاتف،

---

١) مجموع الفتاوى (129/12).
٢) سورة طه الآية رقم (13).
٣) مجموع الفتاوى (129/12).
٤) سورة الشورى الآية رقم (51).
٥) سورة طه الآية رقم (13).
٦) مدارج السالكين (100/1).

يكون الصوت في نفس الإنسان، ليس خارجاً عن نفسه يقظةً ومناماً، كما يكون النور الذي يراه أيضا في نفسه"[(١)].

فتبين أنه ليس كل من أوحي إليه الوحي العام يكون نبيا، فإنه قد يوحى إلى غير الناس قال سبحانه: ﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ﴾[(٢)]، وقال تعالى: ﴿وَأَوْحَىٰ فِى كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا﴾[(٣)] [(٤)].

أقسام التكليم عند شيخ الإسلام:

ويقسم شيخ الإسلام التكليم إلى خاص وإلى عام، قال شيخ الإسلام مبيناً هذين النوعين: "فالتكليم هو المقسوم في قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا﴾[(٥)]، والتكليم المطلق هو قسيم الوحي الخاص ليس هو قسماً منه"[(٦)]، فالتكليم العام يدخل فيه الوحي الذي يوحيه الله ﷻ لجميع أنبيائه ورسله، بواسطة رسله من الملائكة، أو الإلهام أو الرؤيا أو غيرها، أما تكليم الله ﷻ الخاص فهذا هو التكليم المباشر بلا واسطة، وإنما من وراء حجاب ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ﴾[(٧)]، كما كلم الله ﷻ موسى –عليه السلام–، أو ما يذكر من مناجاة النبي ﷺ ليلة المعراج[(٨)].

---

١) مجموع الفتاوى (398/12).
٢) سورة النحل الآية رقم (68).
٣) سورة فصلت الآية رقم (12).
٤) النبوات (830/2).
٥) سورة الشورى الآية رقم (51).
٦) مجموع الفتاوى (129/12).
٧) سورة الشورى الآية رقم (51).
٨) بغية المرتاد (ص131).

قال ابن شهاب[1]في هذه الآية: "نزلت هذه الآية تعمّ من أوحي إليه من البشر"[2].

فهناك فرقٌ بين الإيحاء المشترك وبين التكليم الخاص[3]، فإن الإيحاء المشترك قد يقع لكل أحد أحد أما التكليم الخاص فلا يقع إلا لمن أكرمه الله بذلك.

أنواع التكليم بالنسبة للمكلمين عند شيخ الإسلام

ذكر شيخ الإسلام أن تكليم الله ﷻ على ثلاثة أوجه فقال: "تكليم الله ﷻ لعباده على ثلاثة أوجه: من وراء حجاب كما كلم موسى –عليه السلام–، أو بإرسال رسول كما أرسل الملائكة إلى الأنبياء، وبالإيحاء وهذا فيه نصيبٌ للولي، وأما المرتبتان الأوليان فإنهما للأنبياء خاصة"[4].

قال الله ﷻ ﴿ ۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحۡيًا أَوۡ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوۡ يُرۡسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذۡنِهِۦ ﴾[5].

العلاقة بين التكليم والوحي

التكليم والوحي بينهما عموم وخصوص، قال شيخ الإسلام: "وقد دلّ كتاب الله ﷻ على أن الوحي والكلام في كتاب الله فيهما عموم وخصوص، فإذا كان أحدهما عاماً اندرج فيه الآخر، كما اندرج الوحي في التكليم العام، واندرج التكليم في الوحي العام،

---

١) هو الإمام الحافظ محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب القرشي الزهري المدني.ولد سنة 51هـــ وتوفي سنة 124هـــ روى عن ابن عمر، وجابر بن عبد الله شيئاً قليلا، ويحتمل أن يكون سمع منهما، وأن يكون رأى أبا هريرة، وغيره، أنظر سير أعلام النبلاء (69/6).

٢) كتاب الأسماء والصفات للبيهقي (ص197).

٣) الدرر السنية (232/3)، وانظر مجموع الفتاوى (558/12).

٤) مجموع الفتاوى (228/2).

٥) سورة الشورى الآية رقم (51).

حيث قال تعالى ﴿فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ﴾[1]، وأما التكليم الخاص الكامل فلا يدخل فيه الوحي الخاص الخفي، الذي يشترك فيه الأنبياء وغيرهم، كما أن الوحي المشترك الخاص لا يدخل فيه التكليم الخاص الكامل، كما قال تعالى لزكريا –عليه السلام-: ﴿قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٍ سَوِيًّا﴾[2]، ثم قال تعالى﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ﴾[3]، فالإيحاء ليس بتكليم ولا يناقض الكلام"[4].

أنواع الوحي بواسطة الملك عند شيخ الإسلام

ذكر شيخ الإسلام أن الإيحاء للرسول ﷺ بواسطة الملك يكون على أنواع: فأحياناً يأتيه مثل صلصلة الجرس[5]، وتارة يكون متمثلاً بصورة رجل يكلمه، كما كان جبريل يأتيه يأتيه في صورة دحية الكلبي[6] [7].

---

١) سورة طه الآية رقم (13).

٢) سورة مريم الآية رقم (10).

٣) سورة مريم الآية رقم (11).

٤) مجموع الفتاوى (402/12).

٥) رواه البخاري حديث رقم (2)، كتاب بدء الوحي (باب: كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ)، ورواه مسلم حديث رقم (2333) كتاب الفضائل (باب: عرق النبي ﷺ في البرد وحين يأتيه الوحي).

٦) رواه البخاري حديث رقم (3633)، كتاب المناقب (باب: علامات النبوة في الإسلام)، ورواه مسلم حديث رقم (2451) كتاب فضائل الصحابة (باب: من فضائل أم سلمة أم المؤمنين).

٧) مجموع الفتاوى (401/12).

المبحث الثاني: أقسام الأنبياء:

تمهيد

في اللغة النبأة: الصوت الخفي، والنبأ الخبر، تقول: نبأ ونبَّأ، أي: أخبر، ومنه أخذ النبي ﷺ لأنه أنبأ عن الله،ويقال إنه مأخوذ من الارتفاع ، وجمعه أنبياء[١].

واصطلاحاً قال شيخ الإسلام: "النبي هو المنبّأ عن الله"[٢].

وقال في موضع آخر: "ونفس النبوة تتضمن الخبر، فإن النبوة مشتقة من الإنباء وهو الإخبار بالمغيّب، فالنبي يخبر بالمغيّب، ويخبر بالغيب"[٣].

وقال الجرجاني: "النبي من أوحي إليه بملك، وألهم في قلبه، أو نبّه بالرؤيا الصالحة"[٤].

أقسام الأنبياء عند شيخ الإسلام:

قسم شيخ الإسلام الأنبياء إلى قسمين فقال: ينقسم "الأنبياء -عليهم السلام- إلى عبدٍ رسول، ونبيٍّ ملك"[٥].

القسم الأول: العبد الرسول.

فالعبد الرسول لا يفعل إلا ما أمر به، قال شيخ الإسلام: "فالعبد الرسول لا يفعل إلا ما أحبّه ربه من واجب ومندوب، فلا يعطى إلا من أمر بإعطائه، ولا يمنع إلا من أمر بمنعه"[٦].

---

١) الصحاح للجوهري (11/1)، وأنظر لسان العرب (7/14) مادة: (نَبَأَ).
٢) مجموع الفتاوى (290/10).
٣) درء التعارض (179/1).
٤) التعريفات للجرجاني (ص259).
٥) مجموع الفتاوى (180/11).
٦) الرد على الشاذلي (ص118).

وأمر الله ﷻ الذي يعطي به ويمنع به، هي محبته، ورضاه وإرادته الدينية[١].

وهذا مثل ما كان يفعل النبي ﷺ: **((ما أعطيكم ولا أمنعكم، وإنما أنا قاسم أضع حيث أمرت))** [٢]، قال شيخ الإسلام: "فإنه لم يرد بذلك العطاء والمنع الذي يحصل بمجرد المشيئة والقدر، فإن جميع المخلوقات لا يعطون ولا يمنعون إلا بمشيئة الله وقدره، فلا فضيلة في هذا للمؤمن على الكافر فكيف بالأنبياء؟ بل المراد العطاء والمنع الشرعي، أي: لا أعطي إلا من أمرت بإعطائه، ولا أمنع إلا من أمرت بمنعه.

وهذه صفة العبد الرسول"[٣].

القسم الثاني: النبي الملك.

فالنبيّ الملك يفعل بإرادته، من غير أمر من الله سبحانه قال شيخ الإسلام: "فالنبي الملك يفعل ما فرض الله عليه، ويترك ما حرّم الله عليه، ويتصرف في الولاية والمال بما يحبه، ويختار من غير إثم عليه" [٤].

وقال في موضع آخر: "إذن الله له أن يعطي ويمنع بحكم إرادته، كما يؤذن للمالك أن يعطي ويمنع لمن ويريد إذا لم يكن في ذلك فعل محرّم، وهذا عطاؤه ومنعه مباح له يتنعم به ولا يعاقب عليه، وما يحصل به ثواب أعظم مما لا يحصل به عقاب" [٥]، وهذا مثل أمر الله

---

١) الفتاوى العراقية (660/2).

٢) رواه البخاري حديث رقم (3117)، كتاب فرض الخمس (باب: قول الله تعالى ﴿فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ﴾).

٣) الرد على الشاذلي (ص118).

٤) مجموع الفتاوى (181/11).

٥) الرد على الشاذلي (ص118).

وَعَجَلّ لسليمان —عليه السلام﴿هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمۡنُنۡ أَوۡ أَمۡسِكۡ بِغَيۡرِ حِسَابٖ﴾[1]، قال المفسرون: أعط من شئت واحرم من شئت لا حساب عليك[2].

الفرق بين النبي والرسول

بين شيخ الإسلام الفرق بين الرسول والنبي، فقال: "فالنبي هو الذي ينبئه الله وهو ما ينبئ بما أنبأ الله به، فإن أرسل مع ذلك إلى من خالف أمر الله ليبلغه رسالة من الله إليه فهو رسول، وأما إذا كان إنما يعمل بشريعة من قبله، و لم يرسله هو إلى أحد يبلغه عن الله رسالة فهو نبي وليس برسول" [3]،وقال ابن حزم: "والنبوة هي الوحي من الله تعالى بأن يعلم الموحى إليه بأمر ما يعلمه، ما لم يكن علمه قبل، والرسالة هي النبوة وزيادة، وهي بعثته إلى خلق بأمر ما" [4]،فكل رسولٍ نبي، وليس كل نبيٍّ رسولا،قال السعدي: "الرسالة تقتضي تبليغ كلام المرسل وتبليغ جميع ما جاء به من الشرع، دقه وجله، والنبوة تقتضي إيحاء الله إليه، وتخصيصه بإنزال الوحي إليه، فالنبوة بينه وبين ربه والرسالة بينه وبين الخلق"[5]،

والمرسلون أفضل من الأنبياء قال شيخ الإسلام: "أفضل أولياء الله هم أنبياؤه، وأفضل أنبيائه هم المرسلون منهم، وأفضل المرسلين أولو العزم من الرسل نوح وإبراهيم وعيسى وموسى ومحمد ﷺ، وأفضل أولي العزم محمد ﷺ"[6].

---

١) سورة ص الآية رقم (39).

٢) تفسير الطبري (7008/8).

٣) النبوات (857/2).

٤) المحلى لابن حزم (50/1).

٥) تفسير السعدي (668/2).

٦) مجموع الفتاوى (161/11-162).

المبحث الثالث: أقسام الناس في الرسل

بعث الله ﷻ رسله مبشرين ومنذرين، يأمرون الناس بترك عبادة الأوثان وطاعة الشيطان إلى عبادة الرحمن وطاعته سبحانه، يخرجون الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم، فكان للناس من الرسل مواقف عدة.

أقسام الناس في الرسل عند شيخ الإسلام:

قسم شيخ الإسلام الناس في موقفهم من الرسل إلى أقسام فقال: "انقسم الناس في الرسل إلى ثلاثة أقسام مؤمنٌ باطنا وظاهرا، وكافرٌ مظهر للكفر، ومنافقٌ مظهر للإيمان مبطنٌ للكفر" [١].

القسم الأول: المؤمن ظاهراً وباطناً.

وهؤلاء هم المؤمنون حقاً الذين آمنوا بما جاءت به الرسل وصدقوا به و لم يرتابوا بشيء منه، وقد يحصل لأحد منهم كلام بالكفر إكراهاً، قال شيخ الإسلام: "ومنهم من يتكلم بالكفر مكرهاً، مع طمأنينة قلبه بالإيمان، وهذا مؤمنٌ باطنا وظاهرا ؛ فإنه وإن أظهر الكفر لبعض الناس لما أكره عليه، أو كتم عنه إيمانه فهو يتكلم بالإيمان في خلوته، ومع من يأمنه ويعمل بما يمكنه وما عجز عنه فقد سقط عنه" [٢].

القسم الثاني: الكافر المظهر للكفر.

فهم من كفر بالرسل ظاهراً و باطنا، فلم يصدقوهم و لم يؤمنوا بهم فأظهروا الكفر وجهروا به وكذبوا المرسلين، وهذا هو الغالب على من لم يؤمن بالرسل ﴿فَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ بِمَا كَذَّبُوا۟ بِهِۦ مِن قَبْلُ﴾ [٣].

---

١) مجموع الفتاوى (503/16).

٢) أنظر مجموع الفتاوى (504/16).

٣) سورة يونس الآية رقم (74).

القسم الثالث: المنافق المظهر للإيمان المبطن للكفر.

وهم من أظهر الإيمان والتصديق، وعمل بعمل المؤمنين الصادقين، وجرت عليه أحكام المسلمين، فلم يكن لأحد أن يكفرهم؛ لأنهم لم يظهروا ذلك و لم يتكلموا به، بل تكلموا بالإيمان وتصديق المرسلين، وأبطنوا في نفوسهم الكفر والبغض للمؤمنين ومعاداتهم، وهؤلاء مثل من قال الله ﷻ فيهم: ﴿يُرْضُونَكُم بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ﴾ [١]، فهم يخدعون المؤمنين، ويظنون أنهم يخادعون الله وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون.

ومثل هذا قد وقع حين هاجر النبي ﷺ إلى المدينة، قال شيخ الإسلام: "و لم يكن قبل هجرة النبي ﷺ إلى المدينة منافق، إنما كانوا إما مؤمنين وإما كفار؛ لأنهم حين كان ﷺ بمكة، كان المؤمنون حينها مستضعفين، فلم يكن يُحتاج إلى النفاق، بل كان من المؤمنين من يكتم إيمانه من كثير من الناس" [٢].

وفي الآخرة فإن هؤلاء حكمهم حكم الكفار، بل إن الله ﷻ قد توعدهم بالدرك الأسفل من النار ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾ [٣].

---

١) سورة التوبة الآية رقم (8).

٢) مجموع الفتاوى (503/16).

٣) سورة النساء الآية رقم (145).

المبحث الرابع: أقسام الناس في خوارق العادات

تمهيد

الخارق للعادة كما قال شيخ الإسلام: "هو ما خرج عن الأمر المعتاد"[1].

فكل أمر يكون خارجاً عما يعتاده الناس ويعرفونه فهو خارق للعادة، مع أن هذا اللفظ لا ينضبط، كما قال شيخ الإسلام: "وكون الآية خارقة للعادة أو غير خارقة هو وصف لم يصفه القرآن و الحديث ولا السلف، وهذا وصف لا ينضبط وهو عديم التأثير، فإن نفس النبوة معتادة للأنبياء خارقة للعادة بالنسبة لغيرهم"[2].

أقسام الناس في خوارق العادات عند شيخ الإسلام:

قسّم شيخ الإسلام الناس في موقفهم من خوارق العادات إلى ثلاثة أقسام فقال: "الناس في خوارق العادات على ثلاثة أقسام: قسم يكذّب بوجود ذلك لغير الأنبياء، وربما صدق بها مجملاً، وكذب بما يذكر له عن كثير من الناس لكونه عنده ليس من الأولياء، ومنهم يظنّ أن كل من كان له نوع من خرق العادة،كان وليّاً لله تعالى ... ، والصواب القول الثالث وهو أن من لم يكن وليا لله فمعهم من ينصرهم من جنسهم لا من أولياء الله"[3].

فالقسم الأول: من يكذب بوجود ذلك.

فهم يكذبون بوجود ذلك لغير الأنبياء، فيقولون بخوارق العادة للأنبياء دون غيرهم، وقد قال بهذا المعتزلة والأشاعرة.

قال شيخ الإسلام: "والمعتزلة ظنوا أن مجرد كون الفعل خارقاً للعادة هو الآية على صدق الرسول، فلا يجوز ظهور خارق إلا لنبي، والتزموا طرداً لهذا إنكار أن يكون للسحر تأثير

---

١) النبوات (625/2).

٢) النبوات (187/1).

٣) الفرقان بين أولياء الرحمن (ص145).

خارج عن العادة"[١]، وتبعهم على هذا القول الأشاعرة حيث أنهم أنكروا حصول أي أمرٍ خارج عن العادة لغير الأنبياء، واحتجوا أنه لو ظهرت المعجزة على يد كاذب لزم أن لا يقدر على تصديق من ادعى النبوة، وهذا القول كما قال شيخ الإسلام مبنيّ على مقدمات:

منها أن النبوة لا تثبت إلا بما ذكروه من المعجزات، وأن الله ﷻ لا يقدر على إعلام الخلق بأن هذا نبي إلا بهذا الطريق، وأن إعلام الخلق بأن هذا نبي بهذا الطريق ممكن.

وقد رد عليهم شيخ الإسلام: "بأنه لا نسلم أن هذا ممكن على قولكم، فإنكم إذا جوزتم عليه فعل كل شيء وإرادة كل شيء لم يكن فرق بين أن يظهرها على يد صادق أو كاذب، و لم يكن إرسال رسول يصدقه بالمعجزات ممكناً على أصلكم، و لم يكن لكم حجة على جواز إرسال الرسول وتصديقه بالمعجزات؛ إذ كان لا طريق عندهم إلا خلق المعجز، وهذا إنما يكون دليلاً إذا علم أنه إنما خلقه لتصديق الرسول، وأنتم عندكم لا يفعل شيئاً لشيء، ويجوز عليه فعل كل شيء"[٢].

فبيّن شيخ الإسلام بطلان قولهم فهم ينكرون جواز الحكمة والتعليل في أفعال الله فإذا جوزوا على الله فعل كل شيء وإرادته، لم يكن هناك فرق بين أن يظهرها على يد صادق أو كاذب؛ لأنه قادر على كل شيء.

ثم رد عليهم من وجه آخر: أنه إذا كان عندهم لا طريق لتصديق النبي إلا خلق المعجز، فإن هذا يكون دليلاً بشرط أن يعلم أنه إنما خلق هذا المعجز لتصديق الرسول، وهم عندهم في مذهبهم الباطل أنه لا يخلق شيئاً لأجل شيء وهذا تناقض ظاهر.

فالأمور الخارقة للعادة حصلت لغير الأنبياء من الأولياء وغيرهم، فلا يمكن إنكارها وتكذيبها.

---

١) النبوات (585/2)

٢) أنظر النبوات (581/2)

وكذلك نبوة الأنبياء تثبت بغير المعجزات، وإنما المعجزات تأتي مظهرةً لصدقهم على من كذبهم ولم يؤمن بهم.

القسم الثاني: من يظن أن كل من كان له خرق من العادة كان ولياً لله.

فهم يظنون أن كلّ من كان له نوعٌ من خرق العادة كان وليّا لله، وهذا النوع يكون في الصوفية، قال شيخ الإسلام: "ولهذا تجد أن هؤلاء يذكرون أن للمشركين وأهل الكتاب نصراء يعينونهم على قتال المسلمين، وأنهم من أولياء الله".

ثم قال: "ومن هؤلاء العباد والزهاد الذين ليسوا من أولياء الله المتقين المتبعين للكتاب والسنة، تقترن بهم الشياطين، فيكون لأحدهم من الخوارق ما يناسب حاله، لكن خوارق هؤلاء يعارض بعضها بعضاً"(١).

وضلال هؤلاء الصوفية مبني على أمور، بينها شيخ الإسلام فقال: "ضلال الضلال من هؤلاء مبنيّ على مقدمتين:

إحداهما: أن هذا له كرامة فيكون وليّا لله.

الثانية: أن ولي الله لا يجوز أن يخطأ بل يجب تصديقه في كل ما أخبر، وطاعته في كل ما أمر، وليس لأحد من البشر أن يصدق في كل ما أخبر به ويطاع في كل ما أمر به، إلا أن يكون نبيّاً.

والمقدمتان المذكورتان قد تكون إحداهما باطلة، وقد يكون كلاهما باطل، فالرجل المعين قد لا يكون من أولياء الله، وتكون خوارقه من الشيطان، وقد يكون من أولياء الله ولكن ليس بمعصوم،بل يجوز عليه الخطأ، وقد لا يكون من أولياء الله، وقد لا يكون له خوارق ولكن له محالات وأكاذيب" (٢).

---

١) الفرقان لابن تيمية (ص145).

٢) الجواب الصحيح (464/1).

فبين شيخ الإسلام شبه هؤلاء وردّ عليهم باطلهم، فليس كل من حصل له أمر خارج عن العادة يكون وليا، وقد ذكر الإمام الشاطبي [1] كلاماً جميلاً عن الولاية وما يظهر فيها من أمور خارقة للعادة فقال: "الولاية وإن ظهر لها في الظاهر آثار؛ فقد يخفى أمرها؛ لأنها في الحقيقة راجعة إلى أمر باطن لا يعلمه إلا الله، فربما ادعيت الولاية لمن ليس بولي، أو ادعاها هو لنفسه، أو أظهر خارقة من خوارق العادات هي من باب الشعوذة لا من باب الكرامة" [2]، بل إن كثيرا ممن يحصل لهم ذلك كفار ومنافقون وفسّاق وجهّال [3].

القسم الثالث من يثبت خارقا للعادة ويفرق بين من هو ولي أو ساحر أو كاذب

وهذا هو الصواب قال شيخ الإسلام: "وهو أن يُنظر في حال من حصلت له فقد تكون كرامة إن كان صالحاً وولياً، وقد تكون من الشياطين فتقترن بأحدهم حتى يكون له من الخوارق ما يناسب حاله، وهذا يكون لمن ليس من الأولياء المتقين، لكن خوارق هؤلاء يعارض بعضها بعضاً، وإذا حصل من له تمكن من أولياء الله تعالى أبطلها عليهم، ولا بدّ أن يكون في أحدهم من الكذب جهلاً وعمداً، ومن الإثم ما يناسب حال الشياطين المقترنة بهم، ليفرق الله بذلك بين أوليائه المتقين، وبين المتشبهين بهم من أولياء الشياطين" [4].

فمن لم يكن ولياً لله وحصل له نوع من خرق العادة فهذا معه من ينصره من جنسه لا من أولياء الله [5].

---

١) إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي، أصولي حافظ، من أهل غرناطة، كان من أئمة المالكية، توفي سنة (790هــ) معجم المؤلفين (77/1)، الإعلام للزركلي (75/1).

٢) الاعتصام للشاطبي (ص311-312).

٣) النبوات (632/2).

٤) الفرقان (ص145).

٥) أنظر الفرقان (ص145).

وأهل السنة يجعلون خوارق العادات على مراتب كما سيبينه شيخ الإسلام.

مراتب خوارق العادات عند شيخ الإسلام:

يذكر شيخ الإسلام مراتب خوارق العادات فيقول: "المراتب ثلاثة: آيات الأنبياء، ثم كرامات الصالحين، ثم خوارق الكفار والفجار"[1].

المرتبة الأولى: آيات الأنبياء.

وهذا ما يقع للأنبياء من أمور خارقة للعادة، وقد بين شيخ الإسلام أن آيات الأنبياء على قسمين:

القسم الأول: الآيات الكبرى، قال شيخ الإسلام: "معجزات الأنبياء فوق ذلك –أي: فوق كرامات الأولياء– فانشقاق القمر، والإتيان بالقران، وانقلاب العصا حية، وخروج الدابة من صخرة، لم يكن مثله للأولياء، وكذلك خلق الطير من الطين، ولكن آياتهم صغار وكبار كما قال تعالى ﴿فَأَرَىٰهُ ٱلْءَايَةَ ٱلْكُبْرَىٰ﴾[2]، فلله تعالى آية كبيرة وصغيرة، وقال عن نبيه محمد ﷺ ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ﴾[3]، فالآيات الكبرى مختصة بهم" [4]. فهذا النوع من الآيات لا تكون إلا للأنبياء ولا تقع إلا منهم.

الثاني: الآيات الصغرى، وهي ما دون ذلك، وهي التي يشاركهم فيها غيرهم قال شيخ الإسلام: "وأما الآيات الصغرى فقد تكون للصالحين؛ مثل تكثير الطعام، فهذا قد وجد لغير واحد من الصالحين، لكن لم يوجد كما وجد للنبي ﷺ أنه أطعم الجيش من شيء يسير، فقد يوجد لغيرهم من جنس ما وجد لهم ، لكن لا يماثلون في قدره ؛ فهم مختصون إما بجنس الآيات فلا يكون لمثلهم ، كالإتيان بالقرآن ، وانشقاق القمر ، وقلب العصا حية ، وانفلاق

---

١) النبوات (160/1).
٢) سورة النازعات الآية رقم (20).
٣) سورة النجم الآية رقم (18).
٤) النبوات (963/2).

البحر، وأن يخلق من الطين كهيئة الطير ، وإما بقدرها وكيفيتها كنار الخليل ؛ فإن أبا مسلم الخولاني وغيره صارت النار عليهم برداً وسلاماً[١]، لكن لم تكن مثل نار إبراهيم في عظمتها كما وصفوها، فهو مشارك للخليل في جنس الآية، كما هو مشارك في جنس الإيمان محبة الله وتوحيده، ومعلوم أن الذي امتاز به الخليل من هذا لا يماثله فيه أبو مسلم وأمثاله"[٢].

المرتبة الثانية: كرامات الصالحين

وأصحاب هذه المرتبة سبق ذكر شيء من ما يقع منهم عند الكلام على الآيات الصغرى، وقد بين شيخ الإسلام ما يمكن أن يقع للصالحين فقال: "فالأولياء دون الأنبياء والمرسلين فلا تبلغ كرامات أحد قط مثل معجزات المرسلين كما أنهم لا يبلغون في الفضيلة والثواب إلى درجاتهم، ولكن قد يشاركونهم في بعضها، كما قد يشاركونهم في بعض أعمالهم"[٣].

---

١) هو عبد الله بن ثوب، أبو مسلم الخولاني، من كبار التابعين، وكان فاضلا ناسكا، له فضائل كثيرة، أسلم قبل وفاة النبي ﷺ، بعث الأسود بن قيس بن ذي الخمار الذي تنبأ باليمن إلى أبي مسلم ، فلما جاءه قال: أتشهد أني رسول الله؟ قال: ما أسمع. قال: أتشهد أن محمدا رسول الله؟ قال: نعم. فرد ذلك عليه، وفي كل مرة يقول مثل قوله الأول ، فأمر به فألقي في نار عظيمة ، فلم تضره، فقيل له: أنفيه عنك وإلا أفسد عليك من اتبعك. قال : فأمره بالرحيل ، فأتى المدينة ، وقد قبض النبي ﷺ واستخلف أبو بكر ، فأناخ أبو مسلم راحلته بباب المسجد ، وبصر به عمر بن الخطاب ، فقام إليه. فقال: ممن الرجل؟ قال: من أهل اليمن. قال: ما فعل الرجل الذي أحرقه الكذاب بالنار؟ قال: ذاك عبد الله بن ثوب. قال: أنشدك الله أنت هو؟ قال: اللهم نعم. فاعتنقه عمر وبكى ، ثم ذهب به حتى أجلسه فيما بينه وبين أبي بكر ، وقال: الحمد لله الذي لم يمتني حتى أراني من أمة محمد من فعل به ما فعل بإبراهيم خليل الله ﷺ. أنظر أسد الغابة (563/2).

٢) النبوات (963/2).

٣) النبوات (162/1).

ولا يحصل للأولياء ما يحصل من خوارق العادات إلا بإتباع الأنبياء، ولو لم يتبعوهم لم يحصل لهم هذا[1].

كما أنها لا تكون فيما لا يُرضي الله، قال شيخ الإسلام: "كرامات الأولياء لا تكون بترك ما نهى الله عنه ورسوله من أكل الخبائث، كما لا تكون بترك الواجبات"[2].

المرتبة الثالثة: خوارق الكفار والفجار.

وهو ما يقع لهم من أمورٍ خارجةٍ عن العادة، وذلك كما يقول شيخ الإسلام: "مثل ما يقع للسحرة والكهان وما يحصل لبعض المشركين وأهل الكتاب والضـــــلال من المسلمين"[3].

أقسام خوارق الكفار والفجار عند شيخ الإسلام

قد قسم شيخ الإسلام خوارق الكفار والفجار إلى نوعين فقال: "المخاريق التي يفعلها هؤلاء المبتدعون من الدخول في النار، وأخذ الحيات، وإخراج اللآذن، والسّكر، والدم، وماء الورد هي نوعان:

أحدهما: أن يفعلوا ذلك بحيلٍ طبعية ؛ مثل أدهان معروفة ، يذهبون ويمشون في النار ، ومثل ما يشربه أحدهم مما يمنع سمّ الحية ، مثل أن يمسكها بعنقصتها حتى لا تضره ، ومثل أن يمسك الحية المائية، ومثل أن يسلخ جلد الحية ويحشوه طعاما.

النوع الثاني: وهم أعظم، عندهم أحوال شيطانية تعتريهم عند السماع الشيطاني ، فتنزل الشياطين عليهم كما تدخل في بدن المصروع ، ويزيد أحدهم كما يزيد المصروع ، وحينئذ يباشر النار والحيات والعقارب ويكون الشيطان هو الذ ي يفعل ذلك ، كما يفعل ذلك من

---

١) أنظر النبوات (161/1).
٢) مجموع الفتاوى (610/11).
٣) النبوات (160/1).

تقترن بهم الشياطين من إخوانهم ، الذين هم شر الخلق عند الناس ، من الطائفة التي تطلبهم الناس لعلاج المصروع، وهم من شرّ الخلق عند الناس، فإذا طلبوا تحلوا بحلية المقاتلة، ويدخل فيهم الجنّ فيحارب مثل الجن الداخل في المصروع ويسمع الناس أصواتاً ويرون حجارة يرمى بها ولا يرون من يفعل ذلك ويرى الإنسي واقفا على رأس الرمح الطويل وإنما الواقف هو الشيطان" (١).

أقسام من يقع له شيء من خرق العادة عند شيخ الإسلام:

بين شيخ الإسلام أن من تقع له شيء من خرق العادة، يكونون على ثلاثة أقسام، فقال: "الناس في هذه الأمور على ثلاثة أقسام: قسم ترتفع درجاتهم لخرق العادة إذا استعملوها لطاعة الله، وقوم يتعرضون بها لعذاب الله إذا استعملوها في معصية الله، كبلعام (٢) وغيره، وقوم تكون في حقهم من المباحات" (٣).

القسم الأول: من ترتفع درجاتهم بخرق العادة.

قال شيخ الإسلام مبيناً أصحاب هذا القسم: "القسم الأول: هم المؤمنون حقاً، المتبعون لنبيهم سيد ولد آدم، الذي إنما كانت خوارقه لحجة يقيم بها دين الله، أو لحاجة يستعين بها على طاعة الله" (٤)، فهم إنما يعملون لله يريدون ثوابه ويرجون جنته، ولا يعملون شيئاً لحظ أنفسهم.

---

١) انظر مجموع الفتاوى (611/11).

٢) هو بلعام بن باعور كان رجلاً من قوم موسى، وقد آتاه الله علماً، وقيل: أوتي معرفة اسم الله الأعظم، فدعا به على موسى فأهلكه الله، وهو الذي قال الله فيه: ﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا﴾، أنظر تاريخ الطبري (259/1)، البداية والنهاية (276/1).

٣) مجموع الفتاوى (30/10).

٤) مجموع الفتاوى (31/10).

القسم الثاني: من يتعرضون لعذاب الله.

وهم من يعملون هذه الأمور الخارقة للعادة في معصية الله، فبعد أن أكرمهم الله بهذا انقلبوا واستعملوها فيما يسخطه، كما وقع من بلعام وغيره، فتكون سببا في تعرضهم لعذاب الله لمخالفتهم أمره إما بارتكاب محظور أو بترك مأمور.

القسم الثالث: من تكون في حقه من المباحات.

وهم من لا يعمل فيها بما يسخط الله، و لم يكن عملهم لله، إنما كان عملهم لشيء من حظوظ النفس، فهم بين مرتبتين، والأمور الخارقة في حقهم مباحة، لا محمودة ولا مذمومة في الدين، قال شيخ الإسلام: "فإن كان المباح فيه منفعة، كان نعمة، وإن لم يكن فيه منفعة كان كسائر المباحات التي لا منفعة فيها، كاللعب والعبث"[1].

---

١) مجموع الفتاوى (320/11).

المبحث الخامس: أقسام الاعتراض على قول النبي ﷺ أو فعله

تمهيد

طاعة الرسول ﷺ من طاعة الله ﷻ، قال سبحانه ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾[1]، كما أن معصيته من معصيته.

ومعصية الرسول ﷺ ومخالفة أمره قد توعد الله ﷻ صاحبها بقوله ﴿فَلۡيَحۡذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنۡ أَمۡرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمۡ فِتۡنَةٌ أَوۡ يُصِيبَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾[2].

أقسام الاعتراض على قول النبي ﷺ أو فعله عند شيخ الإسلام

قسم شيخ الإسلام الاعتراض على قول النبي ﷺ أو فعله، أقساماً، فقال:" الكلمات في هذا الباب ثلاثة أقسام إحداهن: ما هو كفر....، الثاني: ما هو ذنب ومعصية ....، الثالث ما ليس من ذلك ، بل يحمد عليه صاحبه، أولا يحمد"[3].

القسم الأول: ما هو كفر.

وهذا مثل قول بعض المنافقين ((**إن هذه لقسمة ما أريد بها وجه الله**))[4]، وقائل هذا قد يكون منافقاً يجوز قتله [5]، لأنه اعترض على فعل النبي ﷺ اعتراض كفر، وهذا النوع من الاعتراض سواء كان اعتراضاً لقول النبي أو فعله فهو كفر، لأن هذا الاعتراض كان عن شك وسوء ظن.

---

١) سورة النساء الآية رقم (80).

٢) سورة النور الآية رقم (63).

٣) الصارم المسلول (ص137).

٤) رواه البخاري حديث رقم (6336)، كتاب الدعوات (باب: قول الله تعالى ﴿وَصَلِّ عَلَيۡهِمۡ﴾)، ورواه مسلم حديث رقم (1062) كتاب الزكاة (باب: إعطاء المؤلفة قلوبهم على الإسلام).

٥) الصارم المسلول (ص135).

القسم الثاني: ما هو ذنب ومعصية.

وهذا الاعتراض على قول النبي ﷺ أو فعله يكون ذنبا ومعصية، يخاف على صاحبه أن يحبط عمله، وذلك مثل رفع الصوت فوق صوته، ومثل مراجعة من راجعه عام الحديبية بعد ثباته على الصلح، ومجادلة من جادله يوم بدر بعد ما تبين له الحق، وهذا كله يدخل في المخالفة عن أمره [١].

بل إنه قد يخاف على من اعترض من النفاق وإن لم يكن منافقاً مثل قول الله ﷻ ﴿يُجَٰدِلُونَكَ فِي ٱلۡحَقِّ بَعۡدَ مَا تَبَيَّنَ﴾ [٢]، ومن فعل ذلك فقد أذنب ذنباً عليه أن يستغفر الله منه [٣].

فهذه اعتراضات لم تحصل عن شك في دين الله، إنما صدرت عن خطأ، قال شيخ الإسلام: "فهذه أمور صدرت عن شهوة وعجلة ، لا عن شكّ في الدين ، كما صدر عن حاطب رضي الله عنه التجسُّس لقريش ، مع أنها ذنوب ومعاص يجب على صاحبها أن يتوب ، وهي بمنزلة عصيان أمر النبي ﷺ" [٤].

القسم الثالث: ما ليس بكفر ولا ذنب ولا معصية.

قال شيخ الإسلام: "وهذا كقول عمر رضي الله عنه "ما بالنا نقصر الصلاة وقد أَمِنَّا" [٥]، وكذلك مراجعته لما أذن لهم في نحر الظهر في بعض المغازي، وطلبه منه أن يجمع الأزواد

---

١) الصارم المسلول (ص137).

٢) سورة الأنفال الآية رقم (6).

٣) الصارم المسلول (ص135).

٤) الصارم المسلول (ص135).

٥) رواه مسلم حديث رقم (686)، كتاب صلاة المسافرين وقصرها (باب: صلاة المسافرين وقصرها).

ويدعوا الله، ففعل ما أشار به عمر ﷺ[1]، ونحو ذلك مما فيه سؤال عن إشكال ليتبين لهم أو عرض له مصلحة يرى أن يفعلها الرسول ﷺ"[2].

فهذا الاعتراض يكون لأحد أمرين، إما أن يكون قد أشكل عليه أمر فيسأل ليتبين له الحق لا ليجادل بالباطل، فإذا بين له عرف الحق وقال به.

وإما أن يكون لمصلحة يراها المعترض لا عن شك في قلبه ولكن لأنه يرى أن هذا أصلح، وقد يكون مصيباً وقد يكون مخطئاً، لكنه لم يرد الاعتراض، وإنما أراد أن يبين ما يراه من الحق والصواب، وهذا ما حصل لعمر ﷺ في غير موضع، وحصل لغيره من الصحابة – رضوان الله عليهم–، فإن كان رأيه صواباً فإنه يُحمد عليه، وإن كان غير ذلك فإنه لا يحمد عليه، ولكنه يعذر بإرادته للحق والصواب والمصلحة، والله أعلم.

---

١) رواه البخاري حدبث رقم (2484)،كتاب الشركة (باب: الشركة في الطعام والنهد والعروض).
٢) الصارم المسلول (ص137).

الفصل الثاني:

التقسيمات المتعلقة بالإيمان باليوم الآخر لدى شيخ الإسلام ابن تيمية

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: أنواع النفخات التي أخبر الله ﷻ عنها في القرآن.

المبحث الثاني: أنواع شفاعات النبي ﷺ يوم القيامة.

المبحث الثالث: أنواع أهل الجنة.

المبحث الرابع: أقسام الناس في الصفات واليوم الآخر.

تمهيد

اليوم الآخر: هو يوم القيامة، وسمي بذلك لأنه لا يوم بعده، وقد ذكر الله ﷻ اليوم الآخر في كتابه في عدة مواضع، قال تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾[2]، وقال شعيب لقومه: ﴿فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ﴾[3].

والإيمان باليوم الآخر أحد أركان الإيمان، كما في حديث جبريل عليه السلام حين سأل النبي ﷺ عن الإيمان فقال: ((**الإيمان أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر**))[4].

قال شيخ الإسلام: "فالسلف والأئمة وأتباعهم آمنوا بما أخبر الله به عن نفسه، وعن اليوم الآخر"[5].

---

١) سورة المجادلة الآية رقم (22).

٢) سورة البقرة الآية رقم (177).

٣) سورة العنكبوت الآية رقم (36).

٤) رواه البخاري حديث رقم (37) باب سؤال جبريل النبي ﷺ عن الإيمان ولفظه (وتؤمن بالبعث الآخر) ،ورواه مسلم حديث رقم (8) كتاب الإيمان، (باب: بيان الإيمان والإسلام والإحسان).

٥) مجموع الفتاوى (29/3).

المبحث الأول: أنواع النفخات التي أخبر الله عنها في القرآن

تمهيد

الله ﷻ أخبر في القرآن في عدة مواضع عن النفخ في الصور، والصور كما جاء في الحديث، قال رسول الله ﷺ: ((**قرنٌ ينفخ فيه**))[١]، والنافخ في الصور هو إسرافيل[٢].

أنواع النفخات عند شيخ الإسلام

وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية أنواع النفخات فقال:"والقرآن قد أخبر بثلاث نفخات، نفخة الفزع....، ونفخة الصعق والقيام"[٣].

النوع الأول: نفخة الفزع

فالنفخة الأولى هي نفخة الفزع التي قال الله ﷻ فيها ﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾[٤]، قال السفاريني: "وهي التي يتغير بها هذا العالم ويفسد نظامه، وهي المشار إليها في قوله تعالى ﴿وَمَا يَنظُرُ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً مَّا لَهَا مِن فَوَاقٍ﴾"[٥] [٦].

---

١) رواه الترمذي حديث رقم (2430)، كتاب صفة القيامة (باب: ما جاء في شأن الصور) وقال: حديث حسن صحيح، وصحححه الحاكم في المستدرك (595/2)، وابن حبان في صحيحه حديث رقم (3712) (303/16).

٢) رواه الطبراني في الأوسط حديث رقم (9279) (131/10)، قال ابن حجر: والنافخ في الصور هو إسرافيل ونقل الحليمي الإجماع فيه. أنظر فتح الباري (448/11).

٣) مجموع الفتاوى (261/4).

٤) سورة النمل الآية رقم (87).

٥) سورة ص الآية رقم (15).

٦) لوامع الأنوار (157/2).

ففي هذه النفخة يفزع أهل السموات وأهل الأرض، وفزعهم كما قال العلامة السعدي: أي "انزعجوا وارتاعوا وماج بعضهم ببعض"[1].

النوع الثاني: نفخة الصعق

ثم يأمر الله ﷻ إسرافيل فينفخ النفخة الثانية، وهي نفخة الصعق، قال اللهﷻ ﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾[2]، فبهذه النفخة يهلك كل شيء إلا من شاء الله، قال ابن كثير: "هذه النفخة الثانية وهي نفخة الصعق وهي التي يموت بها الأحياء من أهل السموات والأرض إلا من شاء الله، ثم يقبض أرواح الباقين حتى يكون آخر من يموت ملك الموت، وينفرد الحي القيوم الذي كان أولاً، وهو الباقي آخراً بالديمومة والبقاء"[3]، وأما الاستثناء في قوله ﴿إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ فقال شيخ الإسلام: "وأما الاستثناء فهو متناول لمن في الجنة من الحور العين، ومتناول لغيرهم، ولا يمكن الجزم بكل من استثنى الله فإن الله أطلق في كتابه"[4].

النوع الثالث: نفخة القيام

ثم بعد أن يصعق الناس ويموتون ينفخ فيه أخرى وهي نفخة البعث قال الله ﷻ﴿ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُم قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴾،[5] وقالﷻ ﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ۝٥١﴾[6].

---

١) تفسير السعدي (839/2).
٢) سورة الزمر الآية رقم (68).
٣) تفسير ابن كثير (151/12).
٤) مجموع الفتاوى (261/4).
٥) سورة الزمر الآية رقم (68).
٦) سورة يس الآية رقم (51).

فقوله ﷻ ﴿فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾ أي: أحياء بعد ما كانوا عظاماً ورفاتاً صاروا أحياء ينظرون إلى أهوال يوم القيامة[١].

وأما قوله ﴿فَإِذَا هُم مِّنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ﴾، أي: خرجوا من الأجداث والقبور يسرعون للحضور بين يديه ﷻ [٢].

فهذه الثلاث نفخات هي التي أخبر عنها القرآن على التفصيل الذي ذكرناه.

وقد ذكر شيخ الإسلام ما ثبت في الصحيح أن النبي ﷺ قال: ((**لا تخيروني على موسى، فإن الناس يصعقون يوم القيامة فأكون في أول من يفيق ، فإذا موسى باطش [٣] بجانب العرش، فلا أدري أكان موسى فيمن صعق فأفاق قبلي ، أو كان ممن استثنى الله ؟**)) [٤]، ثم قال: "وهذه الصعقة قد قيل إنها رابعة، وقيل: إنها من المذكورات في القران" [٥].

---

١) تفسير ابن كثير (151/12).

٢) تفسير السعدي (962/2).

٣) أي: متعلق به، والبطش الأخذ بقوة. فتح الباري (1570/2).

٤) رواه البخاري حديث رقم (3408) كتاب أحاديث الأنبياء (باب: وفاة موسى وذكره بعد)، ورواه مسلم واللفظ له (2373) كتاب الفضائل (باب: من فضائل موسى عليه السلام).

٥) مجموع الفتاوى (261/4).

المبحث الثاني: أنواع شفاعات النبي ﷺ يوم القيامة

تقدم لنا الكلام عن الشفاعة ومعناها، وأنواعها في مبحث أنواع الشفاعة، وهنا نتكلّم عن شفاعات النبي ﷺ يوم القيامة.

أنواع شفاعات النبي ﷺ يوم القيامة عند شيخ الإسلام:

ذكر شيخ الإسلام شفاعات النبي ﷺ يوم القيامة فقال: "وله ﷺ في القيامة ثلاثة شفاعات، أما الشفاعة الأولى فيشفع في أهل الموقف حتى يقضى بينهم....، وأما الشفاعة الثانية فيشفع في أهل الجنة أن يدخلوا الجنة، وهاتان الشفاعتان خاصتان له، وأما الشفاعة الثالثة فيشفع فيمن استحق النار" (١).

الشفاعة الأولى: شفاعته في أهل الموقف.

فشفاعته ﷺ لأهل الموقف حتى يقضى بينهم بعد أن تتراجع الأنبياء، آدم ونوح وإبراهيم، وموسى وعيسى ابن مريم عن الشفاعة حتى تنتهي إليه ﷺ (٢)، وهذا هو المقام المحمود الذي وعده به ربه ﷻ، فيكون بذلك المقام محموداً يحمده أهل الموقف كلهم.

وقد ذكر النبي ﷺ هذه الشفاعة بقوله ((**أنا سيد الناس يوم القيامة ، وهل تدرون مم ذلك؟ يجمع الله الناس الأولين والآخرين في صعيد واحد ، يسمعهم الداعي ، وينفذهم البصر، وتدنو الشمس ، فيبلغ الناس من الغم والكرب ما لا يطيقون ، ولا يحتملون ، فيقول الناس: ألا ترون ما قد بلغكم، ألا تنظرون من يشفع لكم إلى ربكم؟ فيقول بعض الناس لبعض: عليكم بآدم، فيأتون آدم عليه السلام فيقولون له : أنت أبو البشر خلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحه، وأمر الملائكة فسجدوا لك، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى إلى ما نحن فيه ، ألا ترى إلى ما قد بلغنا؟ فيقول آدم : إن ربي قد غضب اليوم غضبا لم**

---

١) مجموع الفتاوى (147/3).

٢) مجموع الفتاوى (147/3).

يغضب قبله مثله ، ولن يغضب بعده مثله ، وإنه نهاني عن الشجرة فعصيته ، نفسي نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري اذهبوا إلى نوح.

فيأتون نوحا فيقولون: يا نوح إنك أنت أول الرسل إلى أهل الأرض ، وقد سماك الله عبدا شكورا، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ فيقول: إن ربي ﷻ قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ، ولن يغضب بعده مثله ، وإنه قد كانت لي دعوة دعوتها على قومي، نفسي نفسي نفسي اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى إبراهيم.

فيأتون إبراهيم فيقولون: يا إبراهيم أنت نبي الله ، وخليله من أهل الأرض ، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ فيقول لهم : إن ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله ، وإني قد كنت كذبت ثلاث كذبات ، – فذكرهن أبو حيان في الحديث – نفسي نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري اذهبوا إلى موسى.

فيأتون موسى فيقولون: يا موسى أنت رسول الله ، فضلك الله برسالته وبكلامه على الناس، اشفع لنا إلى ربك ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ فيقول : إن ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله ، وإني قد قتلت نفسا لم أ ؤمر بقتلها، نفسي نفسي نفسي اذهبوا إلى غيري اذهبوا إلى عيسى.

فيأتون عيسى فيقولون: يا عيسى أنت رسول الله، وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، وكلمت الناس في المهد صبيا، اشفع لنا ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ فيقول عيسى: إن ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله قط ولن يغضب بعده مثله ، – ولم يذكر ذنبا – نفسي نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري اذهبوا إلى محمد ﷺ.

فيأتون محمدا ﷺ فيقولون: يا محمد أنت رسول الله، وخاتم الأنبياء، وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، اشفع لنا إلى ربك ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ فأنطلق فآتي تحت العرش، فأقع ساجدا لربي ﷻ ثم يفتح الله علي من محامده وحسن الثناء عليه شيئاً لم

يفتحه على أحد قبلي ، ثم يقال : يا محمد ارفع رأسك ، سل تُعطه ، واشفع تشفع ، فأرفع رأسي فأقول : أمتي يا رب أمتي يا رب ، فيقال : يا محمد أدخل من أمتك من لا حساب عليهم من الباب الأيمن من أبواب الجنة وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب، ثم قال: والذي نفسي بيده إن ما بين المصراعين من مصاريع الجنة كما بين مكة وحمير، أو كما بين مكة وبصرى))[١].

الشفاعة الثانية: شفاعته لأهل الجنة.

فيشفع النبي ﷺ لأهل الجنة أن يدخلوا الجنة، وقد بين النبي ﷺ هذه الشفاعة بقوله: **((آتي باب الجنة يوم القيامة، فأستفتح، فيقول الخازن: من أنت؟ فأقول: محمد، فيقول: بك أمرت لا أفتح لأحد قبلك))**[٢].

الشفاعة الثالثة: شفاعته فيمن استحق النار.

فيشفع فيمن استحق النار أن لا يدخلها، قال شيخ الإسلام: "وهذه الشفاعة له ولسائر النبيين والصديقين وغيرهم، فيشفع فيمن استحق النار أن لا يدخلها ويشفعُ فيمن دخلها أن يخرج منها"[٣]، وقد سبق أن ذكرنا هذا النوع من الشفاعة في أنواع الشفاعة.

---

١) رواه البخاري حديث رقم (4712)، كتاب التفسير، (باب: قول تعالى: ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾)، ورواه مسلم حديث رقم (194) كتاب الإيمان (باب: أدنى أهل الجنة منزلة فيها).

٢) رواه مسلم حديث رقم (197) كتاب الإيمان، باب: قول النبي ﷺ **((أنا أول الناس يشفع في الجنة))**.

٣) مجموع الفتاوى (147/3).

المبحث الثالث: أنواع أهل الجنة:

تمهيد

الناس متفاضلون في الجنة بحسب أعمالهم في الدنيا وهم على ذلك متفاوتون في درجاتهم في الجنة ، وقد ذكر الله ﷻ في كتابه أهل الجنة وبين أنهم على درجات بحسب أعمالهم الصالحة.

أنواع أهل الجنة عند شيخ الإسلام:

ذكر شيخ الإسلام أنواع أهل الجنة فقال: "وأهل الجنة نوعان، سابقون مقربون، وأبرار أصحاب اليمين"[١].

النوع الأول: السابقون المقربون

وقد بين شيخ الإسلام المقربين فقال: "السابقون المقربون تقربوا إليه بالنوافل بعد الفرائض، ففعلوا الواجبات والمستحبات، وتركوا المحرمات والمكروهات"[٢].

فهم تقربوا إلى الله ﷻ بفعل كل ما يرضيه وترك كل ما يسخطه، قال شيخ الإسلام: "فلما تقربوا إليه بجميع ما يقدرون عليه من محبوباتهم، أحبّهم الربُّ حبّاً تامّاً، كما قال تعالى **((وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه))** [٣]، يعني الحب المطلق، ثم قال: "فهؤلاء المقربون صارت المباحات في حقهم طاعات يتقربون بها إلى الله ﷻ، فكانت أعمالهم كلها عبادات لله فشربوا صرفا كما عملوا صرفا" [٤].

من أجل هذا كان ثوابهم أعلى درجة وأعلى رفعة ومكانة بكونهم سابقون مقربون.

---

١) الاستقامة لابن تيمية (ص395).

٢) الفرقان لابن تيمية (ص51).

٣) رواه البخاري حديث رقم (6502) كتاب الرقاق (باب: التواضع).

٤) الفرقان لابن تيمية (ص52).

فالسابقون المقربون وعدهم ﷻ بقوله ﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾ [1]، وفي قوله ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿١٢﴾ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١٤﴾ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ﴿١٥﴾ مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيْهَا مُتَقَٰبِلِينَ ﴿١٦﴾ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿١٨﴾ لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ﴿١٩﴾ وَفَٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢١﴾ وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾ كَأَمْثَٰلِ ٱللُّؤْلُؤِ ٱلْمَكْنُونِ ﴿٢٣﴾ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ﴿٢٥﴾ إِلَّا قِيلًا سَلَٰمًا سَلَٰمًا ﴿٢٦﴾﴾ [2].

النوع الثاني: أبرار أصحاب يمين.

وهم الذين لم يكن لهم من العمل ما كان للمقربين، قال شيخ الإسلام: "فالأبرار أصحاب اليمين هم المتقربون إليه بالفرائض يفعلون ما أوجب الله عليهم، ويتركون ما حرّم الله عليهم، ولا يكلفون أنفسهم بالمندوبات ولا الكف عن فضول المباحات" [3].

فهؤلاء أقل درجة من المقربين، وذلك لكونهم لم يفعلوا من الأعمال ما فعل المقربون، فهم كما قال شيخ الإسلام: "كان في أعمالهم ما فعلوه لنفوسهم فلا يعاقبون عليه، ولا يثابون عليه، فلم يشربوا صرفاً، بل مزج لهم من شراب المقربين بحسب ما مزجوه في الدنيـــا" [4]، يشير بذلك شيخ الإسلام إلى قول الله ﷻ ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا﴾ [5].

---

١) سورة الواقعة الآية رقم (88-89).

٢) سورة الواقعة الآية رقم (10-26).

٣) الفرقان لابن تيمية (ص51).

٤) الفرقان لابن تيمية (ص52).

٥) سورة الإنسان الآية رقم (5).

قال السعدي: "أي شرابٌ لذيذ من خمر قد مزج بكافور، أي: خلط ليبرد ويكسر حدته"[١]، وهذا في حقّ الأبرار أصحاب اليمين، وأما المقربون فقال ﷻ في شرابهم ﴿وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسۡنِيمٍ﴾[٢]، قال ابن كثير: "أي ومزاج هذا الرحيق الموصوف من تسنيم، أي من شراب يقال له تسنيم، وهو أشرف شراب أهل الجنة وأعلاه"[٣].

والأبرار أصحاب اليمين، وعدهم الله بقوله: ﴿وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡيَمِينِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلۡيَمِينِ ۝٢٧ فِي سِدۡرٖ مَّخۡضُودٖ ۝٢٨ وَطَلۡحٖ مَّنضُودٖ ۝٢٩ وَظِلّٖ مَّمۡدُودٖ ۝٣٠ وَمَآءٖ مَّسۡكُوبٖ ۝٣١ وَفَٰكِهَةٖ كَثِيرَةٖ ۝٣٢ لَّا مَقۡطُوعَةٖ وَلَا مَمۡنُوعَةٖ ۝٣٣ وَفُرُشٖ مَّرۡفُوعَةٍ ۝٣٤ إِنَّآ أَنشَأۡنَٰهُنَّ إِنشَآءٗ ۝٣٥ فَجَعَلۡنَٰهُنَّ أَبۡكَارًا ۝٣٦ عُرُبًا أَتۡرَابٗا ۝٣٧﴾[٤].

---

١) تفسير السعدي (1256/2).

٢) سورة المطففين الآية رقم (27).

٣) تفسير ابن كثير (289/14).

٤) سورة الواقعة من الآية رقم (27-37).

المبحث الرابع:أقسام الناس في الصفات واليوم الآخر

تمهيد

الله ﷻ أخبر في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ عن صفاته العلية كما أخبر عن اليوم الآخر وكلاهما من المغيبات التي لا يمكن إدراكها إلا بالسمع كما قال شيخ الإسلام :"فما أخبرت به الرسل من تفاصيل اليوم الآخر وأمرت به من تفاصيل الشرائع لا يعلمه الناس بعقولهم كما أن ما أخبرت به الرسل من تفصيل أسماء الله وصفاته لا يعلمه الناس بعقولهم وإن كانوا قد يعلمون بعقولهم مجمل ذلك"(١)، والناس في ما أخبر الله به عن نفسه، وما أخبر به عن اليوم الآخر من الأمور الغيبية لها عدة مسالك.

أقسام الناس في الصفات واليوم الآخر عند شيخ الإسلام:

ذكر شيخ الإسلام أقسام الناس في ما أخبر الله به عن نفسه في اليوم الآخر فقال: "ولهذا افترق الناس في هذا المقام ثلاثة فرق: فالسلف والأئمة وأتباعهم آمنوا بما أخبر الله به عن نفسه، وعن اليوم الآخر .... ، والفريق الثاني الذين أثبتوا ما أخبر الله به في الآخرة من الثواب والعقاب، ونفوا كثيراً مما أخبر الله به من الصفات .... ، والفريق الثالث من نفوا هذا وهذا"(٢).

القسم الأول: من آمنوا بكلا الأمرين.

فهم آمنوا بما أخبر الله به عن نفسه وعن اليوم الآخر، وقالوا آمنا به كلٌّ من عند ربنا، قال شيخ الإسلام: "فالسلف والأئمة وأتباعهم آمنوا بما أخبر الله به عن نفسه وعن اليوم

---

١) مجموع الفتاوى (115/3).

٢) التدمرية (ص47-48).

الآخر مع علمهم بالمباينة التي بين ما في الدنيا وبين ما في الآخرة، وأن مباينة الله لخلقه أعظم"(١).

فهؤلاء آمنوا بأنه حق على حقيقته مع اعتقادهم التباين بين ما في الدنيا وما في الآخرة، كما أخبر بذلك ﷺ.

ثم هم مع إيمانهم بما أخبر الله به عن اليوم الآخر، يؤمنون بما أخبر الله به عن نفسه، وأن التباين بين الخالق والمخلوق، أعظم وأولى وأبين من مباينة المخلوق للمخلوق، فكما أن التباين بين المخلوق والمخلوق حاصل فهو مع الخالق أعظم وسبق ذكر معتقدهم في هذا.

القسم الثاني: من آمنوا بما أخبر به في الآخرة ونفوا كثيراً من الصفات.

فهم آمنوا ببعض، وكذبوا بعضاً، إما بالتأويل أو بغيره، قال شيخ الإسلام في هؤلاء: "أثبتوا ما أخبر الله به في الآخرة من الثواب والعقاب، ونفوا كثيراً مما أخبر به من الصفات، مثل طوائف من أهل الكلام كالمعتزلة ومن وافقهم" (٢).

فغالبيتهم آمنوا بما أخبر الله به عن اليوم الآخر، وإن كانت طائفة من المعتزلة أنكروا شيئاً من ذلك، قال شيخ الإسلام: "والقول الثالث الشاذ، قول من يقول أن البرزخ ليس فيه نعيم، ولا عذاب، بل لا يكون ذلك حتى تقوم القيامة الكبرى كما يقول ذلك من يقوله من المعتزلة ونحوهم، الذين ينكرون عذاب القبر ونعيمه بناء على أن الروح لا تبقى بعد فراق البدن، وأن البدن لا ينعم ولا يعذب" (٣).

لكنهم إجمالاً يؤمنون به، وهم مع ذلك نفوا كثيراً مما أخبر به من الصفات، إما بالتأويل أو بالتحريف، فالمعتزلة نفوا صفات الله ﷻ، والأشاعرة والماتريدية نفوا بعضاً وأثبتوا بعضاً، وهؤلاء سبق الكلام عليهم وعلى تأويلاتهم وتحريفاتهم، وهؤلاء كما ذكرهم شيخ الإسلام

---

١) التدمرية (ص47).

٢) التدمرية (ص48).

٣) مجموع الفتاوى (284/2).

المعطلة: "ويقولون أن النصوص الواردة في الصفات لم يقصد بها الرسول أن يعتقد الناس الباطل، ولكن قصد بها معاني، و لم يبين لهم تلك المعاني ولا دلهم عليها" [1]. وقد بسطنا القول في هذا فيما سبق، وسيأتي مزيد من البيان له

القسم الثالث: من نفوا هذا وهذا.

فهم نفوا صفات الله ﷻ وأنكروها، ومع ذلك لم يؤمنوا بما أخبر الله به عن اليوم الآخر، وهؤلاء كما قال شيخ الإسلام: "كالقرامطة الباطنية [2]، والفلاسفة أتباع المشائين [3]، ونحوهم من الملاحدة [4]، الذين ينكرون حقائق ما أخبر الله به عن نفسه وعن اليوم الآخر"[5].

فهم يقولون عن هذا كله أنه تخييل لا حقيقة له، وهم مطَّرِدُونَ في هذا حتى في الأمر و النهي، فلا يثبتون شيئاً من هذا بل يعتقدون أن هذا كله خيالات جاءت به الرسل لإصلاح الخلق.

---

١) الفتوى الحموية (ص280).

٢) وهم الذين ينتسبون إلى حمدان بن الأشعث، الذي كان يلقب بقرمط، وأشهر ألقابهم الباطنية، وإنما لزمهم هذا اللقب، لحكمهم بأن لكل ظاهر باطنا، ولكل تتريل تأويل، وكان لقدمائهم خلط ببعض كلام الفلاسفة، أنظر بيان تلبيس الجهمية (150/1)، الفرق بين الفرق للبغدادي (ص25).

٣) هم جماعة من المنتسبين إلى الإسلام، من نفاة الأسماء والصفات جميعاً، مؤمنون بالفلسفة إيماناً تاماً، حتى كأنها عندهم وحي متزل، وقاموا بإبراز أفكار من سبقهم من الفلاسفة، وخاصة أرسطو وأتباعه، أتباع الفلسفة المشائية، وقد سلكوا مسلك الباطنية في تحريف النصوص الشرعية وإخضاعها لأهوائهم، في محاولة منهم للتوفيق بينها وبين الآراء الفلسفية، من أبرز أعلامهم ابن سينا والفارابي وابن رشد. أنظر بغية المرتاد لابن تيمية (ص22)، الفصل في الأهواء والملل والنحل (113/1).

٤) وهم الذين ينفون ربوبية الله تعالى، وينفون أن يكون في العالم دليل على صانع ومصنوع وخالق ومخلوق، أنظر البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان للسكسكي (ص88).

٥) التدمرية (ص48).

قال شيخ الإسلام: "فإنهم يقولون: إن ما ذكره الرسول ﷺ من أمر الإيمان بالله واليوم الآخر، إنما هو تخييل للحقائق لينتفع به الجمهور، لا أنه بيّن به الحقّ، ولا هُدِي به الخلق، ولا أوضح به الحقائق" [١].

وقال في موضع آخر: "قالوا إنهم خاطبوا الناس بطريقة التخييل لمنفعة الجمهور، وحقيقة قولهم: أنهم كذبوا لمصلحة الجمهور، وهؤلاء في الحقيقة يكذبون الرسل" [٢].

والملاحدة الباطنية الذين يقولون بهذا أجمع المسلمون على أنهم أكفر من اليهود والنصارى [٣]، وسبق الكلام عنهم في أقسام نفاة ظواهر النصوص.

---

١) الفتوى الحموية (ص278).

٢) درء التعارض (1/179-180).

٣) التدمرية (ص49).

الفصل الثالث:

التقسيمات المتعلقة بالإيمان بالقضاء والقدر لدى شيخ الإسلام ابن تيمية

وفيه خمسة مباحث

المبحث الأول: مراتب الإيمان بالقضاء والقدر.

المبحث الثاني: أقسام الإرادة والإذن والحكم والأمر.

المبحث الثالث: أنواع الرضا بالقضاء.

المبحث الرابع: أقسام قدرة العباد على الأعمال.

المبحث الخامس: أنواع الناس في الشرع والقدر.

المبحث الأول: مراتب الإيمان بالقضاء والقدر

تمهيد

القضاء في اللغة مصدر الفعل قضى يقضي قضاءً، قال ابن فارس: "القاف والضاد والحرف المعتل أصل صحيح يدل على إحكام أمرٍ وإتقانه وإنفاذه لجهته"(١).

والقدر مصدر الفعل قَدَرَ يَقدرُ قدراً، قال ابن فارس: "القاف والدال والراء أصل صحيح يدل على مبلغ الشيء وكنهه ونهايته، فالقدر مبلغ كل شيء، يقال: قدره كذا، أي: مبلغه، وكذلك القدر، وقدرت الشيء قدره وأقدره من التقدير"(٢).

واصطلاحاً: قال شيخ الإسلام: "القضاء والقدر هو علم الله وكتابته، وما طابق ذلك من مشيئته وخلقه"(٣).

أما القدر فقال ابن القيم: "القدر هو علم الله بالكائنات وحكمه فيها".

وقال ابن عثيمين: "تقدير الله للكائنات حسبما سبق به علمه واقتضته حكمته"(٤).

وقال السفاريني في القضاء والقدر: "القضاء إرادة الله الأزلية المتعلقة بالأشياء على ما هي عليه فيما لا يزال، والقدر تقدير الله تعالى لذلك"(٥).

مراتب الإيمان بالقضاء والقدر عند شيخ الإسلام:

وقد ذكر شيخ الإسلام مراتب الإيمان بالقضاء والقدر فقال: "الإيمان بالقدر على درجتين، كل درجة تتضمن شيئين، فالدرجة الأولى الإيمان بأن الله تعالى علم ما الخلق

---

١) معجم مقاييس اللغة (99/5) مادة: قَضَى.

٢) معجم مقاييس اللغة (62/5) مادة: قدر.

3) قاعدة في المحبة (ص241).

٤) شفاء العليل (197/1)، و لم أقف عل حد لشيخ الإسلام في القدر، وانظر القول المفيد (396/2).

٥) لوامع الأنوار (345/1).

عاملون بعلمه القديم ... ، ثم كتب في اللوح المحفوظ مقادير الخلق ... ، وأما الدرجة الثانية فهو مشيئة الله النافذة وقدرته الشاملة ... ، فما من مخلوق في الأرض ولا في السماء إلا الله خالقه سبحانه"[١].

وبهذا تكون مراتب الإيمان بالقضاء والقدر أربع مراتب.

المرتبة الأولى: العلم

قال شيخ الإسلام مبينا مرتبة العلم: " الإيمان بأن الله تعالى علم ما الخلق عاملون بعلمه القديم، الذي هو موصوف به أزلاً ، وعلم جميع أحوالهم من الطاعات والمعاصي والأرزاق والآجال" [٢].

فالله ﷻ بعلمه القديم الأزلي الذي لم يحدث بعد أن لم يكن، علم ما سيكون عليه العباد من الأعمال، ولم يزل عالماً.

قال ابن رجب[٣] في المراد بالعلم: "الإيمان بأنَّ الله تعالى سبق في علمه ما يعمله العباد من خير وشرٍّ، وطاعة ومعصية، قبل خلقهم وإيجادهم، ومن هو منهم من أهل الجنَّة، ومن أهل النَّار، وأعدَّ لهم الثواب والعقاب جزاء لأعمالهم قبل خلقهم وتكوينهم" [٤].

ولهذه المرتبة أدلة كثيرة منها قوله ﷻ ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا﴾ [٥]، وقوله سبحانه ﴿عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِۖ لَا يَعۡزُبُ عَنۡهُ مِثۡقَالُ ذَرَّةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَآ أَصۡغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡبَرُ﴾ [٦].

---

١) مجموع الفتاوى (149/3).

٢) مجموع الفتاوى (148/3).

٣) عبد الرحمن بن علي بن عبد الرحمن بن أبي عمر المقدسي الحنبلي، الإمام الزاهد، المفتي زين العابدين، أبو الفرج، سمع من إسماعيل بن الفراء وغيره، وحدث، وكان فاضلاً متعبداً، توفي سنة795هـ، أنظر تسهيل السابلة لمريد معرفة طبقات الحنابلة (1201/3)، شذرات الذهب (580/5).

٤) جامع العلوم والحكم (ص58).

٥) سورة الطلاق الآية رقم (12).

٦) سورة سبأ الآية رقم (3).

المرتبة الثانية: الكتابة

قال شيخ الإسلام مبينا مرتبة الكتابة: " كتب الله في اللوح المحفوظ مقادير الخلق ، فأول ما خلق الله القلم ، قال له : أكتب ، قال : ما أكتب ؟ قال : أكتب ما هو كائن إلى يوم القيـامة [١]، فما أصاب الإنسان لم يكن ليخطئه ، وما أخطأه لم يكن ليصيبه ، جفت الأقلام وطويت الصحف كما قال سبحانه وتعالى ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾﴾[٢]، وقال: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾[٣]، وهذا التقدير التابع لعلمه سبحانه يكون في مواضع جملة وتفصيلاً، فقد كتب في اللوح المحفوظ ما شاء"[٤].

فكون الكتابة جملة كما في اللوح المحفوظ، فإن فيه مقادير كل شيء، وأما كونها تفصيلاً فهو ما يخص كل فرد[٥]، وذلك مثل قوله ﷺ ((**ثم يرسل الملك، فينفخ فيه الروح، ويؤمر ويؤمر بأربع كلمات، بكتب رزقه واجله وعمله وشقي أو سعيد**))[٦].

قال ابن رجب في الكتابة: "كتب ذلك عنده وأحصاه، وأن أعمال العباد تجري على ما سبق في علمه وكتابه"[٧]، وهذه المرتبة كان ينكرها غلاة القدرية[٨].

---

١) الحديث الذي أشار إليه شيخ الإسلام رواه أبو داود حديث رقم (4700) كتاب في السنة (باب: في القدر)،ورواه الترمذي حديث رقم (3319) وقال حديث حسن صحيح غريب وصححه الحاكم حديث رقم(3893)وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (148/3).

٢) سورة الحج الآية رقم (70).

٣) سورة الحديد الآية رقم (22).

٤) مجموع الفتاوى (149/3).

٥) شرح الواسطية للهراس (ص256).

٦) رواه البخاري حديث رقم (3208) كتاب بدء الخلق (باب: ذكر الملائكة)، ورواه مسلم حديث رقم (2643)، كتاب القدر (باب: في كيفية خلق الآدمي في بطن أمه).

٧) جامع العلوم والحكم (ص58)

٨) مجموع الفتاوى (149/3).

المرتبة الثالثة: المشيئة

قال شيخ الإسلام مبينا مرتبة المشيئة: " مشيئة الله النافذة وقدرته الشاملة ، وهو الإيمان بأن ما شاء الله كان ، وما لم يشأ لم يكن ، وأنه ما في السموات والأرض، من حركة ولا سكون، إلا بمشية الله سبحانه، لا يكون في ملكه إلا ما يريد، وأنه سبحانه وتعالى على كل شيء قدير من الموجودات والمعدومات" [١].

فمشيئة الله النافذة، وقدرته الشاملة، متلازمان من جهة ما كان وما سيكون، ولا ملازمة بينهما من جهة ما لم يكن ولا هو كائن، فما شاء الله تعالى فهو كائن بقدرته لا محالة، وما لم يشأ لم يكن لعدم مشيئة الله إياه لا لعدم قدرة الله عليه [٢].

فلا خروج لشيء عن مشيئة الله سواء ما يحبه الله ويرضاه، أو مما يسخطه ويأباه.

قال ابن عثيمين: "لا يكون شيء في السماوات والأرض إلا بإرادة الله ومشيئته ، الدائرة بين الرحمة والحكمة، يهدي من يشاء برحمته، ويضل من يشاء بحكمته، لا يسأل عما يفعل لكمال حكمته وسلطانه، وهم يسألون، وما وقع من ذلك فإنه مطابق لعلمه السابق ، ولما كتبه في اللوح المحفوظ، لقوله تعالى ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾" [٣][٤].

وأدلة المشيئة كثيرة منها ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾، [٥] وقوله تعالى ﴿مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٩﴾﴾ [٦]، فلا منافاة بين ما ثبت من عموم المشيئة له سبحانه، وبين تكليفه العباد بما شاء من أمر ونهي، فإن تلك المشيئة لا تنافي حرية العبد واختياره للفعل، وقد جمع الله بين المشيئتين في قوله ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [٧][١].

---

١) مجموع الفتاوى (149/3).

٢) أعلام السنة المنشورة (ص77).

٣) سورة القمر الآية رقم (49).

٤) شرح لمعة الاعتقاد لابن عثيمين (ص92).

٥) سورة الإنسان الآية رقم (30).

٦) سورة الأنعام الآية رقم (39).

٧) سورة الإنسان الآية رقم (30).

المرتبة الرابعة: الخلق

قال شيخ الإسلام مبيّنا مرتبة الخلق: "فما من مخلوق في الأرض ولا في السماء إلا الله خالقه سبحانه لا خالق غيره ولا ربّ سواه، والعباد فاعلون حقيقة، والله ﷻ خالق أفعالهم، وللعباد قدرة على أعمالهم ولهم إرادة، والله خالقهم وخالق قدراتهم وإرادتهم" (٢).

فجميع الكائنات مخلوقة لله تعالى بذواتها وصفاتها وحركاتها (٣).

ولا منافاة بين عموم خلقه تعالى لجميع الأشياء وبين كون العبد فاعلاً لفعله، فالعبد هو الذي يوصف بفعله، فهو المؤمن والكافر والبر والفاجر، لأن الله هو الذي خلق فيه القدرة والإرادة اللتين بهما يفعل، ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ (٤) (٥).

قال السعدي: "إن العبد إذا صلَّى، وصام، وفعل الخير، أو عمل شيئًا من المعاصي؛ كان هو الفاعل لذلك العمل الصالح، وذلك العمل السيئ وفعله المذكور بلا ريب قد وقع باختياره، وهو يحسُّ ضرورة أنه غير مجبور على الفعل أو الترك، وأنه لو شاء لم يفعل، وكان هذا هو الواقع؛ فهو الذي نصَّ الله عليه في كتابه، ونصَّ عليه رسوله؛ حيث أضاف الأعمال صالحها وسيئها إلى العباد، وأخبر أنهم الفاعلون لها، وأنهم ممدوحون عليها -إن كانت صالحة- ومثابون، وملومون عليها-إن كانت سيئة- ومعاقبون عليها.

فقد تبيَّن بلا ريب أنها واقعة منهم باختيارهم، وأنهم إذا شاءوا فعلوا، وإذا شاءوا تركوا، وأن هذا الأمر ثابت عقلاً وحسًّا وشرعًا ومشاهدةً.

ومع ذلك؛ إذا أردت أن تعرف أنها وإن كانت كذلك واقعة منهم كيف تكون داخلة في القدر، وكيف تشملها المشيئة؟! فيقال: بأي شيء وقعت هذه الأعمال الصادرة من العباد خيرها وشرها؟ فيقال: بقدرتهم وإرادتهم؛ هذا يعترف به كل أحد. فيقال: ومن خلق قدرتهم

---

١) شرح الواسطية للهراس (ص258).
٢) مجموع الفتاوى (3/149-150) بتصرف.
٣) شرح أحوال الإيمان للعثيمين (53).
٤) سورة الإنسان الآية رقم (30).
٥) شرح الواسطية للهراس (ص259).

وإرادهم ومشيئتهم؟ فالجواب الذي يعترف به كل أحد ، أن الله هو الذي خلق قدرهم وإرادهم، والذي خلق ما به تقع الأفعال هو الخالق للأفعال.

فهذا هو الذي يحلُّ الإشكال، ويتمكَّن العبد أن يعقل بقلبه اجتماع القدر والقضاء والاختيار،ومع ذلك فهو تعالى أمدَّ المؤمنين بأسباب وألطاف وإعانات متنوِّعة وصرف عنهم الموانع؛ كما قال ﷺ ((**أما من كان من أهل السعادة؛ فسيُيسّر لعمل أهل السعادة**))[١]، وكذلك خذل الفاسقين، ووكلهم إلى أنفسهم؛ لأنهم لم يؤمنوا به، ولم يتوكَّلوا عليه، فولاَّهم ما تولَّوا لأنفسهم"[٢].

وأدلة هذه المرتبة كثيرة منها قول ﷻ ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ ﴾[٣]، وقوله:﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ﴾[٤].

وهذه الدرجة كما قال شيخ الإسلام: "يكذب بها عامة القدرية[٥] الذين سماهم النبي ﷺ ﷺ مجوس هذه الأمة ، ويغلو فيها قوم من أهل الإثبات ، حتى سلبوا العبد قدرته واختياره، ويخرجون عن أفعال الله وأحكامه حكمها ومصالحها"[٦]،

ففي هذه المرتبة نفاه القدر فرطوا وأنكروا القدر، والقسم الثاني الجبرية، وهؤلاء غلو في إثبات القدر حتى أنكروا أن يكون للعبد فعل حقيقة، وكذلك أبطلوا حكمة الله في أفعاله وأحكامه، وسيأتي مزيد من البيان لهذين الصنفين[٧].

---

١) رواه البخاري حديث رقم (4949)، كتاب التفسير (باب: فسنيسره لليسرى).

٢) التنبيهات اللطيفة للسعدي (ص90).

٣) سورة الزمر الآية رقم (62).

٤) سورة الصافات الآية رقم (96).

٥) القدرية: هم نفاة القدر، نسبوا إليه لنفيهم إياه بقولهم: إن العبد هو الذي يخلق فعله، عكس الجبرية، وتطلق هذه التسمية على فرقة المعتزلة، لأنها هي التي ورثت القول بهذه المقولة، وأول القدرية على الأرجح هومعبدالجهني المقتول سنة (80هـ).أنظرالملل والنحل(56/1)،ومجموع الفتاوى(450/8).

٦) مجموع الفتاوى (150/3).

٧) وسيأتي الكلام عنهم في أقسام القدرية.

المبحث الثاني: أقسام الإرادة والإذن والحكم والأمر

تمهيد

ذكر شيخ الإسلام أن إرادة الله وإذنه وحكمه وأمره ينقسم إلى قسمين:

القسم الأول: كوني خلقي.

القسم الثاني: أمري ديني [١].

وسنبسط القول في كل واحدة منها.

الإرادة: وهي قسمان

القسم الأول: الإرادة الخلقية الكونية، وهي كما قال شيخ الإسلام: "الإرادة المستلزمة لوقوع المراد التي يقال فيها ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن" [٢].

وقال في موضع آخر: "الإرادة الكونية مشيئته لما خلقه، وجميع المخلوقات داخلة في مشيئته" [٣].

وقال في موضع آخر: "وإرادة الخلق أن يريد هو خلق ما يحدثه من أفعال العباد وغيرها" [٤].

وقال في بيان مقتضاها: "وهذه الإرادة هي مقتضى الربوبية وهي إرادة ما عليه، فيكون الربّ بها مريداً، والعبد فيها مراداً إرادة تكوين وربوبية" [٥].

وقال في ما تستلزمه: "الإرادة الكونية وهي الإرادة المستلزمة لوقوع المراد، التي يقال فيها ما شاء الله كان و ما لم يشأ لم يكن، و هذه الإرادة في مثل قوله ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ يَشۡرَحۡ

---

١) الجواب الصحيح (97/1)، الفرقان (ص121)، مجموع الفتاوى (236/4)، و لم أذكر حداً لها لأنه سيأتي بيان الكوني منها والديني.

٢) مجموع الفتاوى (188/8).

٣) الفرقان (ص121).

٤) منهاج السنة (341/2).

٥) جامع المسائل (67/6).

صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِۖ وَمَن يُرِدۡ أَن يُضِلَّهُۥ يَجۡعَلۡ صَدۡرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا ﴾[1]، و قوله ﴿وَلَا يَنفَعُكُمۡ نُصۡحِيٓ إِنۡ أَرَدتُّ أَنۡ أَنصَحَ لَكُمۡ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغۡوِيَكُمۡ ﴾[2]، و قال تعالى: ﴿وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقۡتَتَلُواْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يُرِيدُ ﴾[3]، و قال تعالى﴿ وَلَوۡلَآ إِذۡ دَخَلۡتَ جَنَّتَكَ قُلۡتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ﴾[4]، و أمثال ذلك، و هذه الإرادة هي مدلول اللام في قوله ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخۡتَلِفِينَ ١١٨ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمۡ ﴾[5]، قال السلف : "خلق فريقا للاختلاف، و فريقا للرحمة ، و لما كانت الرحمة هنا الإرادة، و هناك كونية وقع المراد بها، فقوم اختلفوا و قوم رحموا"[6].

القسم الثاني: الإرادة الأمرية الدينية أو الشرعية

قال شيخ الإسلام في هذه الإرادة:هي"محبة المراد ورضاه،ومحبة أهله والرضا عنهم، وجزاهم بالحسنى"[7].

وقال مبينا ما تتضمنه: "الإرادة الدينية هي المتضمنة لمحبته ورضاه المتناولة لما أمر به وجعله شرعاً وديناً"[8]، فإرادة الأمر أن يريد من المأمور فعل ما أمر به[9]، وهذه الإرادة هي هي مقتضى الإلهية، كما أنها إرادة غائية، ويكون الربّ بها مريداً إرادة حب ورضا وإلهية، والعبد أيضاً مريداً إرادة عبادة وديانة وإرادة وقصد[10].

وقال في موضع آخر"وأما النوع الثاني فهو الإرادة الدينية الشرعية، و هي محبة المراد و رضاه، و محبة أهله و الرضا عنهم و جزاهم بالحسنى كما قال تعالى﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ

---

١) سورة الأنعام الآية رقم (125).
٢) سورة هود الآية رقم (34).
٣) سورة البقرة الآية رقم (253).
٤) سورة الكهف الآية رقم (39).
٥) سورة هود الآية رقم (118-119).
٦) مجموع الفتاوى (188/8).
٧) مجموع الفتاوى (188/8).
٨) الفرقان (ص121).
٩) الفرقان بين أولياء الرحمن لابن تيمية (ص121).
١٠) جامع المسائل (67/6).

﴿ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ ﴾،[1] و قوله تعالى﴿ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ ﴾،[2] و قوله﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦﴾ وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُوا۟ مَيْلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾ ﴾[3]، فهذه الإرادة لا تستلزم وقوع المراد؛ إلا أن يتعلق به النوع الأول من الإرادة، و لهذا كانت الأقسام أربعة:

أحدها: ما تعلقت به الإرادتان، و هو ما وقع في الوجود من الأعمال الصالحة ، فإن الله أراده إرادة دين و شرع، فأمر به و أحبه و رضيه و أراده إرادة كون فوقع، و لولا ذلك لما كان.

والثاني: ما تعلقت به الإرادة الدينية فقط ، و هو ما أمر الله به من الأعمال الصالحة ، فعصى ذلك الأمر الكفار و الفجار ، فتلك كلها إرادة دين و هو يحبها و يرضاها لو وقعت و لو لم تقع.

والثالث: ما تعلقت به الإرادة الكونية فقط، و هو ما قدره و شاءه من الحوادث التي لم يأمر بها كالمباحات و المعاصي ؛ فإنه لم يأمر بها ، و لم يرضها ، و لم يحبها ، إذ هو لا يأمر بالفحشاء و لا يرضى لعباده الكفر ، ولولا مشيئته و قدرته و خلقه لها لما كانت ، و لما وجدت فإنه ما شاء الله كان و ما لم يشأ لم يكن.

والرابع: ما لم تتعلق به هذه الإرادة و لا هذه ، فهذا ما لم يكن من أنواع المباحات و المعاصي"[4].

فالإرادة الكونية اعم من جهة تعلقها بما لا يحبه ويرضاه من الكفر والمعاصي، وأخص من جهة أنها لا تتعلق بمثل إيمان الكافر وطاعة الفاسق، والإرادة الشرعية أعم من جهة تعلقها بكل مأمور به، واقعاً كان أو غير واقع، وأخص من جهة أن الواقع بالإرادة الكونية قد

---

١) سورة البقرة الآية رقم (185).

٢) سورة المائدة الآية رقم (6).

٣) سورة النساء الآية رقم (26-28).

٤) مجموع الفتاوى (188/8).

يكون غير مأمور به، وتنفرد الكونية من مثل كفر الكافر، ومعصية العاصي، وتنفرد الشرعية في مثل إيمان الكافر، وطاعة العاصي [١].

الإذن: وهو قسمان:

القسم الأول: الإذن الكوني الخلقي

وهو كل ما أذن الله فيه وشاءه وقدره أن يحصل، قال ﴿وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [٢]، قال شيخ الإسلام: "أي بمشيئته وقدره، وإلا فالسحر لم يبحه الله ﷻ" [٣].

وقال تعالى ﴿إِنَّمَا ٱلنَّجْوَىٰ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ لِيَحْزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَيْسَ بِضَآرِّهِمْ شَيْـًٔا إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [٤]. قال ابن جرير: "وليس التناجي بضار المؤمنين شيئا إلا بإذن الله، يعني بقضائه وقدره" [٥].

القسم الثاني: الإذن الأمري الديني أو الشرعي.

وهو كل ما أذن الله فيه وأمر به شرعاً، قال ﷻ ﴿مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [٦]، قال ابن القيم: "أي بأمره ورضاه" [٧].

وقال تعالى ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ﴾ [٨]، قال ابن جرير: "أي: ابتدعوا لهم من الدين ما لم يبح الله ابتداعه" [٩].

---

١) شرح الواسطية للهراس (ص133).

٢) سورة البقرة الآية رقم (102).

٣) الفرقان (ص123).

٤) سورة المجادلة الآية رقم (10).

٥) تفسير الطبري (7939/10).

٦) سورة الحشر الآية رقم (5).

٧) شفاء العليل (210/2).

٨) سورة الشورى الآية رقم (21).

٩) تفسير الطبري (7234/9).

الحكم: وهو قسمان:

القسم الأول: الحكم الكوني الخلقي

وهو حكم الرب على عبده في أحواله كلها ظاهراً وباطناً [1]، فما قضاه الله ﷻ وقدره فهو من حكمه الكوني، قال شيخ الإسلام: "وما ابتلي به عباده من قضائه وقدره فهو حكمه الكوني القدري" [2].

قال الله ﷻ عن أخي يوسف عليه السلام ﴿فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي ۖ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴿٨٠﴾﴾ [3]، قال السعدي: "أي: يقدر لي المجيء وحدي أو مع أخي" [4].

وقال سبحانه ﴿قَالَ رَبِّ احْكُم بِالْحَقِّ ۗ وَرَبُّنَا الرَّحْمَٰنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١١٢﴾﴾ [5].

القسم الثاني: الحكم الأمري الديني أو الشرعي

وهو حكمه الشرعي من أوامره ونواهيه، وهي ابتلاء منه سبحانه، قال شيخ الإسلام: "فإنه سبحانه امتحن عباده وابتلاهم بأمره ونهيه وهو حكمه الديني" [6].

قال سبحانه ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ ۚ أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ۗ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ﴿١﴾﴾ [7]، قال ابن جرير: "إن الله يقضي في خلقه ما يشاء من تحليل ما أراد تحليله، وتحريم ما أراد تحريمه، وإيجاب ما شاء إيجابه عليهم وغير ذلك من أحكامه وقضاياه" [8].

وقال سبحانه: ﴿ذَٰلِكُمْ حُكْمُ اللَّهِ ۖ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ﴾ [9].

---

١) أسرار الصلاة لابن القيم (ص120).

٢) دقائق التفسير لابن تيمية (25/5).

٣) سورة يوسف الآية رقم (80).

٤) تفسير السعدي (538/1).

٥) سورة الأنبياء الآية رقم (112).

٦) دقائق التفسير لابن تيمية (25/5).

٧) سورة المائدة الآية رقم (1).

٨) تفسير الطبري (2669/4).

٩) سورة الممتحنة الآية رقم (10).

وقد يجمع الله الحكمين في مثل قوله ﷻ ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ [1] [2].

الأمر: ينقسم إلى قسمين

القسم الأول: الأمر الكوني الخلقي

وهو ما يأمر به كوناً وقدراً فيكون بمشيئته وقدره، قال ابن القيم: "فمشيئته سبحانه متعلقة بخلقه وأمره الكوني، وكذلك تتعلق بما يحب وبما يكره كله داخل تحت مشيئته" [3].

قال سبحانه ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [4]، وقال سبحانه ﴿وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ﴾ [5]، فأمره سبحانه الكوني لا يستلزم أن يكون مما يحبه ويرضاه، بل هو عام لأنه لا يكون شيء إلا بأمره سبحانه.

القسم الثاني: الأمر الديني أو الشرعي، وهو ما أمر الله به عباده أن يفعلوه أو يتركوه، وهو لا يكون إلا فيما يحب سبحانه، قال ابن القيم: "وأما محبته ورضاه فمتعلقة بأمره الديني وشرعه الذي شرعه على ألسنة رسله" [6].

قال سبحانه ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا﴾ [7]، وقال سبحانه ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ [8]، فهو يأمر بكل خير وينهى عن كل شر ، يأمر عباده عباده بما يصلحهم في دنياهم، وأخراهم، وينهاهم عما يفسدهم في دنياهم وأخراهم.

---

١) سورة الأنعام الآية رقم (57).
٢) مجموع الفتاوى (413/2).
٣) شفاء العليل (88/1).
٤) سورة يس الآية رقم (82).
٥) سورة القمر الآية رقم (50).
٦) شفاء العليل (88/1).
٧) سورة النساء الآية رقم (58).
٨) سورة النحل الآية رقم (90).

وكل ما سبق من الإرادة والإذن والحكم والأمر فلها متعلقان بالربوبية والإلهية.

قال ابن القيم: "فما كان من كوني فهو متعلق بربوبيته وخلقه، وما كان من ديني فهو متعلق بإلهيته وشرعه"[1].

---

1) شفاء العليل (207/2).

المبحث الثالث: أنواع الرضا بالقضاء

تمهيد

من تمام الرضا بربوبية الله ﷻ الرضا بالقضاء؛ لأنه لا يكون شيء إلا بقضاء الله ﷻ فلذلك يجب التسليم له.

أنواع الرضا بالقضاء عند شيخ الإسلام

ذكر شيخ الإسلام أنواع الرضا بالقضاء فقال:" الرضا بالقضاء ثلاثة أنواع:

أحدها: الرضا بالطاعات..... **والثاني**: الرضا بالمصائب.....و **الثالث**: الكفر والفسوق والعصيان"(١).

النوع الأول: الرضا بالطاعات

قال شيخ الإسلام:"فهذه طاعة مأمور بها" (٢)، فالمؤمن يرضى بطاعة الله، ويصبر عليها، فكل ما أمر الله به ﷻ من الطاعات والقربات واجبها ومسنونها، فإن المؤمن يرضى به ويمتثل أمر الله فيها، قال شيخ الإسلام: "الرضا بفعل ما أمر الله به، وترك ما نهى عنه، ويتناول ما أباحه الله ﷻ من غير تعد إلى محظور، كما قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرۡضُوهُ﴾(٣)، وهذا الرضا واجب، ولهذا ذمَّ الله من تركه بقوله: ﴿وَمِنۡهُم مَّن يَلۡمِزُكَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ فَإِنۡ أُعۡطُواْ مِنۡهَا رَضُواْ وَإِن لَّمۡ يُعۡطَوۡاْ مِنۡهَآ إِذَا هُمۡ يَسۡخَطُونَ ۝٥٨ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ رَضُواْ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ سَيُؤۡتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ ۝٥٩﴾"(٤) (٥).

---

١) مجموع الفتاوى (482/10).

٢) مجموع الفتاوى (482/10).

٣) سورة التوبة الآية رقم (62).

٤) سورة التوبة الآية رقم (58-59).

٥) الفتاوى الكبرى (393/2).

فهو واجب شرعاً، إذ هو مما يحبه الله ويأمر به، قال شيخ الإسلام: "وأما الرضا بما أمر الله به فأصله واجب، وهو من الإيمان كما قال النبي ﷺ في الحديث الصحيح ((**ذاق طعم الإيمان، من رضي بالله رباً وبالإسلام ديناً، وبمحمد رسولا**)) (١).

بل هو من توابع المحبة" (٢).

وهذا النوع من الرضا لم يختلف في وجوبه أحد قال ابن القيم: "الرضا به ربّاً وإلهاً، والرضا بأمره الديني متفق على فرضيته، بل لا يصير العبد مسلماً إلا بهذا الرضا" (٣).

النوع الثاني: الرضا بالمصائب

قال شيخ الإسلام:وذلك"كالفقر والمرض والذل" (٤)، وكل ما يصيب الإنسان مما لا يحبه، فيسلّم ويرضى به، قال شيخ الإسلام: "فيرضى عن الله إذ له الحمد على كل حال"(٥)، وهذا الرضا كما قال شيخ الإسلام "مستحب، في أحد قولي العلماء، وليس بواجب، وقد قيل إنه واجب، والصحيح أن الواجب هو الصبر، كما قال الحسن: "الرضا غريزة، ولكن الصبر هو معول المؤمن" (٦)، وقد روي من حديث ابن عباس –رضي الله عنهما–، أن النبي ﷺ قال: ((**إن استطعت أن تعمل بالرضا مع اليقين، فإن لم تستطع فإن في الصبر على ما تكره خيراً كثيرا**)) (٧)(٨).

---

١) رواه مسلم الحديث رقم (34) كتاب الإيمان، (باب: الدليل على أن من رضي بالله رباً).

٢) مجموع الفتاوى (41/10).

٣) مدارج السالكين (224/1).

٤) الفتاوى الكبرى (393/2).

٥) مجموع الفتاوى (484/10).

٦) جامع العلوم والحكم (ص368).

٧) حديث ضعيف، ضعفه الحافظ ابن رجب في العلوم والحكم (ص344)، وضعفه الألباني في السلسلة (182/11)، ولم أقف على لفظه في شيء من كتب السنة لكن وقفت على لفظ عند الحاكم وصححه ((**فإن استطعت أن تعمل بالصبر مع اليقين**)).

٨) الاستقامة لابن تيمية (ص 373-374).

النوع الثالث: الرضا بالفسوق والعصيان

وهذا خلاف الرضا بالطاعات، بل هو رضا بالمعاصي بأنواعها، قال شيخ الإسلام: "فهذا لا يؤمر بالرضا به، بل يؤمر ببغضه وسخطه، فإن الله لا يحبه ولا يرضاه، كما قال سبحانه﴿إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ﴾[1]، وقال: ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾﴾[2]، وقال﴿وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ﴾"[3][4].

فالله سبحانه مع خلقه لذلك فهو لا يحبه، والعبد مأمور بحب ما يحبه الله، قال شيخ الإسلام: "وهو وإن خلقه لما له في ذلك من الحكمة فلا يمتنع أن يخلق ما لا يحبه لإفضائه إلى الحكمة التي يحبها، كما خلق الشياطين، فنحن راضون عن الله في أن يخلق ما يشاء وهو محمود على ذلك، وأما نفس هذا الفعل المذموم وفاعله فلا نرضى به ولا نحمده، وفرق بين ما يحبه لنفسه وما يراد لإفضائه إلى المحبوب، مع كونه مبغضاً من جهة أخرى، فإن الأمر الواحد يراد من وجه ويكره من وجه آخر، كالمريض الذي يتناول الدواء الكريه فإنه يبغض الدواء ويكرهه، وهو مع هذا يريد استعماله لإفضائه إلى المحبوب، لا لأنه في نفسه محبوب".

ثم قال: "فالأمور التي يبغضها الله تعالى وينهى عنها لا تحب ولا ترضى، لكن نرضى بما يرضى الله به حيث خلقها، لما له في ذلك من الحكمة، فكذلك الأفعال التي لا يحبها ولا يبغضها لا ينبغي أن تحب ولا ترضى كما لا ينبغي أن تبغض"[5].

---

١) سورة النساء الآية رقم (108).

٢) سورة البقرة الآية رقم (205).

٣) سورة الزمر الآية رقم (7).

٤) مجموع الفتاوى (483/10).

٥) مجموع الفتاوى (484/10).

المبحث الرابع: أقسام قدرة العباد على الأعمال

تمهيد

الأعمال التي يقوم بها العباد من الطاعات والقربات والمباحات، سواء كانت ظاهرة أو باطنة فهي بتقدير من الله ﷻ لكنها قسمان من حيث قدرة العباد عليها.

أقسام قدرة العباد على الأعمال عند شيخ الإسلام

قسم شيخ الإسلام قدرة العباد على الأعمال التي يقومون بها إلى قسمين فقال:"الأمور قسمان:

منه ما جنسه مقدور لهم بإعانة الله لهم....، ومنه ما جنسه غير مقدور لهم"[(١)].

القسم الأول: ما جنسه مقدور لهم

فجنس العمل مقدور عليه بإعانة الله لهم، وذلك كالقيام والقعود [(٢)]، فجنس القيام والقعود ونحوه من الأعمال الظاهرة والباطنة بفضل الله وإعانته وإقداره لهم [(٣)]، فمقدور عليه من العباد بعد إعانة الله لهم، فهم قادرون على القيام،قادرون على القعود، قادرون على كل ما يستطيعونه.

القسم الثاني: ما جنسه غير مقدور لهم،

فجنس العمل لا يقدر العباد عليه بل الله ﷻ هو الذي يمدهم به بغير عمل ظاهر يعملونه، كما قال سبحانه ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓاْ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ﴾ [(٤)].

قال شيخ الإسلام: "ومثل هذه السكينة، قد لا تكون مقدورة ولكن الله يجعل ذلك في قلبه فضلاً منه وجزاء على عمل سابق، كما قال سبحانه ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُواْ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا﴾ [(٥)]، ولهذا قيل: من عمل بما علم، أورثه الله علم ما لم يعلم، وهذا من

---

١) مجموع الفتاوى (339/7).

٢) مجموع الفتاوى (339/7).

٣) مجموع الفتاوى (339/7)

٤) سورة الفتح الآية رقم (4).

٥) سورة النساء الآية رقم (66).

جنس غير مقدور للعباد، وكما قيل: إن الله يعطي من أطاعه قوة في قلبه وبدنه يكون بها قادراً على ما لا يقدر عليه غيره وهذا حقّ" [1]، فهو فضل الله ﷻ يؤتيه من يشاء من عباده جزاء لهم على أعمالهم من الطاعات.

---

١) مجموع الفتاوى (339/7).

المبحث الخامس: أنواع الناس في الشرع والقدر.

تمهيد

الناس فيما جاء الله به ﷻ من شرعه، وبما قضاه وقدره لهم عدة مواقف، بينها شيخ الإسلام.

أنواع الناس في الشرع والقدر عند شيخ الإسلام:

ذكر شيخ الإسلام أنواع الناس في الشرع والقدر فقال:"شر الخلق من يحتج بالقدر لنفسه ولا يراه حجة لغيره، يستند إليه في الذنوب والمعائب، ولا يطمئن إليه في المصائب .... ، وبإزاء هؤلاء خير الخلق الذين يصبرون على المصائب ويستغفر في المعائب.....

وأما الصنف الثالث: **فهم** الذين لا ينظرون إلى القدر لا في المعائب ولا في المصائب"[(١)].

النوع الأول: من يحتج بالقدر لنفسه، ولا يحتج به لغيره.

قال شيخ الإسلام: "شرّ الخلق من يحتج بالقدر لنفسه، ولا يراه حجة لغيره يستند إليه في الذنوب والمعائب، ولا يطمئن إليه في المصائب، كما قال بعض العلماء: أنت عند الطاعة قدري، وعند المعصية جبري" [(٢)].

فهو يجعل القدر حجة له فإذا فعل ذنباً أو أرتكب خطئاً احتج بالقدر، وأن هذا بقدر الله ﷻ، أما إذا فعل ذلك غيره بحقه فإنه لا يراه حجة له، فيأخذ من القدر حجة له فيما يناسبه، ولا يعذر غيره به، وهو مع ذلك يستند إليه في الذنوب والخطايا، فإذا ما أخبر بذنبه احتج بالقدر، أما عند المصائب فلا يراه حجة، بل يتضجر ويتسخط ولا يرضى بقضاء الله فهو في وجه قدري؛ لأن القدرية يقولون أن العبد هو الخالق لفعله ولا شيء بقدر، ومن جانب آخر جبري، والجبرية يرون أنه ليس للعبد قدرة، بل هو مجبور على فعل كلّ فعلٍ يفعله، وليس له إرادة ولا مشيئة.

---

١) مجموع الفتاوى (107/8).

٢) مجموع الفتاوى (107/8).

النوع الثاني: من يصبر على المصائب ويستغفر من المعائب.

وهم خير الخلق من الأنبياء والمرسلين ومن سلك طريقهم، وهؤلاء يصبرون على المصائب، ويستغفرون من المعائب، كما قال ﴿فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ﴾ [١]، وقال –جل شأنه- ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مِّن قَبۡلِ أَن نَّبۡرَأَهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ٢٢ لِّكَيۡلَا تَأۡسَوۡاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمۡ وَلَا تَفۡرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمۡ﴾ [٢].

وقال تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ يَهۡدِ قَلۡبَهُۥ﴾ [٣]

قال بعض السلف: "هو الرجل تصيبه المصيبة فيعلم أنها من عند الله فيسلم ذلك ويرضى" [٤] [٥].

فلا يحتجون بالقدر بشيء بل هم صابرون على المصائب، مستغفرون من المعائب، إن أخطئوا استغفروا، كما فعل أبوهم آدم –عليه السلام- عندما عصى ربه قال ﴿رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمۡ تَغۡفِرۡ لَنَا وَتَرۡحَمۡنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ [٦]، قال شيخ الإسلام: "فمن تاب أشبه أباه آدم، ومن أصرّ واحتجّ بالقدر أشبه إبليس" [٧].

وإذا أصابتهم مصيبة استعانوا بالصبر والصلاة، كما أمرهم الله ﷻ، وكان هذا هو هديه ﷺ، قال أنس ﵁: ((**كان بعض أهله إذا عاتبني على شيء قال: دعوه فلو قضي شيء لكان**)) [٨]، وعندما سرق بعضهم قال: ((**لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت**

١) سورة غافر الآية رقم (55).

٢) سورة الحديد الآية رقم (22-23).

٣) سورة التغابن الآية رقم (11).

٤) ذكره الطبري مسندا (8058/10).

٥) مجموع الفتاوى (107/8).

٦) سورة الأعراف الآية رقم (23).

٧) مجموع الفتاوى (108/8).

٨) رواه أحمد حديث رقم (13451)، وصححه الألباني في تخريج أحاديث كتاب الاحتجاج بالقدر لابن تيمية (1/ 43).

يدها)) [١]، قال شيخ الإسلام: "ففي أمره ونهيه يسارع إلى الطاعة، ويقيم الحدود على من تعدى حدود الله، ولا تأخذه في الله لومة لائم، وإذا آذاه مؤذٍ أو قصر مقصرٌ في حقه عفا عنه و لم يؤاخذه نظراً إلى القدر.

فهذا سبيل الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا، وهذا واجب فيما قدر من المصائب بغير فعل آدمي، كالمصائب السماوية، أو بفعل لا سبيل فيه إلى العقوبة كفعل آدم عليه السلام في الحديث المروي عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ **((احتج آدم وموسى –عليهما السلام– عند ربهما ، فحج آدم موسى، قال: موسى أنت آدم الذي خلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحه، واسجد لك ملائكته، وأسكنك في جنته، ثم أهبطت الناس بخطيئتك إلى الأرض، فقال آدم : أنت موسى الذي اصطفاك الله برسالته وبكلامه ، وأعطاك الألواح فيها تبيان كل ش يء، وقربك نجيا ، فبكم وجدتَّ الله كتب التوراة قبل أن اخلق؟ قال موسى : بأربعين عاما ، قال آدم: فهل وجدت فيها وعصى آدم ربه فغوى ؟ قال: نعم، قال: أفتلومني على أن عملت عملا كتبه الله عليّ أن اعمله قبل أن يخلقني بأربعين سنة ، قال رسول الله ﷺ: فحج آدم موسى))**[٢]؛ فإنه لا سبيل إلى لومه شرعاً، –لأجل التوبة– ولا قدراً، لأجل القضاء والقدر" [٣].

النوع الثالث: من لا ينظر إلى القدر لا في المعائب ولا في المصائب.

قال شيخ الإسلام: "فهم لا ينظرون إلى القدر لا في المعائب ولا في الصائب التي هي من أفعال العباد، بل يضيفون ذلك كله للعبد، وإذا أساؤوا استغفروا، وهذا حسن، لكن إذا أصابتهم مصيبة بفعل العبد، لم ينظروا إلى القدر الذي مضى به عليهم، ولا يقولون لمن قصر

١) رواه البخاري حديث رقم (6788)، كتاب الحدود (باب: كراهية الشفاعة في حد إذا رفع للسلطان)، ورواه مسلم حديث رقم (1688) كتاب الحدود (باب: قطع السارق الشريف وغيره).
٢) رواه البخاري حديث رقم (6614) كتاب القدر (باب: تحاج آدم وموسى عند الله)، رواه مسلم حديث رقم (2652)، كتاب القدر (باب: حجاج آدم وموسى).
٣) مجموع الفتاوى (109/8).

في حقهم دعوه فلو قضي شيءٌ لكان، لا سيما وقد تكون تلك المصيبة بسبب ذنوبهم فلا ينظرون إليها"[١]، فهم بين النوعين، لا يحتجون بالقدر ولا يسلكون مسلك النبي ﷺ، فيضيفون المصائب والمعائب إلى العبد، كما أنهم لا يحتجون عند المعائب بل يستغفرون منها، لكنهم عند حدوث مصيبة بواسطة العبد كمن قصر في حقهم، أو لم يفعل ما أمروا به كما فعل أنس رضي الله عنه، فإنهم لا يفعلون فعله ﷺ، بأن هذا من قضاء الله وقدره، مع أنها قد تكون بسبب ذنوبهم، كما قال عز وجل ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ﴾،[٢] أي: إلا بسبب ما قدمته أيديهم من السيئات[٣].

فالمذهب الحق المبين هو ما سلكه أنبياء الله ورسله في القدر، كما قال شيخ الإسلام: "فالقدر يؤمن به ولا يحتج به"[٤]، وسيأتي الكلام مطولا عند الكلام على أقسام القدرية.

---

١) مجموع الفتاوى (110/8).

٢) سورة الشورى الآية رقم (30).

٣) تفسير السعدي (1053/2).

٤) مجموع الفتاوى (114/8).

الباب الثالث:

التقسيمات المتعلقة في بقية مسائل الاعتقاد لدى شيخ الإسلام ابن تيمية

وفيه ثلاثة فصول:

الفصل الأول: التقسيمات المتعلقة في مسائل الإيمان والإسلام وما يضادهما.

الفصل الثاني: التقسيمات المتعلقة في الذنوب والبدع.

الفصل الثالث: التقسيمات المتعلقة في الفرق والمقالات.

الفصل الأول:

التقسيمات المتعلقة في مسائل الإيمان والإسلام ومايضادهما لدى شيخ الإسلام

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: مسائل الإيمان والإسلام

المبحث الثاني: ما يضاد الإسلام والإيمان

المبحث الأول وفيه ستة مطالب:

المطلب الأول: درجات الدين

المطلب الثاني: مراتب الإسلام

المطلب الثالث: أقسام الإسلام

المطلب الرابع: أقسام الإيمان.

المطلب الخامس: مراتب الناس في الإسلام والإيمان.

المطلب السادس: أقسام الأمة في تحقيق معنى الإيمان.

المطلب الأول: درجات الدين

تمهيد

الدين لغة مصدر دان يدين ديناً، إذا خضع وذل [١].

وفي الاصطلاح: قال شيخ الإسلام: "الدين هو الطاعة والعبادة والخُلق، فهو الطاعة الدائمة اللازمة، التي صارت عادة وخلقاً" [٢].

وقال ابن الجوزي [٣] في الدين هو: "قولٌ إلهي رادعٌ للنفس، يقومها ويمنعها من الاسترسال فيما طبعت عليه" [٤].

ودين الإسلام الذي ارتضاه الله وبعث به رسله، هو الاستسلام لله وحده، فأصله في القلب هو الخضوع لله وحده بعبادته وحده دون ما سواه [٥].

درجات الدين عند شيخ الإسلام:

ذكر شيخ الإسلام درجات الدين فقال: "الدين هو الإسلام والإيمان والإحسان، فديننا يجمع الثلاثة لكن هو درجات ثلاث مسلم ثم مؤمن ثم محسن" [٦].

---

١) معجم مقاييس اللغة (319/2) وتهذيب اللغة (1136/2) مادة: دَانَ.

٢) قاعدة في المحبة (94).

٣) هو عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي القرشي البغدادي، أبو الفرج، علامة عصره في التاريخ والحديث، كثير التصانيف، ولد ببغداد سنة (508هـ)، وتوفي سنة (597هـ)، له نحو ثلاثمائة مصنف، أنظر: وفيات الأعيان (140/3)، البداية والنهاية (25/13).

٤) نزهة الأعين لابن الجوزي (ص295).

٥) مجموع الفتاوى (263/7).

٦) مجموع الفتاوى (10/7).

المرتبة الأولى: الإسلام

قال شيخ الإسلام: "الإسلام هو الاستسلام لله والخضوع له والعبودية له" [١]. فهو تسليم لله وخضوع له وعبودية له دون ما سواه.

وقال قتادة في معنى الإسلام: "الإسلام شهادة أن لا إله إلا الله، والإقرار بما جاء من عند الله، وهو دين الله الذي شرع لنفسه وبعث به رسله، ودلّ عليه أوليائه، لا يقبل الله غيره ولا يجزي إلا به" [٢].

فينقاد المسلم لله عَزَّ وَجَلَّ ويستسلم له قال القرطبي: "الإسلام في الشرع الانقياد بالأفعال الظاهرة الشرعية" [٣].

فمرتبة الإسلام هي المرتبة الأولى التي يدخل فيها الكافر أول ما يتكلم بالإسلام ويذعن وينقاد له [٤]، فمن نطق بالشهادة جرت عليه أحكام الإسلام من موارثة ومناكحة ونحوها، فإذا ذكر لفظ الإسلام مفرداً دخل فيه الإيمان، وإذا ذكر مقروناً بالإيمان فالإسلام هو الأعمال الظاهرة، الشهادتان والصلاة الزكاة الصيام والحج [٥].

لكن للإسلام أعمال لا بد من فعلها،ولا يتحقق الإسلام إلا بها كما في حديث جبريل المشهور وسيأتي ذكره .

---

١) مجموع الفتاوى (263/7).
٢) تفسير الطبري (1722/3).
٣) المفهم للقرطبي (139/1).
٤) الدرر السنية (201/1).
٥) الإيمان لابن تيمية (ص30).

قال ابن الوزير [١]: "ويقيد الدين والإسلام شروط كمال، من تركها استحق العقاب ولم يكن مرتداً في الإسلام" [٢].

المرتبة الثانية: الإيمان.

قال شيخ الإسلام: "الإيمان قولٌ وعمل، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية" [٣].

وقال ابن جرير مبيناً معنى الإيمان: "الإيمان كلمة جامعة للإقرار بالله وكتبه ورسله وتصديق الإقرار بالفعل" [٤].

وقال السعدي: "الإيمان هو الإقرار والتصديق الجازم بكل ما أخبر الله به ورسوله الموجب لأعمال القلوب، ثم تتبعها أعمال الجوارح" [٥].

فالإيمان أعلى مرتبة من الإسلام فيتبع الأعمال الظاهرة التصديق بالقلب، قال شيخ الإسلام: "الإيمان أصله تصديق وإقرار ومعرفة، فهو من باب قول القلب المتضمن عمل القلب، والأصل فيه التصديق، والعمل تابع له، فلهذا فسر النبي ﷺ الإيمان بإيمان القلب وبخضوعه، وهو الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله، وفسّر الإسلام باستسلام مخصوص هو المباني الخمس، وهكذا في سائر كلامه ﷺ يفسّر الإيمان بذلك النوع ويفسر الإسلام بهذا، وذلك النوع أعلى، ولهذا قال ﷺ ((**الإسلام علانية، والإيمان في القلب**)) [٦]، فـــإن

---

١) محمد بن إبراهيم بن علي بن المرتضى بن المفضل الحسني القاسمي، أبو عبد الله، عز الدين، من آل الوزير،ولد سنة775هــ مجتهد باحث، من أعيان اليمن ،وتوفي سنة 840هــ أنظر الضوء اللامع للسخاوي (272/6)، والأعلام للزركلي (300/5).

٢) العواصم والقواصم (650/3).

٣) مجموع الفتاوى (505/7).

٤) تفسير الطبري (184/1).

٥) تيسير اللطيف المنان (ضمن سلسلة كتب السعدي) (ص376).

٦) رواه أحمد في مسنده حديث رقم (12408)، قال الهيثمي: ورجاله رجال الصحيح ما خلا عليّ بن مسعدة مجمع الزوائد (212/1)، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع الصغير (ص336).

الأعمال الظاهرة يراها الناس، وأما ما في القلب من تصديق ومعرفة وحبٍّ وخشيةٍ ورجاء، فهذا باطن لكن له لوازم قد تدل عليه" [١].

فالمؤمن لا بد أن يكون مسلماً، أما المسلم فلا بدّ أن يكون معه إيمان يصح به إسلامه لكنه لا يسمى مؤمناً مطلقاً.

قال الهراس: "الإيمان والإسلام الشرعيَّان متلازمان في الوجود، فلا يوجد أحدهما بدون الآخر، بل كلما وجد إيمانٌ صحيحٌ معتدٌّ به، وُجِدَ معه إسلامٌ، وكذلك العكس، ولهذا قد يُسْتَغْنى بذكر أحدهما عن الآخر؛ لأن أحدهما إذا أفرد بالذكر؛ دخل فيه الآخر، وأما إذا ذُكِرا معًا مقترنين؛ أُريد بالإيمان التصديق والاعتقاد، وأُريد بالإسلام الانقياد الظاهري من الإقرار باللسان وعمل الجوارح.

ولكن هذا بالنسبة إلى مطلق الإيمان، أما الإيمان المطلق؛ فهو أخصُّ مطلقًا من الإسلام، وقد يوجد الإسلام بدونه؛ كما في قوله تعالى: ﴿۞قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّاۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَـٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا﴾ [٢].

فأخبر بإسلامهم مع نفي الإيمان عنهم" [٣].

وقد بسط شيخ الإسلام الكلام عن الإسلام والإيمان والفرق بينهما [٤].

المرتبة الثالثة: الإحسان.

قال شيخ الإسلام: الإحسان "يجمع كمال الإخلاص لله، ويجمع الإتيان بالفعل الحسن الذي يحبه الله" [٥]، وأصل الإحسان التصديق بالحق ومحبته [٦].

---

١) مجموع الفتاوى (263/7).

٢) سورة الحجرات الآية رقم (14).

٣) شرح الواسطية للهراس (ص270).

٤) أنظر الإيمان (ص242).

٥) مجموع الفتاوى (622/7).

٦)جامع الرسائل (49/4).

وقال الخطابي عن الإحسان: هو "اليقين المستلزم إخلاص الجميع لله ﷻ وعدم النفاق في ذلك" (1).

ومرتبة الإحسان هي أعلى المراتب وأجلها وأعظمها لا يبلغها كل مؤمن فضلاً عن المسلم.

وهي نوعان: "إحسان في عبادة الخالق بأن يعبده كأنه يراه، فإن لم يكن يراه فإن الله يراه، وإحسان في حقوق الخلق، وهو بذلُ المنافع من أي نوع كان لأي مخلوق يكون" (2).

وقيل لها ثلاث معان: "فعل الحسنات، والإنعام على الناس، ومراقبة الله تعالى المشار إليها في قوله ﷺ **((أن تعبد الله كأنك تراه))**" (3) (4).

وبين الإحسان والإيمان والإسلام علاقة عامة يبينها شيخ الإسلام فيقول: "الإحسان أعم من جهة نفسه، وأخص من جهة أصحابه من الإسلام، فالإحسان يدخل فيه الإيمان، والإيمان يدخل فيه الإسلام، والمحسنون أخص من المؤمنين، والمؤمنون أخص من المسلمين" (5)، فيتبين أن كلَّ محسنٍ مؤمن، وكل مؤمنٍ مسلم، وليس كل مؤمن محسن، ولا كلّ مسلم مؤمن" (6).

أدلة التقسيم:

((عن عمر ﷺ أيضا قال: بينما نحن جلوس عند رسول الله ﷺ ذات يوم، إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، لا يرى عليه أثر السفر، ولا يعرفه منا أحد، حتى جلس إلى النبي ﷺ، فأسند ركبتيه إلى ركبتيه، ووضع كفيه على فخذيه،

---

1) أنظر العواصم والقواصم (653/3).

2) بهجة قلوب الأبرار (ضمن سلسلة كتب السعدي) (ص118).

3) رواه البخاري حديث رقم (50) كتاب الإيمان (باب: سؤال جبريل النبي ﷺ عن الإيمان والإسلام والإحسان)، رواه مسلم حديث رقم (8) كتاب الإيمان، (باب: بيان الإيمان والإسلام والإحسان).

4) التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي (25/1-26).

5) الإيمان لابن تيمية (ص27).

6) الإيمان لابن تيمية (ص24).

وقال: يا محمد أخبرني عن الإسلام؟ فقال رسول الله ﷺ: الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله ، وتقيم الصلاة ، وتؤتي الزكاة ، وتصوم رمضان ، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا . قال: صدقت ، فعجبنا له يسأله ويصدقه ، قال: فأخبرني عن الإيمان؟ قال : أن تؤمن بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر ، وتؤمن بالقدر خيره وشره، قال: صدقت ، قال: فأخبرني عن الإحسان ؟ قال: أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك ، قال: فأخبرني عن الساعة ؟ قال: ما المسئول عنها بأعلم من السائل، قال: فأخبرني عن أماراتها ؟، قال : أن تلد الأمة ربتها ، وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان ، ثم انطلق فلبثت مليا ، ثم قال: يا عمر أتدري من السائل؟ قلت: الله ورسوله أعلم، قال: فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم)) [1].

فدلّ هذا الحديث أن هذه هي مراتب الدين، وأن كلّ مرتبة أخص مما قبلها.

أنواع الدين عند شيخ الإسلام:

ذكر شيخ الإسلام أنواع الدين فقال: "الدين نوعان أمور خبرية اعتقادية، وأمور طلبية عملية" [2].

النوع الأول: الأمور الخبرية الاعتقادية.

قال شيخ الإسلام: " فالأول كالعلم بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر ، ويدخل في ذلك أخبار الأنبياء و أممهم، ومراتبهم في الفضائل، وأحوال الملائكة وصفاتهم وأعمالهم، ويدخل في ذلك صفة الجنة والنار، وما في الأعمال من الثواب والعقاب، وأحوال الأولياء والصحابة وفضائلهم ومراتبهم وغير ذلك.

وقد يسمى هذا النوع أصول دين ، ويسمى العقد الأكبر، ويسمى الجدال فيه بالعقل كلاماً، ويسمى عقائد واعتقادات ، ويسمى المسائل العلمية والمسائل الخبرية ، ويسمى علم

---

١) رواه مسلم حديث رقم (8) كتاب الإيمان، (باب: بيان الإيمان والإسلام والإحسان).

٢) مجموع الفتاوى (353/11).

المكاشفة" [١]، فهي أمور تعلم بالخبر ويصدق ويكذب فيها بالقلب وهو الاعتقاد، ويتبعه القول.

النوع الثاني: الأمور الطلبية العملية.

قال شيخ الإسلام: " الأمور العملية الطلبية من أعمال الجوارح والقلب ، كالواجبات والمحرمات والمستحبات والمكروهات والمباحات ، فإن الأمر والنهى قد يكون بالعلم والاعتقاد، فهو من جهة كونه علماً واعتقاداً ، أو خبراً صادقاً أو كاذباً ، يدخل في القسم الأول، ومن جهة كونه مأموراً به ، أو منهياً عنه ، يدخل في القسم الثاني، مثل شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، فهذه الشهادة من جهة كونها صادقة مطابقة لمخبرها فهي من القسم الأول، ومن جهة أنها فرضٌ واجبٌ، وأن صاحبها بها يصير مؤمناً يستحق الثواب، وبعدمها يصير كافراً يحل دمه وماله فهي من القسم الثاني" [٢]، فهي أعمال يطلب من العبد عملها، ويدخل بعضها بالخبرية الاعتقادية، لكونها لابد أن تعلم فتصدق أو تكذب.

أنواع النقص في الدين عند شيخ الإسلام:

ذكر شيخ الإسلام أنواع النقص في الدين فقال: "النقص نوعان نقص ينافي إيمانه، ونقص عمن هو أكمل منه"[٣].

النوع الأول: النقص الذي ينافي الإيمان.

فهذا النوع نقص في الدين ينافي الإيمان بأصله، فيخرج من ارتكب هذا النقص من الملة، فلم يكن نقصه نقص عن الكمال بل هو نقص عن أصل الإيمان الذي من ارتكبه خرج من الدين.

---

١) مجموع الفتاوى (336/11).

٢) مجموع الفتاوى (336/11).

٣) منهاج السنة النبوية (636/4).

النوع الثاني: النقص الذي هو نقص عمن هو أكمل منه.

فهو نقص في الدين، لكنه نقص كمال بأن لا يأتي بالإيمان الكامل فيكون أنقص ممن أتى بكامل الإيمان، وذلك كنقص محبة الله وخوفه ورجائه ونحو ذلك، فهذا لا يخرجه من الملة لكن ينقص من إيمانه بقدر ما نقص.

أنواع تبديل الدين عند شيخ الإسلام:

ذكر شيخ الإسلام أنواع تبديل الدين فقال: "التبديل نوعان، أحدهما: أن يناقضوا خبره، الثاني: أن يناقضوا أمره" [1].

النوع الأول: من يناقض خبره.

قال شيخ الإسلام: "وأهل التبديل الذين يُضيفون إلى دينه وشرعه ما ليس منه، وهم أهل الشرع المبدّل تارةً يُناقضونه في خبره؛ فينفون ما أثبته، أو يُثبتون ما نفاه؛ كالجهمية الذين ينفون ما أثبته من صفات الله وأسمائه ، والقدرية الذين ينفون ما أثبته من قدر الله ومشيئته وخلقه وقدرته، والقدرية المجبرة الذين ينفون ما أثبته من عدل الله وحكمته ورحمته ، ويثبتون ما نفاه من الظلم والعبث والبخل ونحو ذلك عنه، وأمثال ذلك.

ومسائل أصول الدين عامتها من هذا الباب ، ثم إنهم أيضاً يوجبون ما لم يوجبه بل حرمه، ويحرمون ما لم يحرمه بل أوجبه ، فيوجبون اعتقاد هذه الأقوال والمذاهب المناقضة لخبره، وموالاة أهلها ومعاداة من خالفها " [2].

فهو تبديل لما يجب على المسلم أن يعتقده ويؤمن به بل ويناقضون ما جاء في كتاب الله ﷻ وما جاء في سنة نبيه ﷺ من الأمور الغيبية، بتبديل دينه إما بالتحريف وإما بالتعطيل.

النوع الثاني: من يناقض أمره.

قال شيخ الإسلام فيمن يناقض أمره: " كما أن طوائف من أهل العبادة والزهد والإرادة والمحبة والتصوف سلكوا طرقا ظنوا أنه لا يوصل إلى الله إلا بها.

---

١) النبوات (390/1).

٢) النبوات (390/1).

ثم منهم من يوجبها ويذم من لم يسلكها ومنهم من لم ير أن سالكيها أفضل من غيرهم ويوسع الرحمة لأنه قد علم أن الرسول والصحابة لم يأمروا بها الناس مع اعتقادهم أنها طرق صحيحة موصلة إلى رضوان الله وهي عند التحقيق طرق مضلة إنما توصل إلى رضا الشيطان وسخط الرحمن كالعبادات التي ابتدعها ضلال أهل الكتاب والمشركين وخالفوا بها دين المرسلين فهؤلاء في الأحوال البدعية وأولئك في الأقوال البدعية" (١).

فهذا النوع من التبديل تبديل لشريعة الله ومناقضة لأمره لأنه ﷻ أمر بإتباع الرّسل ونهى عن مخالفتهم سواء في هديهم أو في عبادتهم.

---

١) النبوات (1/392-393).

المطلب الثاني : مراتب الإسلام

ذكر شيخ الإسلام –رحمه الله– أن للإسلام مرتبتان فقال: "وله –أي: الإسلام– مرتبتان، أحدهما: الظاهر من القول والعمل ....، والثاني: أن يكون ذلك الظاهر مطابقاً للباطن"[1].

المرتبة الأولى: الظاهر من القول والعمل.

فهذه المرتبة يدخل فيها حتى المنافق إذا أظهر من القول والعمل ما يوافق ما أمر به الشارع.

وقد بيّن شيخ الإسلام أن المراد بالظاهر من القول والعمل هي المباني الخمس[2].

وهذه المباني الخمس هي ما جاء في حديث ابن عمر –رضي الله عنهما–: ((**بني الإسلام على خمس شهادة ألا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلاً**))[3]، فدلّ هذا الحديث أن هذه الخمسة هي أصول الإسلام التي من فعلها فحكمه حكم المسلمين، يجري عليه ما يجري عليهم، له مالهم وعليه ما عليهم.

المرتبة الثانية: أن يكون ذلك الظاهر مطابقاً للباطن.

فإذا طابق الظاهر –وهو فعل هذه المباني الخمس– الباطن، فقد دخل في المرتبة الثانية وكان مسلماً حقاً، وكان معه مطلق الإيمان وقد فسر النبي ﷺ الإيمان وهو شيء باطن، بالأعمال الظاهرة وذلك لما أتاه وفد عبد القيس فأمرهم بالإيمان بالله وحده، ثم قال: هل تدرون ما الإيمان بالله وحده ؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: ((**شهادة ألا إله إلا الله وأن**

---

١) مجموع الفتاوى (636/7).

٢) مجموع الفتاوى (636/7).

٣) رواه البخاري حديث رقم (8) كتاب الإيمان (باب: دعاؤكم إيمانكم) ، ورواه مسلم حديث رقم (16) كتاب الإيمان، (باب: بيان أركان الإسلام ودعائمه العظام).

محمداً رسول الله وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وتعطوا الخمس من المغنم))[1].

ففسّر الإيمان بالأعمال الظاهرة؛ لأنها إذا كانت موافقة للباطن دخلت في الإيمان، وقد سبق الكلام في المبحث السابق عن الإسلام والإيمان والعلاقة بينهما، وما يتعلق بهم فلينظر.

١) رواه البخاري حديث رقم (87) كتاب العلم (باب: تحريض النبي ﷺ وفد عبد القيس على أن يحفظوا الإيمان والعلم).

المطلب الثالث: أقسام الإسلام

بعد الكلام على أقسام الدين، ومن ضمنها الإسلام فقد بين شيخ الإسلام، الإسلام وأنه على قسمين.

أقسام الإسلام عند شيخ الإسلام

قسم شيخ الإسلام إلى خاص وعام[١].

القسم الأول:الخاص

قال شيخ الإسلام:"فإن الإسلام الخاص الذي بعث به محمد ﷺ المتضمن لشريعة القرآن، ليس عليه إلا أمة محمد ﷺ" [٢].

فهو من هذا المعنى والاعتبار ليس عليه أحد إلا أمة محمد ﷺ وهو المعنى المتبادر عند الإطلاق، فإذا أطلق لفظ الإسلام اليوم فإنه ينصرف إلى هذا المعنى الخاص [٣]، فلا يقبل الله ﷻ بعد بعثة محمد ﷺ من أحد دينا سواه، فمن دخله فهو مسلم، ومن لم يدخله فهو كافر، وهو المقصود بقوله ﷺ ((**الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمدا رسول الله ، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا**)) [٤]، وحديث ((**بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمدا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وحج البيت، وصوم رمضان**)) [٥].

---

١) التدمرية (ص173).

٢) التدمرية (ص173).

٣) شرح التدمرية للبراك (ص42).

٤) رواه مسلم حديث رقم (8) كتاب الإيمان، (باب: بيان الإيمان والإسلام والإحسان).

٥) رواه البخاري حديث رقم (8) كتاب الإيمان (باب: دعاؤكم إيمانكم).، ورواه مسلم حديث رقم (16) كتاب الإيمان، (باب: بيان أركان الإسلام ودعائمه العظام).

القسم الثاني: العام

قال شيخ الإسلام "الإسلام العام المتناول لكل شريعة بعث الله بها نبياً من الأنبياء، فإنه يتناول إسلام كل أمة متبعة لنبي من الأنبياء"[1].

فالاستسلام لله بعبادته وحده إخلاص الدين له، وطاعته في كل وقت، بفعل ما أمر به في ذلك الوقت، فهو يتناول شريعة كل نبي من أنبياء الله[2].

وهذا قبل مبعثه ﷺ أما من يتبع نبياً من الأنبياء بعد مبعث محمد ﷺ، فهو كافر بنص الكتاب والسنة لا شك ولا ريب في ذلك.

وجميع الأنبياء بعثوا بشريعة الإسلام ، ومن هذا الإسلام العام الذي كان قبل مبعثه ﷺ إسلام من اتبع شريعة موسى –عليه السلام- وآمن به لذلك قال موسى لهم﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوۡمِ إِن كُنتُمۡ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيۡهِ تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسۡلِمِينَ ٨٤﴾[3].

وكذلك من تبع عيسى فآمن به، قال سبحانه مخبراً عنهم﴿وَإِذۡ أَوۡحَيۡتُ إِلَى ٱلۡحَوَارِيِّـۧنَ أَنۡ ءَامِنُواْ بِي وَبِرَسُولِي قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَٱشۡهَدۡ بِأَنَّنَا مُسۡلِمُونَ ١١١﴾[4].

---

١) أنظر التدمرية (ص174).

٢) شرح التدمرية للبراك (ص427).

٣) سورة يونس الآية رقم (84).

٤) سورة المائدة الآية رقم (111).

المطلب الرابع: أقسام الإيمان.

تمهيد

الإيمان لغة هو مصدر من يؤمن إيماناً فهو مؤمن [١]، وعند أهل اللغة أن الإيمان هو التصديق [٢]، والإيمان وإن تضمن التصديق فليس مرادفاً له، فلا يقال لكل مصدق شيء أنه مؤمن به [٣]، فالتصديق ليس مطابقاً للإيمان [٤]؛ لأن الكلمة إذا كانت بمعنى الكلمة فإنها تتعدى بتعديتها ومعلوم أن التصديق يتعدى بنفسه، والإيمان لا يتعدى بنفسه، فتقول صدقته ولا تقول آمنته، فالأجود أن يقال في الإيمان لغة أنه الإقرار، ولا إقرار إلا بتصديق [٥].

وفي الاصطلاح قال ابن جرير: "الإيمان كلمة جامعة للإقرار بالله وكتبه ورسله، وتصديق الإقرار بالفعل" [٦].

أقسام الإيمان عند شيخ الإسلام:

وقد ذكر شيخ الإسلام أن الإيمان ينقسم إلى قول وعمل [٧].

القسم الأول: القول

قال شيخ الإسلام:"فالقول قول القلب واللسان" [٨].

فقول القلب هو اعترافه وتصديقه [٩]، التصديق الجازم بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، ويدخل فيه الإيمان بكل ما جاء به الرسول ﷺ [١٠]، قال سبحانه:

---

١) لسان العرب (209/1) مادة: أمن.

٢) معجم تهذيب اللغة (210/1)، معجم مقاييس اللغة (133/1) مادة: أمن.

٣) مجموع الفتاوى (269/10).

٤) مجموع الفتاوى (636/7).

٥) أنظر شرح الواسطية لابن عثيمين (230/2).

٦) تفسير الطبري (184/1).

٧) مجموع الفتاوى (151/3).

٨) الرد على الشاذلي (ص208).

٩) شرح الواسطية لابن عثيمين (231/2).

١٠) مجموع الفتاوى (672/7).

﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ٢٨٥ ﴾ (1).

والتصديق لا يكفي، قال شيخ الإسلام: "وأما من صدق الرسول وعرف أن ما جاء به حقّ، مع أنه يبغضه ويستكبر عن عبادة الله وطاعته، كإبليس وفرعون والنمرود واليهود فهذا من أعظم الكافرين كفراً" (2).

أما قول اللسان فهو النطق، مثل قول لا إله إلا الله، قال الآجري: "الإيمان باللسان نطقاً فرضٌ واجب.

قال سبحانه: ﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ١٣٦ فَإِنۡ ءَامَنُواْ بِمِثۡلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهۡتَدَواْۖ وَّإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا هُمۡ فِي شِقَاقٖ﴾ (3)،وقال سبحانه﴿ قُلۡ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ ﴾ (4)،وقالﷺ ((**أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله**)) " (5) (6).

(6).

والقول وحده بدون التصديق لا يكفي قال سبحانه﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحۡزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَلَمۡ تُؤۡمِن قُلُوبُهُمۡ ﴾،(7) وقال سبحانه﴿ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرٗا فَعَلَيۡهِمۡ

---

١) سورة البقرة الآية رقم (285).

٢) الرد على الشاذلي (ص208).

٣) سورة البقرة الآية رقم (136-137).

٤) سورة آل عمران الآية رقم (84).

٥) رواه البخاري حديث رقم (2946) كتاب الجهاد والسير (باب: دعاء النبي الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله)، ورواه مسلم حديث رقم (21-22)، كتاب الإيمان (باب: الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله).

٦) الشريعة للآجري (363/1).

٧) سورة المائدة الآية رقم (41).

﴿غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝١٠٦﴾[1]، وقال سبحانه ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَـٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَـٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ﴾[2].

قال الآجري[3]: "فهذا مما يدلك على أن على القلب الإيمان وهو التصديق والمعرفة ولا ينفع القول به، إذا لم يكن القلب مصدقاً بما ينطق به اللسان مع العمل"[4].

القسم الثاني: العمل

قال شيخ الإسلام في العمل: "هو عمل القلب والجوارح"[5]، فعمل القلب عبارة عن تحركه وإرادته مثل الإخلاص في العمل، فهذا عمل القلب، وكذلك التوكل والرجاء والخوف، فالعمل ليس مجرد الطمأنينة في القلب، بل هناك حركة في القلب[6].

قال شيخ الإسلام: "وهذا التصديق -أي: تصديق قول القلب- يتبعه عمل القلب، وهو حب الله ورسوله، وتعظيم الله ورسوله، وتعزير الرسول وتوقيره، وخشية الله والإنابة إليه، والإخلاص له والتوكل عليه، إلى غير ذلك من الأحوال، فهذه الأعمال القلبية كلها من الإيمان، وهي مما يوجب التصديق والاعتقاد"[7].

فلا يكفي تصديق القلب المجرد، بل لا بدّ أن يتبعه عمله، قال شيخ الإسلام: "فمجرد علم القلب بالحق، وإن لم يقترن به عمل القلب بموجب علمه، مثل محبة القلب له، وإتباع

---

١) سورة النحل الآية رقم (106).

٢) سورة الحجرات الآية رقم (14).

٣) هو محمد بن الحسين عبد الله الآجري البغدادي، وكنيته أبو بكر، مات بمكة سنة ستين وثلاثمائة، وكان من أبناء الثمانين، ودفن بمكة يوم الجمعة أول المحرم رحمه الله، أنظر سير أعلام النبلاء (211/12).

٤) الشريعة للآجري (363/1).

٥) الرد على الشاذلي (ص208).

٦) شرح الواسطية لابن عثيمين (231/2).

٧) مجموع الفتاوى (672/7).

القلب له، لم ينفع صاحبه، بل أشد الناس عذاباً يوم القيامة عالم لم ينفعه علمه [١]، وقد كان النبي ﷺ يقول ((**اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع**))" [٢] [٣].

فإن عمل القلب مستلزم للقول باللسان، قال شيخ الإسلام: " ثم انه إذا تحقق القلب بالتصديق والمحبة التامة المتضمنة للإرادة، لزم وجود الأفعال الظاهرة ، فان الإرادة الجازمة إذا اقترنت بها القدرة التامة لزم وجود المراد قطعاً ، وإنما ينتفي وجود الفعل لعدم كمال القدرة ، أو لعدم كمال الإرادة، وإلا فمع كمالها يجب وجود الفعل الاختياري، فإذا أقرّ القلب إقراراً تاماً بان محمداً رسول الله، وأحبه محبة تامة، امتنع مع ذلك أن لا يتكلم بالشهادتين مع قدرته على ذلك" [٤].

وقد جعل النبي ﷺ بعض الإعمال من الإيمان فقال ((**الإيمان بضع وسبعون، أو بضع وستون شعبة،أعلاها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان**)) [٥]، فالحياء عملٌ قلبيّ وهو إنكسار يصيب الإنسان ويعتريه عند وجود ما يستلزم الحياء [٦]. وذكر إماطة الأذى عن الطريق وهو عمل ظاهر ، وعمـــل الجوارح مستلزم لقول اللسان وعمل القلب قال شيخ الإسلام"ثم إنه يتبع الاعتقاد قول اللسان ويتبع عمل القلب الجوارح من الصلاة والزكاة والصوم والحج ونحو ذلك" [٧]، قال سبحانه

---

١) يشير شيخ الإسلام إلى حديث ((**أشد الناس عذابا يوم القيامة عالم لم ينفعه علمه**)) رواه البيهقي في شعب الإيمان (274/3)، ((**ضعيف الإسناد جداً**)) هكذا قال الألباني في السلسلة الضعيفة، حديث رقم (1634) (138/4).

٢) رواه مسلم حديث رقم (2722)، كتاب الذكر والدعاء (باب: التعوذ من شرّ ما عمل ومن شر ما لم يعمل).

٣) مجموع الفتاوى (271/10).

٤) مجموع الفتاوى (272/10).

٥) رواه مسلم حديث رقم (35)، كتاب الإيمان (باب: بيان عدد شعب الإيمان).

٦) شرح الواسطية لابن عثيمين (231/2).

٧) مجموع الفتاوى (672/7).

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْۤ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۩ ﴾[1]، وقال سبحانه ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾[2].

قال الآجري: "فأعمال الجوارح تصديق عن الإيمان بالقلب واللسان، فمن لم يصدق الإيمان بعمل جوارحه، مثل الطهارة والصلاة والزكاة والصيام والحج والجهاد وأشباه ذلك، ورضي من نفسه بالمعرفة والقول لم يكن مؤمناً، ولم تنفعه المعرفة والقول، وكان تركه للعمل تكذيباً منه لإيمانه، وكان العمل بما ذكرناه تصديقاً منه لإيمانه"[3].

فكون العمل إيمان لأنه لم يحمل عليه إلا الإيمان والاعتقاد الذي في القلب، فلو كنت لا أعتقد الثواب في إماطة الأذى عن الطريق ما أمطته، ولكان عملي عبثاً،ولولا أني أعتقد أني أثاب على قولي لا إله إلا الله ما قلتها؛ لأنه يكون عبثاً، فلما كان هذا العمل نتيجة للاعتقاد التام في القلب صار إيماناً[4].

ولم يكن السلف يفرقون بين الإيمان والعمل قال شيخ الإسلام: " وكان من مضى من سلفنا، لا يفرقون بين الإيمان والعمل، العمل من الإيمان والإيمان من العمل، وإنما الإيمان اسم يجمع كما يجمع هذه الأديان اسمها ويصدقه العمل، فمن آمن بلسانه، وعرف بقلبه، وصدق بعمله، فتلك العروة الوثقى التي لا انفصام لها. ومن قال بلسانه، ولم يعرف بقلبه، ولم يصدق بعمله كان في الآخرة من الخاسرين. وهذا معروفٌ عن غير واحد من السلف والخلف، أنهم يجعلون العمل مصدقاً للقول"[5].

فقول القلب وعمله، وقول اللسان وعمل الجوارح كلها متلازمة عند سلف الأمة لا ينفك بعضها عن بعض.

---

١) سورة الحج الآية رقم (77).

٢) سورة المزمل الآية رقم (20).

٣) الشريعة للآجري (364/1).

٤) شرح السفارينية لابن عثيمين (ص397).

٥) الإيمان لابن تيمية (ص204).

روي عن عليّ بن أبي طالب وابن مسعود –رضي الله عنهما– أنهما قالا: "لا ينفع قول إلا بالعمل، ولا ينفع العمل إلا بالقول، ولا ينفع القول والعمل إلا بالنية، ولا ينفع القول والعمل والنية إلا بموافقة السنة"[١].

وقال الإمام الزهري: "كنا نقول الإسلام بالإقرار والإيمان بالعمل، والإيمان قول وعمل قرينان لا ينفع أحدهما إلا بالآخر، وما من أحد إلا يُوزن قوله وعمله، فإن كان عمله أوزن من قوله صعد إلى الله، وإن كان كلامه أوزن من عمله لم يصعد إلى الله"[٢].

وقال عبد الرزاق[٣]: "الإيمان عندنا قول وعمل وتيقن وإصابة السنة، فمن عمل وأتقن وقال ولم يصب السنة فهو منقوص، ومن قال ولم يعمل فهو منقوص، ومن قال وعمل ولم يوقن فهو منقوص، على هذا أدركت العلماء"[٤].

أدلة التقسيم:

قال النبي ﷺ ((**الإيمان بضع وسبعون، أو بضع وستون شعبة،أعلاها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان**))[٥]، فذكر أن أعلى مراتب الإيمان الشهادة وهي قول باللسان ، ثم ذكر أن إماطة الأذى عن الطريق وهي عمل بالجوارح أنها من الإيمان وهي بضعة منه فدل على أن الإيمان قـــول وعـــمل.

---

١) الإبانة لابن بطة كتاب الإيمان (803/2)، وذكره الذهبي في الميزان (224/1) من وجه آخر عن ابن مسعود ﷺ، وقال عقبة: هذا إنما هو من قول الثوري اهـ. وذكر هذا بنحوه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة عن سعيد بن جبير (44/1).

٢) مجموع الفتاوى (295/7).

٣) عبد الرزاق بن همام ابن نافع، الحافظ الكبير، عالم اليمن، أبو بكر الحميري، مولاهم الصنعاني الثقة،ولد سنة ست وعشرين ومائة وتوفي في شوال، سنة إحدى عشرة ومائتين تذكرة الحفاظ للذهبي (364/1)، وأنظر سير أعلام النبلاء (222/8).

٤) الإبانة لابن بطة كتاب الإيمان (817/2).

٥) رواه مسلم حديث رقم (35)، كتاب الإيمان (باب: بيان عدد شعب الإيمان).

ثم إن القول بأن الإيمان قول وعمل هو قول عامة السلف من التابعين والأئمة، لكن اختلفت عباراتهم ويمكن حصرها في لفظين:

الأول: قول وعمل، وهذا قول سفيان ابن عيينة [١]، ومالك [٢]، والشافعي [٣]، وأحمد [٤]، وغيرهم [٥].

الثاني: قول وعمل ونية، وهذا قول للشافعي أيضاً [٦]، وأحمد [٧]، والبربهاري [٨]، وغيرهم [٩].

وقد ذكر شيخ الإسلام زيادة بعضهم على هذه العبارات بقولهم: "قول وعمل وإتباع سنة، أو قول باللسان واعتقاد بالقلب وعمل بالجوارح" [١٠].

ثم إن شيخ الإسلام بيّن مراد العلماء في تنوع هذه الألفاظ فقال: "المأثور عن الصحابة وأئمة التابعين وجمهور السلف هو مذهب أهل الحديث، وهو المنسوب إلى أهل السنة أن الإيمان قولٌ وعمل، يزيدُ وينقص، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية ، وأنه يجوز الاستثناء فيه ، كما قال عمير بن حبيب الخطم ي[١١] ﷺ وغيره من الصحابة : "الإيمان يزيد وينقص، فقيل

١) السنة لعبد الله ابن أحمد (347/1).

٢) التمهيد لابن عبد البر (253/9).

٣) تاريخ دمشق (311/51).

٤) السنة لعبد الله ابن أحمد (307/1).

٥) أنظر شرح السنة للمزي (ص83).

٦) حلية الأولياء لأبي نعيم (117/9).

٧) السنة للخلال (460/1).

٨) شرح السنة للبربهاري (ص52).

٩) أنظر السنة للخلال (460/1)، الإيمان لأبي عبيد (ص10).

١٠) الإيمان لابن تيمية (ص130).

١١) هو الصحابي عمير بن حبيب بن حماشة ، ويقال: بن حباشة الأنصاري ،قال البخاري: بايع تحت الشجرة، وقال ابن السكن: مدني له صحبة، يقال: إنه بايع تحت الشجرة، وهو جدُّ أبي جعفر الخطمي، أنظر الإصابة (512/7)، تهذيب التهذيب (325/3).

له: وما زيادته ونقصانه ؟ فقال: إذا ذكرنا الله وحمدناه وسبّحناه فتلك زيادته ، وإذا غفلنا ونسينا وضيعنا فذلك نقصانه"[١]، فهذه الألفاظ المأثورة عن جمهورهم.

وربما قال بعضهم وكثير من المتأخرين: "قول وعمل ونية"، وربما قال آخر: "قول وعمل ونية وإتباع السنة"، وربما قال : "قول باللسان واعتقاد بالجنان وعمل بالأركان "، أي: بالجوارح، وروى بعضهم هذا مرفوعاً إلى النبي ﷺ في النسخة المنسوبة إلى أبي الصلت الهروى، عن على بن أبي موسى الرضا ، وذلك من الموضوعات على النبي ﷺ باتفاق أهل العلم بحديثه، وليس بين هذه العبارات اختلاف معنو ي، ولكن القول المطلق والعمل المطلق في كلام السلف، يتناول قول القلب واللسان، وعمل القلب والجوارح، فقول اللسان بدون اعتقاد القلب هو قول المنافقين ، وهذا لا يسمى قولا إلا بالتقييد، كقوله تعالى : ﴿يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ ﴾[٢]، وكذلك عمل الجوارح بدون أعمال القلوهي من أعمال المنافقين التي لا يتقبلها الله ، فقول السلف يتضمن القول والعمل الباطن والظاهر ، لكن لما كان بعض الناس قد لا يفهم دخول النية في ذلك، قال بعضهم: "ونية"، ثم بيّن آخرون أن مطلق القول والعمل والنية لا يكون مقبولاً إلا بموافقة السنة، وهذا حقٌّ أيضاً ، فإن أولئك قالوا: قولٌ وعمل ، ليبينوا اشتماله على الجنس ، ولم يكن مقصودهم ذكرُ صفات الأقوال والأعمال، وكذلك قول من قال : "اعتقاد بالقلب"، وقول باللسان وعمل بالجوارح ، جعل القول والعمل اسماً لما يظهر ، فاحتاج أن يضم إلى ذلك اعتقاد القلب ، ولابد أن يدخل في قوله: "اعتقاد القلب" أعمال القلب المقارنة لتصديقه ، مثل حب الله وخشية الله والتوكل على الله ونحو ذلك ، فان دخول أعمال القلب في الإيمان أولى من دخول أعمال الجوارح باتفاق الطوائف كلها"[٣].

فجميع ما سبق يدل على أن السلف كانوا يقسمون الإيمان إلى قول وعمل.

---

١) السنة لأبي بكر الخلال (31/2).

٢) سورة الفتح الآية رقم (11).

٣) مجموع الفتاوى (505/7).

المطلب الخامس: مراتب الناس في الإسلام والإيمان.

تمهيد

المسلم لابد له من إيمان يصح به إسلامه، كما قال ابن القيم: "كل إسلام لا ينفذ فيه صاحبه إلى حقيقة الإيمان الباطنة، فليس بنافع حتى يكون معه شيءٌ من الإيمان الباطن، وكل حقيقة باطنة لا يقوم صاحبها بشرائع الإسلام الظاهرة لا تنفع" [١].

فلا إسلام بلا إيمان، كما أنه لا إيمان بلا إسلام، مع أن الإيمان أعلى مرتبة، لكنه يجمع جميع أعمال الإسلام.

والناس في الإسلام والإيمان مراتب، كما قال ابن القيم: "كلهم مستعدون للسير موقنون بالرجعي إلى الله، ولكن متفاوتون في التزود وتعبئة الزاد واختياره وفي نفس السير وسرعته وبطئه" [٢].

مراتب الناس في الإيمان والإسلام عند شيخ الإسلام:

ذكر شيخ الإسلام مراتب في الإيمان والإسلام فقال: "الناس في الإيمان والإسلام على ثلاث مراتب، ظالم لنفسه، ومقتصد، وسابق بالخيرات"[٣].

المرتبة الأولى: الظالم لنفسه.

قال شيخ الإسلام: "المسلم ظاهراً وباطناً إذا كان ظالماً لنفسه، فلا بدّ أن يكون معه إيمان، ولكن لم يأت بالواجب" [٤]، فأصل الإيمان معه، لكنه لم يأت بالكمال فهو مقصرٌ

---

١) الفوائد (ص207).

٢) طريق الهجرتين (404/1).

٣) الإيمان (ص255).

٤) الإيمان (ص255).

كما قال شيخ الإسلام: "والظالم لنفسه يتناول المضيع للواجبات والمنتهك للحرمات، وفي الأموال فهو آخذ الربا مانع الزكاة" [١].

وقال ابن رجب: "الظالم لنفسه هم الأكثرون منهم وأكثرهم وقف مع زهرة الدنيا وزينتها فأخذها من غير وجهها واستعملها في غير وجهها وصارت الدنيا أكبر همه" [٢].

وقال ابن القيم: "الظالم لنفسه مقصرٌ في الزاد، غير آخذ منه ما يبلغه المنزل، لا في قدره ولا في صفته، بل مفرط في زاده الذي ينبغي له أن يتزوده، ومع ذلك فهو متزود ما يتأذى به في طريقه، ويجد غبّ أذاه إذا وصل المنزل بحسب ما تزوّد من ذلك المؤذي الضار" [٣].

المرتبة الثانية: المقتصد

قال شيخ الإسلام: "وهذا يتناول فاعل الواجبات وتارك المحرمات، وفي الأموال يؤدي الزكاة المفروضة، ولا يأكل الربا وهؤلاء هم أصحاب اليمين" [٤].

وقال ابن رجب: "المقتصد منهم من أخذ الدنيا من وجوهها المباحة وأدى واجباتها وأمسك لنفسه الزائد على الواجب يتوسع به في التمتع بشهوات الدنيا" [٥].

وقال ابن القيم: "المقتصد اقتصر من الزاد على ما يبلغه و لم يشد مع ذلك أحمال التجارة الرابحة، و لم يتزود ما يضرّه، فهو سالمٌ غانم، لكن فاتته المتاجر الرابحة وأنواع المكاسب الفاخرة" [٦].

---

١) أنظر مقدمة في أصول التفسير (ص31-32).
٢) جامع العلوم والحكم (ص288).
٣) طريق الهجرتين (405/1).
٤) أنظر مقدمة في أصول التفسير (ص31-32).
٥) جامع العلوم والحكم (ص288).
٦) طريق الهجرتين (405/1).

فعمل من الأعمال ما كان به من المؤمنين، لكنه قصّر في بعض التزود من الطاعات والقربات ما يجعله في درجة أدنى من السابق في الخيرات، وسبق بيان أصحاب اليمين.

المرتبة الثالثة: السابق في الخيرات

وهذا يتناول من سبقَ فتقرّب بالحسنات مع الواجبات مع تركه للمحرمات، وفي الأموال محسن بأداء المستحبات مع الواجبات [1]، وهؤلاء هم السابقون الذين وعدهم الله بقوله ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾﴾[2] [3].

قال ابن القيم: "السابق بالخيرات همه في تحصيل الأرباح، وشدّ أحمال التجارات، لعلمه بمقدار الربح الحاصل، فيرى خسراناً أن يدخر شيئاً مما بيده، ولا يتجر فيه، فيجد ربحه يوم يغتبط التجار بأرباح تجارتهم، فهو كرجل قد علم أن أمامه بلدة يكسب الدرهم فيها عشرة إلى سبعمائة وأكثر، وعنده حاصل، وله خبرة بطريق ذلك البلد، وخبرة بالتجارة، فهو لو أمكنه بيع ثيابه وكل ما يملك حتى يهيئ به تجارة إلى ذلك البلد لفعل، فهكذا حال السابق بالخيرات بإذن ربه، يرى خسراناً، بيناً أن يمر عليه وقت في غير متجر" [4]، فهم في أعلى المراتب وأعلى الدرجات، نظير ما أدوا من واجبات ومستحبات، واجتنبوا المحرمات والمكروهات، بل تورعوا عن فضول المباحات.

أدلة التقسيم:

قد ذكر الله ﷻ الأصناف الثلاثة بقوله ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾﴾[5]، قال

---

١) مقدمة في أصول التفسير (ص31-32).

٢) سورة الواقعة الآية رقم (10-11).

٣) مجموع الفتاوى (337/13)، وأنظر مقدمة في أصول التفسير (ص31).

٤) طريق الهجرتين (405/1).

٥) سورة فاطر الآية رقم (32).

قال ﷺ: ((**فأما السابق بالخيرات فيدخلها بغير حساب، وأما المقتصد فيحاسب حساباً يسيرا ثم يدخل الجنة، وأما الظالم لنفسه فيصيبه في ذلك المكان من الغم والحزن، فذلك قوله** ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ﴾)) [1] [2].

فحصر الله ﷻ أهل الإسلام بثلاثة أنواع لا يخرج أحد منهم عن ذلك.

---

١) سورة فاطر الآية رقم (34).

٢) رواه أحمد من حديث أبي الدرداء ﷺ رقم (28054،22040)، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد وقال رجاله رجال الصحيح (214/7)، وروي موقوفاً على ابن عباس عند الطبراني في الكبير (151/11)، وضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة (226/7).

المطلب السادس: أقسام الأمة في تحقيق معنى الإيمان.

بعد أن تكلمنا عن الإيمان وأقسامه، وبسطنا القول فيه، نذكر أقسام الناس في تحقيق معناه.

أقسام الأمة في تحقيق معنى الإيمان عند شيخ الإسلام

ذكر شيخ الإسلام أقسام الأمة في تحقيق معنى الإيمان فقال:"انقسم الأمة إلى ثلاث فرق: فالكلاميون غالب نظرهم وقولهم في الثبوت، والانتفاء والوجود والعدم والقضايا التصديقية فغايتهم مجرد التصديق والعلم والخبر.

والصوفيون غالب طلبهم وعملهم في المحبة ، والبغضه ، والإرادة ، والكراهة، والحركات العملية، فغايتهم المحبة والانقياد والعمل والإرادة.

وأما أهل العلم والإيمان فجامعون بين الأمرين، بين التصديق العلمي ، والعمل الحبي" [1].

القسم الأول: من غايتهم مجرد التصديق والعلم والخبر

فلم ينظروا إلا جانب التصديق والعلم، قال شيخ الإسلام: "فالكلاميون غالبُ نظرهم وقولهم في الثبوت والانتفاء والوجود والعدم والقضايا التصديقية، فغايتهم مجرد التصديق والعلم والخبر" [2].

فلم يتبعوا هذه التصديقات بالأعمال التي تصدق علمهم، وما صدقوا به، فغايتهم العلم وهم كما قال شيخ الإسلام: "قول بلا عمل ففوتوا العمل"[3]، وهؤلاء فيهم شبه من اليهود، فغلبوا جانب الحروف وما يدل عليه العلم والاعتقاد[4].

---

١) مجموع الفتاوى (41/2).

٢) مجموع الفتاوى (41/2).

٣) مجموع الفتاوى (41/2).

٤) أنظر مجموع الفتاوى (41/2).

القسم الثاني: من غالب عملهم الحركات العملية

فهم منغمسون في الأعمال القلبية من المحبة والبغض، تاركين التصديقات والعلم والخبر، قال شيخ الإسلام: "الصوفيون غالب طلبهم وعملهم من المحبة والبغضة والإرادة والكراهة والحركات العملية، فغايتهم المحبة والإنقياد والعمل والإرادة" (١)، فهذه الأعمال هي غايتهم ومنتهى مرادهم وطلبهم، فهم يعملون بلا علم، ففوت المتصوفة القول والكلام، وهؤلاء فيهم شبه من النصارى، فغلبوا جانب الأصوات وما يثيره من الوجد(٢) والحركة (٣).

فأعملوا جانباً وأهملوا جانباً، فضلوا وأضلوا كثيراً وضلّوا عن سواء السبيل، ولهذا قال شيخ الإسلام: "غلب على منحرفة المتصوفة الاعتياض بسماع القصائد والأشعار عن سماع القران والذكر، فإنه يعطيهم مجرد حركة حب أو غيره، من غير أن يكون ذلك تابعاً لعلم وتصديق" (٤)، مع أن كلا الفريقين قد دخل عليهم من جهة عدم توقفهم عند ما أمر الله به ورسولهﷺ من البدع والكلمات التي قد تصل إلى الكفر كما سيأتي مزيد من البيان لهذا.

القسم الثالث: من جمع كلا الأمرين

وهم العالمون العارفون جمعوا بين التصديق والعمل فصدقوا بقلوبهم وتبع ذلك التصديق عمل القلب واللسان والجوارح، قال شيخ الإسلام: "أهل العلم والإيمان جامعون بين الأمرين، بين التصديق العلمي والعمل الحبي، ثم إن تصديقهم عن علم وعملهم وحبهم عن علم"(٥) ، فحازوا على جميع الفضائل من التصديقات القلبية وما يتبعها من الأعمال التي تصدق التصديقات، وكذلك لم يتركوا الأعمال القلبية من الحب والبغض لله وفي الله، وأتبعوها بالأعمال التي تصدق أعمال القلوب.

---

١) مجموع الفتاوى (41/2).

٢) الوجد: ما يصادف القلب ويرد عليه بلا تكلف وتصنع، وقيل: هو بروق تلمع ثم تخمد سريعا، أنظر التعريفات للجرجاني (ص270).

٣) أنظر مجموع الفتاوى (41/2-42).

٤) مجموع الفتاوى (43/2).

٥) مجموع الفتاوى (41/2).

قال شيخ الإسلام: "وأهل السنة الباطنة والظاهرة، كان كلامهم وعملهم باطناً وظاهراً بعلم، وكان كل واحد من قولهم وعملهم مقروناً بالآخر ، وهؤلاء هم المسلمون حقا ، الباقون على الصراط المستقيم ، صراط الذين أنعم الله عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين" [١].

١) مجموع الفتاوى (41/2).

المبحث الثاني:

ما يضاد الإسلام والإيمان.

وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: أقسام المنكرين لتبعض الإيمان.

المطلب الثاني: أقسام الناس في حكم الفاسق.

المطلب الثالث: أقسام المرتد.

المطلب الرابع: أقسام المظهرين للإسلام.

المطلب الخامس: أقسام الناس عموماً في موقفهم من الدين.

المطلب الأول: أقسام المنكرين لتبعض الإيمان.

تمهيد

إن أصل افتراق من ضلوا عن طريقة الكتاب والسنة وسلف هذه الأمة في الإيمان هو شبهتهم في أن الإيمان لا يتبعض، وأنه جزءٌ واحد إذا ذهب بعضه ذهب كله، وهذا خلاف مذهب السلف؛ فإن السلف يقولون بتبعض الإيمان، قال شيخ الإسلام: " وأصلهم أن الإيمان يتبعض، فيذهب بعضه ويبقى بعضه ، كما في قوله ﷺ ((**يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان**))[١]، ولهذا مذهبهم أن الإيمان يتفاضل ويتبعض ، هذا مذهب مالك والشافعي وأحمد وغيرهم"[٢].

أقسام المنكرين لتبعض الإيمان عند شيخ الإسلام

ذكر شيخ الإسلام أقسام المنكرين لتبعض الإيمان فقال:" الذين أنكروا تبعضه وتفاضله كأنهم قالوا: متى ذهب بعضه ذهب سائره، ثم انقسموا قسمين:

فقالت الخوارج والمعتزلة فعل الواجبات، وترك المحرمات من الإيمان ....

والحزب الثاني وافقوا أهل السنة على أنه لا يخلد في النار من أهل التوحيد أحد، ثم ظنوا أن هذا لا يكون إلا مع كمال الإيمان، لاعتقادهم أن الإيمان لا يتبعض فقالوا: كل فاسق فهو كامل الإيمان، وإيمان الخلق متماثل لا متفاضل"[٣].

القسم الأول: من قال إن الإيمان لا يتجزأ وهو مجموع فعل الوجبات وترك المحرمات فمن ترك شيئا من الواجبات أوفعل شيئا من المحرمات خرج من الإيمان

فالخوارج والمعتزلة جعلوا الطاعات وترك المحرمات من الإيمان، قال شيخ الإسلام: "قالت الخوارج والمعتزلة الطاعات كلها من الإيمان ، فإذا ذهب بعضها ذهب بعض الإيمان ، فذهب سائره، فحكموا بأن صاحب الكبيرة ليس معه شيء من الإيمان"[٤].

---

١) رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح حديث رقم (1999) كتاب البر والصلة (باب: الكبر).

٢) مجموع الفتاوى (270/18) وسيأتي مزيد من البيان لهذا.

٣) مجموع الفتاوى (271/18).

٤) مجموع الفتاوى (510/7).

وقال في موضع آخر: " قالت الخوارج والمعتزلة فعل الواجبات وترك المحرمات من الإيمان، فإذا ذهب بعض ذلك ذهب الإيمان كله ، فلا يكون مع الفاسق إيمانٌ أصلاً بحـــال" [١].

فجميع الأعمال عندهم داخلة في مسمى الإيمان، وهو عندهم كلٌّ لا يتجزأ، فإذا زال شيء من العمل زال جميع الإيمان، فهي شرط في بقاء الإيمان، ثم إن هؤلاء افترقوا كما ذكر شيخ الإسلام "فالخوارج قالت: هو كافر، والمعتزلة قالوا: ليس بكافر ولا مؤمن بل هو فاسق نتزله متزلة بين المترلتين، فخالفوا الخوارج في الاسم ووافقوهم في الحكم، وقالوا أنه مخلد في النار لا يخرج منها بشفاعة ولا غيرها" [٢].

فالمعتزلة والخوارج حكمهم واحد في من ترك شيئاً من الطاعات، أو ارتكب شيئاً من المحرمات، فإنه مخلد في النار، لكن الخوارج يطلقون عليه لفظ الكفر، أما المعتزلة فهم يقولون أنه بمترلة بين الإيمان والكفر فلا يقال مؤمن ولا يقال كافر لكنهم يحكمون عليه بالخلود في النار.

القسم الثاني: من أخرج الأعمال عن مسمى الإيمان وجعل الإيمان هو التصديق فإذا ذهب بعضه ذهب كله وإذا بقي بقي كله

فالمرجئة، أخرجوا العمل عن مسمى الإيمان قال شيخ الإسلام مبيناً قولهم :" وقالت المرجئة والجهمية : ليس الإيمان إلا شيئا واحد لا يتبعض.

إما مجرد تصديق القلب ، كقول الجهمية ، أو تصديق القلب واللسان ، كقول المرجئة

قالوا: لأنا إذا أدخلنا فيه الأعمال صارت جزءاً منه، فإذا ذهبت ذهب بعضه ذهب، فيلزم إخراج ذي الكبيرة من الإيمان، وهو قول المعتزلة والخوارج لكن قد يكون له لوازم ودلائل فيستدل بعدمها على عدمه" [٣].

---

١) مجموع الفتاوى (270/18).

٢) مجموع الفتاوى (270/18).

٣) مجموع الفتاوى (510/7).

وقال في موضع آخر بعد ذكره للخوارج والمعتزلة: " وقابلتهم المرجئة، و الجهمية ومن اتبعهم من الأشعرية والكرامية ، فقالوا : ليس من الإيمان فعل الأعمال الواجبة ، ولا ترك المحظورات البدنية، والإيمان لا يقبل الزيادة والنقصان ، بل هو شيءٌ واحد ، يستوي فيه جميع المؤمنين من الملائكة، والنبيين، والمقربين، والمقتصدين، والظالمين.

ثم قال فقهاء المرجئة: هو التصديق بالقلب واللسان، وقال أكثر متكلميهم: هو التصديق بالقلب، وقال بعضهم : التصديق باللسان قالوا لأنه لو دخلت فيه الواجبات العملية لخرج منه من لم يأت بها كما قالت الخوارج ، ونكتة هؤلاء جميعهم توهمهم أن من ت رك بعض الإيمان فقد تركه كله"[1].

فالمرجئة وافقوا أهل السنة على أنه لا يخلد في النار من أهل التوحيد أحد، لكنهم كما قال شيخ الإسلام: "ظنوا أن هذا لا يكون إلا مع وجود كمال الإيمان، فقالوا: كل فاسق فهو كامل الإيمان، وإيمان الخلق متماثل لا متفاضل، وإنما التفاضل في غير الإيمان من الأعمـــــال" [2].

وأعظم المرجئة إرجاءً هم الجهمية، جعلوا مجرد تصديق القلب كافياً لكمال الإيمان، وبقية المرجئة يقولون بتصديق القلب واللسان[3]، والكرامية يقولون تصديق اللسان[4].

فهم سووا بين من يعبد آناء الليل والنهار مع الذي يعصي الله آناء الليل والنهار، ما دامت معصيته لا تخرجه من الدين، فكلٌّ منهما لا يعذب[5].

وقد ردّ الإمام أحمد على هؤلاء المرجئة رداً دقيقاً، فقال: " وأما من زعم أن الإيمان الإقرار، فما يقول في المعرفة؟ هل يحتاج إلى المعرفة مع الإقرار؟ وهل يحتاج إلى أن يكون مصدقا بما عرف؟ فإن زعم أنه يحتاج إلى المعرفة مع الإقرار، فقد زعم أنه من شيئين ، وإن

---

١) مجموع الفتاوى (471/12).

٢) مجموع الفتاوى (271/18).

٣) أنظر مجموع الفتاوى (510/7).

٤) مجموع الفتاوى (471/12).

٥) شرح الواسطية لابن عثيمين (232/2).

زعم أنه يحتاج أن يكون مقراً ومصدقاً بما عرف، فهو من ثلاثة أشياء، فإن جحد وقال: لا يحتاج إلى المعرفة والتصديق، فقد قال قولاً عظيماً، فكذلك العمل مع هذه الأشياء" [١].

قال شيخ الإسلام مبيناً قول الإمام أحمد: "الإمام أحمد عرف أصل قول المرجئة، وهو أن الإيمان لا يذهب بعضه ويبقى بعضه، فلا يكون إلا شيئاً واحداً، لا يكون ذا عددين أو ثلاثة؛ فإنه إذا كان له عدد أمكن ذهاب بعضه وبقاء بعضه، بل لا يكون إلا شيئاً واحداً، ولهذا صار أحمد يناظرهم بما يدل على أنه ليس شيئاً واحداً، فذكر أنه لا بد من المعرفة والتصديق مع الإقرار، فمن جحد المعرفة والتصديق فقد قال قولا عظيما" [٢].

وقد بين شيخ الإسلام جماع شبهة الطائفتين، فقال: "وجماع شبهتهم في ذلك أن الحقيقة المركبة تزول بزوال بعض أجزائها ، كالعشرة فإنه إذا زال بعضها لم تبق عشرة ، فالخوارج قالوا الإيمان مركب من أقوال وأعمال ظاهرة وباطنة، لزم زواله بزوال بعضها، ف يلزم أن يكون الرجل مؤمنا بما فيه من الإيمان ، كافرا بما فيه من الكفر ، وهذه الشبهة هي شبهة في من منع أن يكون في الرجل الواحد طاعة ومعصية ؛ لأن الطاعة جزءٌ من الإيمان والمعصية جزءٌ من الكفر".

ثم رد عليهم فقال :" وهؤلاء منتهى نظرهم أن يروا حقيقة مطلقة مجردة تقوم في أنفسهم، فيقولون الإيمان من حيث هو هو لا يجوز أن يتفاضل، ولو اهتدوا لعلموا أن الأمور الموجودة في الخارج عن الذهن متميزة بخصائصها، وأن الحقيقة المجردة المطلقة لا تكون إلا في الذهن، وأن الناس إذا تكلموا في التفاضل والاختلاف فإنما تكلموا في تفاضل الأمور الموجودة واختلافها، لا في تفاضل أمر مطلق مجرد في الذهن لا وجود له في الخارج، ومعلوم أن السواد مختلف، فبعضه أشد من بعض، وكذلك البياض وغيره من الألوان، وأما إذا قدرنا السواد المجرد المطلق الذي يتصوره الذهن فهذا لا يقبل الاختلاف والتفاضل لكن هذا هو في الأذهان لا في الأعيان" [٣].

---

١) السنة لأبي بكر الخلال (17/2).
٢) الإيمان (ص272) بتصرف
٣) مجموع الفتاوى (511/7، 512، 513).

المطلب الثاني: أقسام الناس في حكم الفاسق.

تمهيد

الفسق لغة: الخروج. يقال: فسق، أي: خرج[1].

وفي الاصطلاح: قال شيخ الإسلام: "الفسق تارة يكون بترك الفرائض، وتارة بفعل المحرمات"[2]،وقال ابن عبد البر[3]: "أصل الفسق الخروج عن طاعة الله"[4].

وقال ابن حجر[5]: "الفسوق الخروج عن طاعة الله ورسوله"[6].

أقسام الناس في الفاسق عند شيخ الإسلام

ذكر شيخ الإسلام أقسام الناس في الفاسق فقال:"الناس في الفاسق من أهل الملة ، مثل الزاني والسارق والشارب ونحوهم ثلاثة أقسام طرفان ووسط

أحد الطرفين من قال ليس بمؤمن بوجهٍ من الوجوه.....

الطرف الثاني قول من يقول إيمانهم باق كما كان لم ينقص.....

---

١) معجم تهذيب اللغة (2788/3)، لسان العرب (250/10).

٢) مجموع الفتاوى (251/7).

٣) يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري القرطبي المالكي، أبو عمر: ولد سنة (368هـ) من كبار حفاظ الحديث، مؤرخ، أديب، بحاثة ، يقال له حافظ المغرب، ولد بقرطبة، ورحل رحلات طويلة في غربي الأندلس وشرقيها ، وولي قضاء لشبونة وشنترين ، وتوفي بشاطبة سنة (463هـ). أنظر سير أعلام النبلاء (357/13)، وفيات الأعيان (66/7).

٤) التمهيد لابن عبد البر (174/12). و لم أقف على حد للفسق عند شيخ الإسلام

٥) أحمد بن علي بن محمد بن محمد بن علي بن أحمد الكناني، العسقلاني، المصري المولد، والمنشأ والدار، والوفاة، الشافعي، ويعرف بابن حجر محدث، مؤرخ، أديب، شاعر. ولد سنة773هـ. له من المؤلفات فتح الباري بشرح صحيح البخاري، الاصابة في تمييز الصحابة، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة،توفي سنة852هـ أنظر شذرات الذهب (395/9)،معجم المؤلفين (210/1).

٦) فتح الباري حديث رقم (48) (302/1).

والقول الوسط الذي هو قول أهل السنة والجماعة أنهم لا يسلبون الاسم على الإطلاق ولا يعطونه على الإطلاق فنقول هو مؤمن ناقص الإيمان، أو مؤمن عاص، أو مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته"[١].

القسم الأول: من يقول ليس بمؤمن بوجه من الوجوه

وهم الخوارج والمعتزلة وقول هؤلاء كما يقول شيخ الإسلام:يقولون "أنه ليس بمؤمن بوجه من الوجوه، ولا يدخل في عموم الأحكام المتعلقة باسم الإيمان"[٢].

فهم يخرجون الفاسق صاحب الكبيرة من الإيمان ويخلدونه في النار، ثم إن من هؤلاء من يقول هو كافر كاليهودي والنصراني وهو قول الخوارج، ومنهم من يقول نتزله منزلة بين المنزلتين وهي منزلة الفاسق، وليس هو بمؤمن ولا كافر وهذا قول المعتزلة[٣].

فالتقت المعتزلة مع الخوارج في الفاسقين بأنهم خرجوا من الملة، وأنهم مخلدون في النار، لكن اختلفوا في أحكامهم في الدنيا، فالخوارج كفروهم و المعتزلة أنزلوهم منزلة بين المنزلتين[٤]، كما سبق بيان ذلك.

وقد رد عليهم شيخ الإسلام فقال: "ومذهب هؤلاء باطل بدلائل كثيرة من الكتاب والسنة، إن الله سبحانه أمر بقطع يد السارق دون قتله، ولو كان مرتداً لوجب قتله"، ثم قال: "وأمر سبحانه أن يجلد الزاني والزانية مائة جلدة، ولو كانا كافرين لأمر بقتلهما، وأمر سبحانه بأن يجلد قاذف المحصنة ثمانين جلدة، ولو كان كافرا لأمر بقتله"[٥].

وقد دل الكتاب والسنة وإجماع الصحابة والتابعين لهم بإحسان على ذلك، قال الله تعالى ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَـٰتِلُواْ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓاْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَ

---

١) مجموع الفتاوى (7/670-673).

٢) مجموع الفتاوى (7/670).

٣) مجموع الفتاوى (7/670).

٤) أنظر شرح الواسطية من تقرير محمد بن إبراهيم (ص191).

٥) مجموع الفتاوى (7/482).

﴿أَخَوَيْكُمْ﴾ [١]، فسمَّاهم مؤمنين، وجعلهم أخوة مع الاقتتال، وبغي بعضهم على بعض، وقال تعالى ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾ [٢]، ولو اعتق مذنباً أجزأ عتقه بإجماع العلماء [٣].

القسم الثاني:من قال إيمانه باق لم ينقص

وهؤلاء هم المرجئة و الجهمية فيقولون إيمانهم باق كما كان لم ينقص، بناء على أن الإيمان هو مجرد التصديق والاعتقاد الجازم وهو لم يتغيّر وإنما نقصت شرائع الإسلام [٤].

وعلى هذا اعتبروا الفاسق مؤمناً كامل الإيمان لأنه أتى بالتصديق، وهذا قول مخالف للكتاب والسنة وإجماع السلف.

فقد أجمع السلف على أن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص، ومعنى ذلك أنه قول القلب وعمل القلب، ثم قول اللسان وعمل الجوارح، فأما قول القلب فهو التصديق الجازم بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، ويدخل فيه الإيمان بكل ما جاء به الرسول ﷺ [٥].

وقد سبق بيان فساد قولهم في أقسام الإيمان.

القسم الثالث: وهو القول الوسط بين هذين القولين

قال شيخ الإسلام :" وعلى هذا فالقول الوسط الذي هو قول أهل السنة والجماعة، أنهم لا يسلبون الاسم على الإطلاق، ولا يعطونه على الإطلاق، فنقول هو مؤمن ناقص الإيمان، أو مؤمن عاص أو مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته، ويقال: ليس بمؤمن حقا، أو ليس بصادق الإيمان" [٦]،ولهذا كان من قواعد أهل السنة أنهم لا يكفرون أحداً من أهل القبلة بذنبٍ، ولا يخرجونه من الإسلام بعمل، ودليل ذلك أنه ثبت الزنا والسرقة وشرب الخمر

---

١) سورة الحجرات الآية رقم (9-10).

٢) سورة النساء الآية رقم (92).

٣) مجموع الفتاوى (670/7).

٤) مجموع الفتاوى (671/7).

٥) مجموع الفتاوى (672/7).

٦) مجموع الفتاوى (673/7).

على أناس في عهد النبي ﷺ ولم يحكم فيهم حكم من كفر، ولا قطع الموالاة بينهم وبين المسلمين [1].

ولهذا أدلة سبق شيء منها ومن ذلك:

١) قول الله تعالى﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُوا۟ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا۟ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [2].

٢) قوله ﷺ ((**لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن**)) [3].

قال شيخ الإسلام: "فدل البيان على أن الإيمان المنفي عن هؤلاء الأعراب هو هذا الإيمان الذي نفي عن فساق أهل القبلة الذين لا يخلدون في النار بل قد يكون مع أحدهم مثقال ذرة من إيمان ونفى هذا الإيمان لا يقتضي ثبوت الكفر الذي يخلد صاحبه في النار.

وبتحقق هذا المقام يزول الاشتباه في هذا الموضع، ويعلم أن في المسلمين قسما ليس هو منافقا محضا في الدرك الأسفل من النار، وليس هو من المؤمنين الذين قيل فيهم ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَـٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَـٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَـٰلِكُمْ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَـٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّـٰدِقُونَ ﴿١٥﴾﴾ [4]، ولا من الذين قيل فيهم﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾ [5]، فلا فلا هـم منافقون ولا هم من هؤلاء الصادقين المؤمنين حقا ، ولا من الذين يدخلون الجنة بلا عقاب، بل لهم طاعات ومعاص وحسنات وسيئات، ومعهم من الإيمان ما لا يخلد معه في النار، وله من الكبائر ما يستوجب دخول النار ، وهذا القسم قد يسمّيه بعض الناس الفاسق الملي" [6].

---

١) مجموع الفتاوى (671/7).

٢) سورة النور الآية رقم (62).

٣) رواه البخاري حديث رقم (5578) كتاب الأشربة (باب: قول الله تعالى ﴿إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ﴾)، ورواه مسلم حديث رقم (57) كتاب الإيمان (باب: بيان نقصان الإيمان بالمعاصي).

٤) سورة الحجرات الآية رقم (14-15).

٥) سورة الأنفال الآية رقم (4).

٦) مجموع الفتاوى (478/7).

المطلب الثالث: أقسام المرتد.

تمهيد

الارتداد لغة: الرجوع، وسمي المرتد مرتداً؛ لأنه ردّ نفسه إلى الكفر [١].

وفي الاصطلاح: قال شيخ الإسلام: "المرتد كل من أتى بعد الإسلام من قول أو عمل بما يناقض الإسلام بحيث لا يجتمع معه" [٢].

وقال ابن قدامة[٣]: "المرتد هو الراجع عن دين الإسلام إلى الكفر" [٤].

وقال السعدي: "المرتد هو الذي كفر بعد إسلامه بقولٍ أو فعلٍ أو اعتقاد أو شكّ" [٥].

أقسام المرتد عند شيخ الإسلام:

ذكر شيخ الإسلام أقسام المرتد فقال: "المرتد قسمان: قسم تقبل توبته وهو من كفر فقط، وقسم لا تقبل توبته وهو من كفر ثم ازداد كفراً" [٦].

القسم الأول: من تقبل توبته.

وهذا في حق من ارتد ردة مجردة، فكفر بعد إيمانه، وقصد تبديل دينه الحق، وتغيّر اعتقاده، كما في قوله: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ وَأَصۡلَحُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ٨٩﴾[7]، وهذه هي سنة رسول الله ، وخلفائه الراشدين، وسائر الصحابة تبين هذا النوع من المرتد

---

١) معجم مقاييس اللغة (386/2)، لسان العرب (179/5) مادة: ردّ، ردد.

٢) الصارم المسلول (ص315).

٣) أبو محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي الحنبلي، إمام فقيه، ولد سنة (541هـ)، من مؤلفاته : المغني، وإثبات صفة العلو، وذم التأويل، ولمعة الاعتقاد، توفي سنة (620هـ). أنظر سير أعلام النبلاء (149/16)، ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب (281/3).

٤) المغني (264/12).

٥) الإرشاد إلى معرفة الأحكام (ضمن سلسلة السعدي) (ص556).

٦) الصارم المسلول (ص318).

٧) سورة آل عمران الآية رقم (89).

يُستتاب وتقبل توبته، وهذا من لم يوجد منه إلا تبديل الدين وتركه، وهو مظهرٌ لذلك، فإذا تاب قبلت توبته، كما فعل النبي ﷺ مع الحارث بن سويد وأصحابه [١]، وكـــما فعل أبو بكر ؓ مع الذين ارتدوا في عهده [٢]، وهم على فئات فمنهم من آمن بمتنبئ كذاب، ومنهم من لم يقر ببعض فرائض الإسلام التي أقرّ بها مع الرسول ﷺ، ومنهم من ترك الإسلام بالكلية.[٣]

القسم الثاني: من لا تقبل توبته.

وهؤلاء من ارتدوا ردة مغلظة، وانضم إلى كفرهم مزيد أذى وإضرار، وكانت ردتهم محاربة لله ورسوله بيدٍ أو لسان أو انتهك عرض الرسول ﷺ أو افترى عليه أو قتله، أو أصاب ما يبيح الدم من قتل مسلم، وقطع الطريق، وسب الرسولﷺ، فهم أعظم مفسدة من القسم الأول من وجهين:

الأول: كونه إضراراً زائداً.

الثاني: كونه قد يظن أو يقال أن الاعتقاد قد يكون سالماً معه فيصدر عمن لا يريد الانتقال من دين إلى دين، ويكون فساده أعظم من فساد الانتقال.

---

١) رواه النسائي حديث رقم (4068) كتاب تحريم الدم (باب: توبة المرتد) وصححه ابن حبان في صحيحه (329/10).

٢) رواه البخاري حديث رقم (6925) كتاب استتابة المرتدين (باب: قتل من أبى قبول الفرائض)، ورواه مسلم حديث رقم (20) كتاب الإيمان (باب: الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله).

٣) أنظر الصارم المسلول (ص253،254،255،256،316،317،318).

فهذا القسم دلت سنته ﷺ أنه لا تقبل توبتهم،كما أمر بقتل مقيس بن صبابه يوم الفتح من غير استتابة [١]، وأمر بقتـــل العرنيين [٢]، وأمر بقتل الأخطل [٣]، وأمر بقتل ابن أبي السـرح [٤].

وسابّ الرسول ﷺ من هذا القسم؛ لأن السبّ إيذاءٌ عظيم للمسلمين [٥].

وإن كان كلا القسمين قد قام الدليل على قتله، قال شيخ الإسلام: " وكلاهما قد قام الدليل على وجوب قتل صاحبها ، والأدلة الدالة على سقوط القتل بالتوبة لا تعمّ القسمين ، بل إنما تدلّ على القسم الأول ، كما يظهر لمن تأمل الأدلة على قبول توبة المرتد ، فيبقى القسم الثاني وقد قام الدليل على وجوب قتل صاحبه ، و لم يأت نصّ ولا إجماع لسقوط القتل عنه، والقياس متعذر مع وجود الفرق الجلي، فانقطع الإلحاق" [٦].

وقال في موضع آخر: " وإذا كان كذلك فالشارع إذا أمر بقبول توبة من قصد تبديل دينه الحق وغير اعتقاده وقوله، فإنما ذاك لأن المقتضى للقتل الاعتقاد الطارئ وإعدام الاعتقاد الأول، فإذا عاد ذلك الاعتقاد الإيماني وزال هذا الطارئ كان بمترلة الماء والعصير ، يتنجّس بتغيره ثم يزول التغير فيعود حلالاً ؛ لأن الحكم إذا ثبت بعلةٍ ز ال بزوالها، وهذا الرّجل لم يظهر مجرد تغير الاعتقاد حتى يعود معصوماً بعوده إليه ، وليس هذا القول من لوازم تغير الاعتقاد حتى يكون حكمه كحكمه ، إذ قد يتغير الاعتقاد كثيراً ولا يكون به أذى لله

---

١) رواه النسائي حديث رقم (4067) كتاب تحريم الدم (باب: الحكم في المرتد)،واجتباه، وصححه الألباني في صحيح الجامع (93/3).

٢) رواه البخاري حديث رقم (4192) كتاب المغازي (باب: قصة عكل وعرينة)، ورواه مسلم حديث رقم (1671) كتاب القسامة والمحاربين (باب: حكم المحاربين والمرتدين).

٣) رواه البخاري حديث رقم (4286) كتاب المغازي (باب: أين ركز النبي ﷺ الراية يوم الفتح)، ورواه مسلم حديث رقم (1357) كتاب الحج (باب: جواز دخول مكة بلا إحرام).

٤) رواه النسائي حديث رقم (4067) كتاب تحريم الدم (باب: الحكم في المرتد)،واجتباه ، وصححه الألباني في صحيح الجامع (93/3).

٥) أنظر الصارم المسلول (ص253،254،255،256،316،317،318).

٦) الصارم المسلول (ص253).

ورسوله وإضرار بالمسلمين يزيد على تغيير الاعتقاد ، ويفعله من يظن سلامة الاعتقاد وهو كاذب عند الله ورسوله والمؤمنين في هذه الدعوة والظن ، ومعلوم أن المفسدة في هذا أعظم من المفسدة في مجرد تغير الاعتقاد" [1].

التوبة التي يريدها شيخ الإسلام هي التوبة الظاهرة في الدنيا فعدم قبول توبته أي أنه يقام عليه الحد في الدنيا أما في الآخرة فإنه إذا تاب في الدنيا فتوبته مقبولة.

أدلة التقسيم:

١) قال تعالى﴿ كَيْفَ يَهْدِي ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ وَشَهِدُوٓا۟ أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقٌّ وَجَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿٨٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٨٩﴾﴾ [2].

٢) وقال تعالى﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ ثُمَّ ٱزْدَادُوا۟ كُفْرًا لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلضَّآلُّونَ ﴿٩٠﴾﴾ [3].

قال شيخ الإسلام: " فأخبر سبحانه أن من ازداد كفراً بعد إيمانه لن تقبل توبته ، وفرق بين الكفر المزيد كفراً، والكفر المجرد في قبول التوبة من الثاني دون الأول ، فمن زعم أن كلّ كفرٍ بعد الإيمان تقبل منه التوبة فقد خالف نصّ القرآن" [4].

وقال في موضع آخر: " الآية إنما دلّت على قبول توبة من كفر بعد إيمانه إذا لم يزدد كفراً، أما من كفر وزاد على الكفر فلم تدل الآية على قبول توبته" [5].

فظاهر الأدلة التفريق بين القسمين.

---

١) الصارم المسلول (ص255،256).

٢) سورة آل عمران الآية رقم (86-89).

٣) سورة آل عمران الآية رقم (90).

٤) الصارم المسلول (ص254).

٥) الصارم المسلول (ص317).

أنواع الردة عند شيخ الإسلام:

ذكر شيخ الإسلام أنواع الردة فقال: "الردة قد تكون عن أصل الإسلام ... ، وقد تكون الردة عن بعض الدين" [1].

النوع الأول: الردة عن أصل الإسلام.

فهذه الردة تكون في أصل الدين، وقد بين شيخ الإسلام أن هذا مثل الغالية من النصيرية[2] والإسماعلية، ثم قال: "فهؤلاء مرتدون باتفاق أهل السنة والشيعة" [3].

فهؤلاء أظهروا الإسلام وأبطنوا الكفر فارتدوا عن الدين وخرجوا من الإسلام، قال شيخ الإسلام: "وقد يحصل لبعضهم إيمان ونفاق، ويكون مرتداً عن أصل الدين أو بعض شرائعه، إما ردة نفاق وإما ردة كفر" [4].

النوع الثاني: الردة عن بعض الدين.

فتكون الردة عن بعض الدين لا عن أصله، ويكون إيمانهم ببعض الشرع وكفرهم ببعض، وبين شيخ الإسلام ممن يصدر هذا فقال: "كحال أهل البدع الرافضة وغيرهم" [5].

فيحصل من أهل البدع ردة عن بعض الدين، إما لهوى وإما لجهل، وإما لتأويل فاسد، وسيأتي الكلام في ذلك عن تفصيل ذلك في المباحث القادمة.

---

١) منهاج السنة النبوية (197/4).

٢) النصيرية: فرقة من غلاة الشيعة، قالوا بظهور الحق على صورة علي والأئمة من بعده، وهم أكفر من اليهود والنصارى. أنظر الملل والنحل: (220/1).

٣) منهاج السنة النبوية (197/4).

٤) مجموع الفتاوى (53/18).

٥) منهاج السنة النبوية (197/4).

المطلب الرابع: أقسام المظهرين للإسلام

المظهرون للإسلام وتصديق الرسول سواء في عهد الرسول ﷺ، أو في من لحقهم على صنفين.

أقسام المظهرين للإسلام عند شيخ الإسلام:

ذكر شيخ الإسلام أقسام المظهرين للإسلام فقال: "وليس في الكتاب والسنة المظهرون للإسلام إلا قسمان مؤمن ومنافق"[١].

القسم الأول: المؤمن.

وسبق الكلام عن الإيمان وما يطلق عليه، وعن الإيمان المطلق، وعن مطلق الإيمان، والفرق بينهما، لكن المقصود هاهنا هو المؤمن الذي آمن ظاهراً وباطناً، و لم يخالف ظاهره باطنه.

وقد ذكر شيخ الإسلام في دخول بعض المبتدعة في الإيمان، وأنهم مؤمنون، وإن كان بعضهم أخطأ، لكن لا يحمل خطأهم على كفرهم، فقال: " لا يجعل أحدٌ بمجرد ذنب يذنبه ولا ببدعة ابتدعها ولو دعا الناس إليها كافراً في الباطن إلا إذا كان منافقاً، فأما من كان في قلبه الإيمان بالرسول وما جاء به ، وقد غلط في بعض ما تأوله من البدع ، فهذا ليس بكافر أصلا، والخوارج كانوا من أظهر الناس بدعة وقتالا للأمة وتكفيرا لها ، و لم يكن في الصحابة من يكفرهم لا على بن أبي طالب ولا غيره ، بل حكموا فيهم بحكمهم في المسلمين الظالمين". ثم قال: "وكذلك سائر الاثنتين وسبعين فرقة، من كان منهم منافقاً فهو كافرٌ في الباطن، ومن لم يكن منافقاً بل كان مؤمناً بالله ورسوله في الباطن لم يكن كافراً في الباطن، وان أخطأ في التأويل كائناً ما كان خطؤه ، وقد يكون في بعضهم شعبة من شعب النفاق ، ولا يكون فيه النفاق الذي يكون صاحبه في الدرك الأسفل من النار ، ومن قال إن الثنتين وسبعين فرقه كل واحد منهم يكفر كفراً ينقل عن الملة ، فقد خالف الكتاب والسنة وإجماع الصحابة" [٢].

---

١) مجموع الفتاوى (217/7).

٢) مجموع الفتاوى (218).

القسم الثاني: المنافق.

وهم من أظهر الإيمان وأبطن الكفر وقد وقع في ذلك بعض أهل البدع المنتسبين للإسلام، قال شيخ الإسلام مبيناً أصحاب هذا النوع من النفاق: "وفي المظهرين للإسلام منافقون والمنافقون في الدرك الأسفل من النار تحت اليهود والنصارى فلهذا كان ما ذم الله به اليهود والنصارى قد يوجد في المنافقين المنتسبين للإسلام الذين يظهرون الإيمان بجميع ما جاء به الرسول ويبطنون خلاف ذلك كالملاحدة الباطنية فضلا عمن يظهر الإلحاد منهم"[1].

فبين شيخ الإسلام أن هؤلاء المظهرين للإسلام ممن ابتدعوا من الدين ما لم يأذن به الله، وخرجوا عن دين الله ﷻ، وعن شرعه، مع إظهارهم أنهم مؤمنون لكن هم في الحقيقة منافقون، فهم أظهروا الإيمان وأبطنوا الكفر فكانوا من توعدهم الله ﷻ بالدرك الأسفل من النار، وهم كمن قال ﷻ فيهم ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾﴾[2]، وقال سبحانه ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ﴿١﴾﴾[3].

فهم أظهروا الإسلام وأبطنوا الكفر وقد وقع في ذلك كثير من الفلاسفة والمتكلمين ونحوهم من أصحاب البدع، وهم من يطلق عليهم لفظ الزنديق، قال شيخ الإسلام: "الزنديق في عرف هؤلاء الفقهاء هو المنافق الذي كان على عهد النبي ﷺ وهو أن يظهر الإسلام ويبطن غيره سواء أبطن ديناً من الأديان كدين اليهود والنصارى أو غيرهم أو كان معطلا جاحدا للصانع والمعاد والأعمال الصالحة"[4].

---

١) الجواب الصحيح (65/1).

٢) سورة البقرة الآية رقم (8-9).

٣) سورة المنافقون الآية رقم (1).

٤) مجموع الفتاوى (471/7).

وهذا الزنديق كما قال شيخ الإسلام: "إنما يقتله من يقتله إذا ظَهَرَ منه أنه يكتم النفاق، قالوا: ولا تعلم توبته؛ لأن غاية ما عنده أنه يظهر ما كان يظهر، وقد كان يظهر الإيمان وهو منافق" [١].

---

١) مجموع الفتاوى (215/7).

المطلب الخامس: أقسام الناس عموماً في موقفهم من الدين.

لما جاء الله ﷻ بهذا الدين فأعزّ من اتبعه، وأذلّ من خالفه، كان للناس عدة مواقف من هذا الدين.

أقسام الناس عموماً في موقفهم من الدين عند شيخ الإسلام:

ذكر شيخ الإسلام أقسام الناس عموماً في موقفهم من الدين فقال: "أصحاب دنيا محضة، وهم معرضون عن الآخرة، وأصحاب دين فاسد ... ، والقسم الثالث وهم أهل الدين الصحيح" [(1)].

القسم الأول: أصحاب دنيا محضة.

فهم إنما يريدون الدنيا لها يعملون، لا همّ لهم إلا هي، ينظرون إلى مصالحهم الدنيوية على أنها غايتهم ونهاية أملهم، فما يعود عليهم في دنياهم عملوا له، وما لا ينفعهم في دنياهم هم عنه معرضون.

أما عن الدين فهم أبعدُ الناس عنه لا يعلمون عنه شيئاً، ولا يلقون له بالاً، وهم مع ذلك عن الآخرة معرضون غير موقنين بها.

القسم الثاني: أصحاب دين فاسد.

قال شيخ الإسلام مبيناً هؤلاء: "وهم الكفار والمبتدعة الذين يتديّنون بما لم يشرعه الله من أنواع العبادات والزهادات" [(2)].

فلهم همّ في الدين وطلب له، لكنهم أخطئوا طريقه إما بكفرٍ أو ببدعة، وهؤلاء أعظم بعداً عن الدين، وإن كان أهل البدع متفاوتون في قربهم وبعدهم من الدين بحسب إتباعهم للكتاب والسنة وبعدهم عنها، فيتدينون بما يرونه حقا لكنه دين فاسد.

---

١) مجموع الفتاوى (623/10).

٢) مجموع الفتاوى (624/10).

القسم الثالث: وهم أهل الدين الصحيح.

قال شيخ الإسلام مبيناً هؤلاء: "وهم أهل الإسلام المتمسكون بالكتاب والسنة والجماعة" [1].

فهم قصدوا دين الله ﷻ وأرادوا ثوابه واتبعوا رسله، ولم يكن همهم إلا إتباع الحق بما جاء عن الله ﷻ، وعن رسوله ﷺ، فلا يخرجون عنها، فبها يتعبدون وبها يدينون، فهم على الحق وهم الموعودون بثوابه وجنته.

---

١) مجموع الفتاوى (624/10).

الفصل الثاني
التقسيمات المتعلقة في الذنوب والبدع لدى شيخ الإسلام ابن تيمية

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: الذنوب

المبحث الثاني: البدع

المبحث الأول وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: أقسام الذنوب.

المطلب الثاني: أنواع الظلم.

المطلب الثالث: أقسام الخطأ في الاعتقاد.

المطلب الرابع : أنواع المغفرة.

المطلب الأول: أقسام الذنوب.

تمهيد

الذنب في اللغة الجرم[1]. والذنوب اسم جنس[2].

وفي الاصطلاح قال الجرجاني: "الذنب ما يحجبك عن الله"[3].

أقسام الذنوب عند شيخ الإسلام:

ذكر شيخ الإسلام أقسام الذنوب فقال: "الذنوب تنقسم إلى كبائر وصغائر"[4].

القسم الأول: الكبائر

وقد عرّف ابن عباس –رضي الله عنهما– الكبيرة بقوله: هو "كلّ ذنبٍ خُتم بلعن أو غضب أو عذاب أو نار فهو كبيرة"[5].

وقال شيخ الإسلام: " الكبائر هي ما فيها حد في الدنيا أو في الآخرة، كالزنا والسرقة والقذف التي فيها حدود في الدنيا، وكالذنوب التي فيها حدود في الآخرة، وهو الوعيد الخاص مثل الذنب الذي فيه غضب الله ولعنته ، أو جهنم ومنع الجنة ، كالسحر واليمين الغموس والفرار من الزحف وعقوق الوالدين وشهادة الزور و شرب الخمر ونحو ذلك "، ثم قال: "و أكبر الكبائر الإشراك بالله، ثم قتل النفس، ثم الزنا، كما قال تعالى ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ﴾[6]، والزنا أعظم من شرب الخمر إذا استويا في القدر، مثل من يزنى مرة ويشرب الخمر مرة ، فأما إذا قدر أن رجلا زنا مرة وآخر مدمن على شرب الخمر ، فهذا قد يكون أعظم من ذاك ، كما أنه لو زنا مرة وتاب كان خيرا من المصرّ على شرب الخمر ، وكذلك شارب الخمر إذا دعا غيره فيكون عليه إثم

---

١) معجم مقاييس اللغة (361/2) لسان العرب (58/5).

٢) مجموع الفتاوى (693/11).

٣) التعريفات (ص113). و لم أقف على حد عام للذنوب عند شيخ الإسلام.

٤) مجموع الفتاوى (496/12).

٥) تفسير الطبري (2270/3)، معالم التنزيل للبغوي (333/1).

٦) سورة الفرقان الآية رقم (68).

شربه، وعليه قسط من إثم الذين دعاهم إلى الشرب ، وكذلك إذا اقترن بالشرب سماع المزامير، والشرب على بعض الصور المحرمة ونحو ذلك، فهذا مما يتغلظ فيه الشرب.

والذنب يتغلظ بتكراره وبالإصرار عليه وبما يقترن به من سيئات أخر، وكذلك لو قدرنا أن الزاني زنا وهو خائفٌ من الله، وجلٌ من عذابه، والشارب يشرب لاهياً غافلاً لا يراقب الله كان ذنبه أعظم من هذا الوجه ، فقد يقترن بالذنوب ما يخففها ، وقد يقترن بها ما يغلظها، كما أن الحسنات قد يقترن بها ما يعظمها، وقد يقترن بها ما يصغرها" [١].

فكلّ ما توعد الله ﷻ أو رسوله ﷺ مرتكبه بلعنة أو غضب أو عذاب أو نار فهو من كبار الذنوب.

فبيّن شيخ الإسلام أن الكبائر نفسها متفاوتة ليست على حدٍّ سواء، بل بعضها أكبر من بعض حتى تنتهي الذنوب إلى أكبر الكبائر وهو الشرك.

وذكر شيخ الإسلام حداً للكبيرة فقال: "كل ذنبٍ ختم بلعنةٍ أو غضبٍ أو نارٍ فهي من الكبائر" [٢]، ثم ذكر أن هذا الضابط يسلم من القوادح الواردة على غيره.

وذكر بعض العلماء ضابطاً للكبيرة، فقال: "كل ذنبٍ نصّ على كبره أو عظمه أو توعّد عليه بالعقاب في الآخرة أو ختم بالغضب أو اللعنة، أو تعلق عليه حد أو شُددّ النكير عليه، أو وصف فاعله بالفسق فهو كبيرة" [٣].

القسم الثاني: الصغائر.

المأثور عن ابن عباس –رضي الله عنهما–، وأحمد بن حنبل، أن الصغيرة هي ما دون الحدّين، حدّ الدنيا، وحدّ الآخرة [٤].

---

١) مجموع الفتاوى (11/258-259-260).

٢) مجموع الفتاوى (11/650).

٣) مرعاة المفاتيح للمباركفوري (1/121).

٤) تفسير الطبري (9/7707).

وقد ذكر شيخ الإسلام أن هذا الحدّ هو أمثل الأقوال، ثم قال: "وهذا الضابط يسلم من القوادح الواردة على غيره" [1].

وقال قتادة: "اللمم ما كان بين الحدّين لم يبلغ حدّ الدنيا ولا حدّ الآخرة" [2].

وقد بين شيخ الإسلام المراد بكونها ليس فيها حد في الدنيا ولا وعيد في الآخرة فقال : "ومعنى قول القائل ليس فيها حدّ في الدنيا ولا وعيد في الآخرة، أي: وعيد خاص كالوعيد بالنار والغضب واللعنة ؛ وذلك لأن الوعيد الخاص في الآخرة كالعقوبة الخاصة في الدنيا ، فكما أنه يفرق في العقوبات المشروعة للناس بين العقوبات المقدرة بالقطع والقتل وجلد مائة أو ثمانين، وبين العقوبات التي ليست بمقدرة وه ي التعزيز ، فكذلك يفرق في العقوبات التي يعزّر الله بها العباد في غير أمر العباد بها بين العقوبات المقدرة كالغضب واللعنة و النار وبين العقوبات المطلقة" [3].

وهذه الذنوب تكفر عن صاحبها باجتناب الكبائر والأعمال الصالحة، كما قال تعالى ﴿إِن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾﴾ [4].

وهذه الذنوب باعتبار أحكامها وما يترتب عليها.

---

١) مجموع الفتاوى (651/11).

٢) تفسير الطبري (7708/9).

٣) مجموع الفتاوى (650/11).

٤) سورة النساء الآية رقم (31).

أدلة التقسيم:

١) قال تعالى:﴿إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾﴾[١].

قال القرطبي: "لما نهى تعالى في هذه السورة عن آثام هي كبائر، ووَعَدَ على اجتنابها التخفيف من الصغائر، دلّ على أن الذنوب كبائر وصغائر، وعلى هذا جماعة من أهل التأويل، وجماعة من الفقهاء"[٢].

٢) قال ﷺ ((**الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة كفارات لما بينهن إذا اجتنبت الكبائر**))،[٣] فنصّ هذا الحديث على أن هذه العبادات مكفرات لما دون الكبائر وهي الصغائر، فدلّ على أن الذنوب كبائر وصغائر.

٣) إجماع السلف على أن الذنوب تنقسم إلى صغائر وكبائر، قال ابن القيم: "والذنوب تنقسم إلى صغائر وكبائر بنصّ القرآن والسنة وإجماع سلف الأمة وبالاعتبار"[٤].

وقال النووي: "وذهب جماهير من السلف والخلف من جميع الطوائف إلى انقسام المعاصي إلى صغائر وكبائر، وهو مروي عن ابن عباس –رضي الله عنهما–، وقد تظاهر على ذلك دلائل من الكتاب والسنة واستعمال سلف الأمة وخلفها"[٥].

أنواع الذنوب عند شيخ الإسلام باعتبار ما تتعلق به:

ذكر شيخ الإسلام أن الذنوب باعتبار ما تتعلق به تنقسم إلى ثلاثة أقسام:

الأول: ما فيه ظلمٌ للناس، كالظلم بأخذ أموال الناس بالباطل، ومنع الحقوق، والحسد ونحو ذلك.

---

١) سورة النساء الآية رقم (31).

٢) الجامع لأحكام القران للقرطبي (151/5).

٣) رواه مسلم حديث رقم (233) كتاب الطهارة (باب: الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة كفارات).

٤) مدارج السالكين (553/1)، وأنظر الداء والدواء (ص289).

٥) شرح صحيح مسلم للنووي (270/2).

الثاني: ما فيه ظلمٌ للنفس فقط كشرب الخمر والزنا إذا لم يتعد ضررهما.

الثالث: ما يجتمع فيه الأمران مثل أن يأخذ المتولي أموال الناس يزني بها، ويشرب بها الخمر، ومثل أن يزني بمن يرفعه على الناس بذلك السبب، ويضرهم، كما يقع ممن يحب بعض النساء والصبيان" [1].

أنواع الذنوب باعتبار العمل عند شيخ الإسلام:

ذكر شيخ الإسلام أنواع الذنوب من حيث العمل فقال: "المعاصي تنقسم إلى ترك مأمور، وفعل محظور" [2].

النوع الأول: ترك المأمور.

وهو أن يترك أمراً طلب منه الشارع فعله، فيخالف الأمر بترك ذلك الفعل، والفعل إما أن يكون مسنوناً أو يكون واجباً، والمقصود هنا ما كان واجباً.

النوع الثاني: فعل المحظور.

فيرتكب ما نهى الله عنه ورسوله سواء نهى كراهة أو نهي تحريم، فيكون ذنبه بحسب مخالفته.

أنواع ذنوب المشركين عند شيخ الإسلام:

ذكر شيخ الإسلام أنواع ذنوب المشركين فقال: "وقد جمع سبحانه في هذه السورة — سورة الأعراف- وفي الأنعام وفي غيرهما، ذنوب المشركين في نوعين، أحدهما: أمرٌ بما لم يؤمر الله به، كالشرك،... ، والثاني: تحريم ما لم يحرّمه الله" [3].

النوع الأول: الأمر بما لم يأمر به الله، والنهي عما لم ينهى عنه.

فالمشركون أمروا بما لم يأمر به الله،فشرعوا من الدين ما لم يأذن به الله وذلك كفعلهم الفاحشة، قال الله ﷻ ﴿وَإِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً قَالُوا۟ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا﴾ [4]،فكان ذنبهم

---

١) الفتاوى العراقية (276/1).

٢) مجموع الفتاوى (320/30).

٣) مجموع الفتاوى (87/1).

٤) سورة الأعراف الآية رقم (28).

أمرهم بما لم يأمر الله به ومن ذلك زعمهم أن الله أمرهم بالتعرية عند الطواف قال الطبري:"وإذا فعل الذين لا يؤمنون بالله الذين جعل الله الشياطين لهم أولياء قبيحا من الفعل وهو الفاحشة وذلك تعريهم للطواف بالبيت وتجردهم له قالوا وجدنا آباءنا فنحن نفعل مثلهم، والله أمرنا به فنحن نتبع أمره فأمر نبيه أن يقول لهم إن الله لا يأمر بالفحشاء ؛ أي لا يأمر خلقه بقبائح الأفعال ومساويها"[١].

النوع الثاني: تحريم ما لم يحرمه الله.

فهم حرّموا على أنفسهم بعض الطيبات، و لم ينهى الله عنها، قال تعالى﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾[٢]،كما أنهم نهو عمّا لم ينهى الله عنه، وذلك كتحريمهم على أنفسهم بعض المطاعم، قال تعالى﴿وَقَالُوا هَذِهِ أَنْعَامٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لَا يَطْعَمُهَا إِلَّا مَنْ نَشَاءُ﴾[٣]، وهذين النوعين من الذنوب هما أصل الضلال، قال شيخ الإسلام: "وأصل الضلال في أهل الأرض إنما نشأ من هذين، إما اتخاذ دين لم يشرعه الله، أو تحريم ما لم يحرمه الله" [٤].

ثم بين شيخ الإسلام أن ابتداع العبادات الباطلة كالشرك ونحوه هو الغالب على النصارى ومن ضاهاهم من منحرفة المتعبدة والمتصوفة ، وابتداع التحريمات الباطلة هو الغالب على اليهود ومن ضاهاهم من منحرفة المتفقهه"[٥].

---

١) تفسير الطبري (3479/5).

٢) سورة الأعراف الآية رقم (32).

٣) سورة الأنعام الآية رقم (138).

٤) اقتضاء الصراط المستقيم (86/2).

٥) مجموع الفتاوى (87/1).

المطلب الثاني: أنواع الظلم

تمهيد

قال شيخ الإسلام: "الظلم هو وضع الشيء في غير موضعه"[١]، وهو جماعُ السيئات[٢].

أنواع الظلم عند شيخ الإسلام:

ذكر شيخ الإسلام أن الظلم نوعان: ظلمٌ مطلق، وظلمٌ مقيد[٣].

النوع الأول: الظلم المطلق.

قال شيخ الإسلام: "الظلم المطلق يتناول الكفر ، ولا يختص بالكفر ، بل يتناول ما دونه أيضا وكل بحسبه كلفظ الذنب والخطيئة والمعصية فإن هذا يتناول الكفر والفسوق والعصيان"[٤].

وأعظم الظلم الشرك بالله [٥]، قال ابن رجب: "الظلم وضع الشيء في غير موضعه، وأعظم ذلك أن يوضع المخلوق في مقام الخالق ويجعل شريكاً له في الربوبية والإلهية"[٦].

وقال ابن القيم: "الظلم المطلق التام هو الشرك الذي هو وضع العبادة في غير موضعها"[٧].

وقد بيّن الله ﷻ عظم الشرك فقال ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾[٨].

---

١) مجموع الفتاوى (507/8)، وانظر معجم مقاييس اللغة (468/3)، وانظر التعريفات للجرجاني (ص148).

٢) مجموع الفتاوى (86/1).

٣) مجموع الفتاوى (78/7).

٤) مجموع الفتاوى (72/7).

٥) مجموع الفتاوى (201/10).

٦) فتح الباري لابن رجب (132/1).

٧) الصواعق المرسلة (ص1057).

٨) سورة لقمان الآية رقم (13).

ولهذا لما نـــزل قـــولهﷻ ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ﴾ [١]، شقّ ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ وقالوا: أيّنا لم يلبس إيمانه بظلم؟! فقال النبيﷺ ((**إنه ليس بذاك ألا تسمع إلى قول لقمان لابنه** ﴿إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ﴾)) [٢]، قال شيخ الإسلام: " والذين شقّ ذلك عليهم ظنوا أن الظلم المشروط هو ظلم العبد نفسه وأنه لا يكون الأمن والاهتداء إلا لمن يظلم نفسه فشق ذلك عليهم فبين النبي ﷺ لهم ما دلهم على أن الشرك ظلم في كتـــاب الله" [٣].

النوع الثاني: الظلم المقيد، وهو نوعان:

النوع الأول: ظلم العبد نفسه، وهذا يدخل فيه جميع الذنوب، قال شيخ الإسلام: "ظلم الإنسان لنفسه يدخل فيه كل ذنب كبير أو صغير" [٤]،كما أنها تقع على نوعين

الأول: ترك ما ينفع النفس وهي محتاجة إليه، وهو عدم فعل الحسنات.

الثاني: فعل ما يضرها.[٥] وهو فعل السيئات [٦].

قال شيخ الإسلام: "والنفس إنما تحتاج من العبد إلى فعل ما أمر الله به، وإنما يضرها فعل ما نهى الله عنه، فظلمها لا يخرج عن ترك حسنة مأمور بها، أو فعل سيئة منهي عنها" [٧].

النوع الثاني: ظلم الغير.

وهو التعدي عليهم، وسلب حقوقهم، وفعل ما يضرهم، قال شيخ الإسلام: "وإضرار العبد في دينه ودنياه هو ظلم الناس، فالظلم للغير يستحق صاحبه العقوبة في الدنيا لا محالة، لكفّ ظلم الناس بعضهم على بعض، ثم هو نوعان:

---

١) سورة الأنعام الآية رقم (82).

٢) رواه البخاري حديث رقم (4776) كتاب التفسير، (باب: قـــوله تعالى ﴿إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ﴾)، ورواه مسلم حديث رقم (124) كتاب الإيمان (باب: صدق الإيمان وإخلاصه).

٣) مجموع الفتاوى (80/7).

٤) مجموع الفتاوى (79/7).

٥) جامع الرسائل (45/4) وانظر مجموع الفتاوى (334/14).

٦) مجموع الفتاوى (334/14).

٧) جامع الرسائل (45/4).

الأول: منع ما يجب لهم من الحقوق وهو التفريط.

الثاني: فعل ما يضرهم وهو العدوان، [1] وهذا أيضا نوعان، نوع يحصل بغير رضا صاحبه، كقتل نفسه وأخذ ماله وانتهاك عرضه، ونوع يكون برضا صاحبه كمعاملة الربا والميسر [2].

أقسام العمل من حيث نهي الشارع وكراهة المظلوم عند شيخ الإسلام

قسم شيخ الإسلام العمل من حيث نهي الشارع وكراهة المظلوم إلى أربعة أقسام:

القسم الأول : ما نهي عنه الشارع وكرهه المظلوم.

القسم الثاني : ما نهي عنه الشارع وإن لم يكرهه المظلوم.

القسم الثالث : ما كرهه صاحبه ولكن الشارع رخص فيه ، فهذا ليس بظلم .

القسم الرابع :ما لم يكرهه صاحبه ولا الشارع ؛ وإنما نهي الشارع عن ما يرضى به صاحبه إذا كان ظلما ؛ لأن الإنسان جاهل بمصلحته فقد يرضى مالا يعرف أن عليه فيه ضررا[3].

وقد ذكر شيخ الإسلام قاعدة شريفة ينبغي التفطن لها، فقال: " وهو أن ما عاد من الذنوب بإضرار الغير في دينه ودنياه فعقوبتنا له في الدنيا اكبر، وأما ما عاد من الذنوب بمضرة الإنسان في نفسه فقد تكون عقوبته في الآخرة أشد، وان كنا نحن لا نعاقبه في الدنيـــا" [4].

وقد وعد الله ﷻ من سلم من الظلم بالأمن، قال شيخ الإسلام: " فمن سلم من أجناس الظلم الثلاثة كان له الأمن التام والاهتداء التام ، ومن لم يسلم من ظلمه نفسه كان له الأمن والاهتداء مطلقاً بمعنى أنه لابد أن يدخل الجنة كما وعد بذلك في الآية الأخرى، وقد هداه

---

١) مجموع الفتاوى (373/10).

٢) مجموع الفتاوى (79/20).

٣) مجموع الفتاوى (80/20).

٤) مجموع الفتاوى (373/10).

إلى الصراط المستقيم الذي تكون عاقبته فيه إلى الجنة ويحصل له من نقص الأمن والاهتداء بحسب ما نقص من إيمانه بظلمه نفسه" [١].

أدلة التقسيم:

قال الله ﷻ ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ﴾[٢]، فأطلق الله ﷻ لفظ الإيمان مع أنهم ظلموا، وهذا يدل على أن الظلم هنا ليس هو المراد به الكفر، إنما هو الظلم الأدنى من ذلك، وهذه الآية ظاهرة الدلالة أن الظلم نوعان.

ومن الأدلة على ذلك أقوال السلف ومن ذلك:

١) قال عطاء[٣]: " ظلم دون ظلم"[٤].

٢) قال المروزي: "ظلمٌ ينقل عن الملة، وظلمٌ لا ينقل"[٥].

٣) بوّب البخاري –رحمه الله– (باب: ظلم دون ظلم) [٦].

فكلهم ذكروا أن الظلم ليس نوعاً واحدا، بل هو متفاوت، منه ما يخرج من الملة، ومنه ما لا يخرج، وقد نص الإمام المروزي –رحمه الله– على ذلك بالظلم الناقل عن الملة وهو ظلم الكفر والشرك، وأما ما لا ينقل عن الملة فهو سائر الذنوب والمعاصي، ففرَّق بين الناقل وغير الناقل".

---

١) مجموع الفتاوى (81/7).

٢) سورة الأنعام الآية رقم (82).

٣) عطاء بن أبي رباح ، الإمام شيخ الإسلام، مفتي الحرم، أبو محمد القرشي مولاهم المكي، يقال: ولاؤه لبني جمح، كان من مولدي الجند، ونشأ بمكة، ولد في أثناء خلافة عثمان ، كان من أوعية العلم، انتهت فتوى أهل مكة إليه ، وكان ثقة، فقيها، عالما، كثير الحديث ، قال الواقدي: عاش ثمانيا وثمانين سنة، مات سنة خمس عشرة وم ائة. أنظر سير أعلام النبلاء (423/5)، وأنظر تاريخ مدينة دمشق (366/40).

٤) تعظيم قدر الصلاة (522/2).

٥) تعظيم قدر الصلاة (523/2).

٦) صحيح البخاري (ص30).

المطلب الثالث: أقسام الخطأ في الاعتقاد.

تمهيد

الخطأ لغة: ضدّ الصواب [١].

والخطأ ما ليس للإنسان فيه قصدٌ،[٢] أوأن يقصد الشيء فيصيب غيره [٣].

والاعتقاد: قال شيخ الإسلام: "هو الإقرار بالتصديق والالتزام" [٤]، وهو من أفعال القلوب وافتعال من عقد القلب على الشيء إذا لم يزل عنه، وأصل العقد ربط الشيء بالشيء، فالاعتقاد ارتباط القلب بما انضوى عليه ولزمه [٥].

وقال ابن حزم [٦]: "الاعتقاد هو استقرار حكم بشيء ما في النفس، أما عن برهان أو إتباع من صح برهان قوله، فيكون علماً يقينا ولا بدّ" [٧].

وقال شيخ الإسلام: "إذ الاعتقاد في أصول الدين للأمور الخبرية الثابتة التي لا تتجدد أحكامها، مثل أسماء الله وصفاته نفياً وإثباتاً ليست مما يحدث سبب العلم به أو سبب وجوبه، بل العلم بها ووجوب ذلك ما يشترك فيه الأولون والآخرون" [٨].

---

١) أنظر لسان العرب (127/4) الصحاح في اللغة (59/1).

٢) التعريفات (ص104). و لم أقف عل حد للخطأ عند شيخ الإسلام

٣) الفروق في اللغة (ص68).

٤) مجموع الفتاوى (16/22).

٥) المطلع على أبواب المقنع لابن أبي الفتح البعلي (ص408).

٦) هو علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري، أبو محمد، عالم الأندلس في عصره، ولد بقرطبة سنة (384هـ) كان فقيها حافظا مجتهدا، وقد انتقد كثيرا من الفقهاء والعلماء فتمالؤوا على بغضه، ووشوا به إلى الملوك، فرحل إلى بادية لبلة من بلاد الأندلس وتوفى بها سنة (456هـ) أنظر: سير أعلام النبلاء (373/13)، لسان الميزان (488/5).

٧) الإحكام لابن حزم (39/1).

٨) الفتاوى الكبرى (349/6-350).

أقسام الخطأ في الاعتقاد عند شيخ الإسلام:

وقد ذكر شيخ الإسلام أن الخطأ في الاعتقاد ينقسم إلى قسمين مغفور وغير مغفور [١].

القسم الأول: الخطأ المغفور.

وهذا من قبيل الاجتهاد السائغ الذي يريد به صاحبه الحق؛ لكنه أخطأه، فهذا كما قال شيخ الإسلام يلحق بالمخطئين في مسائل الإيجاب والتحريم [٢].

فمن أخبر عن الله ﷻ أو عن رسوله ﷺ في شيء من أمور الاعتقاد أو غيرها، فإنه يعرض خبره على الكتاب والسنة،فما وافق الكتاب والسنة وجب قبوله، وما خالف الكتاب والسنة كان مردوداً وإن كان صاحبه من أولياء الله، وكان مجتهداً معذوراً فيما قاله له أجر على اجتهاده؛ لكنه إذا خالف الكتاب والسنة كان مخطئاً وكان من الخطأ المغفور له إذا كان صاحبه قد اتقى الله ما استطاع، قال ﷻ ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ [٣] [٤]، وذلك يعم الخطأ في المسائل الخبرية القولية، والمسائل العملية [٥].

ويوجد هذا النوع في أهل البدع قال شيخ الإسلام: "ومن تدبر هذا علم أن كثيراً من أهل الأهواء والبدع قد يكون مخطئاً جاهلاً عن بعض ما جاء به الرسول ﷺ" [٦].

وقال في موضع آخر: "ومن أهل البدع من يكون فيه إيمانا باطنا وظاهرا، لكن فيه جهل وظلم حتى أخطأ ما أخطأ من السنة، فهذا ليس بكافر ولا منافق، ثم قد يكون منه عدوان وظلم يكون به فاسقا أو عاصيا، وقد يكون مخطئا متأولاً مغفوراً له خطؤه، وقد يكون مع ذلك معه من الإيمان والتقوى ما يكون معه ولاية الله بقدر إيمانه" [٧].

---

١) مجموع الفتاوى (496/12).

٢) مجموع الفتاوى (496/12).

٣) سورة التغابن الآية رقم (16).

٤) أنظر مجموع الفتاوى (208/11).

٥) مجموع الفتاوى (229/3).

٦) مجموع الفتاوى (472/7).

٧) مجموع الفتاوى (3/ 354).

القسم الثاني: الخطأ غير مغفور.

وهذا يكون فيما لا يستساغ فيه الاجتهاد، كمن بلغته رسالة النبي ﷺ فلم يؤمن به فهو كافر لا يقبل منه الاعتذار بالاجتهاد لظهور أدلة الرسالة وأعلام النبوة [١]، أو يكون القول كفراً كما قال شيخ الإسلام: "إن القول قد يكون كفراً كمقالات الجهمية الذين قالوا إن الله لا يتكلم ولا يرى في الآخرة" [٢].

فالمخطئ في بعض مسائل الاعتقاد إما أن يلحق بالكفار من المشركين وأهل الكتاب مع مباينته لهم في عامة الأصول أو لا يلحق [٣].

فأهل البدع كما أن كثيراً منهم قد يكون منهم مخطئاً جاهلاً ضالاً فإنه قد يكون منهم من هو منافق زنديق يظهر خلاف ما يبطن [٤].

قال شيخ الإسلام: "وإذا كان كذلك فأهل البدع فيهم المنافق الزنديق فهذا كافر ويكثر مثل هذا في الرافضة والجهمية" [٥].

ففي مثل هذا لا ينسب معيّن إلى تكفير أو تفسيق أو معصية إلا إذا علم أنه قد قامت عليه الحجة الرسالية التي من خالفها كان كافراً تارة وفاسقاً تارة وعاصياً تارة أخرى [٦].

---

١) مجموع الفتاوى (496/12).
٢) مجموع الفتاوى (619/7).
٣) أنظر مجموع الفتاوى (496/12).
٤) أنظر مجموع الفتاوى (472/7).
٥) مجموع الفتاوى (353/3).
٦) أنظر مجموع الفتاوى (229/3).

المطلب الرابع :أنواع المغفرة

تمهيد

الغفر لغة: الستر [١].

واصطلاحاً قال شيخ الإسلام: "المغفرة هي وقاية شر الذنب ،ومن الناس من يقول الغفر الستر، ويقول إنما سمى المغفرة والغفار لما فيه من معنى الستر ، وتفسير اسم الله الغفّار بأنه الستّار هذا تقصيرٌ في معنى الغفر، فإن المغفرة معناها وقاية شرّ الذنب بحيث لا يُعاقب على الذنب، فمن غُفر ذنبه لم يُعاقب عليه ، وأما مجرد ستره فقد يعاقب عليه في الباطن، ومن عوقب على الذنب باطناً أو ظاهراً فلم يغفر له، وإنما يكون غفران الذنب إذا لم يعاقب عليه العقوبة المستحقّة بالذنب" [٢].

وقال الطبري: "الغفران والمغفرة الستر من الله على ذنوب من غفر له، وصفحه له عن هتك سره بها في الدنيا والآخرة، وعفوه عن العقوبة عليه" [٣].

أنواع المغفرة عند شيخ الإسلام:

ذكر شيخ الإسلام أنواع المغفرة فقال: "المغفرة العامة لجميع الذنوب نوعان أحدهما المغفرة لمن تاب ...، النوع الثاني من المغفرة بمعنى تخفيف العذاب" [٤].

النوع الأول: المغفرة لمن تاب

قال شيخ الإسلام كما في قوله ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا۟ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ

---

١) معجم تهذيب اللغة (2679/3)، معجم مقاييس اللغة (385/4) مادة: غفر.

٢) مجموع الفتاوى (317/10).

٣) تفسير الطبري (1653/2).

٤) أنظر مجموع الفتاوى (185/18-192).

﴿ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ٥٤﴾[1]، فهذا السياق مع سبب نزول الآية يبيّن أن المعنى لا ييأس مذنبٌ من مغفرة الله ولو كانت ذنوبه ما كانت، فإن الله سبحانه وتعالى لا يتعاظمه ذنب أن يغفره لعبده التائب، وقد دخل في هذا العموم الشرك وغيره من الذنوب، فإن الله تعالى يغفر ذلك لمن تاب منه "، ثم قال: " وهذا القول الجامع بالمغفرة لكل ذنب للتائب منه ، كما دل عليه القرآن والحديث، وهو الصواب عند جماهير أهل العلم، وإن كان من الناس من يستثنى بعض الذنوب"[2].

فمن تاب من ذنب أياً كان غفر الله له، بل قد يبدله له سيئاته حسنات، قال سبحانه ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ﴾[3]، فلا يبقى للتائب مع التوبة ذنب.

النوع الثاني: المغفرة بمعنى تخفيف العذاب.

قال شيخ الإسلام: "النوع الثاني من المغفرة العامة التي دلّ عليها قوله ((**يا عبادي إنكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر لكم الذنوب جميعا**))[4].

المغفرة بمعنى تخفيف العذاب أو بمعنى تأخيره إلى أجل مسمى وهذا عام مطلقا ، ولهذا شفع النبي ﷺ في أبي طالب مع موته على الشرك فنقل من غمرة من نار حتى جعل في ضحضاح من نار في قدميه نعلان من نار يغل ي منهما دماغه ، قال ((**ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار**))[5]، وعلى هذا المعنى دلّ قوله سبحانه

١) سورة الزمر الآية رقم (53-54).

٢) مجموع الفتاوى (186/18).

٣) سورة الفرقان الآية رقم (70).

٤) رواه مسلم حديث رقم (2577) كتاب البر والصلة والآداب (باب: تحريم الظلم).

٥) رواه البخاري حديث رقم (3883) كتاب مناقب الأنصار (باب: قصة أبي طالب)، ورواه مسلم حديث رقم (209) كتاب الإيمان (باب: شفاعة النبي ﷺ لأبي طالب والتخفيف عنه).

﴿وَلَوۡ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُواْ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهۡرِهَا مِن دَآبَّةٖ﴾[1]، وقال تعالى ﴿وَلَوۡ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلۡمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيۡهَا مِن دَآبَّةٖ﴾[2]، وقال تعالى﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ﴾" [3] [4].

فمغفرة الله هنا هو تأخير للعذاب أو تخفيفه عنه كما هو حاصل لأبي طالب، وهذه مغفرة مقيدة في الدنيا، وأما الآخرة فالمذنب من المسلمين إذا لم يتب فهو تحت المشيئة، إن شاء عفا عنه وإن شاء عذبه، ثم أدخله الجنة، وأما الكافر والمشرك فهو خالد مخلد في نار جهنم أبداً لا يغفر الله له ولا يرحمه.

---

١) سورة فاطر الآية رقم (45).

٢) سورة النحل الآية رقم (61).

٣) سورة الشورى الآية رقم (30).

٤) مجموع الفتاوى (192/18).

المبحث الثاني في البدع وفيه أحد عشر مطلبا

المطلب الأول: أنواع البدع.

المطلب الثاني: أنواع أهل البدع الذين ذمهم الله ورسوله.

المطلب الثالث:أنواع الزيادة.

المطلب الرابع:مراتب الأدعية البدعية.

المطلب الخامس: أقسام الأعياد الزمانية والمكانية.

المطلب السادس: أقسام الفناء.

المطلب السابع: أقسام الإشارات.

المطلب الثامن:أقسام الزهد.

المطلب التاسع: أقسام الأحوال.

المطلب العاشر: أقسام التشبه بغير المسلمين.

المطلب الحادي عشر: أنواع الفساد في دين الله عَزَّ وَجَلَّ.

المطلب الأول: أنواع البدع

تمهيد

البدعة لغة ابتداء الشيء ووضعه لا عن مثال [1].

وفي الاصطلاح: قال شيخ الإسلام: "البدعة ما خالفت الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة من الاعتقادات والعبادات" [2].

وقال في موضع آخر: "البدعة هي ما لم يشرعه الله ورسوله، وهو ما لم يأمر به أمر إيجاب ولا استحباب" [3].

وقال الشاطبي:"البدعة طريقة في الدين مخترعة تضاهي الشرعية، يقصد بالسلوك عليها المبالغة في التعبد لله سبحانه" [4].

أنواع البدع عند شيخ الإسلام

ذكر شيخ الإسلام أنواع البدع فقال: "البدع نوعان، نوع في الأقوال والاعتقادات، ونوع في الأفعال والعبادات" [5].

النوع الأول: بدع الأقوال والاعتقادات

فبدع الاعتقادات تكون باعتقاد خلاف الحق الذي أرسل الله به رسوله، وأنزل به كتابه [6]، فالجهمية مثلاً يتعبدون الله بعقيدتهم ويعتقدون أنهم مترهون لله، والمعتزلة كذلك والأشاعرة يتعبدون بما هم عليه من عقيدة باطلة [7]، فكل أصحاب الفرق والمذاهب والأهواء مبتدعون بدعاً اعتقادية.

---

١) معجم مقاييس اللغة (209/1)، وأنظر معجم تهذيب اللغة (293/1) مادة: بدع.

٢) مجموع الفتاوى (346/18).

٣) مجموع الفتاوى (107/4).

٤) الاعتصام للشاطبي (ص24).

٥) الفتاوى الكبرى (142/2).

٦) مدارج السالكين (408/1).

٧) شرح الواسطية لابن عثيمين (315/2).

وبدع الأقوال تتبع الاعتقادات فإذا اعتقد الإنسان شيئاً تكلم به ودعا إليه، وهذا النوع يخاف على العلماء منه، قال شيخ الإسلام: "فالمنتسبون إلى العلم والنظر وما يتبع ذلك يخاف عليهم إذا لم يعتصموا بالكتاب والسنة من بدع الأقوال والاعتقادات" [١].

النوع الثاني: بدع الأفعال والعبادات

قال شيخ الإسلام في بدع الأفعال والعبادات "هي ما فعل بغير دليل شرعي كاستحباب ما لم يحبه الله، وإيجاب ما لم يوجبه الله، وتحريم ما لم يحرمه الله ، فلابدّ مع الفعل اعتقاد يخالف الشريعة، وإلا فلو عمل الإنسان فعلاً محرماً يعتقد تحريمه لم يقل: إنه فعل بدعة"[٢].

وقال السعدي في البدع العملية: "هي أن يشرع في الدين عبادة لم يشرعها الله ورسوله، وكل عبادة لم يأمر بها الشارع أمر إيجاب أو استحباب فإنها من البدع العملية" [٣].

وهذا يخاف فيه على أهل العبادة، قال شيخ الإسلام: "المنتسبون إلى العبادة والنظر والإرادة وما يتبع ذلك، يخاف عليهم إذا لم يعتصموا بالكتاب والسنة من بدع الأفعال والعبادات". [٤]

والبدع العملية تكون على أنواع:

الأول: التعبد بما لم يأذن الله أن يعبد به البتة، كتعبد جهلة المتصوفة بآلات اللهو والرقص والصفق والغناء وأنواع المعازف وغيرهما ، مما هم فيه مضاهئون فعل الذين قال الله تعالى فيهم﴿ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً ﴾ [٥].

الثاني: التعبد بما أصله مشروع، ولكن وضع في غير موضعه، ككشف الرأس مثلا هو في الإحرام عبادة مشروعة، فإذا فعله غير المحرم في الصوم أو في الصلاة أو غيرها بنية التعبد كان

---

١) الفتاوى الكبرى (142/2).

٢) منهاج السنة النبوية (557/4).

٣) الفتاوى السعدية (ص49).

٤) الفتاوى الكبرى (142/2).

٥) سورة الأنفال الآية رقم (35).

بدعة محرمة، وكذلك فعل سائر العبادات المشروعة في غير ما تشرع فيه كالصلوات النفل في أوقات النهي، وكصيام يوم الشك، وصيام العيدين، ونحو ذلك[1].

الثالث: بدعة في أصل العبادة بإحداث عبادة ليس لها أصل في الشرع، كإحداث صلاة غير مشروعة، أو صيام غير مشروع، أو عيد غير مشروع، كأعياد الموالد وغيرها.

الرابع: ما يكون في الزيادة على العبادة المشروعة، كما لو زيد ركعة في صلاة الظهر أو العصر مثلاً.

الخامس: ما يكون في صفة أداء العبادة بأن تؤدى على صفة غير مشروعة، وذلك كأداء الأذكار المشروعة بأصوات جماعية مطربة.

السادس: ما يكون بتخصيص وقت للعبادة المشروعة لم يخصصه الشرع كتخصيص يوم النصف من شعبان وليلته بصيام وقيام، فإن أصل الصيام والقيام مشروع، ولكن تخصيصه بوقت من الأوقات يحتاج إلى دليل[2].

---

١) أعلام السنة المنشورة للحكمي (ص117-118).

٢) الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد للفوزان (ص366).

المطلب الثاني: أنواع أهل البدع الذين ذمهم الله ورسوله.

بعد الكلام على البدع وأنواعها نذكر أنواع أهل البدع الذين ذمهم الله ورسوله، كما ذكر ذلك شيخ الإسلام.

أنواع أهل البدع عند شيخ الإسلام

ذكر شيخ الإسلام أنواع أهل البدع فقال: "أهل البدع الذين ذمّهم الله ورسوله نوعان: عالم بالحقّ يتعمد خلافه، والثاني جاهل متبع لغيره"[1].

النوع الأول: العالم بالحق يتعمد خلافه.

فهو يعلم الحق بما بلغه من علم، لكنه مخالف للحق متبع لهواه، قال شيخ الإسلام في هؤلاء: "يبتدعون ما يخالف كتاب الله، و يقولون هو من عند الله، إما أحاديث مفتريات، و إما تفسير و تأويل للنصوص باطل ، و يعضدون ذلك بما يدعونه من الرأي و العقل ، و قصدهم بذلك الرياسة و المأكل ، فهؤلاء يكتبون الكتاب بأيديهم ، ليشتروا به ثمنا قليلا ، فويل لهم مما كتبت أيديهم من الباطل، و ويل لهم مما يكسبون من المال على ذلك، و هؤلاء إذا عورضوا بنصوص الكتب الإلهية ، و قيل لهم هذه تخالفكم ، حرفوا الكلم عن مواضعه بالتأويلات الفاسدقال الله تعالى﴿ أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ ﴾[2] "[3]، فبدعتهم في مخالفة كتاب الله والافتراء عليه، إما بقولٍ مفترى ، وإما بتأويل فاسد يعضدونه بما يسمونها أمورا عقلية.

النوع الثاني: الجاهل المتبع لغيره

فلا علم عندهم إنما هم متبعون لغيرهم، قال شيخ الإسلام: " فهؤلاء الأميون الذين لا يعلمون الكتاب إلا أماني و إن هم إلا يظنون ، فعن ابن عباس و قتادة في قوله ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ﴾[4] أي: غير عارفين بمعاني الكتاب يعلمونها حفظا و قراءة بلا فهم ، و لا يدرون ما

---

١) مجموع الفتاوى (433/17).

٢) سورة البقرة الآية رقم (75).

٣) مجموع الفتاوى (433/17).

٤) سورة البقرة الآية رقم (78).

فيه[١]، و قوله ﴿إِلَّآ أَمَانِيَّ﴾ أي: تلاوة فهم، لا يعلمون فقه الكتاب ، إنما يقتصرون على ما يسمعونه يتلى عليهم، أو ما يتلوه الأميون أنفسهم" [٢]، فهم جهلة وإن قرؤوا لأنهم يقرأون بلا فهم.

فالله ﷻ ذمّ كلام النوعين الذين لا يعرفون الكتاب إلا تلاوة دون فهم معانيه، كما ذمّ الذين يحرفون الكلم عن مواضعه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون، وهذه هي حال أهل البدع فهم إما رجل يحرّف الكلم عن مواضعه، ويتكلم برأيه ويؤوله بما يضيفه إلى الله فهؤلاء يكتبون الكتاب بأيدهم، ويقولون هو من عند الله، ويجعلون تلك المقالات التي ابتدعوها هي مقالة الحق وهي التي جاء بها الرسول، والتي كان عليها السلف ونحو ذلك ثم يحرفون النصوص التي تعارضها، فهؤلاء جنس اليهود وهذا يوجد في كثير من الملاحدة.

وأما الذين قصدهم إتباع الرسول باطناً وظاهراً، وغلطوا فيما كتبوه، وتأولوه، فهؤلاء ليسوا من جنسهم لكن قد وقع بسبب غلطهم ما هو من جنس ذلك الباطل، وإما رجل مقلد أميّ لا يعرف من الكتاب إلا ما يسمعه منهم، أو ما يتلوه هو، ولا يعرف إلا أمانيّ، وقد ذمه الله على ذلك [٣].

---

١) تفسير الطبري (508/1).

٢) مجموع الفتاوى (434/17).

٣) مجموع الفتاوى (438/17-439) بتصرف يسير، وأنظر النبوات (497/1).

المطلب الثالث: أنواع الزيارة.

تمهيد

المزار لغة موضع الزيارة [1].

ويريد شيخ الإسلام بالزيارة هنا زيارة قبور الأنبياء وسائر المؤمنين[2].

أنوع الزيارة عند شيخ الإسلام:

يذكر شيخ الإسلام أنواع الزيارة فيقول: "زيارة قبور المؤمنين على وجهين: زيارة شرعية، وزيارة بدعية" [3].

النوع الأول: الزيارة الشرعية.

قال شيخ الإسلام: " فالزيارة الشرعية السلام على الميت والدعاء له بمترلة الصلاة على جنازته كما ثبت في الصحيح أن النبي ﷺ كان يعلم أصحابه إذا زاروا القبور أن يقولوا : ((**السلام عليكم أهل الديار من المسلمين والمؤمنين ، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون ، ويرحم الله المستقدمين منا ومنكم والمستأخرين، نسأل الله لنا ولكم العافية ، اللهم لا تحرمنا أجرهم ولا تفتنا بعدهم واغفر لنا ولهم**)) [4][5].

وهذه الزيارة عبادة لله ﷻ وطاعة لرسوله ﷺ وتوحيد لله وإحسان إلى عباده وعمل صالح من الزائر يثاب عليه [6].

وهي زيارة تحقق مقصد الشرع، كما أنها خالية من كل بدعة عقدية وعملية، وقصد بها ترقيق القلوب والدعاء للميت، وخلت من السفر وشدّ الرحال [7].

---

١) الصحاح في اللغة (345/2).

٢) التوسل والوسيلة (ص119).

٣) التوسل والوسيلة (ص119).

٤) رواه مسلم حديث رقم (974) كتاب الجنائز (باب: ما يقال عند دخول المقابر).

٥) مجموع الفتاوى (334/24).

٦) مجموع الفتاوى (263/6).

٧) منهج ابن تيمية في تقرير عقيدة التوحيد (228/1).

أنواع الزيارة الشرعية عند شيخ الإسلام:

يقسم الزيارة الشرعية إلى نوعين:

الأول: مباحة؛ وهي زيارة القبور حزناً على الميت، لقرابته أو صداقته، إذا لم تصاحبها النياحة والندب، فإن صاحبها شيء من ذلك حرمت، وهذا النوع يختلف بحسب ما يقترن به، وإن كان جنسها مباحاً.

الثاني: مسنونة؛ وهي زيارة القبور من أجل الدعاء للميت، وهي في حكم الصلاة عليـــه [1].

النوع الثاني: الزيارة البدعية:

قال شيخ الإسلام: " وأما الزيارة البدعية؛ فهي التي يقصد بها أن يطلب من الميت الحوائج، أو يطلب منه الدعاء والشفاعة، أو يقصد الدعاء عند قبره لظن القاصد أن ذلك أجْوَبُ للدعاء، فالزيارة على هذه الوجوه كلها مبتدعة لم يشرعها النبي، ولا فعلها الصحابة لا عند قبر النبي ولا عند غيره، وهي من جنس الشرك وأسباب الشرك" [2].

وقال في موضع آخر: "وأما الزيارة البدعية فهي زيارة أهل الشرك من جنس زيارة النصارى الذين يقصدون دعاء الميت والاستغاثة به وطلب الحوائج عنده، فيصلون عند قبره ويدعون به" [3].

فكل هذا لم يكن معروفا في القرون الفاضلة قال شيخ الإسلام: "وأما السفر إلى قبور الأنبياء والصالحين فهذا لم يكن موجوداً في الإسلام في زمن مالك ، وإنما حدث هذا بعد القرون الثلاثة، قرن الصحابة والتابعين وتابعيهم، فأما هذه القرون التي أثنى عليها رسول الله ﷺ فلم يكن هذا ظاهراً فيها، ولكن بعدها ظهر الإفك والشرك" [4].

---

١) اقتضاء الصراط المستقيم (293/2)، الرد على الأخنائي (ص89).

٢) التوسل والوسيلة (ص49).

٣) الفتاوى العراقية (109/1).

٤) مجموع الفتاوى (385/27).

وقد أطال شيخ الإسلام في بيان تحريم شدّ الرحال إلى زيارة القبور وغيرها دون المساجد الثلاثة في مواضع ليس هنا محل لبسطها[1].

لكن تبين أن الزيارة البدعية على وجهين:

الأول: ما هو شرك أو من جنس الشرك وأسبابه، كطلب الحوائج من الميت أو طلب الدعاء منه والشفاعة.

الثاني: ما هو محرم، وهو قصد زيارة القبور للصلاة والدعاء عنده، وهذا من اتخاذ القبور مساجد[2].

---

١) أنظر الرد على الأخنائي (ص88-95).

٢) أنظر التوسل والوسيلة (ص49).

المطلب الرابع: مراتب الأدعية البدعية.

تمهيد

الدعاء من أجل العبادات وأفضلها يبدي العبد فيها رغبته وحاجته إلى خالقه جل في علاه، وهو أنواع كما سبق بيان ذلك.

لكن هذا الدعاء جعل منه الجهال طرقاً بدعية، نهى عنها الله ﷻ، ورسوله ﷺ،وقد ذكر شيخ الإسلام أن هذه الأدعية تكون على مراتب.

مراتب الأدعية البدعية عند شيخ الإسلام:

ذكر شيخ الإسلام مراتب الأدعية البدعية فقال: "المراتب في هذا الباب ثلاث:

أحدهما: أن يدعوا غير الله وهو ميت أو غائب ....

الثانية: أن يقال للميت أو الغائب من الأنبياء أو الصالحين أدع الله لي ....

الثالثة: أن يقال أسألك بفلان أو بجاه فلان عندك"[1].

المرتبة الأولى: دعاء غير الله سواء كان ميتا أو غائبا

قال شيخ الإسلام مبينا هذه المرتبة:" أن يدعوا غير الله وهو ميت أو غائب سواء كان من الأنبياء والصالحين أو غيرهم، فيقول يا سيدي فلان أغثني أو أنا أستجير بك أو أستغيث بك أو انصرني على عدوى ونحو ذلك ، فهذا هو الشرك بالله ، والمستغيث بالمخلوقات قد يقضى الشيطان حاجته أو بعضها ، وقد يتمثل له في صورة الذي استغاث به فيظن أن ذلك كرامة لمن استغاث به، وإنما هو شيطان دخله وأغواه لما أشرك بالله، كما يتكلم الشيطان في الأصنام وفى المصروع وغير ذلك"[2].

وقال في موضع آخر: " أن يسأله حاجته، مثل: أن يسأله أن يزيل مرضه، أو مرض دوابه، أو يقضي دينه، أو ينتقم له من عدوه، أو يعافي نفسه وأهله ودوابه، ونحو ذلك مما لا يقدر عليه إلا الله ﷻ فهذا شركٌ صريح، ويجب أن يستتاب صاحبه فإن تاب وإلا قتل.

---

١) مجموع الفتاوى (350/1-356).

٢) مجموع الفتاوى (350/1).

وإن قال: أنا أسأله لكونه أقرب إلى الله مني، ليشفع لي في هذه الأمور؛ لأني أتوسل إلى الله به، كما يتوسل إلى السلطان بخواصه وأعوانه، فهذا من أفعال المشركين والنصارى، فإنهم يدعون أنهم يتخذون أحبارهم ورهبانهم شفعاء يستشفعون بهم في مطالبهم، وكذلك أخبر الله عن المشركين أنهم قالوا ﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾"[١][٢].

وهذه المرتبة من أعظم الأدعية البدعية، كما قال شيخ الإسلام: "هو أصل عبادة الأصنام واتخاذ الشركاء مع الله تعالى في الصدر الأول من القرون الماضية"[٣].

المرتبة الثانية: سؤال الميت أو الغائب الدعاء

فيقال للميت أو الغائب من الأنبياء والصالحين ادع الله لي أو ادع لنا ربك أو اسأل الله لنا وهذه المرتبة أخف مما قبلها وهي مما قد يفضي إلى الشرك ، قال شيخ الإسلام مبينا هذا النوع : "وهو أن لا تطلب منه الفعل، ولا تدعوه، ولكن تطلب أن يدعو لك،كما تقول للحيّ: ادع لي، وكما كان الصحابة -رضوان الله عليهم-، يطلبون من النبيّ ﷺ الدعاء، فهذا مشروع للحيّ، وأما الميت من الأنبياء والصالحين وغيرهم فلم يشرع لنا أن نقول: ادع لنا، ولا اسأل لنا ربك، ولم يفعل هذا أحدٌ من الصحابة والتابعين، ولا أمر به أحد من الأئمة، ولا ورد فيه حديث، بل الذي ثبت في الصحيح إنهم لما أجدبوا زمن عمر رضي الله عنه استسقى بالعباس وقال: "اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فأسقنا، فيُسقون"[٤].

ولم يجيئوا إلى قبر النبي ﷺ قائلين يا رسول الله ادع الله لنا واستسق لنا، ونحن نشكو إليك مما أصابنا ونحو ذلك، لم يفعل ذلك أحد من الصحابة قط، بل هو بدعة، ما أنزل الله بها من سلطان"[٥]، فلو كان التوسل بالنبي وهو ميت مشروع لتوسلوا به. وهذه المرتبة

---

١) سورة الزمر الآية رقم (3).

٢) مجموع الفتاوى (72/27).

٣) مجموع الفتاوى (350/1)

٤) رواه البخاري حديث رقم (1010)، كتاب الاستسقاء، (باب: سؤال الناس الإمام إذا قحطوا).

٥) مجموع الفتاوى (76/27).

محرمة قال شيخ الإسلام : "فهذا أيضاً لا يستريب عالم أنه غير جائز وأنه من البدع التي لم يفعلها أحد من سلف الأمة وان كان السلام على أهل القبور جائزا ومخاطبتهم جائزة ، لكن ليس من المشروع أن يطلب من الأموات الدعاء ولا غيره، فقد ثبت عن ابن عمر وأنس –رضي الله عنهم– أنهم كانوا يسلمون على النبي ﷺ فإذا أرادوا الدعاء استقبلوا القبلة يدعون الله تعالى[1]، و لم يتنازع الأئمة الأربعة في أنه عند الدعاء إنما يستقبل القبلة لا الحجرة فعلم أنه لا يجوز أن يسأل الميت شيئاً لا يطلب منه أن يدعوا الله ولا غير ذلك، و لا يجوز أن يشتكي إليه شيء من مصائب الدنيا والدين، فهذا كله يُفضي إلى الشرك"[2].

المرتبة الثالثة: أن يقال أسألك بفلان أو بجاه فلان عندك ونحو ذلك ، قال شيخ الإسلام مبينا هذه المرتبة: "وهو أن يقول: اللهم بجاه فلان عندك، أو ببركة فلان، أو بحرمة فلان عندك: افعل بي كذا وكذا، فهذا يفعله كثيرٌ من الناس؛ لكن لم ينقل عن أحدٍ من الصحابة والتابعين وسلف الأمة أنهم كانوا يدعون بمثل هذا الدعاء، و لم يبلغني عن أحد من العلماء في ذلك ما أحكيه، إلا ما رأيت في فتاوى الفقيه أبي محمد بن عبد السلام، فإنه أفتى: أنه لا يجوز لأحد أن يفعل ذلك، إلا للنبيّ ﷺ، إن صح الحديث في النبيّ ﷺ"[3]، هذه المرتبة أخف مما قبلها، قال شيخ الإسلام: "وهذا جاء عن أبي حنيفة وأبي يوسف أنه منهي عنه، و هذا ليس بمشهور عن الصحابة بل عدلوا عنه إلى التوسل بدعاء العباس وغيره"[4].

وقد ذكر شيخ الإسلام في موضع آخر مرتبة رابعة

الرابع: أن يظن أن الدعاء عند القبر مستجاب أو أنه أفضل من الدعاء عند المسجد فيقصد زيارته والصلاة عنده لأجل طلب حوائجه فهذا من المنكرات المبتدعة باتفاق

---

١) وقد بحثت عن هذا الأثر و لم أقف عليه.

٢) مجموع الفتاوى (351/1-354). بتصرف.

٣) مجموع الفتاوى (83/27)، وأنظر زيارة القبور والاستنجاد بالمقبور (ص35)، قاعدة جليلة (ص231)، تلخيص كتاب الإستغاثه (114/1) الدرر السنية (424/1)، المستدرك على الفتاوى (22/1).

٤) مجموع الفتاوى (356/1) بتصرف يسير.

المسلمين وهي محرمه وليس في ذلك نزاع بين أئمة المسلمين [1]، إن كان لا يعتقد شيئا من ذلك فإنه ينهى عنه أيضاً؛ لأنه وسيلة إلى الشرك "ولذلك كره العلماء كمالك وغيره أن يقوم الرجل عند قبر النبي ﷺ يدعو لنفسه وذكروا أن هذا من البدع" [2].

١) أنظر اقتضاء الصراط المستقيم (197/2)، وانظر إغاثة اللهفان (334/1)، وانظر الدرر السنية (424/1).

٢) الرد على البكري (332/1).

المطلب الخامس: أقسام الأعياد الزمانية والمكانية.

تمهيد

الأعياد في اللغة جمع عيد [1]، وسمي عيداً لأنه يعود كل عام [2].

وفي الاصطلاح قال شيخ الإسلام: "العيد اسم جنس يدخل فيه كل يوم أو مكان لهم فيه اجتماع، وكل عمل يحدثونه في هذه الأمكنة والأزمنة" [3].

وقال في موضع آخر: "العيد اسم لما يعود من الاجتماع العام على وجه معتاد عائداً إما بعود السنة أو بعود الأسبوع أو الشهر ونحو ذلك" [4].

وقال ابن القيم: "العيد ما يعتاد مجيئه وقصده من مكان أو زمان" [5].

أقسام الأعياد الزمانية والمكانية عند شيخ الإسلام:

وقد قسم شيخ الإسلام الأعياد الزمانية المبتدعة إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: ما لم تعظمه الشريعة أصلاً.

القسم الثاني: ما جرى فيه حادثة من غير أن يوجب ذلك جعله موسماً.

القسم الثالث: ما هو معظم في الشريعة لكن يحدث فيه ما يعتقد أن له فضيلة وهو ليس كذلك [6].

ثم ذكر الأعياد المكانية فقال: "وأما الأعياد المكانية فتنقسم أيضاً كالزمانية إلى ثلاثة أقسام:

---

١) أنظر الصحاح في اللغة (117/2).

٢) معجم مقاييس اللغة (183/4).

٣) اقتضاء الصراط المستقيم (5/2).

٤) اقتضاء الصراط المستقيم (496/1).

٥) إغاثة اللهفان (298/1).

٦) أنظر اقتضاء الصراط المستقيم (121/2-129).

القسم الأول: ما لا خصوص له في الشريعة.

القسم الثاني: ما له خصيصة لا تقتضى قصده للعبادة فيه.

القسم الثالث: ما يشرع العبادة فيه لكن لا يتخذ عيداً"[١].

فنبدأ القول في الأعياد الزمانية.

الأول: ما لا خصوص له في الشريعة.

قال شيخ الإسلام في هذا القسم: "يومٌ لم تعظمه الشريعة أصلاً و لم يكن له ذكر في السلف، ولا جرى فيه ما يوجب تعظيمه مثل أول خميس من رجب، وليلة تلك الجمعة وتسمى الرغائب؛ فإن تعظيم هذا اليوم والليلة إنما حدث في الإسلام بعد المائة الرابعة، وروى فيه حديث موضوع باتفاق العلماء"[٢].

فمثل هذا إنما نشأ عن بدعة أو جهل لم يكن في أصله معظماً في الإسلام ولا حثَّ عليه ولا فضَّله على ما سواه من الأيام.

الثاني: ما جرى فيه حادثة من غير أن يوجب ذلك جعله موسماً.

قال شيخ الإسلام: "ما جرى فيه حادثة كما كان يجرى في غيره من غير أن يوجب ذلك جعله موسماً، ولا كان السلف يعظمونه كثامن عشر من ذي الحجة الذي خطب فيه النبي ﷺ بغدير خم[٣]، فاتخاذ هذا اليوم عيداً محدث لا أصل له، ومثل هذا ابتداع مولد النبي ﷺ فكل هذا لم يفعله السلف ولو كان خيراً لسبقونا إليه، فإنهم كانوا أشد محبّة للرسول ﷺ وتعظيماً له منّا وهم على الخير أحرص"[٤].

---

١) اقتضاء الصراط المستقيم (155/2).

٢) أنظر اقتضاء الصراط المستقيم (121/2).

٣) رواه مسلم حديث رقم (2408) كتاب فضائل الصحابة (باب: من فضائل عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه).

٤) أنظر اقتضاء الصراط المستقيم (132/2) بتصرف

فإذا حدث في يوم من الأيام شيء عظيم لا يكون ذلك مجيزاً لجعل ذلك اليوم معظماً أو أن يخص بشيء من العبادة ونحوها بشيء لم تخصصه الشريعة.

الثالث: ما هو معظم في الشريعة لكن الناس يزيدون فيه على المشروع.

قال شيخ الإسلام: "ما هو معظم في الشريعة كيوم عاشوراء ويوم عرفة ويومي العيدين والعشر الأواخر من شهر رمضان والعشر الأول من ذي الحجة وليلة الجمعة ويومها والعشر الأول من المحرم ونحو ذلك من الأوقات الفاضلة فهذا الضرب قد يحدث فيه ما يعتقد أن له فضله وتوابع ذلك ما يصير منكراً وينهى عنه مثل ما أحدثه بعض أهل الأهواء في يوم عاشوراء من التعطش والتحزن والتجمع وغير ذلك من الأمور المحدثة" [1].

فيكون يوماً معظماً في الإسلام في أصله وله فضيلة على غيره من الأيام، لكن يحدث فيه من المحدثات التي ينهى عن مثلها وإن كان ذلك يوما معظماً لكن يعظم هذا اليوم بما أمر الله به ورسوله ﷺ.

أما الأعياد المكانية المبتدعة:

فالأول منها ما لا خصوص له في الشريعة

قال شيخ الإسلام: "مكان لا فضل له في الشريعة أصلاً، ولا فيه ما يوجب تفضيله بل هو كسائر الأمكنة أو دونها، فقصد ذلك المكان أو قصد الاجتماع فيه لصلاة أو دعاء أو ذكر أو غير ذلك ضلال بيّن.

ثم إن كان به بعض آثار الكفار من اليهود أو النصارى أو غيرهم كان أقبح وأقبح " [2]، ثم قال: "وهذا الضرب أقبح من الذي قبله فإن هذا يشبه عبادة الأوثان أو هـــو ذريعة إليها

---

١) اقتضاء الصراط المستقيم (129/2).

٢) اقتضاء الصراط المستقيم (155/2).

أو نوع من عبادة الأوثان إذ عباد الأوثان كانوا يقصدون بقعة بعينها لتمثال هناك أو غير تمثال يعتقدون أن ذلك يقربهم إلى الله تعالى"[1].

فالمكان لا فضل فيه بوجه عام، وتفضيله من البدع التي نهى الله عنها ورسوله، وإن كانت هذه البقعة موافقة لغير المسلمين فإن هذا أشد، حيث جمع بين تفضيل ما لم يفضله الشارع وبين مشابهة الكفار.

الثاني: ما له خصيصة لا تقتضي قصده للعبادة فيه

قال شيخ الإسلام: "ففي هذه الأمكنة قبور الأنبياء والصالحين وقد جاء عن النبي ﷺ والسلف النهي عن اتخاذها عيداً عموماً وخصوصاً"[2].

ففي هذه الأمكنة خصوصية على غيرها حيث أن فيها قبور أنبياء الله والصالحين من عباده، لكن هذه الخصيصة لا تعني قصد هذه القبور للعبادة فيها بشيء من أنواع العبادة وأحوالها، كما جاء في الحديث ((**لا تجعلوا بيوتكم قبورا، ولا تجعلوا قبري عيدا**))[3]، وغير ذلك من الأدلة التي تنهى عن اتخاذ الأنبياء والصالحين مكان يعاد ويقصد فيه العبادة.

الثالث: ما تشرع العبادة فيه لكن لا يتخذ عيدا

فهو مكان شرع الله ﷻ فيه العبادة بكيفية محددة بأوقات معينة،ثم يأتي من يحدد أوقات معينة لم يحددها الشارع في ذلك الوقت، وذلك كمن حدد وقتا معينا في السنة يذهب فيه إلي المسجد الأقصى للصلاة والعبادة ،فهذا التحديد لهذا الوقت في ذلك المكان مبتدع غير مشروع ، أو كما لو حدد أحد وقتا معينا لم يحدده الشارع فيأتي المشاعر المقدسة كمنى

---

١) اقتضاء الصراط المستقيم (156/2).

٢) اقتضاء الصراط المستقيم (169/2).

٣) رواه أبو داود حديث رقم (2042) كتاب المناسك (باب: زيارة القبور)، وصححه النووي في الأذكار حديث رقم 295، وصححه الألباني في السلسلة (306/7).

وعرفات والمزدلفة فيتعبد بها بأوقات لم يحددها الشارع فكل هذا من البدع المكانية التي لا يجوز شرعا عملها.

المطلب السادس: أقسام الفناء.

تمهيد

الفناء لغة نقيض البقاء، وتفانى القوم أي: أفنى بعضهم بعضاً في الحرب[١].

أما الفناء في اصطلاح المتصوفة، فقد تعددت عباراتهم في تعريفه، لكن نذكر أهمّ التعاريف له.

قالوا: الفناء سقوط الأوصاف المذمومة، كما أن البقاء وجود الأوصاف المحمودة[٢].

وقيل: الفناء تبديل الصفات البشرية بالصفات الإلهية[٣].

وعرفه ابن القيم بتعريف شامل فقال: "الفناء الذي يشير إليه القوم ويعملون عليه، أن تذهب المحدثات في شهود العبد وتغيب في أفق العدم، كما كانت قبل أن توجد ويبقى الحق تعالى كما لم يزل، ثم تغيب صورة المشاهد ورسمه أيضاً فلا يبقى له صورة ولا رسم.

ثم يغيب شهوده أيضاً فلا يبقى له شهود، ويصير الحقّ هو الذي يشاهد نفسه بنفسه كما كان الأمر قبل إيجاد المكونات، وحقيقته أن يفنى من لم يكن ويبقى من لم يزل"[٤].

أقسام الفناء عند شيخ الإسلام:

وقد ذكر شيخ الإسلام أقسام الفناء فقال:" الفناء ينقسم ثلاثة أقسام:

فناء عن عبادة السوى، وفناء عن شهود السوى، وفناء عن وجود السوى"[٥].

---

١) أنظر الصحاح في اللغة (463/6)، وأنظر لسان العرب (324/10) مادة: فني.

٢) التوقيف على مهمات التعريف (ص565).

٣) أنظر المعجم الفلسفي (ص476).

٤) مدارج السالكين (285/1). و لم أقف على حد للفناء عند شيخ الإسلام إنما ذكر حقيقة الفناء عند السلف كما سيأتي ذكره.

٥) مجموع الفتاوى (369/2).

القسم الأول: الفناء عن عبادة السوى

قال شيخ الإسلام: "وحقيقة هذا الفناء هو تحقيق الحنيفية، وهو إخلاص الدين لله، وهو أن يفني بعبادة الله عن عبادة ما سواه ، وبمحبته عن محبة ما سواه ، وبطاعته عن طاعة ما سواه، وبخشيته عن خشية ما سواه، وبالحب فيه والبغض فيه عن الحب فيما سواه، والبغض فيه فلا يكون لمخلوق من المخلوقين لا لنفسه ولا لغير نفسه على قلبه شركة مع الله تعـــالى"[1].

فالفناء عن عبادة السوى هو تحقيق للتوحيد قال شيخ الإسلام: " فهذا تحقيق توحيد الله وحده لا شريك له، وهو الحنيفية ملة إبراهيم –عليه السلام–، ويدخل في هذا أن يفنى عن إتباع هواه بطاعة الله، فلا يحب إلا لله، ولا يبغض إلا لله، ولا يعطى إلا لله، ولا يمنع إلا لله، فهذا هو الفناء الديني الشرعي الذي بعث الله به رسله وأنزل به كتبه، فيكون العبد منتقلاً بما يقربه إلى الله عما لا يقربه منه ﷻ"[2].

والفناء عن عبادة السوى يقارنه البقاء بعبادته تعالى فهذا الفناء يقارنه البقاء، وهو حقيقة قول لا إله إلا الله[3].

فإنه يفنى من قلبه كل تأله لغير الله، ولا يبقى في قلبه تأله لغير الله، وكل من كان أكمل في هذا التوحيد كان أفضل عند الله[4].

وهذا النوع من الفناء يكون للكاملين من الأنبياء والأولياء[5].

---

١) الرد على المنطقيين (ص440).

٢) مجموع الفتاوى (314/2).

٣) الرد على الشاذلي (ص102).

٤) مجموع الفتاوى (369/2).

٥) العبودية لابن تيمية (ص121).

القسم الثاني: الفناء عن شهود السوى

وهذا فناء عن شهادة ماسوى الله،قال شيخ الإسلام: " الفناء عن شهود ما سوى الله ، بحيث يغيب بمشهوده عن شهوده ، وهذا لمن لم يقدر على الجمع بين شهود الحقائق وعبادة الخالق، بل ما شهده عنده ومعبوده واحد فمشهوده واحد" (١).

وهذا يحصل لكثير من السالكين، قال شيخ الإسلام: " فإنهم لفرط انجذاب قلوبهم إلى ذكر الله وعبادته ومحبته، وضعف قلوبهم عن أن تشهد غير ما تعبد، وترى غير ما تقصد، لا يخطر بقلوبهم غير الله" (٢).

فيغيب الواحد عن سوى مشهوده حتى عن نفسه، وهذا الفناء هو الذي يشير إليه أكثر الصوفية المتأخرين ويعدونه الغاية (٣).

وهذا النوع من الفناء لم يفعله الرسول ﷺ ولا صحابته قال شيخ الإسلام: " ولهذا لم يعرف مثل هذا للنبي ﷺ وللسابقين الأولين، ومن جعل هذا نهاية السالكين، فهو ضال ضلالا مبينًا، وكذلك من جعله من لوازم طريق الله فهو مخطئ، بل هو من عوارض طريق الله التي تعرض لبعض الناس دون بعض، ليس هو من اللوازم التي تحصل لكل سالك" (٤).

القسم الثالث: الفناء عن وجود السوى

قال شيخ الإسلام: "أ ن يشهد أن لا موجود إلا الله ، و أن وجود الخالق هو وجود المخلوق، فلا فرق بين الرب والعبد، فهذا فناء أهل الضلال والإلحاد الواقعين في الحلول

---

١) الاستقامة لابن تيمية (ص 413).

٢) العبودية لابن تيمية (ص123).

٣) التحفة المهدية (ص242).

٤) التدمرية (ص 222).

والاتحاد[(١)]، من المتأخرين كالبلياني[(٢)] والتلمساني[(٣)] والقونوي[(٤)] ونحوهم، الذين يجعلون الحقيقة أنه عين الموجودات، وحقيقة الكائنات، وأنه لا وجود لغيره لا بمعنى أن قيام الأشياء به ووجودها به، كما قال النبي ﷺ ((**أصدق كلمة قالها الشاعر كلمة لبيد : ألا كل شيء ما خلا الله باطل...**))[(٥)].

وكما قيل في قوله ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾[(٦)]، فإنهم لو أرادوا ذلك لكان ذلك هو الشهود الصحيح، لكنه م يريدون أنه هو عين الموجودات ، فهذا كفرٌ وضلالٌ ، ربما تمسك أصحابه بألفاظ متشابهة توجد في كلام بعض المشايخ ، كما تمسك النصارى بألفاظ متشابهة

---

١) وسيأتي الكلام على الحلول والإتحاد.

٢) عبد الله بن مسعود بن محمد بن علي بن أحمد ابن عمر، الحسيني، البلياني (أوحد الدين) صوفي، عارف بعلم الرمل، توفي يوم عاشوراء سنة686هـ من آثاره: مفتاح الكنوز، ورياض الصالحين ، أنظر معجم المؤلفين (297/2).

٣) سليمان بن علي بن عبد الله بن علي الكومي التلمساني، عفيف الدين: ولد سنة (610هـ) شاعر، كومي الأصل (من قبيلة كومة) ،وهو من غلاة الإتحادية ومن زنادقة الصوفية، تنقل في بلاد الروم، وسكن دمشق، فباشر فيها بعض الأعمال، وكان يتصوف، ويتكلم على اصطلاح الصوفية، يتبع طريقة ابن عربي ، توفي سنة (960هـ). أنظر شذرات الذهب (719/7)، الوافي بالوفيات (249/15)، الأعلام للزركلي (130/3).

٤) الشيخ صدر الدين القونوي محمد بن اسحاق بن محمد بن يوسف ،أبو عبد الله القونوى، شيخ الأعارية بقونية،صوفي تزوج محيي الدين ابن عربي أمه وصحبه ، وقرأ كتاب جامع الأصول على الأمير العالم شرف الدين يعقوب الهذباني ، ورواه عنه، قرأ عليه الشيخ قطب الدين الشيزاري، وله تصانيف في السلوك فمن ذلك "النفحات"، "وتحفة الشكور"، و"تجليات"، و "تفسير الفاتحة" في مجلدة، توفي بقونية سنة اثنين وسبعين وستمائة، وأوصى أن يحمل تابوته إلى دمشق، ويدفن مع شيخه ابن عربي، فلم يتهيأ له ذلك ، ومات وهو ابن اثنتين وثلاثين سنة تقريبا. أنظر الوافي بالوفيات للصفدي (141/2).

٥) رواه البخاري حديث رقم (3841) كتاب مناقب الأنصار (باب: أيام الجاهلية)، ورواه مسلم حديث رقم (2255) كتاب الشعر.

٦) سورة القصص الآية رقم (88).

تروى عن المسيح، ويرجعون إلى وجد فاسد، أو قياس فاسد، فتدبر هذا التقسيم فانه بيان الصراط المستقيم"[1].

---

١) مجموع الفتاوى (343/10).

المطلب السابع: أقسام الإشارات.

تمهيد

الصوفية يطلقون لفظ الإشارة ويريدون به عدة معاني:

وقد ذكر ابن القيم شيئاً من هذه المعاني فقال رحمه الله: " الإشارات هي المعاني التي تشير إلى الحقيقة من بعد ومن وراء حجاب وهي تارة تكون من مسموع وتارة تكون من مرئي وتارة تكون من معقول وقد تكون من الحواس كلها.

فالإشارات: من جنس الأدلة والأعلام، وسببها: صفاء يحصل بالجمعية فيلطف به الحس والذهن فيستيقظ لإدراك أمور لطيفة لا يكشف حس غيره وفهمه عن إدراكها" (1).

أقسام الإشارات عند شيخ الإسلام

وقد ذكر شيخ الإسلام أقسام إشارات مشايخ الصوفية فقال:"إشارات المشايخ الصوفية التي يشيرون بها تنقسم إلى إشارة حالية.....، وتنقسم إلى الإشارات المتعلقة بالأقوال" (2).

القسم الأول: الإشارة الحالية.

قال شيخ الإسلام: "وهي إشاراتهم بالقلوب وذلك هو الذي امتازوا به"، (3) وفي هذا يقول الروذباري (4): "علمنا هذا إشارة، فإذا صار عبارة خفي"، فهم وضعوا إشارات اصطلحوا عليها فيما بينهم فيتكلمون بها عند حضور الغير، وفي تآليفهم ومصنفاتهم ويزعمون أن الحامل لهم على ذلك الشفقة على الدخيل بينهم أن يسمع منهم، أو يرى في تأليفهم شيئاً لا يصل إليه فهمه فينكره (5).

القسم الثاني: الإشارة المتعلقة بالأقوال.

---

١) مدارج السالكين (284/3). و لم أقف على حد للإشارات عند شيخ الإسلام.

٢) مجموع الفتاوى (376/6).

٣) مجموع الفتاوى (376/6).

٤) محمد بن أحمد بن القاسم، أبو علي الروذباري، من كبار الصوفية، وكان من أهل الفضل والفهم، وله تصانيف حسان في التصوف، توفي سنة322هـ انظر تاريخ بغداد (180/2).

٥) الكشف عن حقيقة الصوفية (ص87).

قال شيخ الإسلام: " مثل ما يأخذونها من القرآن ونحوه فتلك الإشارات هي من باب الاعتبار والقياس وإلحاق ما ليس بمنصوص بالمنصوص مثل الاعتبار والقياس الذي يستعمله الفقهاء في الأحكام لكن هذا يستعمل في الترغيب والترهيب، وفضائل الأعمال، ودرجات الرجال ونحو ذلك، فان كانت الإشارة اعتبارية من جنس القياس الصحيح كانت حسنة مقبولة، وان كانت كالقياس الضعيف كان لها حكمه، وان كان تحريفا للكلام عن مواضعه وتأويلا للكلام على غير تأويله كانت من جنس كلام القرامطة(١) والباطنية والجهمية" (٢).

فالظاهر من ألفاظ القران هو ما يؤخذ من ألفاظه حسب الفهم العربي، أو السياق، أو غير ذلك من الأصول المرعية في التفسير.

أما الباطن فهو العلم الخفي وراء تلك الألفاظ، وهو المراد الحقيقي بها، وهذا لا يطلع عليه إلا الخواص من أصحاب المقامات السامية، ويطلقون عليه الإشارات (٣).

---

١) هم: فرع من فروع الإسماعيلية، ينتسبون إلى شخص يقال له: حمدان القرمطي، وكان رجلاً متوارياً، صار إليه أحد دعاة الباطنية، ودعوه إلى معتقدهم فقبل الدعوة، ثم صار يدعو الناس إليها، وضلّ بسببه خلق كثير، وكان ظهورهم، سنة (281هـ) في خلافة المعتضد، ودخلوا مكة سنة (317هـ)، واقتلعوا الحجر الأسود، وقتلوا المسلمين في الحرم، وقد اعتمدت هذه الحركة على التنظيم السري العسكري، والتظاهر بالتشيع لآل البيت، وحقيقتها الإلحاد والشيوعية، والإباحية، والقضاء على الدولة الإسلامية، أنظر الملل والنحل (228/1).

٢) مجموع الفتاوى (377/6).

٣) الصوفية نشأتها وتطورها (ص52).

المطلب الثامن: أقسام الزهد.

تمهيد

الزهد لغة خلاف الرغبة، والتزهيد خلاف الترغيب [١].

أما في الاصطلاح فقال شيخ الإسلام "الزهد في الشيء انتفاء الإرادة له ، إما مع وجود كراهته وإما مع عدم الإرادة والكراهة بحيث لا يكون مريدا له ولا كارها له"[٢].

وقال الإمام أحمد: " الزهد في الدنيا قصر الأمل "، وقال أيضا: "عدم فرحه بإقبالها ولا حزنه عن إدبارها" [٣].

والزهد عند الصوفية: بغض الدنيا والإعراض عنها ، وقيل: ترك راحة الدنيا لراحة الآخرة، وقيل: أن يخلو قلبك مما خلت منه يدك [٤].

وقال الهروي[٥] في الزهد: "هو إسقاط الرغبة عن الشيء بالكلية" [٦].

أقسام الزهد عند شيخ الإسلام:

وقد ذكر شيخ الإسلام أن الزهد قسمان: زهد مشروع، وزهد غير مشروع [٧].

---

١) الصحاح في اللغة (68/2)، وأنظر لسان العرب (88/6) مادة: زهد.

٢) مجموع الفتاوى (616/10).

٣) تاريخ بغداد (260/7)، مدارج السالكين (179/2).

٤) التوقيف على مهمات التعريف للمناوي (ص390).

٥) شيخ الإسلام الإمام القدوة، الحافظ الكبير، أبو إسماعيل، عبد الله بن محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن علي بن جعفر بن منصور الأنصاري الهروي، مصنف كتاب "ذم الكلام" و "منازل السائرين"، وشيخ خراسان من ذرية صاحب النبي ﷺ أبي أيوب الأنصاري، مولده في سنة ست وتسعين وثلاث مئة، وتوفي سنة 481هـ أنظر سير أعلام النبلاء (36/14)، طبقات الحنابلة لأبي يعلى (458/3).

٦) منازل السائرين للهروي (ص23).

٧) مجموع الفتاوى (617/10).

القسم الأول: الزهد المشروع

قال شيخ الإسلام في بيان الزهد الشرعي: "هو ترك الرغبة فيما لا ينفع في الدار الآخرة، وهو فضول المباح التي لا يستعان بها على طاعة الله، مع ثقة القلب بما عند الله" [١].

وقال في موضع آخر: "الزهد هو عما لا ينفع إما لانتفاء نفعه، أو لكونه مرجوحا؛ لأنه مفوّت لما هو أنفع منه، أو محصل لما يربو ضرره على نفعه" [٢].

ويشير شيخ الإسلام إلى أمرٍ مهم وهو أن مجرد الزهد في الدنيا لا حمد فيه، كما لا حمد على الرغبة فيها، إنما الحمد على إرادة الله والدار الآخرة والذم على إرادة الدنيا المانعة من إرادة ذلك [٣].

أنواع الزهد المشروع عند شيخ الإسلام:

يقسم شيخ الإسلام الزهد المشروع إلى نوعين واجب ومستحب ثم بينهما فقال: "الزهد الواجب هو ترك ما يمنع عن الواجب من إرادة الله والدار الآخرة، والزهد المستحب هو ما يشغل عن المستحب من أعمال المقربين والصديقين" [٤].

القسم الثاني: الزهد غير المشروع

قال شيخ الإسلام مبينا الزهد غير المشروع: " الاشتغال بفضول المباحات هو ضد الزهد المشروع، فان اشتغل بها عن فعل واجب أو فعل محرم كان عاصيا ، وإلا كان منقوصا عن درجة المقربين إلى درجة المقتصدين" [٥].

وقال في موضع آخر: "فأما ما ينفع في الآخرة وما يستعان به على ذلك فالزهد فيه زهد في نوع من عبادة الله وطاعته ، والزهد إنما يراد لأنه زهد فيما يضر أو زهد فيما لا ينفع ،

---

١) مجموع الفتاوى (641/10).

٢) مجموع الفتاوى (615/10).

٣) مجموع الفتاوى (146/20).

٤) مجموع الفتاوى (147/20).

٥) مجموع الفتاوى (21/10).

فأما الزهد في النافع فجهل وضلال، كما قال النبي ﷺ **((أحرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجزن))** [1].

والنافع للعبد هو عبادة الله وطاعته وطاعة رسوله ﷺ، وكلما صده عن ذلك فإنه ضار لا نافع، فكل من ترك ما يستعين به العبد على طاعة الله فإن فعله لـــيس من الزهد المشروع" [2]، فيكون كل ما يصد عن ذكر الله وعبادته والزهد فيه زهد غير مشروع بل يكـــون محرما إذا صد عن واجب.

ولهذا لما اجتمع الثلاثة من الصحابة على عهد النبي محمد ﷺ فقال أحدهم: لا أتزوج النساء....[3]، بين ﷺ أن هذا الزهد الفاسد والعبادة الفاسدة ليست من سنته، فمن رغب فيها عن سنته فرآها خيراً من سنته فليس منه [4].

فالمنافع الخالصة أو الراجحة الزهد فيها حمق [5].

---

١) رواه مسلم حديث رقم (2664) كتاب القدر (باب: الأمر بالقوة وترك العجز).

٢) مجموع الفتاوى (28/11).

٣) رواه مسلم حديث رقم (1401) كتاب النكاح (باب: استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه، ووجد مؤنه).

٤) الفتاوى الكبرى (138/2).

٥) مجموع الفتاوى (615/10).

المطلب التاسع: أقسام الأحوال.

تمهيد

الأحوال جمع حال، ونريد بها هنا ما يعتري بعض المتصوفة أثناء الذكر أو السماع، أو عند ذكر الجنة والنار والثواب والعقاب، من صعق وسكر وغيبة عقل ونحو ذلك(١).

أقسام الأحوال عند شيخ الإسلام:

ذكر شيخ الإسلام أقسام الأحوال فقال: "الأحوال تنقسم إلى: حال رحماني، وحال شيطاني" (٢).

القسم الأول: الحال الرحماني

قال شيخ الإسلام في بيان الحال الرحماني: " كان الصحابة -رضي الله عنهم- يجتمعون أحيانا يأمرون أحدهم يقرأ، والباقون يستمعون، وكان عمر بن الخطاب ﷺ يقول: "يا أبا موسى ذكرنا ربنا، فيقرأ وهم يستمعون، وكان من الصحابة من يقول: "إجلسوا بنا نؤمن ساعة" وصلى النبى ﷺ بأصحابه التطوع في جماعة مرات، وخرج على الصحابة من أهل الصفة وفيهم قارئ يقرأ، فجلس معهم يستمع، وما يحصل عند السماع والذكر المشروع من وجل القلب ودمع العين وإقشعرار الجسوم ، فهذا أفضل الأحوال التي نطق بها الكتاب والسنة.

وأما الاضطراب الشديد والغشي والموت والصيحات، فهذا أن كان صاحبه مغلوباً عليه لم يلم عليه، كما قد كان يكون في التابعين ومن بعدهم، فإن منشأه قوة الوارد على القلب مع ضعف القلب، والقوة والتمكن أفضل، كما هو حال النبي ﷺ والصحابة، وأما السكون قسوة وجفاء فهذا مذموم لا خير فيه" (٣).

ومن لم تأت عليه هذه الحال قد يكون أفضل ممن تعتريه قال شيخ الإسلام: " ولكن من لم يزل عقله مع أنه قد حصل له من الإيمان ما حصل لهم أو مثله أو أكمل منه فهو أفضل

---

١) موقف ابن تيمية من الصوفية (166/1).
٢) الفتاوى الكبرى (187/1).
٣) مجموع الفتاوى (521/22-522).

منهم وهذه حال الصحابة -رضى الله عنهم- وهو حال نبينا ﷺ فانه أسري به إلى السماء، وأراه الله ما أراه، وأصبح كبائت لم يتغير عليه حاله ، فحاله أفضل من حال موسى -عليه السلام- الذي خرّ صعقاً لما تجلّى ربه للجبل ، وحال موسى حالٌ جليلة عليّة فاضلة ، لكن حال محمد أكمل وأعلا وأفضل"[1].

القسم الثاني: الحال الشيطاني

وهم الذين يفعلون أفعالاً يحبها الشيطان، بأن يرقص رقصاً عظيماً حتى يغيب عقله، أو يغطّ ويخور حتى يجيئه الحال الشيطاني[2].

قال شيخ الإسلام: " وقد يحمل للشيطان بعض هؤلاء الشيوخ الذين لهم حال شيطاني فيطير به في الهواء، فيذهب به إلى مكان آخر، وربما مشى به على الماء، لكن لا بد أن يكون الشيخ عاصياً لله ورسوله، وكلما كان أفجر وأكفر كان أقرب له إلى الشياطين"[3].

فيحصل لهم حال شيطاني يكون الشيطان هو الذي يفعل بهم ما يفعل وهذا يكون لمن خالف شرع الله وهدي نبينا محمد ﷺ قال شيخ الإسلام: " فكل من خرج عن الكتاب والسنة وكان له حال من مكاشفة أو تأثير فإنه صاحب حال نفساني أو شيطاني ، وإن لم يكن له حال بل هو يتشبه بأصحاب الأحوال فهو صاحب حال بهتاني ، وعامة أصحاب الأحوال الشيطانية يجمعون بين الحال الشيطاني والحال البهتاني"[4].

فيكون إما صاحب حال شيطاني تعينه الشياطين وتعضده وإما أن يكون صاحب حال بهتاني يكذب ويخدع الناس ويدلس عليهم.

---

١) مجموع الفتاوى (11/12-13).

٢) أنظر مجموع الفتاوى (10/442).

٣) الصفدية (ص540).

٤) مجموع الفتاوى (35/114).

المطلب العاشر: أقسام التشبه بغير المسلمين.

تمهيد

الناس في دين الله ﷻ على ضروب، فمنهم متمسكون بهدي النبي ﷺ، ومنهم منحرفون إلى شعبة من شعب اليهود، أو إلى شعبة من شعب النصارى وإن كان الرجل لا يكفر بكل انحراف، بل وقد لا يفسق أيضاً[1].

أقسام التشبه بغير المسلمين عند شيخ الإسلام:

قسم شيخ الإسلام المنحرفين عن دين الله من المتشبهين بغير المسلمين إلى عدة أقسام منها فقال"يكون الإنحراف كفرا، وقد يكون فسقا، وقد يكون معصية، وقد يكون خطأ" [2].

القسم الأول: ما هو كفر

فيكون الإنحراف كفرا وخروجا عن الملة قال شيخ الإسلام: " وإذا كانت المشابهة في القليل ذريعة ووسيلة إلى بعض هذه القبائح كانت محرمة فكيف إذا أفضت إلى ما هو كفر بالله من التبرك بالصليب والتعميد في المعمودية[3]، أو قول القائل المعبود واحد وإن كانت الطرق مختلفة ونحو ذلك من الأقوال والأفعال التي تتضمن إما كون الشريعة النصرانية واليهودية المبدلتين المنسوختين موصلة إلى الله وإما استحسان بعض ما فيها مما يخالف دين الله أو التدين بذلك أو غير ذلك مما هو كفر بالله وبرسوله وبالقرآن وبالإسلام" [4].

فيفعل أفعالا أو يقول أقوالا متضمنة للكفر بالله وتكذيب رسوله ﷺ ومحادة لهما وتكذيب لما جاء به القران وكل هذا من الكفر بالله ورسوله.

---

١) اقتضاء الصراط المستقيم (82/1).

٢) اقتضاء الصراط المستقيم (82/1).

٣) المعمودية عند النصارى أن يغمس القس الطفل في ماء يتلو عليه بعض فقر من الإنجيل، وهي آية التنصير عندهم. اقتضاء الصراط المستقيم (540/1) المعجم الوسيط (ص626).

٤) اقتضاء الصراط المستقيم (540/1).

القسم الثاني: ما هو دون ذلك من الفسق والمعصية والخطأ

فمادون الكفر إما أن يكون فسقاً أو معصية يعاقب العبد عليه إذا لم يتب منه، وإما أن يكون خطأ وقد غفر الله ﷻ لهذه الأمة الخطأ [١].

قال شيخ الإسلام مبيناً ما يقع فيه من تشبه بغير المسلمين: " فإن جميع ما يعملونه مما ليس من أعمال المسلمين السابقين إما كفر وإما معصية وإما شعار كفر أو شعار معصية وإما مظنة للكفر والمعصية وإما أن يخاف أن يجر إلى المعصية" [٢].

فإذا تشبه أحد بغير المسلمين، فإن هذا التشبه قد يكون كفرا فيكون داخل في القسم الأول، وإما أن يكون دون ذلك وهذا قد يكون معصية، أو قد يجر إلى معصية، وكل هذا ينهى عنه؛ لأنه مظنة الدخول في المعصية،أو شعار للمعصية ، فيكون تحريم ذلك والتغليظ فيه بحسب مخالفته للشريعة، وبحسب موافقته لمن خالف دين الله ﷻ.

---

١) رواه ابن ماجة حديث رقم (2043)، كتاب الطلاق (باب: طلاق المكره والناسي). وصححه ابن حبان في صحيحه (202/16).

٢) اقتضاء الصراط المستقيم (267/1).

المطلب الحادي عشر: أنواع الفساد في دين الله.

تمهيد

الفساد لغة: نقيض الصلاح [1].

وهو خروج الشيء عن الاعتدال، قليلاً كان الخروج أو كثيراً [2].

أنواع الفساد في دين الله عند شيخ الإسلام:

ذكر شيخ الإسلام أنواع الفساد في الدين وأنه يكون على نوعين فقال: "فساد الدين، إما أن يقع بالاعتقاد الباطل و التكلم به، أو يقع في العمل بخلاف الاعتقاد الحق" [3].

النوع الأول: الاعتقاد الباطل والتكلم به.

فالاعتقاد الباطل يعتبر فساد في دين الله، وإذا جمع إلى ذلك تكلماً بهذا الاعتقاد، كان أشد وأعظم إثماً وذنباً.

وقد مثل شيخ الإسلام للاعتقاد الباطل والتكلم به بالبدع ونحوها، وذكر أن هذا من جهة الشبهات [4].

فإن طريق الشبهات واسع يفتح فيه الشيطان للعبد أبواب لا يستطيع لها رداً إذا لم يكن عنده من اليقين والعلم ما يدفع به هذه الشبهات التي تحيط به، وإلا وقع في شراك الشبهات التي توقعه في البدع صغيرها وكبيرها بحسب عجزه وتقصيره.

ثم قد يزين له الشيطان مع اعتقاده للبدع سواء كانت مكفرة أوغير مكفرة، يزين له التكلم بالبدع والدعوة إليها، كما في قوله ﷻ ﴿ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا ﴾ [5].

---

١) معجم تهذيب اللغة (2787/3). مادة: (فسد).

٢) التوقيف على مهمات التعريف (ص556).

٣) اقتضاء الصراط المستقيم (118/1).

٤) اقتضاء الصراط المستقيم (118/1).

٥) سورة فاطر الآية رقم (8).

ولهذا كان السلف يحذرون من صاحب هوى قد فتنه هواه، ويقولون احذر فتنة العابد الجاهل، فهو يشبه الضالين الذين يعملون بغير علم [١].

وفتنة الشبهات هي داء المبتدعة وأهل الأهواء والخصومات [٢].

النوع الثاني: العمل بخلاف الاعتقاد الحق.

فيعمل بخلاف ما يعتقده من التحريم وقد مثل شيخ الإسلام لهذا النوع بفسق الأعمال ونحوها [٣]، وهذا يكون من جهة الشهوات [٤]، فإن من وقع في شيء من الشهوات فإنه يعلم حرمتها ويعتقد ذلك التحريم ، ولهذا كان السلف يحذرون من صاحب دنيا أعمته دنياه، ويحذرون أيضاً من فتنة العالم الفاجر؛ لأن فيه شبه بالمغضوب عليهم الذين يعملون الحق ولا يتبعونه [٥].

أقسام فساد الدين عند شيخ الإسلام باعتبار تعلقه:

ذكر شيخ الإسلام متعلق فساد الدين فقال:"فساد الدين نوعان: نوع يتعلق بالعمل، ونوع الآخر يتعلق بمحل العمل" [٦].

القسم الأول: ما يتعلق بالعمل ومرتبط بذات العمل.

قال شيخ الإسلام: " فأما المتعلق بالعمل: فهو ابتغاء سنة الجاهلية " [٧]، وابتغاء سنة الجاهلية فساد في الدين، لكنه متعلق بذات العمل.

وقال مبينا سنة الجاهلية: "والسنة الجاهلية كل عادة كانوا عليها" [٨].

---

١) اقتضاء الصراط المستقيم (119/1).

٢) اقتضاء الصراط المستقيم (121/1).

٣) مثل أكل الربا، وشرب المسكر، والزنا، وأكل أموال الناس بالباطل، والسرقة، وعقوق الوالدين، وشهادة الزور ونحوها.

٤) اقتضاء الصراط المستقيم (118/1).

٥) اقتضاء الصراط المستقيم (119/1).

٦) اقتضاء الصراط المستقيم (253/1).

٧) اقتضاء الصراط المستقيم (253/1).

٨) اقتضاء الصراط المستقيم (254/1).

وقال ابن حجر: "سنة الجاهلية اسم جنس يعم ما كان أهل الجاهلية يعتمدونه، من أخذ الجار بجاره والحليف بحليفه ونحو ذلك، ويلتحق بذلك ما كانوا يعتقدونه"[١].

فهذا النوع من الفساد في الدين يتعلق بذات العمل، حيث إنه فساد في دين الله ﷻ، وذلك بإحياء سنة الجاهلية، وفعل ما كانوا يفعلونه من الأمور التي تخالف شرع الله وأوامره وسنة نبيه ﷺ.

القسم الثاني: ما يتعلق بمحل العمل.

قال شيخ الإسلام: "وأما ما يتعلق بمحل العمل فالإلحاد في الحرم لأن أعظم محال العمل هو الحرم وانتهاك حرمة المحل المكاني أعظم من انتهاك حرمة المحل الزماني ولهذا حرم من تناول المباحات من الصيد والنبات في البلد الحرام ما لم يحرم مثله في الشهر الحرام"[٢].

فهو مرتبط بمحل العمل الذي يعمل فيه ليس متعلقاً بالعمل ذاته، فمن يلحد في حرم الله وينتهك حرمة البلد الحرام، أو الشهر الحرام فقد أفسد في دين الله ﷻ، وخالف شريعته وهدي نبيه ﷺ.

---

١) فتح الباري لابن حجر (3053/3).

٢) اقتضاء الصراط المستقيم (253/1).

الفصل الثالث

التقسيمات المتعلقة في الفرق والمقالات لدى شيخ الإسلام ابن تيمية

وفيه مبحثان

المبحث الأول: الفرق

المبحث الثاني : المقالات

المبحث الأول وفيه ستة مطالب:

المطلب الأول : أقسام الجهمية.

المطلب الثاني: أقسام القدرية.

المطلب الثالث: أقسام المرجئة.

المطلب الرابع: أقسام الشيعة.

المطلب الخامس: أقسام أصحاب العقليات.

المطلب السادس: أقسام الصوفية.

المطلب الأول:أقسام الجهمية

سبق الكلام على الجهمية ونسبتهم، وأنهم ينتسبون إلى الجهم بن صفوان، ثم إن السلف أطلقوا لفظ التجهم على كل من نفى شيئاً من صفات الله ﷻ الواردة في كتاب الله وسنة نبيه ﷺ.

أقسام الجهمية عند شيخ الإسلام:

يقسم شيخ الإسلام الجهمية فيقول: "الجهمية على ثلاث درجات:

فشرها الغالية الذين ينفون أسماء الله وصفاته ...، والدرجة الثانية من التجهم هو تجهم المعتزلة ونحوهم الذين يقرون بأسماء الله الحسنى في الجملة لكن ينفون صفاته، وأما الدرجة الثالثة فهم الصفاتية المثبتون، المخالفون للجهمية لكن فيهم نوع من التجهم"[١].

الدرجة الأولى:

وهؤلاء هم الذين يسميهم شيخ الإسلام الغالية، فهم ينفون أسماء الله ﷻ وصفاته، قال شيخ الإسلام: "وإن سموه بشيء من أسمائه الحسنى قالوا :هو مجاز ، فهو في الحقيقة عندهم ليس بحي، ولا عالم ولا قادر ولا سميع ولا بصير ولا متكلم ولا يتكلم"[٢].

فحقيقة قولهم عدم إثبات صفات الله ﷻ مطلقاً، ويحملون القول في بعض أسمائه، وقالوا بأنها مجازٌ وليست حقيقة، قال شيخ الإسلام ناقلاً عن الإمام أحمد: " فعند ذلك تبين للناس أنهم لا يثبتون شيئاً ولكنهم يدفعون عن أنفسهم الشنعة بما يقرّون في العلانيه ، فإذا قيل لهم: فمن تعبدون؟ قالوا: نعبد من يدبر أمر هذا الخلق.

فقلنا: فهذا الذي يدبر أمر هذا الخلق هو مجهول لا يعرف بصفة؟ قالوا: نعم ، قلنا: قد عرف المسلمون أنكم لا تثبتون شيئا إنما تدفعون عن أنفسكم الشنعة بما تظهرون.

---

١) التسعينية (1/265-270).

٢) الفتاوى الكبرى (6/370).

فقلنا لهم: هذا الذي يدبر أهو الذي كلم موسى ؟ قالوا: لم يتكلم ولا يتكلم ؛ لأن الكلام لا يكون إلا بجارحة والجوارح عن الله منتفية ، وإذا سمع الجاهل قولهم يظن أنهم من أشد الناس تعظيماً لله، ولا يعلم أنهم إنما يقودون قولهم إلى ضلال وكفر" [1].

وقد بين شيخ الإسلام أصل هذه المقالة فقال: "أصل قولهم هذا مأخوذ من المشركين والصابئة من البراهمة والمتفلسفة ومبتدعة أهل الكتاب الذين يزعمون أن الربّ ليس له صفة ثبوتية أصلاً" [2].

الدرجة الثانية من التجهم: نفي الصفات

قال شيخ الإسلام: " تجهم المعتزلة ونحوهم الذين يقرون بأسماء الله الحسنى في الجملة ، لكن ينفون صفاته ، وهم أيضاً لا يقرون بأسماء الله الحسنى كلها على الحقيقة ، بل يجعلون كثيرا منها على المجاز، وهؤلاء هم الجهمية المشهورون" [3].

فوافقوا الجهمية المحضة في نفي الصفات، لكنهم أثبتوا أسماء الله ﷻ في الجملة، ومع إقرارهم لها في الجملة فهم لا يقولون بها كلها على الحقيقة، بل يجعلون كثيراً من أسماء الله التي أطلقا على نفسه من باب المجاز.

الدرجة الثالثة: من يقرّ بأسماء الله وصفاته في الجملة.

قال شيخ الإسلام: "وأما الدرجة الثالثة : فهم الصفاتية المثبتون المخالفون للجهمية لكن فيهم نوع من التجهم كالذين يقرون بأسماء الله وصفاته في الجملة لكن يردون طائفة من أسمائه وصفاته الخبرية أو غير الخبرية ويتأولونها كما تأول الأولون صفاته كلها" [4].

---

١) التسعينية (266/1).

٢) مجموع الفتاوى (67/10).

٣) التسعينية (270/1).

٤) التسعينية (270/1).

فهم مثبتة للصفات في الجملة، لكن فيهم نوع من التجهم وذلك بإنكارهم لبعض الصفات ونفيها، وذلك إما بتأويل أو تحريف، وطريقة نفيهم للصفات ليست طريقة واحدة فقد يثبت أحدهم ما ينفيه الآخر، وذلك لتعدد طرقهم في الإثبات.

قال شيخ الإسلام في بيان بعض مذاهبهم: " ومن هؤلاء من يقرّ بصفاته الخبرية الواردة في القرآن دون الحديث ، كما عليه كثيرٌ من أهل الكلام والفقه وطائفة من أهل الحديث ، ومنهم من يقر بالصفات الواردة في الأخبار أيضاً في الجملة ، لكن مع نفي وتعطيل لبعض ما ثبت بالنصوص وبالمعقول، وذلك كأبي محمد بن كلاب ومن اتبعه ، وفي هذا القسم يدخل أبو الحسن الأشعري [١] وطوائف من أهل الفقه والكلام والحديث والتصوف ، وهؤلاء إلى أهل السنة المحضة أقرب منهم إلى الجهمية والرافضة والخوارج والقدرية ، لكن انتسب إليهم طائفة هم إلى الجهمية أقرب منهم إلى أهل السنة المحضة ؛ فإن هؤلاء ينازعون المعتزلة نزاعاً عظيماً فيما يثبتونه من الصفات، أعظم من منازعتهم لسائر أهل الإثبات فيما ينفونه.

وأما المتأخرون فإنهم والوا المعتزلة وقاربوهم أكثر وقدموهم على أهل السنة والإثبات ، وخالفوا أوّليهم، ومنهم من يتقارب نفيه وإثباته ، وأكثر الناس يقولون إن هؤلاء يتناقضون فيما يجمعونه من النفي والإثبات" [٢].

فبين شيخ الإسلام أن متكلمة الصفاتية الذين ينتسبون إلى أبي محمد سعيد بن كلاب أو إلى أبي الحسن الأشعري هم أقرب إلى أهل السنة منهم إلى الجهمية.

---

١) هو: علي بن إسماعيل بن إسحاق، أبو الحسن، من نسل الصحابي أبي موسى الأشعري، وإليه ينسب مذهب الأشاعرة، كان من الأئمة المتكلمين المجتهدين، ولد سنة (260هـ)، كان معتزلياً ثم أشعرياً، ثم رجع إلى مذهب أهل السنة والجماعة في باب الأسماء والصفات في الجملة، من مؤلفاته: الإبانة عن أصول الديانة، ومقالات الإسلاميين. توفي سنة (324هـ) ببغداد. أنظر وفيات الأعيان (284/3)، سير أعلام النبلاء (392/11).

٢) التسعينية (271/1).

لكن طائفة انتسبت إليهم هم أقرب إلى الجهمية، فهم كانوا ينازعون المعتزلة فيما يثبتونه ثم لما جاء متأخروهم تولوا المعتزلة وقاربوهم وقدموهم على أهل السنة في النفي والإثبات.

فكل من عطّل الله ﷻ تعطيلاً كلياً أو جزئياً فإنه لم يقع في التعطيل إلا بعد أن وقع في التشبيه، فكما شبه الخالق بالمخلوق عطلّ الخالق عن صفاته تتريهاً له كما يزعمون.

أنواع التعطيل في الصفات عند شيخ الإسلام:

ذكر شيخ الإسلام أن التعطيل نوعان نفي الصفات مطلقاً، ونفي الأفعال الاختيارية[1].

النوع الأول: نفي الصفات مطلقاً.

قال شيخ الإسلام: " المعتزلة ونحوهم من الجهمية فهؤلاء ينفون الصفات مطلقاً ، وحجتهم على نفي قيام الأفعال به من جنس حجتهم على نفي قيام الصفات به ، وهم يسووّن في النفي بين هذا وهذا"[2].

فينفون جميع الصفات سواء كانت قائمة به أو أفعالاً قائمة به، فلا فرق بينهما عندهم.

النوع الثاني: نفي الأفعال الاختيارية.

قال شيخ الإسلام: "وأما مثبته الصفات الذين ينفون الأفعال الاختيارية القائمة به كابن كلاب والأشعري فإنهم فرقوا بين هذين"[3].

فهم أثبتوا الصفات القائمة بالله ﷻ ونفوا الصفات الاختيارية، وهي الأفعال التي تقوم به كالترول والكلام ونحو ذلك، وسيأتي مزيد من البيان عند الكلام على أقسام الناس في أفعال الله وفي مراتب الناس في قيام الصفات والأفعال بالله.

---

١) شرح العقيدة الأصفهانية لابن تيمية (ص129).

٢) شرح العقيدة الأصفهانية لابن تيمية (ص129).

٣) شرح العقيدة الأصفهانية لابن تيمية (ص129).

المطلب الثاني: أقسام القدرية.

سبق الكلام على القدر، وما يتعلق به، وهنا نذكر تقسيم شيخ الإسلام للقدرية.

أقسام القدرية عند شيخ الإسلام

قد ذكر شيخ الإسلام أقسام القدرية فقال: "القدرية ثلاثة أصناف: قدرية مشركية، وقدرية مجوسية، وقدرية إبليسية"[١].

القسم الأول: القدرية المشركية.

قال شيخ الإسلام في بيان القدرية المشركية: " فهم الذين اعترفوا بالقضاء والقدر و زعموا أن ذلك يوافق الأمر والنهي و قالوا ﴿لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ﴾[٢]، إلى آخر الكلام في سورة الأنعام قالوا ﴿لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيْءٍ نَّحْنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيْءٍ﴾[٣]، في سورة النحل في سورة الزخرف و قالوا ﴿لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَٰهُم﴾[٤]، فهؤلاء يؤول أمرهم إلى تعطيل الشرائع، و الأمر و النهي ، مع الاعتراف بالربوبية العامة لكل مخلوق، و أنه ما من دابة إلا ربي آخذ بناصيتها ، و هو الذي يبتلي به كثيرا -إما اعتقادا و إما حالا- طوائف من الصوفية و الفقراء، حتى يخرج من يخرج منهم إلى الإباحة للمحرمات ، و إسقاط الواجبات ، و رفع العقوبات، وإن كان ذلك لا يستتب لهم، و إنما يفعلونه عند موافقة أهوائهم ، كفعل المشركين من العرب ، ثم إذا خولف هوى أحد منهم قام في دفع ذلك متعديا للحدود غير واقف عند حد ، كما كانت تفعل المشركون أيضا"[٥]، فهم اعترفوا بالقضاء والقدر لكنهم ركنوا إلى ذلك وزعموا موافقة ذلك لما أمر الله به.

---

١) مجموع الفتاوى (256/8).

٢) سورة الأنعام الآية رقم (148).

٣) سورة النحل الآية رقم (35).

٤) سورة الزخرف الآية رقم (20).

٥) مجموع الفتاوى (256/8).

وقال في موضع آخر: "المشركية الذين أقروا بالقضاء والقدر، وأنكروا الأمر والنهي"، ثم قال: "فمن احتج على تعطيل الأمر والنهي بالقدر فهو من هؤلاء، وهذا قد كثر فيمن يدعي الحقيقة من المتصوفة" (١).

وقال أيضاً في هؤلاء الذين هم شر أصناف القدرية وهم: " الذين رأوا الأفعال واقعة بمشيئته وقدرته، فقالوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء ولو كره الله شيئا لأزاله، وما في العالم إلا ما يحبه الله ويرضاه، وما ثم عاص، وأنا كافر برب يعصى، وإن كان هذا قد عصى الأمر فقد أطاع الإرادة ، وربما استدلوا بالجبر وجعلوا العبد مجبورا والمجبور معذور، والفعل لله فيه لا له فلا لوم عليه.

فهؤلاء كافرون بكتب الله ورسله، وبأمر الله ونهيه وثوابه وعقابه ووعده ووعيده ودينه وشرعه كفرا لا ريب فيه ، وهم أكفر من اليهود والنصارى ، بل أكفر من الصابئة (٢) والبراهمة(٣) الذين يقولون بالسياسات العقلية.

فإن هؤلاء كافرون بالديانات والشرائع الإلهية وبالآيات والسياسات العقلية" (٤).

وقد أطلق عليهم المشركية؛ لأنهم تابعون على ما كان عليه المشركون من التمسك بالقدر المخالف للشرع (٥).

---

١) التدمرية (ص208).

٢) الصابئ: هو التارك لدينه الذي شرع له إلى دين غيره، والصابئة سموا بذلك، لأنهم فارقوا دين التوحيد، وعبدوا النجوم وعظموها، وقد صوروا لها صورا، واشتغلوا بعبادتها، فظهرت من هنا عبادة الأصنام، أنظر الفصل في الملل والأهواء والنحل (50/1-52).

٣) البراهمة: قوم انتسبوا إلى رجل اسمه براهم، ويخطئ كثير من الناس بظنهم أنهم قوم ينتسبون إلى إبراهيم عليه السلام، وهذا خطأ فإنهم مخصوصون بنفي النبوات أصلاً ورأساً، وهم على أصناف منهم أصحاب البددة، ومنهم أصحاب الفكرة، ومنهم أصحاب التناسخ. أنظر الملل والنحل (601/2).

٤) مجموع الفتاوى (410/2).

٥) مجموع الفتاوى (257/8).

القسم الثاني: القدرية المجوسية.

قال شيخ الإسلام في هؤلاء القدرية المجوسية: " الذين يجعلون لله شركاء في خلقه كما جعل الأولون لله شركاء في عبادته فيقولون خالق الخير غير خالق الشر ويقول من كان منهم في ملتنا أن الذنوب الواقعة ليست واقعة بمشيئة الله تعالى ، وربما قالوا و لا يعلمها أيضا و يقولون أن جميع أفعال الحيوان واقع بغير قدرته و لا صنعه فيجحدون مشيئته النافذة و قدرته الشاملة و لهذا قال ابن عباس: "القدر نظام التوحيد فمن وحد الله وآمن بالقدر تم توحيده ، ومن وحد الله وكذب بالقدر نقض تكذيبه توحيده "[١]، ويزعمون أن هذا هو العدل [٢]" [٣].

وقال في موضع آخر: "فالمجوسية الذين كذبوا بقدر الله وإن آمنوا بأمره ونهيه، فغلاتهم أنكروا العلم والكتاب، ومقتصدوهم أنكروا عموم مشيئته وخلقه وقدرته،وهؤلاء هم المعتزلة ومن وافقهم" [٤]، فهم جعلوا خالقا مع الله ﷻ.

وهؤلاء ضلال مبتدعة مخالفون للكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة ولما عرف بالعقل والذوق [٥].

ووجه تسميتهم مجوسية؛ لأن المجوس يقولون بخالقين للنور والظلمة، وهؤلاء يقولون بخالقين حيث جعلوا العباد خالقين لأفعالهم، فأشبهوا المجوس بتعدد الخالق [٦].

---

١) شرح اعتقاد أهل السنة للالكائي (432/1)، الإبانة لابن بطة (159/2).

٢) العدل من أصول مذهب المعتزلة، والعدل عندهم ما يقتضيه العقل من الحكمة، وهو إصدار الفعل على وجه الصواب والمصلحة، والعادل من فعل العدل، ثم قالوا: ولو كان الله خالقا لأفعال العباد التي هي الظلم، لكان ظالماً، فنفوا خلق الله لأفعال العباد. أنظر مجموع الفتاوى (152/18)، وانظر الملل والنحل (55/1).

٣) مجموع الفتاوى (258/8).

٤) التدمرية (ص208).

٥) مجموع الفتاوى (409/2).

٦) شرح التدمرية للبراك (ص490).

القسم الثالث: القدرية الإبليسية.

قال شيخ الإسلام في القدرية الإبليسية هم: " الذين صدقوا بأن الله صدر عنه الأمران لكن عندهم هذا تناقض و هم خصماء الله كما جاء في الحديث، وهؤلاء كثير في أهل الأقوال و الأفعال من سفهاء الشعراء و نحوهم من الزنادقة" [١].

وهؤلاء طعنوا في حكمته وعدله، كما يذكر مثل ذلك عن إبليس مقدمهم [٢]، فهو شيخهم، وهو أول من احتج على الله بالقدر، فقال: "بما أغويتني" و لم يعترف بالذنب ويبوء به كما اعترف به آدم –عليه السلام-.[٣] فيحتجون على الله بقدره وهذا ناشئٌ عن طعن في حكمة الله وعدله.

---

١) مجموع الفتاوى (260/8).

٢) التدمرية (ص208).

٣) طريق الهجرتين (186/1) نقلا عن شيخ الإسلام ابن تيمية.

المطلب الثالث: أقسام المرجئة.

تمهيد

اسم المرجئة مشتق من أحد معنيين كما يقول أهل اللغة.

الأول: أنه من الإرجاء، بمعنى التأخير [١].

الثاني: أنه من الرجاء، بمعنى الأمل [٢].

ويرى شيخ الإسلام أن الصحيح هو أن اسم المرجئة مأخوذ من الإرجاء، لكنه يشارك الرجاء في الاشتقاق الأكبر [٣].

والنعت الجامع للمرجئة هو إخراج العمل من الإيمان [٤]، فكل من قال بذلك فهو مرجئ.

أقسام المرجئة عند شيخ الإسلام

ذكر شيخ الإسلام أقسام المرجئة فقال:" المرجئة ثلاثة أصناف: الذين يقولون الإيمان مجرد ما في القلب....، والقول الثاني من يقول: هو مجرّد قول اللسان ....،والثالث تصديق القلب وقول اللسان" [٥].

---

١) معجم مقاييس اللغة (495/2)، ولسان العرب (158/5).

٢) معجم مقاييس اللغة (494/2)، المعجم الوسيط (ص27).

٣) جامع الرسائل لابن تيمية، تحقيق محمد رشاد سالم (112/1)، وفي تعريف الاشتقاق الأكبر يقول شيخ الإسلام: "أكثر المحققين من علماء العربية والبيان يثبتون المناسبة بين الألفاظ والمعاني، ويقسمون الاشتقاق إلى ثلاثة أنواع:

- الأصغر وهو اتفاق اللفظين في الحروف والترتيب مثل علم وعالم وعليم.
- والثاني الاشتقاق الأوسط وهو اتفاقهما في الحروف دون الترتيب مثل سمي ووسم.
- وأما الاشتقاق الثالث فاتفاقهما في بعض الحروف دون بعض". المجموع (419/20).

٤) أنظر السنة لعبد الله بن أحمد (376/1).

٥) مجموع الفتاوى (195/7).

القسم الأول: من يقول أن الإيمان مجرد ما في القلب

فالإيمان عندهم غير متعلق بالعمل إنما هو مجرد ما في القلب ،ثم هؤلاء كما ذكر شيخ الإسلام على صنفين:

الأول: من يدخل في الإيمان أعمال القلوب، وهم أكثر فرق المرجئة [1].

قال شيخ الإسلام: "والمرجئة أخرجوا العمل الظاهر عن الإيمان فمن قصد منهم إخراج أعمال القلوب أيضا وجعلها هي التصديق فهذا ضلال بين ، ومن قصد إخراج العمل الظاهر قيل لهم العمل الظاهر لازم للعمل الباطن لا ينفك عنه ، وانتفاء الظاهر دليل انتفاء الباطــــن" [2].

الصنف الثاني: من لا يدخل أعمال القلوب في الإيمان، كجهم ومن تبعه كالصــــالحي [3] [4].

قال شيخ الإسلام: "هذا القول حكوه عن الجهم بن صفوان وذكروا أنه قال: الإيمان مجرد معرفة القلب وإن لم يقر بلسانه واشتد نكيرهم لذلك حتى أطلق وكيع بن الجراح [5] وأحمد بن حنبل وغيرهما كفر من قال ذلك ، فإنه من أقوال الجهمية ، وقالوا إن فرعون

---

١) مجموع الفتاوى (195/7).

٢) مجموع الفتاوى (554/7).

٣) صالح بن عمر الصالحي المرجئ؛ رأس الصالحية، وهم فرقة من المرجئة ، قال صالح هذا: الإيمان هو معرفة الله على الإطلاق، وهو أن للعالم صانعاً فقط، قال: والكفر هو الجهل به على الإطلاق؛ قال: وقول القائل ثالث ثلاثة ليس بكفر . ا.هــ تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا. أنظر الوافي بالوفيات (154/13).

٤) مجموع الفتاوى (195/7).

٥) وكيع بن الجراح بن مليح الرؤاسي، أبو سفيان: حافظ للحديث، ثبت، كان محدث العراق في عصره، ولد بالكوفة، سنة 129هــ وأبوه ناظر على بيت المال فيها ، وتفقه وحفظ الحديث، واشتهر، وأراد الرشيد أن يوليه قضاء الكوفة، فامتنع ورعا ، وكان يصوم الدهر ، له كتب، منها "تفسير القرآن" و "السنن" و "المعرفة والتاريخ" و "الزهد ".توفي سنة 197هــ أنظر الثقات لابن حبان (562/7)، سير أعلام النبلاء (559/7).

وإبليس وأبا طالب واليهود وأمثالهم عرفوا بقلوبهم وجحدوا بألسنتهم ، فقد كـــــانوا مؤمنين" [١].

القسم الثاني: من يقول هو مجرد قول اللسان

ومن قال بهذا هم الكرامية، قال شيخ الإسلام "من يقول الإيمان مجرد قول اللســـان، وهذا لا يعرف لأحد قبل الكرامية" [٢]، لكن مع قولهم: أن هذا يعذّب في الآخرة، ويخلّد في النار [٣]، وهذا كما قال شيخ الإسلام شاذ [٤]، فإنهم خالفوا الجماعة في الاســـم دون الحكم [٥].

وذلك أن الكرامية يقولون إن المنافق الذي يظهر الإيمان ويبطن الكفر مؤمن مع قولهم بأنه مخلد في النار، قال شيخ الإسلام: "الكرامية يقولون:المنافق مؤمن وهو مخلد في النار؛ لأنه آمن ظاهراً لا باطناً وإنما يدخل الجنة من آمن ظاهراً وباطناً.

قالوا: والدليل على شمول الإيمان له أنه يدخل في الأحكام الدينية المعلقة باسم الإيمان كقوله تعالى ﴿فَتَحۡرِيرُ رَقَبَةٖ مُّؤۡمِنَةٖ﴾ [٦]، ويخاطب في الظاهر بالجمعة والطهارة وغير ذلك مما خوطب به الذين آمنوا.

وأما من صدق بقلبه و لم يتكلم بلسانه فانه لا يعلق به شيء من أحكام الإيمان لا في الدنيا ولا في الآخرة ولا يدخل في خطاب الله لعباده بقوله يا أيها الذين آمنوا فعلم أن قول الكرامية في الإيمان وان كان باطلا مبتدعا لم يسبقهم إليه أحد فقول الجهمية أبطل منه وأولئك أقرب إلى الاستدلال باللغة والقرآن والعقل من الجهمية" [٧].

---

١) مجموع الفتاوى (509/7).
٢) مجموع الفتاوى (195/7).
٣) مجموع الفتاوى (509/7).
٤) مجموع الفتاوى (550/7).
٥) التدمرية (ص193).
٦) سورة النساء الآية رقم (92).
٧) مجموع الفتاوى (140/7).

القسم الثالث: من يقول تصديق القلب وقول اللسان

وهذا هو المشهور عن أهل الفقه والعبادة منهم[1].

قال شيخ الإسلام: " المرجئة الذين قالوا الإيمان تصديق القلب وقول اللسان والأعمال ليست منه كان منهم طائفة من فقهاء الكوفة وعبادها و لم يكن قولهم مثل قول جهم فعرفوا أن الإنسان لا يكون مؤمنا إن لم يتكلم بالإيمان مع قدرته عليه وعرفوا أن إبليس وفرعون وغيرهما كفار مع تصديق قلوبهم لكنهم إذا لم يدخلوا أعمال القلوب في الإيمان لزمهم قول جهم وان أدخلوها في الإيمان لزمهم دخول أعمال الجوارح أيضا فإنها لازمة لها ولكن هؤلاء لهم حجج شرعية بسببها اشتبه الأمر عليهم فإنهم رأوا أن الله قد فرق في كتابه بين الإيمان والعمل فقال في غير موضع ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾[2]، ورأوا أن الله خاطب الإنسان بالإيمان قبل وجود الأعمال فقال ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُوا۟ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ﴾[3]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ﴾[4]، وقالوا وقالوا لو أن رجلا آمن بالله ورسوله ضحوة ومات قبل أن يجب عليه شيء من الأعمال مات مؤمنا وكان من أهل الجنة فدل على أن الأعمال ليست من الإيمان "[5].

وقد رد شيخ الإسلام عليهم فقال في الشبهة الأولى إن الله فرق بين الإيمان والأعمال، قال: "وأما قولهم إن الله فرق بين الإيمان والعمل في مواضع فهذا صحيح ،وقد بينا أن الإيمان إذا أطلق أدخل الله ورسوله فيه الأعمال المأمور بها ،وقد يقرن به الأعمال وذكرنا نظائر لذلك كثيرة، وذلك لأن أصل الإيمان هو ما في القلب والأعمال الظاهرة لازمة لذلك ، لا يتصور وجود إيمان القلب الواجب مع عدم جميع أعمال الجوارح ، بل متى نقصت الأعمال الظاهرة كان لنقص الإيمان الذي في القلب، فصار الإيمان متناولا للملزوم واللازم ، وإن

---

١) مجموع الفتاوى (195/7).

٢) سورة الأعراف الآية رقم (42).

٣) سورة المائدة الآية رقم (6).

٤) سورة الجمعة الآية رقم (9).

٥) مجموع الفتاوى (194/7-195).

كان أصله ما في القلب ، وحيث عطفت عليه الأعمال فإنه أريد أنه لا يكتفي بإيمان القلب بل لابد معه من الأعمال الصالحة.

ثم للناس في مثل هذا قولان منهم من يقول المعطوف دخل في المعطوف عليه، أولا ثم ذكر باسمه الخاص تخصيصا له لئلا يظن أنه لم يدخل في الأول ، وقالوا هذا في كل ما عطف فيه خاص على عام "[1]، ثم قال: " فعلى قول هؤلاء يقال الأعمال الصالحة المعطوفة على الإيمان دخلت في الإيمان وعطف عليه عطف الخاص على العام ، إما لذكره خصوصا بعد عموم، وإما لكونه إذا عطف كان دليلا على أنه لم يدخل في العام، وقيل بل الأعمال في الأصل ليست من الإيمان ، فإن أصل الإيمان هو ما في القلب ولكن هي لازمة له فمن لم يفعلها كان إيمانه منتفيا ؛لأن انتفاء اللازم يقتضى انتفاء الملزوم، لكن صارت بعرف الشارع داخلة في اسم الإيمان إذا أطلق كما تقدم في كلام النبي ﷺ ، فإذا عطفت عليه ذكرت لئلا يظن الظآن أن مجرد إيمانه بدون الأعمال الصالحة اللازمة للإيمان يوجب الوعد، فكان ذكرها تخصيصا وتنصيصا ليعلم أن الثواب الموعود به في الآخرة وهو الجنة بلا عذاب، لا يكون إلا لمن آمن وعمل صالحا ، ولا يكون لمن ادعى الإيمان ولم يعمل ، وقد بيّن سبحانه في غير موضع أن الصادق في قوله آمنت لابد أن يقوم بالواجب، وحصر الإيمان في هؤلاء يدل على انتفائه عمن سواهم"[2].

ثم رد على شبهتهم الثانية أن الله خاطب المؤمنين بالإيمان قبل وجود العمل فقال:" إن قلتم إنهم خوطبوا به قبل أن تجب تلك الأعمال ، فقبل وجوبها لم تكن من الإيمان وكانوا مؤمنين الإيمان ا.اكتب المعادلة هناالواجب عليهم قبل أن يفرض عليهم ماخوطبوا بفرضه فلما نزل إن لم يقروا بوجوبه لم يكونوا مؤمنين ولهذا قال الله سبحانه ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٧﴾﴾ "[3] [4].

١) مجموع الفتاوى (198/7).
٢) مجموع الفتاوى (202/7).
٣) سورة آل عمران الآية رقم (97).
٤) مجموع الفتاوى (197/7).

أما شبهتهم الثالثة وهو قولهم لو أن رجلاً آمن بالله ورسوله ضحوة، ومات قبل أن يجب عليه شيء من الأعمال مات مؤمناً ، فردّ عليهم قائلاً بأن قولهم: "من آمن ومات قبل وجوب العمل عليه مات مؤمناً فصحيح؛ لأنه أتى بالإيمان الواجب عليه والعمل لم يكن وجب عليه بعد" [1].

١) مجموع الفتاوى (197/7) وقد بسطنا القول في ذلك في أقسام الإيمان.

المطلب الرابع: أقسام الشيعة.

تمهيد

الشيعة لغة: يقال شيعة الرجل أتباعه وأنصاره[١]، وأصل الشيعة الفرقة من الناس. وغلب هذا الاسم على من يتولى علياً[٢].

وفي الاصطلاح قال شيخ الإسلام: "الشيعة الذين شايعوا عليّاً وقدموه على سائر أصحاب رسول الله ﷺ"[٣].

وقال ابن حزم: "ومن وافق الشيعة في أن عليّاً أفضل الناس بعد رسول الله ﷺ، وأحقهم بالإمامة وولده من بعده فهو شيعي"[٤].

وقال الشهرستاني: "هم الذين شايعوا عليا رضي الله عنه على الخصوص، وقالوا بإمامته وخلافته نصا ووصية، إما جلياً وإما خفيّاً، واعتقدوا أن الإمامة لا تخرج من أولاده ، وإن خرجت فبظلم يكون من غيره أو بتقية من عنده"[٥].

أقسام الشيعة عند شيخ الإسلام:

ذكر شيخ الإسلام أقسام الشيعة فقال:" والشيعة هم ثلاث درجات: شرها الغالية...، والدرجة الثانية وهم الرافضة ...، والدرجة الثالثة المفضلة من الزيدية وغيرهم"[٦].

القسم الأول: الغالية.

قال شيخ الإسلام: "شرها الغالية الذين جعلوا لعلي شيئا من الإلهية أو يصفونه بالنبوة، وكفر هؤلاء بين لكل مسلم يعرف الإسلام، وكفرهم من جنس كفر اليهود والنصارى من

---

١) الصحاح في اللغة (517/3).

٢) أنظر لسان العرب (258/5).

٣) منهاج السنة النبوية (508/2).

٤) الفصل في الملل والأهواء والنحل (370/1)، وبنحوا هذا ذكره ابن حجر في هدي الساري (ص646).

٥) الملل والنحل (169/1)، وبنحوا هذا قال الجرجاني في التعريفات (ص135).

٦) التسعينية لابن تيمية (263/1-264).

هذا الوجه، وهم يشبهون اليهود من وجوه أخرى" [١]، وهؤلاء أصناف متعددة، والنصيرية منهم[٢]، فهم يغلون في علي حتى أوصله بعضهم إلى مقام الإلهية والعياذ بالله.

وهؤلاء الغالية حرقهم علي ﷺ بالنار، فإنه خرج ذات يوم من باب كندة فسجد له أقوام، فقال: ما هذا؟ فقالوا: أنت هو الله ، فاستتابهم ثلاثاً فلم يرجعوا ، فأمر في اليوم الثالث بأخاديد فُخدّت، وأضرم فيها النار، ثم قذفهم فيها، وقال:

لما رأيت الأمر أمرا منكرا أججت ناري ودعوت قنبرا[٣]

القسم الثاني: الرافضة.

قال شيخ الإسلام في بيان الرافضة [٤]: "كالإمامية وغيرهم الذين يعتقدون أن علياً هو الإمام الحق بعد النبي ﷺ، بنص جلي أو خفيّ، وأنه ظلم ومنع حقه، ويبغضون أبا بكر وعمر ويشتمونهما، وهذا عند الأئمة سيما الرافضة، وهو بغض أبا بكر وعمر وسبهما" [٥]، فهم يقولون بإمامته ويعتقدون أحقيته بالإمامة على غيره ويسبون أبا بكر وعمر وقد بلغ علي بن أبي طالب ﷺ أن طائفة تسب أبا بكر وعلى رأسهم عبد الله بن سبأ، فطلب قتله فهرب منه [٦].

وذكر شيخ الإسلام سبب تسميتهم رافضة فقال: " وإنما سموا رافضة وصاروا رافضة، لما خرج زيد بن علي بن الحسين بالكوفة في خلافة هشام ، فسألته الشيعة عن أبي بكر وعمر ؟

---

١) التسعينية لابن تيمية (263/1).

٢) منهاج السنة النبوية (508/2)، وأنظر مقالات الإسلاميين (25/1).

٣) الفتاوى الكبرى (71/1).

٤) سمو بذلك؛ لرفضهم زيد بن علي حينما توجه لقتال هشام بن عبد الملك، فقال أصحابه: تبرأ من الشيخين حتى نكون معك، فقال: لا بل أتولاهما، وأتبرأ ممن يتبرأ منهما، فقالوا: إذاً نرفضك، فسميت الرافضة. أنظر مقالات الإسلاميين (33/1)، الملل والنحل (169/1).

٥) التسعينية (264/1).

٦) مجموع الفتاوى (407/4).

فترحم عليهما ، فرفضه قوم ، فقال : رفضتموني رفضتموني ، فسموا رافضة ، وتولاه قوم ، فسمّوا زيدية لانتسابهم إليه ، ومن حينئذ انقسمت الشيعة إلى رافضة إمامية وزيدية ، وكلما زادوا في البدعة زادوا في الشر، فالزيدية خير من الرافضة أعلم وأصدق وأزهد وأشجع"[1].

وقد ذكر شيخ الإسلام شيئا من معتقداتهم فقال: " والرافضة مجمعون على أن النبي ﷺ نص على استخلاف علي بن أبي طالب رضي الله عنه باسمه وأظهر ذلك وأعلنه وأن أكثر الصحابة ضلوا بتركهم الاقتداء به بعد وفاة النبي ﷺ، وأن الإمامة لا تكون إلا بنص وتوقيف ، وأنها قرابة ، وأنه جائز للإمام في حال التقية أن يقول إنه ليس بإمام ، وأبطلوا جميعا الاجتهاد في الأحكام وزعموا أن الإمام لا يكون إلا أفضل الناس ، وزعموا أن عليا كان مصيبا في جميع أحواله، وأنه لم يخطئ في شيء من أمور الدين"[2].

القسم الثالث: المفضلة

وهم من يفضل علي على أبي بكر وعمر كالزيدية وغيرهم.

قال شيخ الإسلام في بيان المفضلة: "الذين يفضلون علياً على أبي بكر وعمر، ولكن يعتقدون إمامتهما وعدالتهما ويتولونهما، فهذه الدرجة وإن كانت باطلة فقد نسب إليها طوائف من أهل الفقه والعبادة، وليس أهلها قريبا ممن قبلهم، بل هم من أهل السنة أقرب منهم إلى الرافضة؛ لأنهم ينازعون الرافضة في إمامة الشيخين وعدالتهما وموالاتهما، وينازعون أهل السنة في فضلهما على عليّ رضي الله عنه، والنزاع الأول أعظم ولكنهم هم المرقاة التي تصعد منه الرافضة فهم له باب"[3].

وقد روي عن علي رضي الله عنه أنه قال: "لا يبلغني عن أحد منكم أنه فضّلني على أبي بكر وعمر إلا جلدته حد المفتري"[4].

---

١) منهاج السنة النبوية (404/1).

٢) منهاج السنة النبوية (509/2).

٣) التسعينية لابن تيمية (264/1).

٤) السنة لعبد الله ابن أحمد (562/1)، والسنة لابن أبي عاصم (819/2).

بقي أن نشير إلى أمر مهم أشار له شيخ الإسلام فقال: "وقدماء الشيعة يفضلون أبا بكر وعمر وهذا متفق عليه بين قدماء الشيعة، وإنما كان التراع في علي وعثمان حين صار لهذا شيعة ولهذا شيعة" [1]، أي: أنه كان بداية التراع في تفضيله على عثمان، وهذا ما وقع فيه قدماء الشيعة، و لم يكونوا يفضلونه على الإمامين، ثم أتي من بعدهم وفضلوه عليهما.

---

١) النبوات لابن تيمية (690/2).

المطلب الخامس: أقسام أصحاب العقليات.

تمهيد

أصحاب العقليات هم الذين يقدمون العقل على النقل، مع أن النقل موافق للعقل ، وشبههم في ذلك كما قال شيخ الإسلام: أنه " إذا تعارضت الأدلة السمعية والعقلية ، أو السمع والعقل، أو النقل والعقل ، أو الظواهر النقلية والقواطع العقلية ، أو نحو ذلك من العبارات، فإما أن يجمع بينهما وهو محال ؛ لأنه جمع بين النقيضين، وإما أن يردا جميعا، وإما أن يقدم السمع وهو محال؛ لأن العقل أصل النقل، فلو قدمناه عليه كان ذلك قدحاً في العقل الذي هو أصل النقل، والقدح في أصل الشيء قدح فيه ، فكان تقديم النقل قدحاً في النقل والعقل جميعا، فوجب تقديم العقل ثم النقل، وإما أن يتأول، وإما أن يفوض" [١].

أقسام أصحاب العقليات عند شيخ الإسلام:

وقد ذكر شيخ الإسلام أقسام أصحاب العقليات فقال: "هم قسمان: **قسم** بنوا على هذه العقليات القياسية الأصول العلمية دون العملية،كالأشعرية، **وقسم** بنوا عليها الأصول العلمية والعملية كالمعتزلة" [٢].

ونبدأ بذكر المعتزلة أولاً لأنهم أصل للأشاعرة.

القسم الأول: من بنا الأصول العلمية و العملية كالمعتزلة

فأثبتوا صفات الله سبحانه نفيا وإثباتا بالقياس العقلي [٣] ثم أتوا إلى أفعاله فقالوا فيها بالتحسين والتقبيح العقليين [٤]، قال شيخ الإسلام: " حتى أن هؤلاء يأخذون القدر المشترك في الأفعال بين الله وبين عباده ، فما حسن من الله حسن من العبد ، وما قبح من العبد قبح من الله ولهذا سماهم الناس مشبهة الأفعال ، ولاشك أن هؤلاء هم المتكلمة المذمومون عند السلف لكثرة بنائهم الدين على القياس الفاسد الكلامي وردهم لما جـــاء به الكتاب

---

١) درء التعارض (7/1).

٢) مجموع الفتاوى (2/7-8).

٣) مجموع الفتاوى (2/7).

٤) أنظر الأصول الخمسة (ص76).

والسنة"[١]، فما حسن في العقل من الإنسان حسن من الله وما قبح في العقل قبح من الله ثم أوجبوا على الله فعل ما حسن في العقل وقالوا لا يجوز فعل ما قبح وعليه أنكروا خلق الله لأفعال العباد وقالوا هذا فيه نسبة فعل القبائح إلى الله سبحانه.

ففي الأصول العلمية من صفات الله وما يجب له اعتمدوا على العقليات القياسية، وفي الأصول العملية من الأفعال ونحوها اعتمدوا على العقليات القياسية.

وعمدة هؤلاء في كلامهم هو تلك القضايا التي يسمونها العقليات؛ وهى أصول دينهم وقد بنوها على مقاييس تستلزم رد كثير مما جاءت به السنة ، فلحقهم الذم من جهة ضعف المقاييس التي بنوا عليها ، ومن جهة ردهم لما جاءت به السنة[٢].

القسم الثاني: من بنا على هذه العقليات القياسية الأصول العلمية دون العملية:

كالأشعرية قال شيخ الإسلام في هؤلاء: " لما شاركوهم في بعض ذلك لحقهم من الذم والعيب بقدر ما وافقوهم فيه ، وهو موافقتهم في كثير من دلائلهم التي يزعمون أنهم يقررون بها أصول الدين والإيمان ، وفى طائفة من مسائلهم التي يخالفون بها السنن والآثار وما عليه أهل العقل والدين"[٣].

فهم وافقوا المعتزلة في الجانب العلمي في صفات الله، وبنوها على هذه العقليات القياسية، وخالفوهم في الجانب العملي من الأفعال وغيرها، فمنعوا التحسين والتقبيح العقليين، وجوزوا على الله فعل كل شيء ممكن[٤]، وردوا على المعتزلة في قولهم، فاستحقوا من الذم ما وافقوهم عليه من الأصول العلمية.

---

١) مجموع الفتاوى (8/2).

٢) مجموع الفتاوى (7/2).

٣) مجموع الفتاوى (8/2).

٤) أنظر الإرشاد للجويني (ص228).

المطلب السادس: أقسام الصوفية.

تمهيد

النسبة في الصوفية إلى الصوف؛ لأنه كان غالب لباس الزهاد[(١)].

وقد عرف الصوفية التصوف، فقال معروف الكرخي [(٢)]: "التصوف الأخذ بالحقائق واليأس مما في أيدي الخلائق"[(٣)].

وقال الجنيد[(٤)]: "التصوف أن تكون مع الله بلا علاقة"[(٥)].

أقسام الصوفية عند شيخ الإسلام

ذكر شيخ الإسلام أقسام الصوفية فقال: "الصوفية ثلاثة أصناف: صوفية الحقائق وصوفية الأرزاق وصوفية الرسم"[(٦)].

---

١) مجموع الفتاوى (396/10) وقد ساق شيخ الإسلام أقوال الناس في نسبة الصوفية وأورد عليها، فلينظر في هذا الموضع. ومال إلى هذه النسبة ابن خلدون في مقدمته (ص450).

٢) هو علم الزهاد، بركة العصر، أبو محفوظ البغدادي معروف بن فَيروز، أبو محفوظ الكرخ ي، ذكر مرة معروف عند الإمام أحمد، فقيل: قصير العلم، فقال: أمسك، وهل يراد من العلم إلا ما وصل إليه معروف"، مات سنة مئتين من الهجرة، انظر طبقات الصوفية للسلمي (ص 80)، سير أعلام النبلاء (86/8).

٣) عوارف المعارف للسهرودي (ص53).

٤) الجُنَيد بنُ محمد، أبو القاسم الخَزَّار ، شيخ الصوفية ، أصله من "نَهاوَنْد" ، ولد سنة نيف ومائتين ومَوْلُده ومَنْشؤه بالعراق ، وكان فقيهاً، تفَقَّه على أبي ثَوْر، وكان يُفتِي في حلقته. وصحب السر ي السقطِي، والحارث المحاسِبيَّ، وهو من أئمَّة الصوفية وسادهم؛ مقبول على جميع الألسنة ، تُوفي سنة سبع وتسعين ومائتين يوم نيروز الخلفية، يوم السبت، أنظر طبقات الصوفية للسلمي (ص129)، سير أعلام النبلاء (43/11).

٥) عوارف المعارف للسهرودي (ص53).

٦) مجموع الفتاوى (19/11).

الصنف الأول: صوفية الحقائق

قال شيخ الإسلام عن صوفية الحقائق أنهم مجتهدون في طاعة الله كما اجتهد غيرهم من أهل طاعة الله ، ففيهم السابق المقرب بحسب اجتهاده ، وفيهم المقتصد الذي هو من أهل اليمين، وفى كل من الصنفين من قد يجتهد فيخطئ، وفيهم من يذنب فيتوب أو لا يتوب، ومن المنتسبين إليهم من هو ظالمٌ لنفسه عاصٍ لربه، وقد انتسب إليهم طوائف من أهل البدع والزندقة، ولكن عند المحققين من أهل التصوف ليسوا منهم كالحلاج [١] مثلاً، فان أكثر مشايخ الطريق أنكروه وأخرجوه عن الطريق"، ثم قال –رحمه الله-: "فهذا أصل التصوف، ثم إنه بعد ذلك تشعبٌ وتنوع" [٢].

فأما التصوف عند هؤلاء له حقائق وأحوال معروفة ، قد تكلموا في حدوده وسيرته وأخلاقه [٣].

أقسام صوفية الحقائق عند شيخ الإسلام

وصوفية الحقائق يذكر شيخ الإسلام أنهم على ثلاثة أقسام:

القسم الأول: "لهم عبادة وزهد وصدق فيما هم فيه ، وهم يحسبون أنه حق ، وعامتهم الذين يقرّون ظاهراً وباطناً بأن محمداً رسول الله ، وأنه أفضل الخلق، ولكنهم لا يفهمون

---

١) الحسين بن منصور الحلاج، أبو مغيث: فيلسوف، يعد تارة في كبار المتعبدين والزهاد، وتارة في زمرة الملحدين، أصله من بيضاء فارس، ونشأ بواسط العراق (أو بتستر) وانتقل إلى البصرة، وحج، ودخل بغداد وعاد إلى تستر ، وظهر أمره سنة (299هـ) فاتبع بعض الناس طريقته في التوحيد والإيمان، ثم كان يتنقل في البلدان وينشر طريقته سرا، وإنه كان يظهر مذهب الشيعة للملوك (العباسيين) ومذهب الصوفية للعامة، وهو في تضاعيف ذلك يدعي حلول الإلهية فيه، وكثرت الوشايات به إلى المقتدر العباسي ، فأمر بالقبض عليه، فسجن وعذب ، وضرب وهو صابر لا يتأوه ولا يستغيث ، قتل سنة (309هـ). أنظر سير أعلام النبلاء (194/11)، الوافي بالوفيات (46/13).

٢) مجموع الفتاوى (18/11).

٣) مجموع الفتاوى (16/11).

حقيقة قول مشائخهم ممن دون علم التصوف، وميزه عن غيره من العلوم" [1]، فيقصدون الخير من عبادة الله، والزهد في الدنيا، لكن لا يعرفون أقوال مشايخهم، وما يقولون به من أمور مخالفة للكتاب والسنة.

القسم الثاني: "صنفٌ تكلموا في خصائص الإيمان والدين، ويوجد فيما يأتونه عمن قبلهم، وفيما يذكرونه، معتقدين له شيءٌ كبير، وأمر عظيم من الهدى ودين الحق الذي بعث الله به رسوله، ويوجد أحياناً عندهم من جنس الروايات الباطلة والضعيفة، ومن جنس الآراء والأذواق الفاسدة والمحتملة شيءٌ كثير" [2]، فلهم حرص على الدين، لكن فسادهم من قبل ما يأتون به من روايات باطلة وأذواق فاسدة.

القسم الثالث: " صنف يقول ما يقوله ابن عربي [3] ونحوه" [4]، فيتكلمون حتى يصل الأمر بهم إلى قول الكفر والعياذ بالله، وسيأتي بيان قول ابن عربي عند الكلام على الحلول والإتحاد.

---

١) أنظر مجموعة الرسائل الكبرى لابن تيمية (ص141).

٢) أنظر مجموعة الرسائل الكبرى لابن تيمية (ص141).

٣) محيي الدين محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن عبد الله الحاتمي الطائي الأندلسي يعرف : بابن عربي، ولد في مرسيه سنة (560هـ) حكيم، صوفي، متكلم، فقيه، مفسر أديب، شاعر، مشارك في علوم أخرى ، وانتقل إلى اشبيلية، وسمع من ابن بشكوال ورحل إلى مصر والحجاز وبغداد والموصل وبلاد الروم، وأنكر عليه أهل مصر آراءه، فعمل بعضهم على إراقة دمه، وحبس فسعى في خلاصه علي بن الفتح البجائي فنجا، واستقر بدمشق،علق شيئا كثيرا في تصوف أهل وحدة الوجود قال الذهبي ومن أردأ تواليفه الفصوص فإن كان لا كفر فيه فما في الدنيا كفر وقال ابن عبد السلام عنه شيخ سوء كذاب يقول بقدم العالم لا يحرم فرجاً، وعنه أخذ :شرف الدين بن الفارض، و صدر الدين القونوي ، وتوفي سنة (638هـ) ودفن بسفح قاسيون. انظر سير أعلام النبلاء (310/16)، طبقات المفسرين (ص230).

٤) أنظر مجموعة الرسائل الكبرى لابن تيمية (ص141-142).

الصنف الثاني: صوفية الأرزاق

قال شيخ الإسلام: "صوفية الأرزاق الذين وقفت عليهم الوقوف [١] كالخوانق[٢] فلا يشترط في هؤلاء أن يكونوا من أهل الحقائق، فإن هذا عزيز، وأكثر أهل الحقائق لا يتصفون بلزوم الخوانك، ولكن يشترط فيم ثلاثة شروط:

أحدها: العدالة الشرعية بحيث يؤدون الفرائض ويجتنبون المحارم.

الثاني: التأدب بآداب أهل الطريق ، وهى الآداب الشرعية في غالب الأوقات ، وأما الآداب البدعية الوضعية فلا يلتفت إليها

الثالث: أن لا يكون أحدهم متمسكا بفضول الدنيا، فأما من كان جمّاعاً للمال أو كان غير متخلق بالأخلاق المحمودة، ولا يتأدب بالآداب الشرعية، أو كان فاسقاً فإنه لا يستحق ذلك" [٣]، فإذا اتصفوا بهذه الثلاثة أوصاف فهم من الصوفية الأقرب إلى الحق والصواب.

الصنف الثالث: صوفية الرسم

قال شيخ الإسلام: "وأما صوفية الرسم فهم المقتصرون على النسبة فهمهم في اللباس والآداب الوضعية ونحو ذلك فهؤلاء في الصوفية بمنزلة الذي يقتصر على زى أهل العلم وأهل الجهاد ونوع ما من أقوالهم وأعمالهم بحيث يظن الجاهل حقيقة أمره أنه منهم وليس منهـــــم" [٤].

فصوفية الأرزاق والرسم مجرد أتباع وأذناب لصوفية الحقائق [٥]، فهم بهيئاتهم وصفاتهم يتشبهون بالصوفية في الظاهر ولا يهتمون في الباطن من العبادة والإيمان.

---

١) أي: المستفيد من دخل الأوقاف الموقوفة على الصوفية. أنظر موقف الإمام ابن تيمية من الصوفية والتصوف (ص98).

٢) الخوانق جمع خانقاه، وهو رباط الصوفية. أنظر المعجم الوسيط (ص260).

٣) مجموع الفتاوى (19/11).

٤) مجموع الفتاوى (20/11).

٥) موقف الإمام ابن تيمية من الصوفية والتصوف (ص99).

وجميع أصناف الصوفية في العقائد على مسالك عدة.

أقسام المنتسبون إلى التصوف في الاعتقاد عند شيخ الإسلام:

قال شيخ الإسلام: "والمتكلمون في التصوف والحقائق ثلاثة أصناف:

-قوم على مذهب أهل الحديث والسنة.

-وقوم على طريقة بعض أهل الكلام من الكلابية أو غيرهم، كأبي القاسم القشيري [١] وغيره.

-وقوم خرجوا إلى طريقة المتفلسفة، مثل من سلك مسلك -رسائل إخوان الصفا[٢]- ، ومن ذلك قطعة توجد في كلام أبي حيّان التوحيدي[٣]" [٤].

---

١) عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك بن طلحة بن محمد. الإمام أبو القاسم القشيري، النيسابوري، الزاهد، الصوفي، شيخ خراسان، وأستاذ الجماعة، ومقدم الطائفة. وكان يعرف الأصول على مذهب الأشعري، والفروع على مذهب الشافعي. صنف التفسير، والرسالة المشهورة في رجال الطريقة، ولد سنة375هـ وحج مع البيهقي، وأبي محمد الجويني ، توفي أبو القاسم سادس عشر شهر ربيع الآخر سنة خمس وستين وأربعمائة ودفن بالمدرسة بباب الطاق بجنب شيخه الأستاذ أبي علي الدقاق. انظر سير أعلام النبلاء (395/13)، طبقات الشافعية لابن كثير (421/1).

٢) اخوان الصفا: جمعية فلسفية، باطنية إسماعيلية، تألفت على نحو سري في البصرة في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري، اسمها الكامل: "جمعية إخوان الصفا وخلان الوفاء"،ألفوا رسائل بلغت نحو الخمسين مقالة، اتحدوا على أن يوفقوا بين العقائد، و يرون أن النبوة مكتسبة، وأن المعجزات حيلٌ ومخاريق، وغير ذلك، انظر الإمتاع والمؤانسة (5/2-6)،

٣) أبو حيان التوحيدي الضال الملحد، أبو حيان، علي بن محمد بن العباس، البغدادي الصوفي، صاحب التصانيف الأدبية والفلسفية، ويقال: كان من أعيان الشافعية ، قال أبو الفرج بن الجوزي: زنادقة الإسلام ثلاثة: ابن الراوندي، وأبو حيان التوحيدي، وأبو العلاء المعري، وأشدهم على الإسلام أبو حيان، لأنهما صرحا، وهو مجْمَجَ ولم يصرح، وأبو حيان له مصنف كبير في تصوف الحكماء، وزهاد الفلاسفة، وكتاب سماه "البصائر والذخائر" و "الإمتاع والمؤانسة"، توفي سنة (400هـ). انظر: سير أعلام النبلاء (547/12)، لسان الميزان (55/9).

٤) الرد على الشاذلي (ص39-40).

المبحث الثاني: المقالات.

وفيه ثمانية مطالب:

المطلب الأول: أقسام منكري المحبة.

المطلب الثاني : أقسام الناس في أفعال الله.

المطلب الثالث: مراتب الناس في قيام الصفات والأفعال بالله.

المطلب الرابع: أقسام الناس في العلو والمعية.

المطلب الخامس: أنواع التوحيد عند المتكلمين.

المطلب السادس: أقسام التوحيد عند الصوفية.

المطلب السابع: أصناف القائلين بقدم الروح.

المطلب الثامن: أنواع أهل الحلول والإتحاد.

المطلب الأول: أقسام منكري المحبة

تمهيد

المحبة من الصفات الثابتة لله سبحانه في الكتاب والسنة وقد سبق بيانها ، لكن طائفة ضلت في هذا وأنكرت محبته.

وقبل أن نبدأ بتفصيل المنكرين للمحبة نذكر شيئاً من كلام شيخ الإسلام عن هؤلاء المنكرين للمحبة وشبههم، فقال: " وصار كثيرٌ من أهل الكلام والرأي ينكرون جنس محبة الله وإرادته، كما صار كثير من أهل الزهد والتصوف ينكر جنس العلم والكلام والنظر ، وأولئك الذين أنكروا محبة الله وإرادته بنوا ذلك على أصل لهم للقدرية المجبرة والنافية ، وهو أن المحبة والإرادة والرضا والمشيئة شيء واحد، ولا يتعلق ذلك إلا بمعدوم، وهو إرادة الفاعل أن يفعل ما لم يكن فعله، فاعتقدوا أن المحبة والإرادة لا تتعلق إلا بمعدوم، فالموجود لا يحب ولا يراد، والقديم الأزلي لا يحب ولا يراد ، والباقي لا يحب ولا يراد ، فأنكروا أن يكون الله محبوبا أو مرادا ، وهم لإنكار كونه يحبّ أبلغ وأبلغ ، فلا يثبتون إلا مشيئته أن يخلق فقط ، وهي لا تتعلق إلا بمعدوم، فأما أن يحب موجوداً من خلقه فهذا باطل" [١].

وقد ذكر شيخ الإسلام أن أول من أنكر المحبّة الجعد بن درهم[٢] [٣].

أقسام منكري المحبة عند شيخ الإسلام:

قد ذكر شيخ الإسلام أقسام منكري المحبة فقال: "منكروها قسمان:

-قسمٌ يتأولونها بنفس المفعولات التي يحبها العبد فيجعلون محبته نفس خلقه.

---

١) النبوات لابن تيمية (1/395-396).

٢) الجعد بن درهم، من الموالي: مبتدع، له أخبار في الزندقة ، سكن الجزيرة الفراتية، وأخذ عنه مروان بن محمد لما ولي الجزيرة، في أيام هشام بن عبد الملك، فنسب إليه ، أو كان الجعد مؤدبه في صغره ، ومن أراد ذم مروان لقبه بالجعدي، نسبة إليه ، قتل سنة (118هـ). أنظر سير أعلام النبلاء (6/151)، لسان الميزان (2/437).

٣) مجموع الفتاوى (10/697).

-وقسمٌ يجعلونها نفس إرادته لتلك المفعولات"[١].

القسم الأول: من يجعل محبته كمحبة خلقه.

فيجعلون محبة الله ﷻ نفس خلقه [٢]، أي: نفس خلق الله، قال القرطبي عند ذكره لاختلاف أئمتهم في تأويل صفة المحبة: "ومنهم من صرفها إلى نفس الإنعام والإكرام وعلى هذا فتكون من صفات الأفعال"[٣].

وقال البيهقي: "المحبة والبغض والكراهية عند أصحابنا من صفات الفعل، فمعنى محبته إكرام من أحبه ومعنى بغضه إهانته"[٤].

وقال شيخ الإسلام :" "وقد تأول الجهمية ومن تبعهم من أهل الكلام محبة الله لعبده على أنها الإحسان إليه فتكون من الأفعال " [٥].

أما المعتزلة فقد نقل شيخ الإسلام أنهم يقولون أن حبه هو نفس المخلوق الذي يخلقه من الثواب والعقاب [٦].

القسم الثاني: من يجعلونها نفس إرادته لتلك المفعولات.

فهم يقولون أن محبة الله هي نفس إرادته لذلك الفعل قال القرطبي: "اختلف أئمتنا في تأويلها فمنهم من صرفها إلى إرادته تعالى إنعاما مخصوصا على من أخبر أنه يحب من عباده"[٧].

وقال النووي: "قال العلماء محبة الله عبده هي رحمته ورضاه عنه وإرادته له الخير" [٨]، ويريد النووي بالعلماء علماء الأشاعرة.

---

١) مجموع الفتاوى (75/10).

٢) مجموع الفتاوى (75/10).

٣) المفهم للقرطبي (212/1).

٤) الأسماء والصفات للبيهقي (ص501).

٥) قاعدة في المحبة (ص115)، وأنظر أيضا مجموع الفتاوى (697/10).

٦) مجموعة الرسائل والمسائل لابن تيمية (321/5).

٧) المفهم للقرطبي (212/1).

٨) شرح مسلم للنووي (340/16).

وذكر شيخ الإسلام تأويلات المتكلمة للمحبة، فقال: "وطائفة أخرى من الصفاتية، قالوا: هي إرادة الإحسان"[1].

فالفرق بين القسمين أن أصحاب القسم الأول يقولون هو الفعل فيصرفها إلى نفس فعل الإنعام والإكرام ونحوه ، أما أصحاب القسم الثاني فيقولون المحبة هي إرادته للفعل.

وقد ردّ شيخ الإسلام على من أنكر صفة المحبة لله سبحانه، وهو مع ذلك يثبت بعض الصفات التي يزعم أن العقل قد دل عليها، وينفي ما ينفيه بزعمه أن العقل لا يدل عليها، رد عليه بقاعدة عظيمة وهي أن القول في بعض الصفات كالقول في بعض الآخر، ثم قال :" يمكن إثبات هذه الصفات بنظير ما أثبت به تلك العقليات، فيقال نفع العباد بالإحسان إليهم يدل على الرحمة كدلالة التخصيص على المشيئة، وإكرام الطائعين على محبتهم، وعقاب الكافرين على بغضهم، كما ثبت بالشاهد والخبر من إكرام أوليائه وعقاب أعدائه"[2].

---

١) قاعدة في المحبة (ص115)، وأنظر أيضا مجموع الفتاوى (697/10).

٢) التدمرية (ص 34).

المطلب الثاني: أقسام الناس في أفعال الله

سبق الكلام عن أنواع أفعال الله ﷻ، وفي هذا المبحث سنتكلم عن أقسام الناس في أفعال الله.

أقسام الناس في أفعال الله عند شيخ الإسلام:

ذكر شيخ الإسلام أقسام الناس في أفعال الله فقال: "الناس في هذا الباب ثلاثة أقسام، الجهمية المحضة من المعتزلة ومن وافقهم يجعلون هذا كله مخلوقاً منفصلاً عن الله تعالى، والكلابية ومن وافقهم يثبتون ما يثبتون من ذلك، إما قديماً بعينه لازماً لذات الله، وإما مخلوقاً منفصلاً عنه، وجمهور أهل الحديث وطوائف من أهل الكلام يقولون بل هنا قسم ثالث قائم بذات الله متعلق بمشيئته وقدرته كما دلت عليه النصوص الكثيرة"[١].

القسم الأول: من يجعلون أفعال الله مخلوقاً منفصلاً عنه.

فالجهمية ومن وافقهم من المعتزلة ونحوهم، يجعلون أفعال الله مخلوقاً منفصلاً عنه [٢]، فشيخ الجهمية الجهم لا يثبت لله تعالى فعلاً يقوم بذاته أصلاً، بل أفعاله خارجية عنه قائمة بغيره من المخلوقات، [٣] وسبقه إلى هذا القول النصارى حيث أنهم يجعلون تارة كلام الله الذي تكلم به مخلوقاً منفصلاً[٤].

وقد بين شيخ الإسلام مراد هؤلاء بقولهم أنها مخلوقاً منفصلاً، قال: "يخلق أعراضاً من بعض مخلوقاته يسميها نزولاً، كما قال أنه يخلق في العرش معنى يسميه استـــــواء"[٥]، فما كان من أفعال الله وهو ما يسمونه حادثاً فهو مخلوق منفصل عنه عندهم[٦]، وقول هؤلاء مبني على أصلهم في نفي قيام الحوادث به[٧].

---

١) درء التعارض (147/2).

٢) درء التعارض (147/2).

٣) معارج القبول (480/1).

٤) الجواب الصحيح (363/1).

٥) مجموع الفتاوى (386/5).

٦) مجموعة الرسائل لابن تيمية (374/1).

٧) مجموع الفتاوى (386/5).

فقالوا: أن إثبات أفعال الله تعالى تقوم به يوجب أن يكون جسماً، والله ليس بجسم؛ لأن الأجسام محدثة، فلا تثبت له الصفات؛ لأن المعقول من الصفات أعراض قائمة بجسم لا تعقل صفته إلا كذلك [١]، فالجهمية قالوا: أن الله ليس بجسم،؛ لأن الأجسام محدثة، ويمتنع أن تكون له صفة تقوم به لأنها عرض، والأعراض حادثة، ويلزم من إثباتها لله أن يكون محلاً للحوادث [٢].

وقد بسط شيخ الإسلام الردّ على هؤلاء وما استدلوا به في دليلهم من عدة وجوه، وبيّن بطلان مذهبهم وطريقتهم، وسيأتي ذكر هذا.

القسم الثاني: من يثبت شيئاً من أفعال الله إما قديماً بعينه لازماً لذات الله وإما مخلوقاً منفصلاً.

كالكلابية ومن وافقهم، يثبتون ما يثبتون من ذلك إما قديماً بعينه، لازماً لذات الله، وإما مخلوقاً منفصلاً عنه [٣].

فوافقوا الجهمية من وجه وخالفوهم من وجه آخر، فأثبتوا بعض الصفات لكنهم لم يثبتوا الصفات الاختيارية التي تقوم بمشيئته وقدرته، والصفات التي أثبتوها هي قديمة بأعيانها، لازمة لذات الله كالعلم والقدرة، وأما ما يكون بمشيئته وقدرته فلا يكون إلا مخلوقاً منفصلاً عنه، فلا تقوم الصفات الاختيارية عندهم بذات الربّ جل وعلا [٤]، قال شيخ الإسلام: "الكلابية يقولون تقوم صفات بغير مشيئته وقدرته فأما ما يكون بمشيئته وقدرته فلا يكون إلا مخلوقاً منفصلاً عنه" [٥]، وقالوا: إن القدرة القديمة والإرادة القديمة هي المقتضية لحدوث كل ما حدث [٦]، فالصفات التي أثبتوها هي الصفات اللازمة لله ﷻ، وقالوا بأنها قديمة بأعيانها، أما صفاته الاختيارية فقد سلكوا مسلك الجهمية بجعلها مخلوقاً منفصلاً عن الله ﷻ.

---

١) انظر مجموع الفتاوى (299/17).

٢) الأصول التي بنى عليها المبتدعة مذهبهم في الصفات (334/1).

٣) درء التعارض (147/2).

٤) دعاوى المناوئين لشيخ الإسلام (ص247).

٥) مجموع الفتاوى (217/6).

٦) الصفدية (ص382).

القسم الثالث: من يجعلون قسم قائم بذات الله متعلق بمشيئته وقدرته

فجمهور أهل الحديث وطوائف من أهل الكلام يقولون: بل هناك قسم ثالث قائم بذات الله متعلق بمشيئته وقدرته كما دلت عليه النصوص الكثيرة [1].

فيقولون أن الله خلق مخلوقات منفصلة عنه، كما أن له صفات لازمة لذاته ﷻ، وله أفعال قائمة بذاته، متعلقة بمشيئته وقدرته، كالكلام والاستواء ونحوه، كما قال شيخ الإسلام:أن "أفعال الله قائمة به" [2]، وهذا أصلٌ ثابتٌ عند السلف، كما سبق بيانه.

ثم إن من هذا القسم كما يقول شيخ الإسلام: "من يجعلون نوع ذلك حادث كما تقوله الكرامية [3]، وأما أكثر أهل الحديث ومن وافقهم فإنهم لا يجعلون النوع حادثاً بل قديماً، ويفرقون بين حدوث النوع، وحدوث الفرد من أفراده" [4].

فمن جعل نوع ذلك حادث فقد أخطأ، وهذا ما وقع فيه طائفة من المتكلمين، لكن الذي عليه جمهور أهل الحديث، أنها قديمة النوع حادثة الآحاد، قال السعدي: "فصفات الأفعال نوعها قديم لم يزل ولا يزال، وأفرادها وجزئياتها لا تزال تتجدد كل وقتٍ بحسب إرادته وحكمته التي يُحمد عليها" [5].

وهذا كما يفرق بين دوام النوع ودوام الواحد من أعيانه، فإن نعيم أهل الجنة يدوم نوعه ولا يدوم كل واحد من الأعيان الفانية، ومن الأعيان الحادثة ما لا يفني بعد حدوثه، كأرواح الآدميين فإنها مبدعة كانت بعد أن لم تكن، ومع هذا فهي باقية دائمة [6].

---

١) درء التعارض (147/2).

٢) اقتضاء الصراط المستقيم (323/2).

٣) الكرامية: هم أتباع محمد بن كرام، ويعتقدون أن الله تعالى جسم، وأنه تعالى محل الحوادث، وأن له ثقل، وأنه خالق رازق بلا خلق ولا رزق، ولهم في الإيمان قول منكر، حيث جعلوا الإيمان هو قول اللسان، وإن كان مع عدم تصديق القلب، فيجعلون المنافق مؤمناً، أنظر مجموع الفتاوى (103/3)، الفرق بين الفرق (ص161).

٤) درء التعارض (148/2).

٥) الأجوبة السعدية عن المسائل الكويتية (ص129).

٦) درء التعارض (148/2).

المطلب الثالث: مراتب الناس في قيام الصفات والأفعال بالله.

ذكر شيخ الإسلام مواقف الناس في قيام الصفات والأفعال به.

مراتب الناس في قيام الصفات والأفعال بالله عند شيخ الإسلام:

ذكر شيخ الإسلام مراتب الناس في قيام الصفات والأفعال به فقال: "الناس ثلاثة مراتب: منهم من نفى قيام الصفات والأفعال به كالمعتزلة، ومنهم من أثبت قيام الصفات به دون الأفعال كالكلابية، ومنهم من أقرّ بقيام الصفات والأفعال" [١].

المرتبة الأولى: من نفى قيام الصفات والأفعال به كالمعتزلة[٢].

قال شيخ الإسلام: "والمعتزلة تنفي قيام الصفات والأفعال به، وتسمى الصفات أعراضاً، والأفعال حوادث، ويقولون لا تقوم به الأعراض ولا الحوادث، فيتوهم من لم يعرف حقيقة قولهم أنهم يتزهون الله تعالى عن النقائص والعيوب والآفات.

ولا ريب أن الله ﷻ يجب تتريهه عن كل عيب ونقص وآفة، فإنه القدوس السلام الصمد السيد، الكامل في كل نعت من نعوت الكمال، كمالاً يدرك الخلق حقيقته، متزّه عن كل نقص تتريهاً لا يدرك الخلق كماله." [٣].

وقد لخص شيخ الإسلام الطرق التي يستدل بها هؤلاء على نفي الصفات والأفعال بأنها على ثلاثة طرق، سوف نبينها ونذكر رد شيخ الإسلام عليها بإيجاز:

الأول: دليل الأعراض وحدوث الأجسام.

وأول من أخذ بهذا هم الجهمية قال شيخ الإسلام: الجهمية " أول من عرف عنهم في الإسلام أنهم أثبتوا حدوث العالم بحدوث الأجسام ، وأثبتوا حدوث الأجسام بحدوث ما يستلزمها من الأعراض ، وقالوا : الأجسام لا تنفك عن أعراض محدثة ، وما لا ينفك عن الحوادث أو ما لا يسبق الحوادث فهو حادث، لامتناع حوادث لا أول لها"[٤].

---

١) جامع الرسائل (1/159-160)، تحقيق د.محمد رشاد سالم.

٢) جامع الرسائل (1/159).

٣) جامع الرسائل (5/339-340).

٤) منهاج السنة النبوية (1/193).

ثم أخذ عن الجهمية هذا القول المعتزلة، والمعتزلة يعتبرون الصفات والكلام أعراضا وحوادث، لو قامت بالله للزم قيام الأعراض والحوادث به، والأعراض لا تقوم إلا بجسم، وما كان محلا للحوادث فهو حادث، ولذلك أنكروا قيام الصفات بذات الله تعالى [1]؛ فهم يقولون إن الصفات كلها أعراض وأفعال حادثة، ثم هي لا تقوم إلا بجسم، والأجسام محدثة، فلو قامت الصفات به لكان جسما، ولو قامت به وهي حوادث لم يخل منها، وما لا يخلو من الحوادث فهو حادث[2].

وقد رد شيخ الإسلام على مذهبهم الباطل ردا مطولاً نلخصه فيما يلي:

١) **بدعية هذا الطريق**، وأن هذه الأدلة لم يبعث الرسول بدعوة الناس إليها، ولم يعرفها سلف هذه الأمة، كما أنها مخالفة للشرع والعقل[3].

٢) **وجود طرق شرعية بديلة عن دليل الأعراض** قال شيخ الإسلام: " والمعرفة بالله ليست موقوفة على أصولهم، بل تمام المعرفة موقوف على العلم بفساد أصولهم ، و إن سموها أصول العلم و الدين ، فهي أصول الجهل و أصول دين الشيطان "[4]، وقد دلّنا الله سبحانه على طرق أخرى شرعية، كالنظر في المخلوقات والتفكر فيها، كما سبق بيان ذلك في أنواع الأدلة المفضية إلى وجود الصانع.

٣) اللوازم الباطلة لهذا الدليل ومن ذلك :

– **جعل** العقول هي المقياس لإثبات الله وصفاته، قال شيخ الإسلام :"وإنما عمدة الكلام عندهم ومعظمه هو تلك القضايا التي يسمونها العقليات، وهي أصول دينهم، وقد بنوها على مقاييس تستلزم رد كثير مما جاءت به السنة"[5].

---

١) أنظر درء تعارض العقل والنقل (305/1)، وأنظر منهاج السنة النبوية (434/1). وأنظر الأصول التي بنى عليها المبتدعة مذهبهم في الصفات (366/1).

٢) الأصول التي بنى عليها المبتدعة مذهبهم في الصفات (370/1).

٣) أنظر درء التعارض (333/9)، وأنظر مجموع الفتاوى (267/16).

٤) مجموع الفتاوى (452/16).

٥) مجموع الفتاوى (7/1).

– **تعطيل** الباري سبحانه، قال شيخ الإسلام: "و أما كونهم عطلوا الخالق؛ فلأن حقيقة قولهم أن من لم يزل متكلماً بمشيئته فهو محدث ، فيلزم أن يكون الرب محدثا لا قديما ، بل حقيقة أصلهم أن ما قامت به الصفات و الأفعال فهو محدث ، و كل موجود فلابد له من ذلك، فيلزم أن يكون كل موجود محدثاً ، و لهذا صرح أئمة هذا الطريق الجهمية و المعتزلة بنفي صفات الرب ، و بنفي قيام الأفعال و سائر الأمور الإختيارية بذاته ، إذ هذا موجب دليلهم، و هذه الصفات لازمة له ، و نفي اللازم يقتضي نفي الملزوم ، فكان حقيقة قولهم نفي الربّ و تعطيله.

– **و هم** يسمون الصفات أعراضا ، و الأفعال و نحوها حوادث ، فقالوا: الرب يتره عن أن تقوم به الأعراض والحوادث"[1].

– **دليلهم الثاني**: دليل التركيب والاستدلال به أن الموصوف بها قديم أو حادث.

ودليل التركيب عند المعتزلة هو أن الوجود ينقسم إلى قديم ومحدث، فإذا كان محدثا احتاج إلى فاعل، ولا بد من الانتهاء إلى القديم، وإلا لزم الدور والتسلسل، فلزم إثبات القديم على التقديرين، وهذا القديم واحد لا يتعدد، والتعدد يتنافى مع قدمه، فلو كان تعدد لكان مركبا، والتركيب من خصائص الجسم، والله ليس جسما[2].

وقد رد عليهم شيخ الإسلام من عدة أوجه نذكرها بإيجاز:

١) أن هذا الدليل مبتدع كما سبق ذلك في دليل الأعراض

٢) هذا من الألفاظ المجملة، وقد سبق بينا موقف شيخ الإسلام من الألفاظ المجملة، وذلك في باب الصفات، وأنه ألزمهم بمثل ما يثبتون به فقال: "وان قال نفاة الصفات: إثبات العلم والقدرة والإرادة مستلزم تعدد الصفات ، وهذا تركيب ممتنع ، قيل: وإذا قلتم: هو موجود واجب، وعقـل وعاقـل ومعقـول، وعاشـق ومعشـوق،

---

١) مجموع الفتاوى (454/16).

٢) أنظر مجموع الفتاوى (69/6)، وأنظر درء التعارض (301/1)، وأنظر الأصول التي بنى عليها المبتدعة مذهبهم في الصفات (136/3).

ولذيذ وملتذ ولذة ، أفليس المفهوم من هذا هو المفهوم من هذا؟ فهذه معان متغيرة في العقل، وهذا تركيب عندكم، وأنتم تثبتونه وتسمونه توحيدا.

فإن قالوا: هذا في الحقيقة وليس هذا تركبا ممتنعا ، قيل لهم: واتصاف الذات بالصفات اللازمة لها توحيد في الحقيقة، وليس هو تركيبا ممتنعا.

وذلك أنه من المعلوم في صريح العقول ، أنه ليس معنى كون الشيء عالما هو معنى كونه قادرا، ولا نفس ذاته هو نفس كونه عالما قادرا ، فمن جوز أن تكون هذه الصفة هي الموصوف، فهو من أعظم الناس سفسطة"[١].

وهاتان الطريقتان جماعُ ما يذكرونه.

ثم ذكر طريقة ثالثة وهي الاستدلال بالاختصاص على إمكان المختصّ أو حدوثه، وقد يقال أنها طريقة أخرى وقد تدخل في الأولى [٢].

وقد ردّ شيخ الإسلام –رحمه الله– على هذه الطرق رداً مفصلاً ليس هذا موضعه، وبيّن بطلان هذه الطرق لصعوبتها، وبدعيتها، وذمّ العلماء لها، وتناقضاتها[٣].

المرتبة الثانية: من أثبت قيام الصفات به دون الأفعال، كالكلابية [٤]، فأثبتوا الصفات الذاتية ونفوا الصفات الاختيارية.

فهم كما قال شيخ الإسلام: "وافقوا السلف والأئمة في إثبات الصفات، ووافقوا الجهمية في نفي قيام الأفعال به تعالى وما يتعلق بمشيئته وقدرته" [٥].

ويستدل هؤلاء بما يستدل به المعتزلة من الأدلة التي سبق ذكرها فهم ينفون الأفعال القائمة به دون الصفات[٦] بهذه الطرق الباطلة.

---

١) التدمرية (ص40).

٢) درء التعارض (141/7).

٣) أنظر الأصول التي بنى عليها المبتدعة مذهبهم في الصفات (207/2).

٤) جامع الرسائل (159/1).

٥) أنظر درء التعارض (99/2).

٦) أنظر درء التعارض (99/2).

المرتبة الثالثة: من أقرّ بقيام الصفات والأفعال به، وهم جمهور الأمة [1].

قال شيخ الإسلام: "فكان السلف والأئمة يثبتون ما يقوم بذاته من الصفات والأفعال مطلقاً [2]، كما سبق بسط ذلك [3].

---

١) جامع الرسائل (159/1).

٢) درء التعارض (99/2).

٣) أنظر أقسام الصفات وما يتعلق بها، وأنظر أقسام الأفعال وما يتعلق بها مما سبق تفصيله.

المطلب الرابع: أقسام الناس في العلو والمعية.

سبق الكلام عن العلو والمعية، وهنا نذكر مواقف الناس من العلو والمعية.

أقسام الناس في العلو والمعية عند شيخ الإسلام:

وقد ذكر شيخ الإسلام أقسام الناس في علوّ الله ﷻ ومعيّته فقال: "وقد افترق الناس في هذا المقام أربع فرق: الجهمية النفاة الذين يقولون ليس داخل العالم ولا خارج العالم ولا فوق ولا تحت ...، وقسم ثان يقولون إنه بذاته في كل مكان ...، والقسم الثالث من يقول هو فوق العرش وهو في كل مكان، وأما القسم الرابع فهم سلف الأمة وأئمتها" [١].

القسم الأول: من لا يقولون بعلوه ولا بفوقيته.

قال شيخ الإسلام: "فالجهمية النفاة الذين يقولون ليس داخل العالم ولا خارج العالم ولا فوق العالم ولا تحت العالم، لا يقولون بعلوّه ولا بفوقيته، بل الجميع عندهم متأولٌ أو مفوض"، ثم قال: "والجمهية ليس معهم من الأنبياء كلمة واحدة توافق ما يقولونه" [٢]، فهم لم يتبعوا شيئاً من النصوص بل خالفوها كلها [٣].

وقد ردّ شيخ الإسلام على هذه المقولة رداً مطولاً نذكر شيئاً من ذلك باختصار شديد:

أولاً: أنّه ليس في الكتاب ولا في السنة أنّه لا داخل العالم ولا خارجه [٤].

ثانياً: معنى قولهم لا داخل العالم ولا خارجه أن لا يكون الله شيئاً قائماً بنفسه موجوداً، بل يكون كالخيال [٥].

ثالثاً: أن العلم بامتناع موجود لا داخل العالم ولا خارجه علم فطري ضروري [٦].

---

١) مجموع الفتاوى (5/227-231).

٢) مجموع الفتاوى (5/227).

٣) مجموع الفتاوى (5/230).

٤) التدمرية (ص81).

٥) الفتاوى الكبرى (6/261).

٦) بيان تلبيس الجهمية (2/304).

القسم الثاني: من يقول أنه بذاته في كل مكان.

قال شيخ الإسلام في هؤلاء الذين يقولون أنه بذاته في كل مكان: "كما يقوله النجّــارية [١]، وكثير من الجهمية عبادهم وصوفيتهم وعوامّهم ، ويقولون أنّه عينُ وجود المخلوقات، كما يقوله أهل الوحدة القائلون بأن الوجود واحد، ومن يكون قوله مركباً من الحلول والاتحاد ، وهم يحتجّون بنصوص المعيّة و القرب ، ويتأولون نصوص العلو والاستواء" [٢].

قال شيخ الإسلام: "فكل من قال إن الله بذاته في كل مكان، فهو مخالف للكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة وأئمتها، مع مخالفته لما فطر الله عليه عباده، ولصريح المعقول وللأدلة الكثيرة" [٣].

ثم أجاب عنهم شيخ الإسلام أن كل نص يحتجون به حُجّة عليهم؛ فإن المعية أكثرها خاصة بأنبيائه وأوليائه، وعندهم أنه في كل مكان.

ثم بيّن أنه في النصوص ما يبين نقيض قولهم مثل قوله ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾، [٤] فكل من في السموات والأرض يسبح، والمسبَّح غير المسبِّح، ثم قال ﴿لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [٥]، فبين أن الملك له، ثم قال ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝٣﴾ [٦] [٧].

---

١) هم أصحاب الحسين بن محمد النجار، ويبلغون زهاء عشر فرق بالري كل فرقة منها تكفر سائرها، ويجمعهم القول بحدوث كلام الله تعالى، ونفي صفاته الأزلية، وإستحالة رؤيته، أنظر أصول الدين للبغدادي (ص334)، الفرق بين الفرق للبغدادي (ص191).

٢) مجموع الفتاوى (228/5).

٣) مجموع الفتاوى (230/5).

٤) سورة الحديد الآية رقم (1).

٥) سورة الحديد الآية رقم (2).

٦) سورة الحديد الآية رقم (3).

٧) مجموع الفتاوى (228/5).

ثم قال –رحمه الله-: " والمعية لا تدل على الممازجة والمخالطة ، وكذلك لفظ القرب ، فانه عند الحلولية أنه في حبل الوريد ، كما هو عندهم في سائر الأعيان، وكل هذا كفرٌ وجهل بالقرآن" (١).

فهذا الصنف ترك النصوص الكثيرة المحكمة المبينة، وتعلق بنصوص قليلة اشتبهت عليه معانيها (٢).

القسم الثالث: من يقول هو فوق العرش وهو في كل مكان.

قال شيخ الإسلام في هذا القسم: فيقول أحدهم "أنا أقرّ بهذه النصوص وهذه ، و لا أصرف واحداً منها عن ظاهره، وهذا قول طوائف ذكرهم الأشعري في المقالات الإسلامية، وهو موجودٌ في كلام طائفة من السالمية(٣) والصوفية.

وهذا الصنف الثالث وان كان أقرب إلى التمسك بالنصوص، وأبعد عن مخالفتها ، فهو يقول أنا اتبعت النصوص كلها؛ لكنه غالط أيضاً" (٤)، ويتضح خطؤهم عند بيان مذهب السلف والأئمة.

القسم الرابع: من آمن بها جميعاً على مراد الله ومراد رسوله.

قال شيخ الإسلام في هؤلاء: " فهم سلف الأمة وأئمتها أئمة العلم والدين من شيوخ العلم والعبادة ، فإنهم اثبتوا وآمنوا بجميع ما جاء به الكتاب والسنة كله ، من غير تحريف للكلم، وأثبتوا أن الله تعالى فوق سمواته ، وأنه على عرشه، بائنٌ من خلقه ، وهم منه بائنون ، وهو أيضا مع العباد عموماً بعلمه ، ومع أنبيائه وأوليائه بالنصر والتأييد والكفاية ، وهو أيضاً قريب مجيب، ففي آية النجوى دلالة على أنه عالمٌ بهم.

---

١) مجموع الفتاوى (229/5).

٢) مجموع الفتاوى (230/5).

٣) هم أتباع محمد بن أحمد بن سالم المتوفى سنة (297هـ)، وقد تتلمذ على يد مؤسسها سهل بن عبد الله التستري، ويجمع السالمية في مذهبهم بين كلام أهل السنة، وكلام المعتزلة مع ميل إلى التشبيه، ولهم أصول ونزعات صوفية كالقول بالاتحاد، ومن عقائدهم الخلق المستمر، وتجلي الله في الصور، وغير ذلك، أنظر مجموع الفتاوى (483/5)، وأنظر تلبيس إبليس (ص94)،

٤) مجموع الفتاوى (229/5-230).

وكان النبي ﷺ يقول: ((**اللهم أنت الصاحب في السفر والخليفة في الأهل**))[١]، فهو سبحانه مع المسافر في سفره، ومع أهله في وطنه، ولا يلزم من هذا أن تكون ذاته مختلطة بذواتهم كما قال ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ﴾[٢]، أي: معه على الإيمان، لا أن ذاتهم في ذاته بل هم مصاحبون له"، ثم قال -رحمه الله-: "فالله تعالى عالم بعباده، وهو معهم أينما كانوا، وعلمه بهم من لوازم المعية"[٣].

---

١) رواه مسلم حديث رقم (1342) كتاب الحج (باب: ما يقول إذا ركب في سفر الحج وغيره).

٢) سورة الفتح الآية رقم (29).

٣) مجموع الفتاوى (231/5).

المطلب الخامس: أنواع التوحيد عند المتكلمين.

تمهيد

أهل الكلام هم الطوائف الذين ارتضوا علم الكلام وقواعده الفلسفية منهجاً في الاستدلال على مسائل الاعتقاد [١]، فكل من ارتضى الأصول الكلامية سواء ممن انتسب إلى هذه الفرقة أو غيرها، صح أن يطلق عليه أنه متكلم، وهو مشارك لهم في الذم على قدر موافقته لهم [٢]، فهم لما خالفوا كتاب الله سبحانه وسنة نبيه ﷺ وحكموا عقولهم ضلوا في باب توحيد الله ﷻ فسنذكر التوحيد عندهم ونبين ضلالهم فيه.

أنواع التوحيد عند المتكلمين كما يذكره شيخ الإسلام:

وقد ذكر شيخ الإسلام أنواع التوحيد عند المتكلمين فقال: "عامة المتكلمين الذين يقرون التوحيد في كتب الكلام والنظر غايتهم أن يجعلوا التوحيد ثلاثة أنواع: فيقولون هو واحدٌ في ذاته لا قسيم له، وواحدٌ في صفاته لا شبيه له، وواحدٌ في أفعاله لا شريك له" [٣].

ثم إن لشيخ الإسلام موقفاً من هذا التقسيم، وهو أن هذا المعنى الذي تتناوله هذه العبارة فيها ما يوافق ما جاء به الرسول ﷺ، وفيها ما يخالف ما جاء به الرسول، وليس الحق الذي فيها هو الغاية التي جاء بها الرسول، بل التوحيد الذي أمر به أمر يتضمن الحق الذي في هذا الكلام وزيادة أخرى، فهذا من الكلام الذي لبس فيه الحق بالباطل وكتم الحق [٤].

ثم بعد بيان موقف شيخ الإسلام من هذا التقسيم نبدأ بأولها:

النوع الأول: أنه واحد في ذاته لا قسيم له

قال شيخ الإسلام: "هو واحدٌ لا قسيم له في ذاته أو لا جزء له أو لا بعض له لفظ مجمل فإن الله سبحانه احد صمد لم يلد و لم يولد و لم يكن له كفوا احد فيمتنع عليه أن يتفرق أو

---

١) منهج السلف والمتكلمين في موافقة العقل للنقل (49/1).

٢) منهج السلف والمتكلمين في موافقة العقل للنقل (50/1).

٣) مجموع الفتاوى (98/3).

٤) درء التعارض (225/1-226).

يتجزأ أو يكون قد ركب من أجزاء لكنهم يدرجون في هذا اللفظ نفى علوه على عرشه ومباينته لخلقه وامتيازه عنهم ونحو ذلك من المعاني المستلزمة لنفيه وتعطيله ويجعلون ذلك من التوحيد"[١]، وظاهر كلامهم أنهم يريدون معنى صحيحاً لكن خطؤهم في هذا إدراجهم هذا النفي في نفي علوه على عرشه، ومبيانيته لخلقه، مما يستلزم تعطيله.

النوع الثاني: أنه واحد في صفاته لا شبيه له[٢].

قال شيخ الإسلام مبيناً أن هذا متفق عليه بين الخلق، فقال: " فإنه ليس في الأمم من أثبت قديماً مماثلاً له في ذاته سواء قال أنه يشاركه أو قال أنه لا فعل له بل من شبه به شيئاً من مخلوقاته، فإنما يشبهه به في بعض الأمور، وقد علم بالعقل امتناع أن يكون له مثل في المخلوقات يشاركه فيما يجب أو يجوز أو يمتنع عليه، فإن ذلك يستلزم الجمع بين النقيضين كما تقدم، وعلم أيضا بالعقل أن كل موجودين قائمين بأنفسهما فلابد بينهما من قدر مشترك كإتفاقهما في مسمى الوجود والقيام بالنفس والذات ونحو ذلك"[٣].

ثم إن شيخ الإسلام نبه إلى ما يريدون بهذا النفي فقال: " ثم إن الجهمية من المعتزلة وغيرهم أدرجوا نفى الصفات في مسمى التوحيد فصار من قال إن لله علما أو قدرة أو أنه يرى في الآخرة أو أن القرآن كلام الله مترل غير مخلوق يقولـــون أنـــه مشبـــه ليس بموحد"[٤].

ثم ردّ عليهم هذه الشبهة فقال: "ومعلوم أن هذه الصفات الثابتة لله لا تثبت له على حد ما يثبت لمخلوق أصلاً وهو سبحانه وتعالى ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله، فلا فرق بين إثبات الذات وإثبات الصفات، فإذا لم يكن في إثبات الذات إثبات مماثلة للذوات، لم يكن في إثبات الصفات إثبات مماثلة له في ذلك، فصار هؤلاء الجهمية المعطلة

---

١) مجموع الفتاوى (100/3).

٢) وقد ذكر شيخ الإسلام أن هذه العبارة أقرب إلى الإسلام، لكن أجملوها فجعلوا نفي الصـــفات كما فعلت المعتزلة أو بعضها كما فعلت الأشاعرة والماتريدية داخلاً في نفي التشبيه، الفتاوى الكبرى (559/6).

٣) مجموع الفتاوى (99/3).

٤) مجموع الفتاوى (99/3).

يجعلون هذا توحيدا ، ويجعلون مقابل ذلك التشبيه ، ويسمون نفوسهم الموحدين "[1]، وقد سبق بيان هذا عند الكلام على صفات الله ﷻ.

النوع الثالث: أنه واحد في أفعاله لا شريك له

وهذا هو أشهر الأنواع كما يقول شيخ الإسلام: "وهو بيانه أن خالق الأفعال واحد، وهم يحتجون على ذلك بما يذكرونه من دلالة التمانع وغيرها، ويظنون أن هذا هو التوحيد المطلوب، وأن هذا هو معنى قولنا لا إله إلا الله حتى يجعلون معنى الإلهية القدرة على الاختراع"[2].

ودليل التمانع هذا دليل عقلي معناه أنه لو كان للعالم صانعان وحصل اختلافهما، فإما أن يحصل مرادهما معاً أو لا يحصل مراد واحد منهما، أو يحصل مراد أحدهما دون الآخر، فالأول ممتنع؛ لأنه جمع بين النقيضين، و الثاني كذلك؛ لأنه يستلزم خلو الجسم عن الحركة والسكون، وهذا ممتنع؛ لأنه يستلزم ارتفاع النقيضين، وهذا باطل، والثالث ممكن، فيكون القادر إلها، والعاجز لا يصلح أن يكون إلهاً، وهذا دليل صحيح لكن ليس هذا معنى لا إله إلا الله.[3] وقد قال الله ﷻ ﴿لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾[4].

كما أنهم ظنوا أن هذا التوحيد المطلوب من المكلفين وهذا لا شك في خطأه، وقد سبق بيان أن الذي أمر الله به المكلفون هو عبادة الله وحده لا شريك له،وأن معنى لا إله إلا الله، لا معبود بحق إلا الله[5].

---

١) مجموع الفتاوى (100/3).

٢) مجموع الفتاوى (100/3).

٣) أنظر شرح الرسالة التدمرية للبراك (ص441)، وأنظر شرح الرسالة التدمرية للخميس (ص369).

٤) سورة الأنبياء الآية رقم (22).

٥) أنظر أنواع التوحيد في السابق (ص25).

المطلب السادس: أقسام التوحيد عند الصوفية.

سبق الكلام عن الصوفية وأصنافهم وما يتعلق بهم، فهم بسبب إعراضهم عن الكتاب والسنة ، ابتدعوا بدعا كثيرة ضلوا فيها ومن هذه البدع كلامهم في التوحيد ،وهنا نذكر تقسيمهم للتوحيد.

أقسام التوحيد عند الصوفية كما ذكره شيخ الإسلام:

ذكر شيخ الإسلام أن الصوفية يقسّمون التوحيد إلى ثلاثة أقسام: "توحيد العامة، وتوحيد الخاصة، وتوحيد خاصّة الخاصة"[١].

وقد ذكر شيخ الإسلام أن غاية التوحيد عند الصوفية هو توحيد الربوبية، قال شيخ الإسلام: "ثم إن طائفة ممن تكلم في تحقيق التوحيد على طريق أهل التصوف، ظنّ أن توحيد الربوبية هو الغاية، والفناء فيه هو النهاية"[٢]، وقد سبق الردّ على هؤلاء[٣].

القسم الأول: توحيد العامة.

ويعنون به التوحيد الثابت بالكتاب والسنة وهو أعلى المطالب الإلهية، وقد نقل شيخ الإسلام في تعريف هذا التوحيد عندهم كلام الهروي، فقال: " فهو شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الأحد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوا أحد.

هذا هو التوحيد الظاهر الجليّ ، الذي نفى الشرك الأعظم ، وعليه نصبت القبلة ، وبه وجبت الذمة، وبه حقنت الدماء والأموال، وانفصلت دار الإسلام من دار الكفر ، وصحت به الملة للعامة ، وإن لم يقوموا بحق الاستدلال بعد أن سلموا من الشبهة والحيرة والريبة بصدق شهادة صحّحها قبول القلب" [٤].

ثم إنّ شيخ الإسلام قال عن هذا الكلام: "فهو التوحيد الذي جاءت به الرسل، ونزلت به الكتب، وبه بعث الله الأولين والآخرين من الرسل".

---

١) منهاج السنة النبوية (410/3).

٢) اقتضاء الصراط المستقيم (388/2).

٣) أنظر أنواع التوحيد وفي أقسام الفناء.

٤) منازل السائرين للهروي (ص111).

ثم قال: "والقرآن كله مملوء من تحقيق هذا التوحيد والدعوة إليه وتعليق النجاة والفلاح واقتضاء السعادة في الآخرة به ومعلومٌ أن الناس متفاضلون في تحقيقه وحقيقته إخلاص الدين كله لله والفناء في هذا التوحيد مقرون بالبقاء وهو أن تثبت إلهية الحق في قلبك وتنفي إلهية ما سواه فتجمع بين النفي والإثبات فتقول لا إله إلا الله فالنفي هو الفناء والإثبات هو البقاء وحقيقته أن تفنى بعبادته عما سواه ومحبته عن محبة ما سواه وبخشيته عن خشية ما سواه وبطاعته عن طاعة ما سواه"[١].

ثم قال: " أن الخليلين[٢] هما أكمل خاصة الخاصة توحيدا فلا يجوز أن يكون في أمة محمد ﷺ من هو أكمل توحيدا من نبي من الأنبياء فضلا عن الرسل فضلا عن أولي العزم فضلا عن الخليلين"[٣].

القسم الثاني: توحيد الخاصة.

وقد نقل شيخ الإسلام تعريف هذا التوحيد عندهم كلام الهروي فقال: هو" إسقاط الأسباب الظاهرة، والصعود عن منازعات العقول، وعن التعلق بالشواهد، وهو أن لا تشهد في التوحيد دليلا ولا في التوكل سببا ولا للنجاة وسيلة فتكون مشاهدا سبق الحق بحكمه وعلمه ووضعه الأشياء مواضعها وتعليقه إياها بأحايينها وإخفائه إياها في رسومها و يحقق معرفة العلل وتسلك سبيل إسقاط الحدث هذا توحيد الخاصة الذي يصح بعلم الفناء ويصفو في علم الجمع ويجذب إلى توحيد أرباب الجمع"[٤].

وقد بيّن شيخ الإسلام مراده بهذا فقال: "الذي ذكره وسماه توحيد الخاصة فهو الفناء في توحيد الربوبية، وهو أن يشهد ربوبية الربّ لكل ما سواه، وأنه وحده ربّ كل شيء ومليكه"[٥].

---

١) منهاج السنة النبوية (3/412-413).

٢) أي: إبراهيم –عليه السلام– ومحمد ﷺ.

٣) منهاج السنة النبوية (3/417).

٤) منازل السائرين للهروي (ص112).

٥) منهاج السنة النبوية (3/417).

وقد أجاب عنهم شيخ الإسلام عنهم بأجوبة كثيرة منها قوله: "وليس هذا الحال غاية السالكين، ولا لازماً لكل سالك، ومن الناس من يظنّ أنه لا بدّ لكل سالك منه، وليس كذلك فنبينا محمد ﷺ والسابقون الأولون هم أفضل، وما أصاب أحد منهم هذا الفناء ولا صعق ولا مات عند سماع القران" [1].

ثم إن شيخ الإسلام نبّه إلى ما يريده الهروي فقال: " وأما الفناء الذي يذكره صاحب المنازل فهو الفناء في توحيد الربوبية، لا في توحيد الإلهية، وهو يثبت توحيد الربوبية مع نفي الأسباب والحكم، كما هو قول القدرية المجبّرة"، ثم قال: "وهذا الفناء عنده لا يجامع البقاء؛ فإنه نفيٌ لكل ما سوى حكم الرب بإرادته الشاملة التي تخصص أحد المتماثلين بلا مخصص" [2].

وقولهم باطلٌ من وجهين:

الأول: أنه حالٌ ناقص؛ فإن غياب العقول عن المشاهدة والمعرفة لم يأت به الشرع، ولم يكن عليه أحد من الرسل ولا من السلف.

الثاني: أنه لو أقرّ به المشركون وفنوا فيه لم يصيروا بذلك مسلمين، فضلاً عن أن يكونوا أولياء عارفين [3].

القسم الثالث: توحيد خاصة الخاصة.

وقد نقل شيخ الإسلام تعريفهم لهذا التوحيد كلام الهروي فقال: " هو توحيد اختصه الحقّ لنفسه، واستحقّه بقدره، وألاح منه لائحاً إلى أسرار طائفة من صفوته، وأخرسهم عن نعته، وأعجزهم عن بثّه، والذي يشار إليه على ألسنة المثيرين أنه إسقاط الحدث، وإتيان القدم" [4].

---

١) منهاج السنة النبوية (418/3).

٢) منهاج السنة النبوية (419/3).

٣) شرح التدمرية للخميس (ص377).

٤) منازل السائرين للهروي (ص112).

قال شيخ الإسلام في ردّه على هذا: " وحقيقة قول هؤلاء الإتحاد والحلول الخاص ، من جنس قول النصارى في المسيح ، وهو أن يكون الموحِّد هو الموحَّد ولا يوحد الله إلا الله ، وكل من جعل غير الله يوحد الله، فهو جاحد عندهم كما قال:

ما وحد الواحد من واحد إذ كل من وحد جاحد

فإنه في قولهم هو الموحد الموحد، ولهذا قال:

توحيد من ينطق عن نعتــه عارية أبطلها الواحــد

يعني إذا تكلم العبد بالتوحيد وهو يرى أنه المتكلم ؛ فإنما ينطق عن نعت نفسه ، فيستعير ما ليس له فيتكلم به ، وهذه عارية أبطلها الواحد ، ولكن إذا فني عن شهود نفسه ، وكان الحق هو المتكلم على لسانه، حيث فنى من لم يكن وبقي من لم يزل، فيكون الحق هو الناطق بنعت نفسه لا بنعت العبد ، ويكون هو الموحد وهو الموحد ، ولهذا قال : توحيده إياه توحيده، أي: توحيد الحق إياه، أي: نفسه، هو توحيده هو لا توحيد المخلوقين له ، فإنه لا يوحده عندهم مخلوق ، بمعنى: أنه هو الناطق بالتوحيد على لسان خاصته ليس الناطق هو المخلوق، كما يقوله النصارى في المسيح إن اللاهوت تكلم بلسان الناسوت" (1).

وسيأتي بسط هذا الكلام عند الكلام على أنواع أهل الحلول والإتحاد.

---

1) منهاج السنة النبوية (427/3).

المطلب السابع: أصناف القائلين بقدم الروح.

تمهيد

الروح: "جنسٌ نورانيٌّ علويٌّ خفيفٌ متحركٌ، ينفذ في جوهر الأعضاء، ويسري فيها سريان الماء في الورد، وسريان الدّهن في الزيتون"(١).

أصناف القائلين بقدم الروح عند شيخ الإسلام:

ذكر شيخ الإسلام أصناف القائلين بقدم الروح فقال: "القائلين بقدم الروح صنفان: صنف من الصابئة الفلاسفة يقولون هي قديمة أزلية، لكن ليست من ذات الربّ ...، وصنف من زنادقة هذه الأمة وضلالها من المتصوفة والمتكلمة والمحدثة، يزعمون أنها من ذات الله" (٢).

الصنف الأول: من يقول هي قديمة أزلية لكن ليست من ذات الرب.

قال شيخ الإسلام في هذا الصنف من الصابئة الفلاسفة يقولون: "هي قديمة أزلية لكن ليس من ذات الرب، كما يقولون ذلك في العقول والنفوس الفلكية (٣)، ويزعم من دخل من أهل الملل فيهم أنها هي من الملائكة" (٤)، فهم يزعمون قدم الروح وأزليتها أي: أن الروح قديمة أزلية ليست محدثة، لكنهم لا يقولون إنها من ذات الربّ، بل هي عندهم ليست من الذات الإلهية، وطائفة منهم يزعمون أن الروح هي الملائكة.

---

١) الروح لابن القيم (ص185-186). ولم أقف على حد للروح عند شيخ الإسلام

٢) مجموع الفتاوى (4/221-222).

٣) نفس فلكية: جوهر ملازم للفلك، يقول ابن سينا: إن كل نفس لكل فلك فهو كماله وصورته، فليس جوهراً مفارقاً، وإلا لكان عقلاً لا نفساً، وكان لا يحرك البتة إلا على سبيل تشويق، وكان لا يحدث فيه من حركة الجرم تغير، ومن مشاركة الجرم تخيل وتوهم".أنظر المعجم الفلسفي (ص653).

٤) مجموع الفتاوى (4/222).

الصنف الثاني: من يقول أنها من ذات الرب ﷻ.

قال شيخ الإسلام: "وصنف من زنادقة هذه الأمة، وضلالها من المتصوفة والمتكلمة والمتحدثة، يزعمون أنها من ذات الله، وهؤلاء أشر قولاً من أولئك، وهؤلاء جعلوا الآدمي نصفين، نصف لاهوت ونصف ناسوت وهو جسده، نصفه ربّ ونصفه عبد" [(1)]، فالروح عند هؤلاء قديمة أزلية، لكنهم أعظم قولاً من الصنف الأول، حيث إنهم يزعمون أنها من ذات الله تعالى الله عما يقولون علواً كبيرا، فالآدمي عندهم روحه من ذات الله، وجسده عبدٌ.

ولا شكّ في ضلال هؤلاء وكفرهم قال شيخ الإسلام: "وقد كفّر الله النصارى بنحو من هذا القول في المسيح ، فكيف بمن يعمّ ذلك في كل أحد حتى في فرعون وهامان وقارون؟!" [(2)].

وكلا الصنفين يقولان بأن الروح قديمة، وهذا قول باطل لا شك فيه، قال شيخ الإسلام: "وكلما دل على أن الإنسان عبد مخلوق مربوب ، وأن الله ربه وخالقه ومالكه وإلهه، فهو يدل على أن روحه مخلوقة" [(3)].

فإذا كانت مخلوقة فإنها محدثة وليس قديمة كما يزعم هؤلاء.

---

١) مجموع الفتاوى (222/4).

٢) مجموع الفتاوى (222/4).

٣) مجموع الفتاوى (222/4).

المطلب الثامن: أنواع أهل الحلول والإتحاد.

تمهيد

الحلول يرادُ به أن يحلّ أحدُ الشيئين في الآخر، وهو حلولي وسرياني، قال الجرجاني: "الحلول السرياني عبارة عن اتحاد الجسمين بحيث تكون الإشارة إلى أحدهما إشارة إلى الآخر، كحلول ماء الورد في الورد فيسمى الساري حالا والمسري فيه محلا.

الحلول الجواري: عبارة عن كون أحد الجسمين ظرفاً في الآخر، كحلول الماء في الكــــوز" (١).

أما الإتحاد، فقال شيخ الإسلام فيه: "أن يصير العبد والربّ شيئاً واحداً" (٢).

وقال الجرجاني: "الاتحاد امتزاج الشيئين و اختلاطهما حتى يصيرا شيئاً واحداً" (٣).

والفرق بين الحلول والإتحاد من وجهين:

الأول: أن الحلول إثبات لوجودين بخلاف الاتحاد فهو إثبات لوجود واحد.

الثاني: أن الحلول يقبل الانفصال، أما الإتحاد فلا يقبل الانفصال (٤).

أنواع أهل الحلول والإتحاد عند شيخ الإسلام:

وقد ذكر شيخ الإسلام أن أهل الحلول والإتحاد "نوعان: من يقول بذلك مطلقاً ...، وأما النوع الثاني وهو قول من يقول بالحلول والاتحاد في معين" (٥).

---

١) التعريفات للجرجاني (ص98).

٢) منهاج السنة النبوية (427/3).

٣) التعريفات للجرجاني (ص9).

٤) مصطلحات في كتب العقائد (ص41).

٥) مجموع الفتاوى (364/2-367).

النوع الأول: من يقول بذلك مطلقاً.

قال شيخ الإسلام مبيّناً من يقول بهذا: " نوعٌ يقول بذلك مطلقاً كما هو مذهب صاحب الفصوص كابن عربي ، وأمثاله مثل ابن سبعين [١] وابن الفارض [٢] والقونوي والششتري[٣] والتلمساني وأمثالهم ، ممن يقولون إن الوجود واحد ، ويقولون أن وجود المخلوق هو وجود الخالق ، لا يثبتون موجودين خلق أحدهما الآخر بل يقولون الخالق هو المخلوق والمخلوق هو الخالق، ويقولون إن وجود الأصنام هو وجود الله ، وإن عباد الأصنام ما عبدوا شيئا إلا الله.

ويقولون إن الحق يوصف بجميع ما يوصف به المخلوق من صفات النقص والذم.

---

١) عبد الحق بن إبراهيم بن محمد بن نصر ابن سبعين الاشبيلي المرسي الرقوطي، قطب الدين أبو محمد: من زهاد الفلاسفة، ومن القائلين بوحدة الوجود ، ولد سنة (613هـ) درس العربية والآداب في الأندلس، وانتقل إلى سبتة، وحج، واشتهر أمره ، وكفره كثير من الناس، له مريدون وأتباع يعرفون بالسبعينية، قال ابن دقيق العيد: جلست مع ابن سبعين من ضحوة إلى قريب الظهر، وهو يسرد كلاما تعقل مفرداته ولا تعقل مركباته ، وقال الذهبي: اشتهر عن ابن سبعين أنه قال: لقد تحجر ابن آمنة واسعا بقوله لا نبي بعدي ،وكان يقول في الله ﷻ: إنه حقيقة الموجودات.وفصد بمكة، فترك الدم يجري حتى مات نزفا سنة (669هـ). انظر شذرات الذهب (573/7)، معجم المؤلفين (57/2)، الأعلام للزركلي (280/2).

٢) ابن الفارض: شاعر الوقت ، شرف الدين عمر بن علي بن مرشد الحموي ، ثم المصري ، ولد سنة576هـ وهو صاحب الاتحاد الذي قد ملا به التائية ، توفي سنة632هـ، وله ست وخمسون سنة، روى عن القاسم بن عساكر ، وقد حج وجاور، وكان بزنق الفقر، وشعره في الذروة لا يلحق شأوه. انظر سير أعلام النبلاء (265/16)، الوافي بالوفيات (5/23).

٣) علي بن عبد الله النميري الششتري، أبو الحسن: متصوف أندلسي. ولد سنة (610هـ)، نعته صاحب نفح الطيب بعروس الفقهاء.من أهل ششتر (من عمل وادي آش) تنقل في البلاد، وكان يتبعه في أسفاره ما ينيف على أربعمائة فقير يخدمونه.وتوفي بقرب "دمياط" ودفن فيها سنة (668هـ). انظر الأعلام للزركلي (305/4)، معجم المؤلفين (467/2).

ويقولون إن عباد العجل ما عبدوا إلا الله ، وأن موسى أنكر على هارون لكون هارون أنكر عليهم عبادة العجل ، وأن موسى كان بزعمهم من العارفين الذين يرون الحق في كل شيء، بل يرونه عين كل شيء، وأن فرعون كان صادقاً في قوله ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾[1]، بل هو عين الحق ونحو ذلك، مما يقوله صاحب الفصوص.

ويقول أعظم محققيهم: إن القرآن كله شرك؛ لأنه فرّق بين الربّ والعبد، وليس التوحيد إلا في كلامنا" [2].

ثم ردّ عليهم شيخ الإسلام فقال: " فأقوال هؤلاء ونحوها باطنها أعظم كفراً وإلحاداً من ظاهرها، فإنه قد يُظنّ أن ظاهرها من جنس كلام الشيوخ العارفين أهل التحقيق والتوحيد ، وأما باطنها فإنه أعظم كفراً وكذباً وجهلاً من كلام اليهود والنصارى وعبّاد الأصنام.

ولهذا فإن كل من كان منهم أعرف بباطن المذهب وحقيقته كان أعظم كفراً وفسقا ، كالتلمساني؛ فإنه كان من أعرف هؤلاء بهذا المذهب ، وأخبرهم بحقيقته ، فأخرجه ذلك إلى الفعل، فكان يعظم اليهود والنصارى والمشركين ، ويستحل المحرمات ويصنف للنصيرية كتباً على مذهبهم، يقرهم فيها على عقيدتهم الشركية.

وكذلك ابن سبعين كان من أئمة هؤلاء ، وكان له من الكفر والسحر الذي يسمى السيميا[3]، والموافقة للنصارى والقرامطة والرافضة ما يناسب أصوله.

فكل من كان أخبر بباطن هذا المذهب ووافقهم عليه كان أظهر كفراً وإلحادا.

وأما الجهّال الذين يحسنون الظنّ بقول هؤلاء ولا يفهمونه ، ويعتقدون أنه من جنس كلام المشايخ العارفين الذين يتكلمون بكلام صحيح لا يفهمه كثير من الناس ، فهؤلاء تجد فيهم إسلاماً وإيماناً ومتابعة للكتاب والسنة بحسب إيمانهم التقليدي، وتجد فيهم إقراراً لهؤلاء وإحساناً للظنّ بهم ، وتسليماً لهم بحسب جهلهم وضلالهم ، ولا يتصوّر أن يثنى على هؤلاء

---

١) سورة النازعات الآية رقم (25).

٢) مجموع الفتاوى (365/2).

٣) السيما: السحر، وحاصله إحداث مثالات خيالية لا وجود لها في الحس. أنظر المعجم الوسيط (ص469).

إلا كافرٌ ملحد، أو جاهلٌ ضال، وهؤلاء من جنس الجهمية الذين يقولون أن الله بذاته حال في كل مكان ، ولكن أهل وحدة الوجود حققوا هذا المذهب أعظم من تحقيق غيرهم من الجهمية" [١].

القسم الثاني: من يقول بالحلول والاتحاد في معين

قال شيخ الإسلام: " قول من يقول بالحلول والاتحاد في معيّن، كالنصارى الذين قالوا بذلك في المسيح عيسى، والغالية الذين يقولون بذلك في عليّ بن أبي طالب ﷺ، وطائفة من أهل بيته، والحاكمية[٢] الذين يقولون بذلك في الحاكم[٣]، والحلاجية[٤] الذين يقولون بذلك في الحلاج، واليونسية[٥] الذين يقولون بذلك في يونس، وأمثال هؤلاء ممن يقول بإلهية بعض البشر، وبالحلول والاتحاد فيه، ولا يجعل ذلك مطلقاً في كل شيء.

ومن هؤلاء من يقول بذلك في بعض النسوان والمردان ، أو بعض الملوك أو غيرهم ، فهؤلاء كفرهم شر من كفر النصارى الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم.

---

١) مجموع الفتاوى (367/2).

٢) الحاكمية: نسبتهم إلى الحاكم بأمره منصور بن العزيز نزار ، غلا فيه أتباعه حتى رفعوه إلى درجة الألوهية، وقد ذكرهم شيخ الإسلام من ضمن الفرق الحلولية والاتحادية. أنظر مجموع الفتاوى (395/3).

٣) الحاكم بأمره: هو منصور بن العزيز نزار بن المعز معد بن أو علي العبيدي المصري الرافضي، الزنديق المدعي الربوبية، الملقب بالحاكم بأمر الله، صاحب مصر، ولد سنة (375هـ)، وملك بعد أبيه وله إحدى عشر سنة، وكان شيطاناً مريداً، خبيث النحلة، فرعون زمانه، مات مقتولاً سنة (411هـ). أنظر سير أعلام النبلاء (434/11)، النجوم الزاهرة (386/4).

٤) الحلاجية: قوم ينسبون إلى الحسين بن منصور المعروف بـ (الحلاج)، افتتن به قوم من أهل بغداد وجماعة آخرون،كانت عباراته من الجنس الذي يسميه الصوفية (الشطح). أنظر الفرق بين الفرق للبغدادي (ص234).

٥) اليونيسية: أصحاب يونس بن عبد الرحمن القمي ، مولى آل يقطين ، زعم أن الملائكة تحمل العرش ، والعرش يحمل الرب تعالى، إذ قد ورد في الخبر أن الملائكة تئط أحياناً من وطأة عظمة الله تعالى على العرش، وهو من مشبهة الشيعة ، وقد صنف لهم كتباً في ذلك . أنظر الفرق بين الفرق للبغدادي (ص188)، الملل والنحل (220/1).

وأما الأولون فيقولون بالإطلاق، ويقولون النصارى إنما كفروا بالتخصيص.

وأقوال هؤلاء شر من أقوال النصارى ، وفيها من التناقض من جنس ما في أقوال النصارى، ولهذا يقولون بالحلول تارة، وبالإتحاد أخرى، وبالوحدة تارة، فإنه مذهب متناقض في نفسه، ولهذا يلبسون على من لم يفهمه، فهذا كله كفر، باطنا وظاهرا بإجماع كل مسلم، ومن شك في كفر هؤلاء بعد معرفة قولهم ، ومعرفة دين الإسلام فهو كافر ، كمن يشك في كفر اليهود والنصارى والمشركين" [1].

وقد بين شيخ الإسلام وجه كونهم شرّ حالاً من النصارى من وجهين:

الأول: أن النصارى قالوا بالاتحاد والحلول في شخصٍ واحد، وهؤلاء قالوا أنه في العالم كله.

الثاني: أن النصارى يقولون بأن الإتحاد والحلول فعل من أفعال الرب، وأن اللاهوت اتحد بالناسوت مرة وانفصل عنه، وهؤلاء عندهم ما يتصور أن يتميز وجود الحق عن المخلوقات ولا يباينها ولا ينفصل عنها" [2].

ومن وقع في القول بالحلول والاتحاد قسمان:

القسم الأول: عوامّهم الذين يغلب عليهم الزهد والتعبد ولا يعلمون حقيقة ما هم عليه.

القسم الثاني: من يقول بذلك في معيّن، وهم عرّافهم العالمون بحقيقة قولهم، وقد يظهرونه وقد يكتمونه [3].

ثم بعد ذكرنا لأقسام أهل الحلول والاتحاد، نذكر أقسام الحلول والاتحاد عند شيخ الإسلام.

---

١) مجموع الفتاوى (2/367-368).

٢) أنظر بيان تلبيس الجهمية (5/48).

٣) مجموع الفتاوى (13/188).

أقسام الحلول والاتحاد عند شيخ الإسلام:

ذكر شيخ الإسلام أن الحلول والاتحاد ينقسم إلى "أربعة أقسام: الأول: هو الحلول الخاص ...، والثاني: هو الاتحاد الخاص ...، والثالث: هو الحلول العام ...، الرابع: الاتحاد العام" [(١)].

النوع الأول: الحلول الخاص.

قال شيخ الإسلام: " الحلول الخاص هو قول النسطورية [(٢)] من النصارى ونحوهم ممن يقول إن اللاهوت حل في الناسوت وتدرع به، كحلول الماء في الإناء، وهؤلاء حققوا كفر النصارى بسبب مخالطتهم للمسلمين ، وكان أولهم في زمن المأمون ، وهذا قول من وافق هؤلاء النصارى من غالية هذه الأمة، كغالية الرافضة الذين يقولون إنه حل بعلي بن أبي طالب وأئمة أهل بيته وغالية النساك ، الذين يقولون بالحلول في الأولياء ومن يعتقدون فيه الولاية منه أو في بعضهم كالحلاج ويونس والحاكم ونحو هؤلاء" [(٣)].

فيعتقدون أن اللهﷻ قد حل في بعض مخلوقاته.

الثاني: الاتحاد الخاص.

قال شيخ الإسلام: "الاتحاد الخاص هو قول يعقوبية النصارى [(٤)].

---

١) مجموع الفتاوى (2/171-172).

٢) النسطورية: أصحاب نسطور الحكيم الذي ظهر في زمان المأمون، قال: إن الله تعالى واحد ذو أقانيم ثلاثة، الوجود والعلم والحياة، واتحدت الكلمة بجسد عيسى -عليه السلام-، زعموا أن الابن لم يزل متولدا من الأب، وإنما تجسد واتحد بجسد المسيح حين ولد. أنظر الملل والنحل (1/268).

٣) مجموع الفتاوى (2/172).

٤) اليعقوبية: قالوا بالأقانيم الثلاثة -الوجود والعلم والحياة-، إلا أنهم قالوا: انقلبت الكلمة لحما ودما فصار الإله هو المسيح وهو الظاهر بجسده بل هو هو ، وزعم أكثر اليعقوبية أن المسيح جوهر واحد وأقنوم واحد إلا أنه من جوهرين، وزعموا أن الكلمة اتحدت بالإنسان الجزئي لا الكلي، ولربما عبروا عن الاتحاد بالامتزاج والإدراع والحلول كحلول صورة الإنسان في المرآة المجلوة ، وأجمع أصحاب التثليث كلهم على أن القديم لا يجوز أن يتحد بالمحدث، إلا أن الأقنوم الثاني الذي هو الكلمة اتحدت

وهم أخبث قولا ، وهم السودان والقبط ، يقولون إن اللاهوت والناسوت اختلطا وامتزجا كاختلاط اللبن بالماء، وهو قول من وافق هؤلاء من غالية المنتسبين إلى الإسلام"[١].

فيعتقدون أن الله ﷻ اتحد ببعض مخلوقاته دون بعض.

الثالث: الحلول العام.

قال شيخ الإسلام: " الحلول العام هو القول الذي ذكره أئمة أهل السنة والحديث عن طائفة من الجهمية المتقدمين، وهو قول غالب متعبدة الجهمية، الذين يقولون إن الله بذاته في كل مكان ويتمسكون بمتشابه من القرآن كقوله ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلۡأَرۡضِ﴾[٢]، وقوله ﴿وَهُوَ مَعَكُمۡ﴾[٣]، والردّ على هؤلاء كثيرٌ مشهورٌ في كلام أئمة السنة، وأهل المعرفة، وعلماء الحديث"[٤].

الرابع: الاتحاد العام.

قال شيخ الإسلام: "الاتحاد العام هو قول هؤلاء الملاحدة الذين يزعمون أنه عين وجود الكائنات، وهؤلاء أكفر من اليهود والنصارى من وجهين:

من جهة أن أولئك قالوا : إن الربّ يتّحد بعبده الذي قرّبه واصطفاه بعد أن لم يكونا متحدين، وهؤلاء يقولون: مازال الربّ هو العبدُ وغيره من المخلوقات ليس هو غيره، والثاني من جهة أنّ أولئك خصّوا ذلك بمن عظّموه كالمسيح، وهؤلاء جعلوا ذلك سارياً في الكلاب والخنازير والأقذار والأوساخ، وإذا كان الله تعالى قد قال ﴿ لَّقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ

= دون سائر الأقانيم، وأجمعوا كلهم على أن المسيح عليه السلام ولد من مريم عليها السلام ، وقتل وصلب، أنظر الملل والنحل (270/1).

١) مجموع الفتاوى (172/2).

٢) سورة الأنعام الآية رقم (3).

٣) سورة الحديد الآية رقم (4).

٤) مجموع الفتاوى (172/2).

ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ﴾[1]، فكيف بمن قال : إن الله هو الكفار والمنافقون والصبيان والمجانين والأنجاس والأنتان وكل شيء"[2].

١) سورة المائدة الآية رقم (17).
٢) مجموع الفتاوى (172/2).

خاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، أحمده سبحانه كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه، وأصلي وأسلم على المبعوث رحمة للعالمين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد:

فهذا هو مسك الختام وبدر التمام، وقد بذلت من خلال هذه الرسالة ما في وسعي، واجتهدت قدر طاقتي، محاولاً إبراز شيء من ميراث هذا الإمام الحبر البحر، الذي لم يأتي ببدعة و لم يقل منكراً من القول، إنما إمامه مصدري التشريع فما جاء في كتاب الله أو في سنة رسول الله ﷺ، قال به من غير تكلف ولا تنطع ولا تحريف للكلم عن مواضعه، قدوته في ذلك سلف هذه الأمة من الصحابة والتابعين وأئمة الدين.

وقد حاولت من خلال هذه الرسالة الاستدلال على ما يقسمه شيخ الإسلام و لم أستطرد في الأدلة لأني لم أقصد هنا تقصي الأدلة أنما قصدت أن أبين أنه لم يقل إلا بما جاء في كتاب الله وفي سنة نبيه ﷺ، ولكون الاستطراد يزيد في حجم الرسالة، إنما أكتفي بدليل أو دليلين، وقد أزيد إذا دعت الحاجة إلى ذلك ثم إني أنقل عنه لأبين مقصوده ومراده.

وقد ظهر لي من خلال هذه الرسالة عدة أمور ألخصها فيما يلي:

١) منهج السلف –رضوان الله عليهم– في الاعتقاد واحد لا يتغير، لأن مصدره واحد وهو الوحي، أما مناهج المخالفين فهي متغيرة فيقول آخرهم خلاف ما قال به الأول، وذلك بحسب ما يملي عليه عقله وهواه.

٢) منهج شيخ الإسلام في الاعتقاد لم يكن مبتدعاً في الدين، إنما هو مجدّد لما اندرس من معالم الحق والصواب، لم يقل إلا بما قال الله ورسوله وسلف الأمة.

٣) منهج المخالفين للسلف غالباً ما يكون صعب المقدمات عديم النتائج، وإن ظهرت نتائج فهي قليلة بالنسبة لمقدماته.

٤) أن المنقول لا يخالف المعقول بحال، ولكن إدراك العقول له إدراكاً تاماً مما يستحيل، لأن العقول متفاوتة، وكل من كان أقرب إلى السنة كان في المعقول أصح، كما يقرر ذلك شيخ الإسلام فيقول: "ومن المعلوم بعد كمال النظر واستيفائه، أن كل من كان إلى السنة وإلى طريقة الأنبياء أقرب، كان كلامه في الإلهيات بالطرق العقلية أصح، كما أن كلامه بالطرق النقلية أصح، لأن دلائل الحق وبراهينه تتعاون وتتعاضد، لا تتناقض وتتعارض"[١]، وقال في موضع آخر عن العقل: "إنه بمنزلة قوة البصر التي في العين، فإن اتصل به نور الإيمان والقران كان كنور العين إذا اتصل به نور الشمس والنار، وإن انفرد بنفسه لم يبصر الأمور التي يعجز وحده عن إدراكهـــا "[٢].

٥) أن تحكيم العقل فيما لا يستطيعه من المغيبات هو سبب الضلال والتناقض والحيرة والاضطراب، فلذا تجد المخالفين للسلف في حيرة واضطراب وتناقض دائم.

٦) أن الإقرار بربوبية الله وحد لا يكفي في دخول الإسلام، إذ لو كان ذلك لكان دعوة الرسل للمشركين بلا فائدة ،لكونهم مقرين بذلك، بل لا بدّ معه من الإقرار بألوهيته وعبادته وحده لا شريك له، وترك عبادة ما سواه.

٧) السلف دائماً قولهم هو القول الوسط بين الإفراط والتفريط، سواء في الأسماء والصفات فهم وسط بين المشبّهة والمعطلة، وكذلك في الأسماء والأحكام ونحو ذلك.

---

١) درء التعارض (248/6).

٢) مجموع الفتاوى (338/3).

٨) أهل البدع ليسوا على درجة واحدة، بل هم متفاوتون، وذلك بحسب قربهم من الكتاب والسنة وبعدهم عنها حتى يصل بهم الأمر إلى القول بالكفر والعياذ بالله.

٩) أن مقولة الكفر لا يلزم أن يكفر من يقول بها، بل لا بد من وجود شروط وإنتفاء موانع قبل أن يطلق عليه الكفر، وإن كان يوجد ألفاظ يطلقها الشارع كالإيمان والكفر والنفاق والشرك ونحوها ولا يلزم من فعل شيئاً منها أن يكون موصوفاً به مطلقاً، بل ذلك له تفصيل قد بيناه وبسطنا القول فيه.

١٠) لا تجد أحدا من أهل البدع يخالف منهج السلف في مسألة واحدة فقط، بل تجد من خالف في مسألة واحدة تجره مخالفته إلى مخالفة في كثير من مسائل الاعتقاد، فتكون بدايتهم مخالفة عارضة للسنة، ثم يزداد بهم الأمر شيئاً فشيئاً كما قال ابن مسعود ﷺ: "يجيء قوم يتركون من السنة قدر هذا —يعني: مفصل الأنملة– فإن تركتموهم جاءوا بالطامة الكبرى"[١]، وسبب ذلك عدم تحكيمهم لكتاب الله وسنة نبيه ﷺ وتسليمهم له.

١١) المخالفون للسلف يتمسكون بالأدلة الضعيفة والحجج الواهية، ثم هم مع ذلك يردون على أهل السنة الأدلة الصحيحة الصريحة، فيزين لهم الشيطان بدعتهم، ويصدق عليهم قول الله ﷻ ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا﴾[٢].

١٢) إثبات الصفات للباري ﷻ لا يعني تشبيهاً، كما أن نفيها لا يعني تنزيهاً، بل هو قول على الله بغير علم، فلا أحد أعلم بالله وبصفاته منه سبحانه، فمن نفى ما أثبته الله لنفسه فقد تضمن قوله التكذيب لله ولرسوله ﷺ.

---

١) الإبانة لابن بطة (331/1).

٢) سورة فاطر الآية رقم (8).

١٣) كل بدعة وجدت في الإسلام غالباً تكون مستمدة من غيرهم، إما من اليهود أو النصارى أو الصابئة أو غيرهم من الكفرة الضلّال، ويندر وجود غير ذلك.

١٤) قد تجد أصحاب قولين مختلفين متضادين من أهل البدع وشبهتهم واحدة، ودليلهم واحد، وذلك كقولهم في الفاسق وحكمه وغير ذلك، وما ذلك إلا لبعدهم من الكتاب والسنة وفهم سلف الأمة.

١٥) المعصية سواء كانت صغيرة كالذنوب، أو كبيرة التي قد تصل إلى الكفر فهي على درجات بحسب الفعل وما يترتب عليه.

١٦) البدعة في الدين قد تكون في أصلها بدعة لم تأت في الكتاب ولا في السنة، وقد تكون في أصلها واردة، لكن البدعة ما أحدث فيها مما لم يرد في الكتاب ولا في السنة ولا عن سلف الأمة.

١٧) أن شيخ الإسلام قد سبقه كثير من العلماء إلى كثير من التقسيمات مما يشير إلى أن السلف رحمهم الله كانوا على نفس طريقته في التقسيم والتبيين وأن التقسيم لم يحدثه شيخ الإسلام من تلقاء نفسه.

هذا ما حاولت تلخيصه من فوائد، والفوائد جمة، لكن لعل هذه أبرزها أسأل الله ﷻ أن يعلمنا ما ينفعنا وأن ينفعنا بما علمنا إنه جواد كريم.

وفي الختام الشكر لله أولاً وآخراً وظاهراً وباطناً، ثم إلى من قرن الله شكره بشكرهما فقال تعالى: ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ﴾.

ثم الشكر موصول إلى هذا الصرح العظيم والطود الشامخ، هذه الجامعة المباركة وعلى رأسها معالي الأستاذ الدكتور/ محمد العقلاء . وفضيلة عميد كلية الدعوة

وأصول الدين والمشائخ الفضلاء الذين تتلمذت على أيديهم واستفدت منهم ومن علمهم فأشكرهم جميعاً على ما بذلوه ويبذلونه في خدمة العلم وطلابه.

ثم إني أخص بالشكر فضيلة شيخي الأستاذ الدكتور/ سعود بن عبد العزيز الخلف. المشرف على هذه الرسالة، حيث إنه اقتطع من وقته الشيء الكثير، وكان له متابعة دقيقة لهذه الرسالة على الرغم من كثرة مشاغله، فقد استفدت منه ومن ملاحظاته وتوجيهاته النيرة، فلم يبخل علي بشيء من جهده ووقته.

ولا أملك له سوى الدعاء في ظهر الغيب، فأسأل الله أن يبارك له في عمره وعمله على زيادة في العمل الصالح، وأن يزيده علماً وعملاً، وأن يجمعنا وإياه في الفردوس الأعلى.

والله تعالى أعلى وأعلم، وصلى الله على سيدنا وحبيبنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

فهرس الآيات القرآنية

الآية	رقمها	الصفحة
﴿فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟﴾	137	244
﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ﴾	146	77-74
﴿ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ﴾	147	50
﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾	165	60
﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾	177	259
﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾	185	282
﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ﴾	186	212-211-210
﴿عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ﴾	187	182
﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾	195	193-191
﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ﴾	205	289
﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ﴾	210	135
﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟﴾	253	281
﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ﴾	255	-174-172-171 200-185-183
﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾	282	183-182
﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾	284	174
﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾	285	312
((سورة آل عمران))		
﴿ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا﴾	16	148

((سورة النساء))

((سورة المائدة))

فهرس الأحاديث النبوية

((ي))

فهرس التقسيمات

فهرس الأعلام

فهرس الفرق والمذاهب

المصادر والمراجع

١ -**القران الكريم**

٢ -**المفردات في غريب القران** للراغب الأصفهاني، تحقيق محمد سيد كيلاني

٣ -**أضواء البيان** لمحمد الأمين الشنقيطي، دار عالم الفوائد، الطبعة الأولى 1426هـ

٤ -**تيسير العزيز الرحمن** لابن سعدي، دار إحياء التراث الإسلامي

٥ -**تفسير السمعاني**، تحقيق غنيم الغنيم وياسر إبراهيم، دار الوطن، الطبعة الأولى 1418هـ

٦ -**التفسير الكبير** لابن تيمية، تحقيق د. عبد الرحمن عميرة، مكتبة الباز.

٧ -**معالم التنزيل** للبغوي، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى 1424هـ

٨ -**التفسير الكبير** لابن تيمية، تحقيق د. عبد الرحمن عميرة، دار الكتب العلمية، بيروت

٩ -**دقائق التفسير** لابن تيمية، تحقيق د. محمد السيد الجليند، مؤسسة علوم القران، الطبعة الثانية 1404هـ

١٠ -**التبيان في أقسام القران** لابن القيم، تحقيق أبو صهيب الكرمي، بيت الأفكار الدولية، 2004م

١١ -**القواعد الحسان** للسعدي، مكتبة الكوثر، الطبعة الأولى 1417هـ

١٢ -**التسهيل لعلوم التنزيل** لابن جزي، تحقيق محمد سالم هاشم، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى 1415هـ

١٣ -**تيسير اللطيف المنان** للسعدي، مركز صالح الثقافي، الطبعة الأولى 1411هـ

١٤ -**مقدمة في أصول التفسير**، لابن تيمية، تحقيق فواز أحمد زمرلي، دار ابن حزم، الطبعة الأولى 1414هـ

١٥ -**تفسير آيات أشكلت على كثير من العلماء**، لابن تيمية، تحقيق عبد العزيز بن محمد الخليفة، مكتبة الرشد، الطبعة الأولى 1417هـ.

١٦ -**صحيح البخاري** للإمام البخاري، بيت الأفكار الدولية.

١٧ -**صحيح مسلم** للإمام مسلم، دار الكتب العلمية.

١٨ -**صحيح مسلم**، بيت الأفكار الدولية.

١٩ -**سنن ابن ماجة** للإمام القزويني، بيت الأفكار الدولية.

٢٠ -**سنن أبي داود**، للإمام السجستاني، بيت الأفكار الدولية.

٢١ -**سنن النسائي**، للإمام أحمد ابن شعيب، بيت الأفكار الدولية.

٢٢ -**جامع الترمذي**، للإمام الترمذي، بيت الأفكار الدولية.

٢٣ -**مسند الإمام أحمد**، بيت الأفكار الدولية.

٢٤ -**السنن الكبرى** للبيهقي، تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، الطبعة الثالثة، 1424هـ

٢٥ -

٢٦ -**المعجم الكبير** للطبراني، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي.

٢٧ -**مصنف ابن أبي شيبة**، تحقيق محمد عوامة، دار القبلة، الطبعة الأولى.

٢٨ -**بغية الرائد في تحقيق مجمع الزوائد**، للهيثمي، تحقيق عبد الله محمد الدرويش، دار الفكر

٢٩ -**إرواء الغليل**، للألباني، تحقيق محمد زهير، المكتب الإسلامي، الطبعة الأولى 1399هـ

٣٠ -**صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان** ، تحقيق شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة 1418 هـ

٣١ -**صحيح جامع الترمذي** للألباني، مكتبة المعارف، الرياض

٣٢ -**صحيح وضعيف جامع النسائي** للألباني، مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة الأولى، 1419هـ

٣٣ -**صحيح وضعيف الجامع الصغير** للألباني، المكتب الإسلامي، الطبعة الثالثة، 1408هـ

٣٤ -**صحيح الأدب المفرد**، للألباني، مكتبة الدليل الطبعة الرابعة 1418هـ

٣٥ -**سلسلة الأحاديث الصحيحة** للألباني، مكتبة المعارف، طبعة 1415 هـ

٣٦ -**سلسلة الأحاديث الضعيفة** للألباني، مكتبة المعارف، طبعة 1415 هـ

٣٧ -**علل ابن أبي حاتم**، تحقيق نشأت المصري، الفاروق الحديثة، الطبعة الأولى 1432هـ

٣٨ -**علل الحديث** للرازي، المطبعة السلفية، القاهرة، 1344هـ

٣٩ -**الموضوعات**، لابن الجوزي، تحقيق نور الدين بن شكري، أضواء السلف

٤٠ -**المستدرك على الصحيحين** للحاكم، دار الحرمين، الطبعة الأولى، 1417هـ

٤١ -**حلية الأولياء** لأبي نعيم، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، 1418هـ

٤٢ -**مصباح الزجاجة** للبوصيري، تحقيق محمد المنتقى الكشناوي، دار العربية للنشر، الطبعة الأولى 1403هـ

٤٣ -**عون المعبود شرح سنن أبي داود**، للعظيم آبادي، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ، 1419هـ

٤٤ -**بغية الرائد في تحقيق مجمع الزوائد** للهيثمي، دار الفكر

٤٥ -**لسان العرب** لابن منظور، دار إحياء التراث الإسلامي، الطبعة الثانية 1418 هـ

٤٦ -**التوقيف على مهمات التعاريف** للمناوي، تحقيق د. محمد الداية، دار الفكر المعاصر الطبعة الأولى بيروت 1410هـ.

٤٧ -**علوم البلاغة** للمراغي، الطبعة السابعة، دار الفكر العربي.

٤٨ -**معجم مقاييس اللغة** لابن فارس، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، 1420هـ

٤٩ -**مختار الصحاح** للرازي، دار الحديث، القاهرة،1424هـ

٥٠ -**الفروق في اللغة** لأبي هلال العسكري، تحقيق جمال مدغمش، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية، 1427هـ

٥١ -**معجم تهذيب اللغة** للأزهري، تحقيق د. رياض زكي قاسم، دار المعرفة، الطبعة الأولى 1422هـ

٥٢ -**التعريفات** لإمام الجرجاني، مكتبة لبنان.

٥٣ -**الصحاح** للجوهري،تحقيق الدكتور إميل يعقوب – محمد طريفي، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى 1420هـ

٥٤ -**المبين شرح ألفاظ الحكماء والمتكلمين**، للآمدي، تحقيق د.حسن الشافعي، مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة الثانية 1413هـ

٥٥ -**أبجد العلوم**، للقنوجي، دار الكتب العلمية.

٥٦ -**المعجم الوسيط**، مكتبة الشروق الدولية، الطبعة الرابعة، 1425هـ

٥٧ -**كشاف اصطلاحات الفنون** محمد التهانوي طبعة 1893م.

٥٨ -**الأعلام** للزركلي، دار العلم للملايين، الطبعة السابعة عشرة، 2007م

٥٩ -**الذيل على طبقات الحنابلة** للإمام الحافظ بن رجب، تحقيق د. عبد الرحمن العثيمين، مكتبة العبيكان.

٦٠ -**كتاب المقفى الكبير** للإمام تقي الدين المقريزي، تحقيق محمد اليعلاوي، دار العرب الإسلامي.

٦١ -**المقصد الأرشد في ذكر أصحاب الإمام أحمد** للإمام برهان الدين بن مفلح، تحقيق د. عبد الرحمن العثيمين، مكتبة الرشد.

٦٢ -**البداية والنهاية** لابن كثير، تحقيق د. محمد إبراهيم الطرابلسي – يوسف أحمد الضاوي، دار الأخيار للنشر.

٦٣ -**الطبقات الكبير** لابن سعد الزهري، تحقيق د.علي محمد عمر، مكتبة الخانجي، الطبعة الأولى 1421هـ

٦٤ -**معجم شيوخ الذهبي** للذهبي، تحقيق د. روحية السيوفي، دار الكتب العلمية.

٦٥ -**جلاء العينين في محاكمة الأحمدين** للألوسي البغدادي، مطبعة المدني.

٦٦ -**جمهرة أنساب العرب** لابن حزم الأندلسي، تحقيق عبد السلام محمد هارون، الطبعة الخامسة، دار المعارف.

٦٧ -**سير أعلام النبلاء** للإمام الذهبي، تحقيق محمد الشبراوي، دار الحديث القاهرة، 1427هـ

٦٨ -**الأعلام العلية في مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية** للبزار، تحقيق إسماعيل الأنصاري، دار الصميعي، الطبعة الأولى 1428هـ

٦٩ -**الدرر الكامنة** لابن حجر، دار الجيل، 1414هـ

٧٠ -**لسان الميزان** لابن حجر، تحقيق عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، الطبعة الأولى 1423هـ

٧١ -**تهذيب التهذيب** لابن حجر، تحقيق إبراهيم الزيبق و عادل مرشد، مؤسسة الرسالة.

٧٢ -**طبقات الشافعية** لابن كثير، دار المدار الإسلامي، الطبعة الأولى 2004 م

٧٣ -**وفيات الأعيان** لابن خلكان، تحقيق د يوسف علي طويل، دار الكتب العربية، بيروت الطبعة الأولى 1419هـ

٧٤ -**الضوء اللامع** للسخاوي، منشورات دار مكتبة الحياة.

٧٥ -**تسهيل السابلة لمريد معرفة الحنابلة**، صالح النجدي، مؤسسة الرسالة، طبعة 1421هـ

٧٦ -**طبقات الصوفية**، للسلمي، تحقيق مصطفى عطا، الطبعة الأولى 1419هـ

٧٧ -**شذرات الذهب**، للعكري، تحقيق عبد القادر ومحمود الأرناؤوط، دار ابن كثير.

٧٨ -**الوافي بالوفيات،** للصفدي، تحقيق أحمد الأرناؤوط، دار إحياء التراث العربي.

٧٩ -**الدرر الكامنة،** للعسقلاني، دار الجيل، طبعة 1414هـ

٨٠ -**ميزان الاعتدال،** للذهبي، تحقيق علي معوض و عادل عبد الموجود، دار الكتب العلمية

٨١ -**البدر الطالع** للشوكاني، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، 1418هـ

٨٢ -**تهذيب الكمال** للمزي، تحقيق بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، 1413هـ

٨٣ -**تاريخ الأمم والملوك** للطبري، دار الكتب العلمية، الطبعة الرابعة 1429هـ

٨٤ -**تذكرة الحفاظ،** للذهبي، دار الكتب العلمية.

٨٥ -**النجوم الزاهرة** للأتابكي، تعليق محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى 1413هـ

٨٦ -

٨٧ -**معجم المؤلفين** عمر رضا كحالة، مؤسسة الرسالة.

٨٨ -**التدمرية،** لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق محمد السعوي، الطبعة الأولى، 1405هـ

٨٩ -**اقتضاء الصراط المستقيم،** لابن تيمية، تحقيق د. ناصر العقل، دار اشبيليا، 1418هـ

٩٠ -**درء تعارض العقل والنقل،** لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق د. محمد رشاد سالم.

٩١ -**الفرقان بين الحق والباطل** لابن تيمية، دار البيان.

٩٢ -**الفتاوى الكبرى** لابن تيمية، دار الكتب العلمية. طبعة 1422هـ

٩٣ -**جامع المسائل** لابن تيمية، دار عالم الفوائد الطبعة الأولى 1429هـ

٩٤ -**الرد على المنطقيين** لابن تيمية، إدارة ترجمان السنة، الطبعة 1976م

٩٥ -**بيان تلبيس الجهمية** لشيخ الإسلام، طبعة مجمع الملك فهد

٩٦ -**زيارة القبور والاستنجاد بالمقبور،** لابن تيمية، الرئاسة العامة للبحوث، الطبعة الخامسة 1426هـ

٩٧ -**الرد على البكري** لابن تيمية، تحقيق ،عبد الله السهلي، دار الوطن،الطبعة الأولى.1417هـ.

٩٨ -**الإيمان** لابن تيمية، تحقيق د. محمد الزبيدي، دار الكتاب العربي، طبعة 1425هـ

٩٩ -**قاعدة في المحبة** لابن تيمية، تحقيق فواز زمرلي، دار ابن حزم، الطبعة الأولى 1420هـ

١٠٠ -**الرد على المنطقيين** لابن تيمية، تحقيق عبد الصمد الكتبي، مؤسسة الريان، الطبعة الأولى 1426هـ

١٠١ -**مجموعة الرسائل والمسائل** لابن تيمية،دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى 1403هـ

١٠٢ -**الصفدية** لابن تيمية، تعليق محمد رياض، المكتبة العصرية، الطبعة الأولى 1427هـ

١٠٣ -**بغية المرتاد** لابن تيمية، تحقيق سعيد اللحام، دار الفكر العربي، الطبعة الأولى 1990م

١٠٤ -**الواسطة بين الحق والخلق** لابن تيمية، تحقيق رياض مصطفى عبد الله، مكتبة الباز

١٠٥ -**شرح العمدة** لابن تيمية، تحقيق خالد المشيقح، دار العاصمة، الطبعة الأولى 1418هـ

١٠٦ -**شرح العقيدة الأصفهانية** لابن تيمية، تحقيق سعيد بن نصر بن محمد، مكتبة الرشد، الطبعة الأولى 1422هـ

١٠٧ -**الإيمان** لابن تيمية، تحقيق د.محمد الزبيدي، دار الكتاب العربي،1425هـ

١٠٨ -**العبودية** لابن تيمية، تحقيق علي حسن عبد الحميد، دار المغني، الرياض، الطبعة الخامسة 1430هـ

١٠٩ -**منهاج السنة النبوية** لابن تيمية، تحقيق د.محمد رشاد سالم، دار الفضيلة، طبعة 1424هـ

١١٠ -**الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان** لابن تيمية، تحقيق محمد رياض الأحمد، المكتبة العصرية، طبعة 1427هـ

١١١ -**الأسماء والصفات** لابن تيمية، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، 1418هـ

١١٢ -**الفرقان** لابن تيمية، تحقيق محمد رياض الأحمد، المكتبة العصرية، 1427هـ

١١٣ -

١١٤ -**مجموع الفتاوى** لابن تيمية، جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن قاسم وابنه، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، 1425هـ

١١٥ -**العقيدة الطحاوية** للإمام الطحاوي، دار طويق.

١١٦ -**القول السديد شرح كتاب التوحيد** للسعدي، دار ضياء، الطبعة الأولى 1428هـ

١١٧ -**القول المفيد شرح كتاب التوحيد** لابن عثيمين، دار ابن الجوزي، الطبعة الرابعة 1421هـ

١١٨ -**مجموعة رسائل في التوحيد** للفوزان، دار العقيدة.

١١٩ -**مدارج السالكين** لابن القيم، تحقيق عبد العزيز الجليل، دار طيبة، الطبعة الثانية 1429هـ

١٢٠ -

١٢١ -**القول السديد في الردّ على من أنكر تقسيم التوحيد** لعبد الرزاق البدر، دار ابن عفان، الطبعة الأولى 1423هـ

١٢٢ -**التمهيد** لابن عبد البر، تحقيق سعيد أحمد أعراب.

١٢٣ -**كتاب التوحيد** لابن مندة، دار طويق

١٢٤ -**عقيدة التوحيد** للفوزان، دار العاصمة، الطبعة الأولى 1420هـ

١٢٥ -**الأدلة العقلية على أصول الاعتقاد**، سعود العريفي، دار عالم الفوائد، الطبعة الأولى 1419هـ

١٢٦ -**لوامع الأنوار** للسفاريني، المكتب الإسلامي، الطبعة الثالثة، 1411هـ

١٢٧ -**صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان،** للسهسواني الهند، المطبعة السلفية، الطبعة الثالثة، 1378هـ

١٢٨ -**شرح كتاب الفقه الأكبر** للملا علي القاري، تحقيق علي دندل، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى 1416هـ

١٢٩ -

١٣٠ -**معارج القبول** للحكمي، تحقيق محمد صبحي، دار ابن الجوزي، الطبعة الأولى 1420هـ

١٣١ -**إغاثة اللهفان** لابن القيّم، تحقيق خالد العلمي، دار الكتاب العربي، الطبعة الرابعة 1421هـ

١٣٢ -**كتاب الإيمان** ، للإمام أبو عبيد القاسم بن سلام، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني، الطبعة الأولى 1421هـ

١٣٣ -**الدرر السنيّة في الأجوبة النجدية**، جمع العاصمي النجدي، الطبعة الثانية 1425هـ

١٣٤ -**شرح العقيدة الطحاوية** لابن أبي العزّ، تحقيق عبد المحسن التركي- شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية، 1424هـ

١٣٥ -**شرح قصيدة ابن القيم النونية**،لأحمد إبراهيم، المكتب الإسلامي

١٣٦ -**تيسير ذي الجلال والإكرام شرح نواقض الإسلام**، سعد محمد القحطاني.

١٣٧ -**الأدلة العقلية النقلية على أصول الاعتقاد**، للعريفي، دار عالم الفوائد

١٣٨ -**الصلاة وحكم تاركها** لابن القيم، دار ابن حزم

١٣٩ -**تعظيم قدر الصلاة**، للمروزي، مكتبة الدار

١٤٠ -**شرح السنة** للبربهاري، تحقيق عبد الرحمن الجميزي، دار المنهاج، الطبعة الثانية 1428هـ

١٤١ -**شرح الرسالة التدمرية**، للبراك، دار كنوز إشبيليا، طبعة 1425هـ

١٤٢ -**بدائع الفوائد** لابن القيم، دار عالم الفوائد

١٤٣ -**مقالات الإسلاميين** أبو الحسن الأشعري، المكتبة العصرية، بيروت

١٤٤ -**اعتقاد أهل السنة** للحافظ أبو بكر الإسماعيلي، مكتبة دار المنهاج طبعة 1430هـ

١٤٥ -**الإيمان** لابن منده، دار ابن حزم، طبعة1427هـ

١٤٦ -**الداء والدواء** لابن القيم، تحقيق محمد أجمل الإصلاحي، دار عالم الفوائد، الطبعة الأولى 1429هـ

١٤٧ -**المواقف في علم الكلام** للأيجي، عالم الكتب

١٤٨ -**موقف شيخ الإسلام من الأشاعرة**، د.عبد الرحمن المحمود، مكتبة الرشد، الطبعة 1415هـ

١٤٩ -**شأن الدعاء** للخطابي، دار المأمون الطبعة الأولى 1404هـ

١٥٠ -**الشرح الميسر على الفقهين الأبسط والأكبر** د.عبد الرحمن الخميس مكتبة الفرقان،عجمان،ط الأولى، 1419هـ.

١٥١ -**تصحيح الدعاء** لبكر أبو زيد ،دار العاصمه الطبعة الأولى 1419ه.

١٥٢ -**الاعتصام** للشاطبي، دار المعرفة، الطبعة الثانية، 1420هـ

١٥٣ -**دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية** ، د.سعود بن عبد العزيز الخلف، أضواء السلف، الطبعة الخامسة 1427هـ.

١٥٤ -**الوابل الصيب من الكلم الطيب**، لابن القيم، دار عالم الفوائد، الطبعة الأولى 1425هـ

١٥٥ -**منهج شيخ الإسلام في تقرير عقيدة التوحيد** للبريكان، دار ابن القيم، الطبعة الأولى 1425هـ

١٥٦ -**ملخص كتاب الإستغاثه** تحقيق محمد على عجال، مكتبة الغرباء الأثريه، الطبعة الأولى 1417هـ.

١٥٧ -**الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية** ، لابن بطة العكبري، تحقيق أبو عاصم الحسن بن القطب، دار الفاروق، الطبعة الأولى 1429هـ

١٥٨ -**فيض القدير** للمناوي، تحقيق أحمد عبد السلام، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى.

١٥٩ -**القواعد المثلى** لابن عثيمين، تحقيق أشرف عبد المقصود، أضواء السلف، طبعة 1416هـ

١٦٠ -**الروح** لابن القيم، تحقيق أبو عبد الرحمن المكيّ، مكتبة نزار الباز، الطبعة الأولى 1425هـ.

١٦١ -**شرح لمعة الاعتقاد،** للعثيمين، تحقيق أشرف عبد المقصود، أضواء السلف، الطبعة الثالثة 1415هـ

١٦٢ -**الصواعق المرسلة** لابن القيم، تحقيق د. علي دخيل الله، دار العاصمة،الطبعة الثالثة 1418هـ

١٦٣ -**شرح العقيدة الواسطية** للعثيمين، تحقيق سعد الصميل، دار ابن الجوزي، الطبعة الخامسة 1419هـ

١٦٤ -**الأصول في النحو** للبغدادي، تحقيق د.عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة 1417هـ

١٦٥ -**الإنصاف في مسائل الخلاف** للأنباري، تحقيق د جودة مبروك، مكتبة الخانجي القاهرة، الطبعة الأولى

١٦٦ -**توضيح الكافية الشافية** للسعدي، تحقيق محمد البسام، دار عالم الفوائد، الطبعة الأولى 1420هـ

١٦٧ -**الدرر العثيمينية بشرح رب البرية بتلخيص الحموية** للعثيمين، تحقيق غزاي الأسلمي وفهد الغامدي، مكتبة الإمام الذهبي، الطبعة الأولى 1427هـ

١٦٨ -**شرح العقيدة السفارينية** لابن مانع، تحقيق مركز المنبر للبحث العلمي، دار ابن الجوزي

١٦٩ -**التوسل أنواعه وأحكامه** للألباني، تحقيق محمد عيد العباسي، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى 1421هـ

١٧٠ -**الأصول الخمسة** للقاضي عبد الجبار، تحقيق فيصل العون، مطبوعات جامعة الكويت، طبعة 1998م

١٧١ -**كشف غياهب الظلام عن أوهام جلاء الأفهام** ، لسليمان بن سحمان، مطابع الرياض، الطبعة الثانية، 1376هـ

١٧٢ -**رد المحتار على الدرر المختار** لابن عابدين، تحقيق محمد حلاق، دار النفائس، الرياض طبعة 1419هـ

١٧٣ -**الاعتصام** للشاطبي، تحقيق مشهور آل سلمان، مكتبة التوحيد، الطبعة الأولى 1421هـ

١٧٤ -**بدائع الفوائد** لابن القيم، تحقيق على محمد العمران، دار عالم الفوائد، الطبعة الأولى 1425هـ

١٧٥ -**التنبيهات اللطيفة للسعدي،** علق عليها سماحة الشيخ ابن باز -رحمه الله-، دار ابن الجوزي، الطبعة الثانية 1427هـ

١٧٦ -**شفاء العليل** لابن القيم، تحقيق عادل سعد، مكتبة مصطفى الباز، الطبعة الأولى 1426هـ

١٧٧ -**الفرق بين الفرق** للبغدادي، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، در الطلائع.

١٧٨ -**البرهان في معرفة أهل الأديان،** للسكسكي، تحقيق د.بسام العموش، مكتبة المنار، الطبعة الأولى 1408هـ

١٧٩ -**التنديد بمن عدّد التوحيد** لحسن بن علي السقاف، دار الإمام النووي، عمان، الطبعة الثانية 1991م.

١٨٠ -**دعاوى المناوئين لشيخ الإسلام ابن تيمية** د.الغصن، دار ابن الجوزي، الطبعة الأولى 1424هـ

١٨١ -**نزهة الأعين النواظر** لابن الجوزي، تحقيق محمد عبد الكريم الراضي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى 1404هـ

١٨٢ -**أصول الدين** للبغدادي، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى، 1346هـ

١٨٣ -**المطلع على أبواب المقنع**، للبعلي، المكتب الإسلامي، الطبعة الأولى 1385هـ

١٨٤ -**أسرار الصلاة**، لابن القيم، تحقيق إياد القيسي، دار ابن حزم، الطبعة الأولى 1424هـ

١٨٥ -**النهاية**، لابن الأثير، تحقيق محمود الطناحي وطاهر الزاوي، دار إحياء التراث العربي

١٨٦ -**تطهير الاعتقاد**، للصنعاني، تحقيق ناصر بن علي، الطبعة الأولى 1425هـ

١٨٧ -**كتاب السنة**، لعبد الله بن أحمد، تحقيق محمد سعيد القحطاني، دار ابن القيم.

١٨٨ -**السنة**، للإمام ابن أبي عاصم، تحقيق باسم الجوابرة، دار الصميعي، الطبعة الأولى، 1419هـ

١٨٩ -**الكشف عن حقيقة الصوفية**، محمود القاسم، المكتبة الإسلامية، الطبعة الثانية، 1413هـ

١٩٠ -**تاريخ مدينة السلام**، للخطيب البغدادي، تحقيق د. بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي

١٩١ -**الإحكام**، لابن حزم، قوبلت مع تحقيق أحمد محمد شاكر.

١٩٢ -**تسهيل فهم شرح الطحاوية** ، لابن أبي العز الحنفي، د.خالد الغامدي، دار ابن حزم، الطبعة الخامسة 1425هـ

١٩٣ -**مرعاة المفاتيح** لعبيد الله المباركفوري، إدارة البحوث الإسلامية بالهند.

١٩٤ -**الأجوبة السعدية** ، للسعدي، تحقيق د. وليد المنيس، مركز البحوث والدراسات الكويتية، الطبعة الأولى 1423هـ

١٩٥ -**التمهيد**، للقرطبي، تحقيق سعيد أحمد أعراب.

١٩٦ -**نزهة الأعين النواظر** لابن الجوزي، تحقيق محمد الراضي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى 1404هـ

١٩٧ -**البرهان في معرفة عقائد لأديان**، للسكسكي، تحقيق د. بسام العموش، مكتبة المنار، الطبعة الأولى 1408هـ

١٩٨ -**الصوفية نشأتها وتطورها**، لمحمد العبده وطارق عبد الحليم، دار الأرقم

١٩٩ -**كتاب الأسماء والصفات** للبيهقي، ضبط محمد زاهد الكوثري، دار إحياء التراث العربي

٢٠٠ -**أصول السنة** للإمام أحمد، تحقيق أحمد المزيدي، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى 1427هـ

٢٠١ -**لوائح الأنوار السنية** للسفاريني، تحقيق عبد الله البصيري، مكتبة الرشد، الطبعة الأولى 1421هـ

٢٠٢ -**الصفات الإلهية** لمحمد الجامي، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، الطبعة الثانية 1427هـ

٢٠٣ -**الإبانة عن أصول الديانة** للأشعري، تحقيق محمد علي ريحان، دار الإبانة

٢٠٤ -**شرح كشف الشبهات** لابن عثيمين، إعداد فهد السليمان، دار الثريا، الطبعة الرابعة 1426هـ

٢٠٥ -**تيسير العزيز الحميد** لسليمان محمد عبد الوهاب، دار عالم الكتب، الطبعة الأولى 1419هـ

٢٠٦ -**الأصول التي بنا عليها المبتدعة مذهبهم في الصفات** للدكتور عبد القادر صوفي، أضواء السلف، الطبعة الثانية 1426هـ

٢٠٧ -**شرح السنة** للمزني، تعليق د. جمال عزون، مكتبة دار المنهاج، الطبعة الأولى 1430هـ

٢٠٨ -**الإرشاد إلى معرفة الأحكام** للسعدي، مركز صالح الثقافي، 1412هـ

٢٠٩ -**موقف ابن تيمية من الصوفية** للعريفي، مكتبة دار المنهاج، الطبعة الأولى 1430هـ

٢١٠ -**موقف أهل السنة من أهل الأهواء والبدع** للرحيلي، مكتبة العلوم والحكم، الطبعة الأولى 1423هـ

٢١١ -**المحلى** لابن حزم، تحقيق حسان عبد المنان، بيت الأفكار الدولية

٢١٢ -**شرح الرسالة التدمرية** للبراك، إعداد سليمان الغصن، كنوز اشبيليا، الطبعة الأولى 1425هـ

٢١٣ -**شرح العقيدة السفارينية** لابن عثيمين، مدار الوطن للنشر، الطبعة الأولى 1426هـ

٢١٤ -**موقف ابن تيمية من التصوف والصوفية** للبناني، دار طيبة الخضراء، الطبعة الثالثة 1426هـ

٢١٥ -**عوارف المعارف** للسهرودي، الناشر دار الكتاب العربي، الطبعة الثانية، 1403هـ

٢١٦ -**منازل السائرين** للهروي، تحقيق الأب س.دي لوجيه دي بوركي، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، 1961م

٢١٧ -**الجامع لشعب الإيمان** للبيهقي، تحقيق عبد العلي عبد الحميد، مكتبة الرشد، الطبعة الأولى 1423هـ

٢١٨ -**الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب** ، إشراف د.مانع بن حماد الجهني، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر، الطبعة الخامسة 1424هـ

٢١٩ -**الإرشاد إلى قواطع الأدلة والاعتقاد،** أبي المعالي الجويني، تحقيق أسعد تميم، مؤسسة الكتب الثقافية ، بيروت الطبعة الأولى 1405هـ.

٢٢٠ -**فضل علم السلف على الخلف لابن رجب،** تصحيح وتعليق محمد منير عبده آغا، مطبعة النهضة، الطبعة الثانية، 1374هـ

٢٢١ -**اجتماع الجيوش الإسلامية** لابن القيم، تحقيق د. عواد عبد الله المعتق، الطبعة الأولى 1408هـ

٢٢٢ -**الديباج المذهب** لابن فرحون المالكي، تحقيق مأمون الجنان، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى 1417هـ

٢٢٣ -**تاريخ المذاهب الإسلامية** لمحمد أبو زهرة، دار الفكر العربي.

٢٢٤ -**الإمتاع والمؤانسة** لأبي حيان التوحيدي، تحقيق أحمد أمين وأحمد الزين، دار مكتبة الحياة.

٢٢٥ -**دروس في شرح نواقض الإسلام،** للفوزان، الطبعة الخامسة، 1428هـ

٢٢٦ -**تلبيس إبليس** لابن الجوزي، اعتناء حلمي الرشيدي، دار العقيدة، الطبعة الأولى، 1420هـ

٢٢٧ -**كتاب التوحيد** لابن خزيمة، تحقيق د. عبد العزيز الشهوان، مكتبة الرشد، الطبعة السابعة 1429هـ

٢٢٨ -**آداب البحث والمناظرة** للشنقيطي، تحقيق سعود العريفي، دار عالم الفوائد.

٢٢٩ -**ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة** لعبد الرحمن الميداني، دار القلم.

٢٣٠ -**العواصم والقواصم** لابن الوزير اليماني، تحقيق شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى 1429هـ

٢٣١ -**فتاوى اللجنة الدائمة،** جمع وترتيب أحمد الدويش، طبعة الرئاسة العامة للإفتاء، الطبعة الخامسة، 1427هـ

فهرس الموضوعات

تمت